د. موزة غباش

التراث الشعبي

في دولة الإمارات

الطبعة الثانية
٢٠٠٢-٢٠٠٣ م

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التراث الشعبي لمجتمع الإمارات

«دراسة»

شاملة لفولكلور التاريخ الثقافي

لدولة الإمارات العربية المتحدة

د. موزة عبيد غباش
استاذة
علم الاجتماع

الطبعة الثانية
٢٠٠٢ - ٢٠٠٣م
« مزيدة ومنقحة »

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

(فلينظر الانسان الى طعامه إنا صببنا الماء صبّا ثم شققنا الارض شقّا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبّا متاعا لكم ولأنعامكم)

صدق الله العظيم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــداء

إلى كل من يدرك قيمة البحث العلمي في تراثنا الشعبي إلى كل من كرّس وقته وجهده لأن يكون هذا العالم مساحة أفضل للعيش ومزاولة الحياة.. إلى كل من حمل علمه مصباحاً ينير به ظلمات الجهل والتخلف.. وإلى مركز التراث الشعبي لمجلس التعاون لدول الخليج العربية بدولة قطر..

إلى أمي عوشة بنت حسين رحمها الله.

إليهم جميعاً أهدي هذا الجهد البحثي المتواضع.

د. موزة غباش

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

في مستهل هذا الجهد البحثي المتواضع، والذي أعتبره مسئولية تاريخية وتوثيقية كبرى، يطيب لي أن أتقدم باحر وأسمى آيات الشكر والتقدير لأسرة رواق عوشة بنت حسين الثقافي بدبي ولأعضاء جمعية الدراسات الإنسانية ممثلة حسب الترتيب الأبجدي للأسماء:

السيد/ راشد جمعة الهورة - مدرس مواد اجتماعية بمدرسة سيف اليعربي - كلباء.

السيد/ عبدالحكيم المغني - موظف بوزارة الدفاع - أبوظبي - سويحان.

السيد/ عبدالله الصغير - وزارة العمل - رأس الخيمة - أمين سر جمعية النخيل للفنون الشعبية.

السيدة/ فاطمة المغني - مديرة مركز التنمية بخورفكان.

السيدة/ فوزية طارش أرحمه - مركز الأحداث بالشارقة.

السيدة كلثم عبدالله - ديوان الحاكم - دبي.

السيدة/ نجاة حسن مكي - مشرفة فنية بوزارة التربية والتعليم.

السيدة/ ياسمين سلطان فرحان - مديرة مركز التنمية - كلباء - الشارقة.

فقد ظلوا يعملون بدأب وعزيمة صادقة في سبيل التوثيق لتراثنا الشعبي لمجتمع الإمارات، ونتمنى لهم جميعاً المزيد من التوفيق في دفع الجهود الوطنية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وشكر وتقدير عميقين أيضاً نتوجه بهما إلى أمهاتنا وآبائنا الأجلاء ممن جادت علينا ذاكرتهم بهذا المخزون الهائل من تراثنا الشعبي. فالتحية لهم جميعاً أولئك الرواة والراويات الذين أبدوا تعاوناً صادقاً، متعهم الله بالصحة والعافية وتغمد - من رحل عنا - بالرحمة الواسعة.

كما أتقدم بشكر خاص جداً لمركز التراث الشعبي لمجلس التعاون لدول الخليج العربية بدولة قطر الشقيقة على ما قدموه من جهود قيمة كانت ثمارها أن أتت إلى الوجود هذه الدراسة. فقد جاء مركز التراث الشعبي بالبذرة والفكرة الرائدة ودفع بالمشروع قدماً إلى أن رأى النور على أيدي مجموعة منتقاة من الباحثين والباحثات ذوي الخبرة والتخصص في مجال التراث الشعبي. لقد كان الطريق صعباً وشاقاً، إلاّ أننا تمكنا من أن نجعله سهلاً وممهداً بالمزيد من الإصرار والثقة والمثابرة والتكاتف.

في الختام، لا يسعني إلاّ أن أعيد وأردد حقيقة واحدة هي أن العمل الوطني الأصيل لا يتم إلاّ بالتكاتف والتآلف والصدق ونكران الذات!

وفقنا الله وإياكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

د. موزة غباش

دبي - ٢٠٠١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية :

تتزايد في كل يوم الحاجة إلى البحث الجاد والعميق في مكنونات التراث الشعبي لكل مجتمع من المجتمعات .. وفي مجتمع دولة الإمارات فرضت ظروفه التاريخية والجغرافية نشوءه في منطقة أصبحت فيما بعد عرضة للهجرات المتباينة ، من مختلف بقاع العالك لاسيما الآسيوي والعربي ، والتاثيرات الديمقراطية العريقة.

ونسبة لتمدد تاثيرات تلك التحولات الديمقراطية التي جاءت كنتيجة للطفرة الاقتصادية والوفرة التي حققها اكتشاف النفط في المنطقة ، نسبة لكل تلك العوامل، تبقى هناك حاجة ماسة لتتبع تراث هذه الأمة ومحاولة الحفاظ عليه من التغيرات الإقليمية والعالمية المذهلة ، الثقافية والاجتماعية منها على وجه الخصوص.

هكذا ، وبتقادم الزمان ، تتأكد لنا حقيقة جدوى داسة التراث الشعبي لمجتمع دولة الإمارات في الحفاظ على هوية الأمة وتماسكها وحمايتها من لضياع أو لذوبان داخل قيم وثقافات وتقاليد دخيلة على مجتمعنا الإسلامي والعربي بمنطقة الخليج عامة وبدولة الإمارات على وجه الخصوص.

إن صغر دولة الإمارات العربية المتحدة من حيث المساحة ، جعل من مواطنيها أكثر تعرضاً للهزات الثقافية أمام تيارات الهجرة القوية وتداعيات العولمة والكوكبية ، وحركة المعلومات الحرة، لكن ، وبفضل قوة رسوخ تاريخ وثقافة شعب الإمارات وعمق جذوره التاريخية والترثية ، لايكاد أحد يصدق أن هذه المساحة الجغرافية الضيقة تمتلك كل هذا الرصيد الضخم من المخزون التراثي الأصيل الذي مكن شعبها من الحفاظ على أنبل القيم وأعرق الحضارات الإنسانية.

د. موزة غباش
دبي - ٢٠٠٢-٢٠٠٣

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

إن مجتمع الامارات مجتمع يجمع ما بين الحداثة والقدم، يتعرض منذ بدء التوسع والتوحد لعدد من التحديات اهمها المشكلة الديمغرافية وآثار الهجرة الاسيوية والعمالة الوافدة.من هنا جاء الاهتمام الاول البحث والتاكيد على الهوية العربية استناداً الى الجذور الحضارية لهذا المجتمع وعاداته وتقاليده الوطنية.

ولعلنا نستطيع أن نؤكد على أن المخزون التراثي الشعبي لو وظف وخدم بشكل موضوعي لاستطاع أن يؤصل في الانسان العديد من القيم والقدرات العقلية التي سوف تتيح له العمل الجاد المنتج وتحقق له تنمية فاعلة. ولكن كيف يمكن أن يتم ذلك؟ اذ لا بد من العثور على معادلة صحيحة توفق بين الاخذ من هذا التراث والانفتاح النسبي على التقدم المادي والتكنولوجي في العالم بقدر ما يمكننا من تحقيق تطلعاتنا تجاه ترسيخ معالم الدولة الحديثة والاصيلة في آن واحد.

كما أن من الضروري تعريف الاجيال الجديدة برموز التراث القديم وتعريفهم بالكثير من الاشياء التي استخدمها الاباء والاجداد ولم تستمر الى وقتنا الحاضر وحياتنا المعاصرة بسبب التغيرات الحادة التي تشهدها المجتمعات في مختلف نواحي الحياة لا سيما الاساليب الحياتية وانماط المعيشة والاهتمامات والشؤون المختلفة على مستوى الافراد والجماعات.

فمع مرور الزمان وتسارع ايقاع التغيير في المجتمعات، تأكدت الحاجة الماسة والضرورية لانشاء ادارات متخصصة تعنى بالتراث وما يثار حوله من قضايا ودراسات مع التركيز على محاولة ابراز دور المكون التراثي في تغذية روافد الثقافة الشعبية وانماط الحياة البشرية، بصورة علمية وموضوعية وذلك من خلال اجراء مقاربات ووضع اسس قويمة يمكن للاجيال القادمة ان

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ترتكز عليها في محاولة بناء انماط جديدة من الحياة الاجتماعية والثقافية وغيرها بحيث تكون جديدة فقط في اطارها العام ولكنها مستوحاه في جوهرها وأصلها من ممارسات وانماط اجتماعية قديمة وراسخة وقويمة.

ولا بد هنا من الاشارة لحقيقة ان العلوم الانسانية تتفق حول طائفة كبيرة من القضايا والاحكام الاخلاقية المتعلقة بادائها لبحوثها ونشرها لنتائج تلك البحوث، ولكن ذلك لا يتضارب مع حقيقة اخرى وهي ان كل علم من تلك العلوم ينفرد ببعض القواعد التي يفرض على المشتغلين به اتباعها او مراعاتها والالتزام الدقيق بها.(١).

ويقف علم الفولكلور او علم دراسة التراث الشعبي، موقفا متميزا بين تلك العلوم من وجهة الضوابط الاخلاقية التي يتعين ان يلتزم بها الباحثون فيه، سواء أكانوا جامعين للمادة او دارسين لما قام غيرهم بجمعها. وهذا الموقف المتميز راجع الى الظروف التاريخية التي نشا فيها علم الفولكلور، كما انه راجع الى طبيعة المادة التي يتعامل فيها باحثوه.(٢).

فمواد التراث الشعبي او عناصره هي نتاج حضاري لثقافة معينة، يحمل بصمات الاجيال المتعاقبة التي شاركت في انتاجه (او صنعه) وفي تناقله (او استخدامه) ، ولم يكن يمثل بالنسبة لها مجرد مفردات مادية او اشياء ولكنه ينطوي على وجود مادي بنفس القدر الذي ينطوي فيه على دلالات اعتقادية وقيم روحية .(٣)

إذن فان علم الفولكلور انما هو علم ثقافي، يختص بقطاع معين من الثقافة (هو الثقافة التقليدية او الشعبية) يحاول القاء الضوء عليها من زوايا تاريخية، وجغرافية، واجتماعية، ونفسية. كما انه شأن اي علم اخر يؤتي عددا من الثمرات العلمية التي تفيد المشتغلين برسم السياسة الاجتماعية والثقافية. فهو الى جانب القيمة العلمية النظرية، يقدم خدمة تطبيعقية عملية لا يمكن انكارها.(٤).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولا شك ان من المهام ذات الطبيعة العلمية البحتة، تلك المتعلقة بالدور الذي تؤديه دراسات التراث الشعبي في القاء الضوء على المراحل التاريخية السابقة من حياة الثقافة والمجتمع. وسوف نتبين من استعراضنا للاتجاهات النظرية في علم الفولكلور ان كثيرا من الدارسين قد استخدموا مواد التراث الشعبي والحياة الشعبية في اعادة بناء الفترات التاريخية الغابرة والتي لا يوجد عنها الا شواهد ضئيلة متفرقة، وهو ما يعرف باسم منهج اعادة البناء التاريخ HISTORICAL RECONSTRUCTION فالفولكلور يضطلع في هذه الحالة بدوره التقليدي كعلم تاريخي يكمل المعرفة التاريخية ويعمقها ويوسعها.(٥).

فدراسة الفولكلور للتاريخ الثقافي لمجتمع من المجتمعات هي المدخل الاساسي والمقدمة التي (لا يمكن الاستغناء عنها) لفهم الثقافة الحالية والبناء الاجتماعي القائم. فاذا كنا نتفق على ان التاريخ هو بمثابة المعمل لرجل الاجتماع، فيه يرى المراحل التي اجتازتها الاشكال الثقافية والاجتماعية الماثلة امامه، ومن خلاله يفهم مدلولات كثير من الممارسات والمواقف والعلاقات والعمليات، فان دراسة الفولكلور خاصة في الجانب التاريخي منها هي اكبر عون يمكن ان يساعد دارس الثقافة والمجتمع(٦) .

الا ان علم الفولكلور لا يقتصر على القاء الضوء على تاريخ ثقافة معينة سواء البعيد او القريب، انما هو يسهم في تحليل علاقات التفاعل والتأثير المتبادل بين الثقافات المختلفة.. الخ .(٧)

لا أعتقد اننا بحاجة الى التاكيد على امكانية الانتفاع بالمعلومات التي يقدمها لنا علم الفولكلور انتفاعا علميا في حل بعض المشكلات التي تواجه الانسان في المجتمع. فقد انتبه الى تلك الحقيقة الجوهرية الغالبية العظمى من الدارسين الانثروبولوجيين على مدى تاريخ هذه الدراسات، وان اختلفت غاياتهم من وراء هذا الانتفاع العملي، كما سيتضح فيما بعد . بل انه حتى ذلك الفريق من العملاء الذين يحبذون البحث «النظري» او «البحث» الذي لا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يرتبط بأي اغراض عملية، كانوا لا ينكرون ان ما يجرونه من دراسات يمكن ان «يسهم» على نحو او آخر في تحقيق الرفاهية الانسانية. والملاحظ ان معظم المشكلات الانسانية تنطوي على حدوث تغيرات في السلوك والاتجاهات، والنظم، والعلاقات الاجتماعية.[٨]

لقد اكتشف يونس (عبدالحميد يونس) بوضوح أن التراث الشعبي - مادة هذا العلم وموضوعه - انما هو إرث مشترك لكل الطبقات وليس مقصورا على طبقة أو جماعة او منطقة بعينها. لقد ادرك الحقيقة المستقرة عند رواد هذا العلم العالميين الذين علمونا ان «الحياة الشعبية توجد دائما حيث يخضع الانسان - كحامل للثقافة - في تفكيره او شعوره او تصرفاته لسلطة المجتمع والتراث. وان داخل كل انسان منا شد وجذب دائمين بين السلوك الشعبي وغير الشعبي. ومن هنا يتضح عند كل انسان موقفان مختلفان احدهما فردي والاخر شعبي او جماعي. فجميع افراد الامة - سواء أكانوا عمالا او فلاحين، او رعاة،او رجال اعمال او جنوداً او محامين او اساتذة جامعيين - يشتركون جميعا في خاصية كونهم «شعباً» على اعتبارهم حملة الاشكال الثقافية التقليدية.وما من جدال في ان كثافة هذا العنصر الشعبي وشدته تختلف حتما من فئة الى اخرى ولكن لا يوجد انسان بدونها على الاطلاق. [٩].

ان مادة علم الفولكلور عند يونس عبارة عن عناصر ثقافية حية ومؤثرة وفعالة تساير الشعب في تطوره مسايرتها لحياة الافراد في سلوكهم وعلاقاتهم. وهذه العناصر الثقافية تتسم بالمرونة فتسقط الحلقات الميتة او التي ماتت وظائفها، وتعدل الحلقات القابلة للتعديل، بحيث تساير مراحل التطور، وتضيف حلقات جديدة تحس الجماعة بالحاجة اليها. وهي لا تضيفها الى تراثها الشعبي، الا بعد صمودها لاختبارات طويلة ومنوعة.. «فليس هناك بعث فيما يرتبط بالفولكلور ولكن هناك حياة موصولة ترتكز على تقاليد وخبرات وتجارب».[١٠]

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تجربة البحث في دورة الحياة لمرحلة الميلاد بدولة الإمارات:

لا يوجد ميدان من ميادين التراث الشعبي - بعد الادب الشعبي - حظي بمثل ما حظي به ميدان العادات الشعبية من العناية والاهتمام. وقد تمثلت هذه العناية وهذا الاهتمام في الدراسات الفولكلورية والسوسيولوجية العديدة من ناحية، وفي عمليات الجمع والتسجيل من ناحية اخرى. ولذلك وصل التراث الدائر حول العادات الشعبية الى الحد الذي اصبح معه من المستحيل على باحث واحد ان يلم به الماماً كاملاً.(١١)

والعادة - فيما يتصل بتعريفها - ظاهرة اساسية من ظواهر الحياة الاجتماعية الانسانية. هي حقيقة اصيلة من حقائق الوجود الاجتماعي فتصادفها في كل مجتمع تؤدي الى كثير من الوظائف الاجتماعية الهامة عند الشعوب .. الخ . (٩١٢)

فالعادات الشعبية اذن ميدان من ميادين الدراسة يسهم في دراسته جميع العلوم التي تهتم بالانسان في مظاهر حياته الاجتماعية والتاريخية. وفي مقدمة هذه العلوم : علم الاجتماع، والميثولوجيا، وعلم الاديان، وعلم النفس، والانثروبولوجيا، والفولكلور .. الخ فكل هذه العلوم تدخل العادات كموضوع من موضوعات البحث فيها .(١٣)

ويمكننا أن نلخص السمات الرئيسية للعادات فيما يلي : العادة الاجتماعية اولاً فعل اجتماعي، فليست هناك عادة اجتماعية خاصة بفرد واحد فقط. وانما العادة تظهر الى الوجود حيث يرتبط الفرد باخرين وياتي افعالا تتطلبها منه الجماعة او تحفزه اليها. عندئذ فقط نكون بصدد «عادات اجتماعية» او «عادات شعبية» ومن خصائص العادة ثانيا ان تكون متوارثة او مرتكزه الى تراث يدعمها ويغذيها. وقد سبق ان اوضح ريل وضرزصع ان السلوك يتحول الى عادة عندما يثبت من خلال عدة اجيال، ويتوسع وينمو ومن ثم يكتسب سلطانا. ونلاحظ ثالثا ان معظم الدارسين قد قبلوا سواء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ضمناً او صراحة تعريف العادة كقوة معيارية، وكظاهرة تتطلب الامتثال الاجتماعي بل الطاعة الصارمة.

فهي في ذلك رائدة للقانون. ومن هنا تعريف (فيكمان) للعادة بانها ذات طبيعة معيارية تستمد سلطتها راسيا (اي تاريخيا) وافقيا (اي اجتماعيا) وكذلك يقول (توليس) ان «العادات متطلبات سلوكية تعيش على ميل الفرد لأن يمتثل لأنواع السلوك الشائعة عند الجماعة، وكذلك على ضغط الرفض الجماعي لمن يخالفها». ونجد - رابعا - ان العادة ترتبط كما المحنا بظروف المجتمع الذي تمارس فيه. ونعني بهذا ان العادة مرتبطة بالزمن ، مرتبطة بتتابع وتعاقب فصول السنة. مثل راس السنة الهجرية،وعاشوراء ومولد النبي ورمضان والعيدين والاحتفال بموسم الحج .. الخ) او هي ترتبط بمواقف او احداث معينة في حياة الفرد او المجتمع (الميلاد والزواج .. الخ) وهذا الارتباط بزمان ومكان معينين هو الدليل على القيمة الوظيفية العالية التي تتمتع بها العادات في المجتمع. والعادات اخيرا تتخذ اشكالا أو صورا متعددة .(١٤)

خطة البحث الميداني:-

لعل الجدل النظري المتوقع نشوءه عند تناول موضوع كدراسة العادات والتقاليد المتعلقة بدورة الحياة، لا يمكن حسمه دون استقراء للواقع والتعامل مباشرة مع التراث بعناصره المختلفة من ناحية، ومع حاملي التراث على اختلاف نوعياتهم واعمارهم وانتماءاتهم الاقتصادية والاجتماعية والقرابية والثقافية من ناحية أخرى. واتباع هذا المسلك يحقق غايتين ، اولاً : ان العمل الميداني سيمكن من جمع مادة تراثية هائلة، متصلة بموضوعات متعددة يجب تدوينها والحفاظ عليها. وثانياً : ان تحليل هذه المادة التراثية سيساعد على فهمها ومدلولاتها الاجتماعية والثقافية بالنسبة للجماعات المختلفة والقطاعات المحلية (البدوية والريفية والحضرية) بالمجتمع وهذا الفهم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سيعطي فرصة كبيرة للحكم على مدى التغير الذي اصابها واثر بالتالي على نسق القيم من ناحية وهوية المجتمع من ناحية اخرى.

فجمع مواد التراث الشعبي وتوثيقها ودراستها، امر له اهميته القصوى فالتراث الشعبي عامل مهم من عوامل الحفاظ على الهوية والذات والقومية، كما انه ضروري لفهم ثقافة المجتمعات وتمييز التباينات بين مختلف مناحيها واوجه ممارساتها. فالتراث الشعبي اذن يمكن ان يكون مرآة عاكسة ونموذجا تاريخيا لكيفية نشوء وتنمية وتطور المجتمعات المادية والبشرية سواء.

ان المقصود بالمشروع الميداني - كما جاء في مرشد العمل الميداني لمركز التراث الشعبي بقطر - هو تنفيذ اعمال الجمع والتوثيق والتدوين وعناصر ومعطيات موضوع فولكلوري محدد من مواضيع التراث الشعبي، او مرحلة من مراحل هذا الموضوع، وذلك في مساحة جغرافية محددة، وخلال فترة زمنية محددة. ولا شك ان السير في هذا الطريق واتباعه في حاجة الى جرأة علمية محفوفة بالمخاطر، والى ايمان لا يتزعزع بفاعلية واهمية الجمع الميداني لعناصر التراث الشعبي الاصيل للحفاظ عليه، واخيرا الى مؤازرة ومساندة متعددة المسارات ومختلفة المصادر.

فالاهتمام بدراسات العادات والتقاليد إذن ينبع بصورة أساسية من أنها تعمل كادوات للتنظيم التلقائي للمجتمع .. اذ لا يمكن تصور مجتمع منظم دون عادات اجتماعية فالعادات الاجتماعية - باجماع علماء الاجتماع هي الدعائم الاولى التي يقوم عليها التراث الثقافي في كل بيئة اجتماعية.[١٥] ... والعادات الاجتماعية او الطرق الشعبية ليست نسبية الى المجتمعات فحسب بمعنى انها تتغير من مجتمع الى مجتمع ومن مكان الى مكان ، بل هي ايضا نسبية الى الزمان ..[١٦]

وينبغي ان ندرك - كذلك - أن العادات والتقاليد الشعبية هي أساساً

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سلوك جمعي والسلوك لا يحدث من فراغ فله دوافعه وخلفياته ونتائجه، كما ان هنالك من ينفذه ومن يحث عليه ومن يتأثر به .. الخ [١٧]

لذلك تُعد العادات الاجتماعية بحق عاملا جوهريا من اكبر واقوى عوامل التنظيم والضبط في علاقات الافراد، سواء في داخل المجتمع ككل كبير متماسك، أو في داخل الهيئات الاجتماعية الخاصة. فهي تسهل لهم افعالهم وتحدد منطق الترابط والتعامل فيما بينهم. ويوضح ذلك «مكيفر وبيج» (المجتمع ص ٤١) بقولهما انه لا يرجى للنظم السائدة والروابط اي انتظام بمعنى الكلمة الا اذا ارتكزت واعتمدت على مركب معتمد من صنوف مختلفة من العادات واساليب السلوك. [١٨]

وان دور العادات في الضبط والتنظيم لا يقل شأنا واثرا عن دور القوانين الوضعية. فاذا اعتبرنا القوانين سلطة المجتمع المكتوبة والموضوعة فاننا نعتبر العادات سلطته غير المكتوبة ودستوره المحفوظ في الصدور. ذلك الدستور الذي يوجه افعال الناس ويسيطر عليها في جميع العصور وفي كل مراحل الثقافة المختلفة وفي كل زمن ووقت، طوال اليوم من الصباح والمساء وتحيط به في كل مناسبة وفي كل معاملاته مع غيره في المجتمع، والانسان يخضع لها ويطيع اوامرها بشكل يفوق كثيرا حد التصور لهذه الحقيقة. فنحن نرتدي الملابس وفقا للذوق العام المألوف في مجتمعنا، والسائد بين قومنا، كما اننا نختار انواع الطعام المناسبة لكل وجبة من وجبات اليوم حسب ما تقرره عاداتنا، ثم نعده ونهيئه ونقدمه للاكل، بل ناكله ايضا بطرق تقليدية معينة تمليها علينا ثقافتنا واوضاعنا الخاصة بنا والى جانب ذلك فاننا نعمل اعمالنا اليومية ونؤدي واجباتنا، ونقوم بمسؤولياتنا المختلفة متبعين في ذلك الطرق السائدة في مجتمعنا كذلك نقابل بعضنا بعضا ونحي بعضنا وفقا لآداب السلوك التقليدية القومية .. الخ [١٩]

والعادات الاجتماعية او الطرق الشعبية متنوعة منها ما يتناول عادات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الناس في تناول الطعام والشراب، وفي الملبس والمسكن، وكذلك في ألوان النشاط الاخرى المرتبطة بالخطبة والزواج والميلاد والوفاة والامور الجنسية وصلات القرابة والعمل واستخدام الالات والصناعة والانتاج والفن والتعبد والترويح عن النفس.. الخ. فالطرق الشعبية هي التي تتحكم الى حد بعيد في نوع المسكن والملبس والماكولات التي ياكلها القوم .(٢٠)

كما يؤكد الدكتور محمد عبده محجوب، فان الاسرة ونظم « الزواج» و «القرابة» تحتل اهمية كبيرة في العلوم الانسانية والطبيعية ايضا .. فهي تجتذب بحوثا نظرية وتطبيقية في علم السكان والاقتصاد والتشريع وعلوم الوراثة والطب والصحة العامة وغيرها، بجانب موقعها الهام في ثبت موضوعات ومجالات البحوث في علم النفس وعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية.(٢١)

تحتوي خطة البحث الميداني عادة على عناصر أربعة اساسية وهي :

١ - الاهداف : وهي لا تخرج أبدا عن نطاق الفائدة المجتمعية وتنمية المجتمع فهدف هذه الدراسة هو تقصي جوانب التراث الشعبي لمجتمع الامارات بالتركيز على العادات والتقاليد المرتبطة بدورة حياة الانسان في مرحلة الميلاد مع الاشارة الى مرحلتي الزواج والوفاة.

٢ - المجال البحثي : ويشير الى النطاق الجغرافي أو البشري (كالقبيلة او العشيرة او البدو او الحضر مثلا) الذي جرت فيه الدراسة. فقد شمل الجمع الميداني كل او معظم انحاء البلاد ممثلة في مناطق الحضر والريف والبدو) كذلك المجال الزمني ويشير الى الفترة الزمنية التي استغرقها البحث الميداني.

٣ - منهج البحث : وقد اعتمدنا على المنهج الوصفي الذي يعتمد على جمع البيانات عن طريق الرواة والجامعين.

٤ - طريقة او وسيلة جمع البيانات: إذ قام هذا البحث على استخدام الدليل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العلمي والمقابلة والتسجيل والتدوين ثم صياغة التقرير النهائي.

والمعروف بصورة عامة ان دراسة العادات والتقاليد المتصلة بدورة الحياة والعناصر المنبثقة عنها، تتم بطريقة علمية تستند الى حقائق علم الفولكلور النظرية، وتسير وفق اجراءاته المنهجية المتعارف عليها، وتلتزم باساليب التحليل المتعددة والمرتبطة بموضوع الدراسة. كما ينبغي ان تتوافر لها بعض المقومات الاساسية وعلى راسها توافر فريق بحث مؤهل تاهيلا عاليا ومتمرس مهنيا في العمل الميداني، بالاضافة الى توافر الامكانات المادية التي تسهل سير العمل وتلبي كل الاحتياجات المتصلة به.

وقد تضمن البحث الميداني المراحل التالية:

١ - المرحلة التمهيدية

٢ - المرحلة الاستكشافية

٣ - مرحلة جمع المادة وتحليلها وتفسيرها.

وقد تضمنت هذه المراحل عناصر عدة لعل اهمها:

- وضع تصور معين للبحث وبالذات تحديد المواد التراثية التي سيتم جمعها.
- طرح الاجراءات المنهجية المتصلة بجمع المادة الميدانية، وخاصة دليل العمل الميداني.
- اختيار الباحثين والباحثات الذين يشاركون في جمع المادة الميدانية
- اختيار مجتمعات الدراسة ونوعية الاخباريين والاخباريات.
- بيان اساليب تحليل المادة الميدانية التراثية وتفسيرها.

وقد تمت صياغة الموضوعات وعناصرها في دليل العمل الميداني، بعد مناقشات مطولة، وتبادل الافكار مع الزملاء المشتغلين بالدراسات الفولكلورية. كما تدرب على استخدام دليل البحث مجموعة من الباحثين والباحثات - على

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فترات متباينة - من ذوي الخبرة العالية التي مكنتهم من استخدام الدليل وتطبيقه ببراعة فائقة كانت ثمرتها ذلك الكم الهائل من المادة الفولكلورية والاثنوجرافية التي اشتملت عليها دراستنا في مرحلة الميلاد محور هذه الدراسةوفي مرحلتي الزواج والوفاة اللتين ستتم الاشارة لهما بايجاز. وقد تم اختيار أعضاء هذا الفريق وفقا لبعض الخصائص واهمها:أن يكونوا من مواطني دولة الامارات العربية المتحدة ومن ذوي الشهادات والدرجات العلمية، وكذلك ممن يقطنون في مدن الدولة المختلفة ليستطيعوا تغطية جميع فئات المجتمع بالدراسة الميدانية.

بعد مرحلة جمع البيانات، كانت هنالك حاجة حتمية لتبويب وتصنيف المادة حسب الموضوعات والمحاور المحددة، وقد استغرق ذلك شهورا باكملها. ثم تبع ذلك مرحلة كتابة التقرير النهائي وتحليل وتفسير المادة وتحليل ما اشتملت عليه كل مرحلة من محاور متعددة، وهو في مضمونه تحليلا يراعي النظرة التكاملية المتضمنة للابعاد السوسيولوجية والاقتصادية والثقافية للمادة التراثية المقدمة، بالاضافة الى التركيز على الموروثات والامثال،والاقوال، والحكمة، والاغاني، والنذور، والتجارب الخاصة (للراويات) المرتبطة بكل محور على حدة في كل من المرحلة الدراسية الحالية ومرحلة الزواج التي انفرد بتفاصيلها وتوسع في عرض جوانبها المختلفة كتاب دورة الحياة لمرحلة الزواج. وقد وجب الالتزام بهذا التحليل الشامل بهدف ربط المادة التراثية بسياقها الثقافي والاجتماعي، ايمانا منا بحقيقة ان تفاعل الانسان مع بيئته هو الذي يخلق الاستجابات او يفرز المعتقدات الخاصة به. وكان هذا التحليل اضافة من جانبنا كما فرضته في نفس الوقت طبيعة الدراسة العلمية للموضوع. يضاف الى ذلك تركيزنا على ابعاد الثبات والتغير للمادة للعلمية المقدمةوالمرتبطة بممارسات العادات والتقاليد لمجتمع الامارات العربية المتحدة وكان هدفنا من ذلك ربط الماضي بالحاضر، واظهار اشكال التغيير الثقافي في مضمون هذه العادات والاهم اثر ذلك على هوية المجتمع الثقافية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولا نزعم اننا قد تمكنا من جمع كل عناصر التراث الشعبي في مجتمع الامارات فيما يتعلق بمرحلة الميلاد والزواج فذلك فوق طاقة الباحث، بل فريق من الباحثين الذين يعملون بلا توقف خلال فترة زمنية اطول. ولذا فقد اكتفينا بدراسة احدى عناصر التراث الشعبي الممثلة في العادات والتقاليد لدورة الحياة، بالتركيز على المرحلة الاولى وهي الميلاد، قيد الدراسة الحالية. وهنا يطرح التساؤل لماذا تلك العناصر على وجه التحديد؟ الاجابة البديهية هي :

اولاً : ان العادات تمثل الوانا من الوان التراث الاجتماعي فهي تمد الفرد بسلسلة متكاملة الحلقات من المشكلات التي انتهت الثقافة من حملها على ايدي الاجيال السابقة، وبذلك تغنيه عن اجهاد نفسه في استيضاح موقفه إزاء الاحداث الاجتماعية الجارية التي تمس جميع مظاهر النشاط الحيوي والاجتماعي.

وثانياً : ان العادات والتقاليد تمثل كتلة من السلوك البشري تؤدي الى اثارة العجب من اي سلوك يصدر عن الفرد مهما كان ذلك السلوك خارجا عن المألوف، والاهم من ذلك هو الدور الذي تلعبه في الخبرة والعقيدة وفي الاشكال المتباينة التي تتحلى فيها كل منهما.

فيما يتعلق بدورة الحياة فقد اخذنا بفكرة باول جوليك Paul Gulick الذي يذهب الى ان مفهوم دورة حياة الاسرة يعد اطارا للعمل لفهم الاسرة وخصائصها ومكوناتها من ناحية حيث انها تمر بمراحل عديدة منها الميلاد، والزواج والوفاة. كما يمكن من فهم السياق الاجتماعي الذي يحيط بها والركائز الثقافية التي ترتكز عليها من ناحية اخرى.

مرحلة الميلاد :

فيما يتعلق بمرحلة الميلاد كاولى واهم مراحل دورة الحياة فقد تطلبت دراستها تحديد العناصر والموضوعات المتصلة بها، وقد تمثلت فيما يلي: الحمل، الوحم، الولادة، ما بعد الولادة، المشاهرة، اخفاء نوع المولود، ولادة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التوائم، تسمية الطفل، الرضاعة والفطام، الحمل الكاذب، العقم، الاجهاض، الختان، ثم التنشئة الاجتماعية.

ولعل موضوع الحمل هو المحور الاساسي لقياس مرحلة الميلاد للانسان في اي مجتمع من المجتمعات، اذ يمثل بدء الحياة. ونحن لا نهتم فقط بالعادات والتقاليد والمظاهر الثقافية المشخصة او العيانية التي تؤلف اصلا مادة الفولكلور والانثروبولوجيا، ولكننا في دراستنا له نسعى الى ربط هذه المادة العلمية بسياقها الاجتماعي، والمؤثرات التي تركت بصماتها على هذه الممارسات والعادات ومن ثم التوصل الى عاملي التغير والثبات من مجموع عناصر هذه العادات، وذلك يقينا منا بان هذه العناصر والابعاد الثقافية تشكل الانسان ككائن ثقافي في مجتمع الامارات، فدراسة بعدي التغير والثبات انما تحدد لنا الى اي مدى استطاع الرواة التعبير عن القيمة الجديدة التي تتلاءم مع واقع الحياة، وهل استطاع الانسان في الامارات ان يغزل قيمه الجديدة في النسيج التقليدي السائد والذي يحظى بقبول الناس. ولقد عالجنا موضوع الحمل من خلال الموضوعات التالية: بدء الحمل، ردود فعل الاهل لحمل المرأة، الاتجاهات نحو انجاب الذكور والاناث، التحريمات المرتبطة بالحمل، غذاء الحامل، الوضع الصحي للمرأة اثناء الحمل، واخيرا مجموع الممارسات المرتبطة بكل مراحل الحمل،. ولعل هذه هي الموضوعات التي تكشف لنا عن الواقع الاجتماعي الثقافي الذي كانت تعيشه المرأة الحامل منذ اول حمل لها وحتى آخر حمل والاتجاهات السائدة نحوها.

هذا بجانب الاعلان عن الحمل والذي يعتبر احد العناصر الرئيسية في دراسة مرحلة الميلاد وذلك لانه يتضمن عددا من الاعتبارات والموروثات العميقة جدا في ثقافة اهل الامارات كالخوف من الحسد او اكتشاف الحمل الكاذب او الاجهاض او غير ذلك من الامور ذات الصلة. اما الوحم والذي يعرف بانه اشتهاء المرأة لشيء معين (طعام او سواه) او كراهيته له في فترة بداية الحمل، فيعتبر من الامور التي ترتبط بها العديد من المعتقدات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والممارسات لمرحلة الميلاد في مجتمع الامارات.

فقد أولت الدراسة محاور الموضوع جميعها نفس الاهتمام والبحث المتعمق فكشفت عن العديد من الممارسات والطقوس المتعلقة بمراحل ما قبل وبعد الولادة.

وهنالك مرحلة المشاهرة (المدارسة أو الحسد) والوقاية منها ولعله لم يوجد هنالك مقابل دقيق للكلمة باستخدامها الحالي، ولكن تم الاتفاق على كلمة الدارس ومشتقاتها «مدروسة، مدارس، مدروس، دارس، مدارس ميت، مدارس عرس، الدراسي».

كذلك مرحلة اخفاء نوع المولود كانت تعتبر من الممارسات التي يحرص عليها المحيطون بالمرأة الواضعة فالاهل يقبلون باخفاء مولودهم لحمايته من العين والجيران يقبلون فهم يدركون انهم سيعرفون ذلك لاحقا والاهل يقبلون به لانهم يعزمون ايضا على اخفاء مواليدهم.

اما ولادة التوائم في مجتمع الامارات فتعتبر ظاهرة نادرة او قليلة الحدوث بالنسبة للاسرة الاماراتية وهي تكشف لنا العديد من الممارسات والعادات والمعتقدات السائدة في المجتمع آنذاك ومنها استخدام التوائم لعلاج بعض الامراض اعتقادا بانهمايحملان قوة روحية او غيبي ةخاصة، وقد يكون هذا الاعتقاد نابعا من حيرة الانسان وعدم فهمه آنذاك للاسباب التي أدت بالمرأة الى ولادة التوائم. فدائما عندما يصعب تفسير ظاهرة ما في مجتمع الامارات تستخدم نفس الظاهرة للعلاج والكشف والتيمن فنسبة لان التفسير الطبي لم يكن واردا في تلك المرحلة، توقعت الدراسة ان تجد ممارسات عديدة تؤكد عجز الانسان عن معرفة اسباب وعلة ولادة التوائم. وهذا ما يمكن ان نسميه التفصيلات المدهشة والمثيرة حول هذه الظاهرة من عادات وتقاليد مرحلة الميلاد.

هذا بجانب محور تسمية الطفل الذي له دلالاته الاجتماعية والثقافية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العديدة.

وفيما يتعلق بمحور الرضاعة والفطام فهنالك شبه اتفاق تام على ان مرحلة الرضاعة تستمر عامين بعد ولادة الطفل وذلك للمبدأ العام، اما ما كان يتوارد عن ان الانثى ترضع اقل من الذكر فقد كان مرده حسب اقوال الاخبارية الى ان ذلك كان للدلالة على اهمية الولد، وان البنت تفطم سريعا املا في ان يتم الحمل بالذكر. على ان اهمية انجاب الذكور ترتبط ارتباطا وثيقا بالظروف الاقتصادية والسياسية للحياة القبلية في الماضي حيث كانت الموارد شحيحة والتنافس والتصادم والنزاعات القبيلة كثيرة.

وكانت هنالك معرفة بفوائد او اضرار عدد من الاطعمة فكان ينصح باكل التمر وغيره كما من الناحية الاخرى كان ينصح بعدم اكل البياح (سمك البوري) لدسامته لدرجة قد تؤدي لموت الطفل، فكان هنالك مثل تهكمي يقول :

لي بغيت الراحة

كل عليه بياحة

وللرضاعة ممارسات ومعتقدات كثيرة نجد تفصيلاتها بين ثنايا تفصيلات الدراسة .

اما الحمل الكاذب فهو يعبر عن صراع نفسي واجتماعي تظهر له اعراض مرضية تماثل اعراض الحمل الحقيقي وتتعدد تسمياته في اللهجة العامية كأن يقال «فشت حامل» «حمل فاسد»، «حمل هواء»، «حمل ابليس»، «لاف دل طرة»، - بلغة البلوش، «حمل النوق» الذكور وهذه سخرية بالحامل.

فيما يتعلق بمحور العقم فقد شاع في المجتمع وصف المرأة غير المنجبة بالعاقر (او العاجر بقلب القاف جيماً أو العاجز) ثم جاءت تسميات عجير، معجر، عجيمة، عقيرة .. الخ وتفاصيل اخرى.

كما تأتي ظاهرة الاجهاض كغيرها من المراحل التي تتعلق بها عددا من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المعتقدات والممارسات المختلفة. ومن مسمياته الشعبية «مودرة» وذلك بمعنى ترك المولود يسقط، و «طراح» و «المتبوعة او توبيع» اعتقادا بان الجان تتبع المرأة حتى تسقط الجنين وغير ذلك.

ثم تأتي عادات الختان «الطهارة» و «الطهور» وكلها مترادفات عربية شائعة.

واخيراً محور التنشئة الاجتماعية والتي تبدأ من غرفة نوم الطفل حيث كانت الام عادة هي التي تنظف الطفل وتُسبحه (اي تحممه) ثم تقوم بتغيير ثيابه وتقمطه (اي تلفه بالقماط) وتحمله على حجرها وتهزهزه قبل ان تحمله الى سريره الخاص الذي كان يعرف بالمنز، ثم تقوم بارضاعه والمهاواة عليه (الربت على جسمه بايقاع مع ترديد كلمة (هو) وتذكر اسم الله عليه وتهز منـــزه حتى ينام.

وكلما كبر الطفل شيئا فشيئا يبدأ فصله عن امه تدريجيا الى ان يفطم من الرضاعة ثم عندما يصل الى سن تجعل الأبوين يطمئنان على نومه بعيدا عنهما يتم ابعاده بحيث يرقد في جانب اخر. فقد اشارت اخبارية الى انه بشكل عـام لم يتم الفـصل في النوم للابن الطفل وابويه ولا بين الاخـوة والاخوات، فالكل ينام مع بعض في الكرين (الخيمة) واشارت اخبارية اخرى الى ان الاسرة كانت تنام في خيمة واحدة الاطفال في جانب والزوجان في جانب اخر.

كما يتم الفصل بين البنات والاولاد في «الرقاد» (النوم) اذ تقول احدى الاخباريات «مب زين البنت ترقد ويا الولد وهو ريال» واخرى تقول: « البنات بروحهم والاولاد بروحهم .. البنت لين كبرت وبلغت تستحي حتى من اخيها وامها بعد" اذن فقد كانت هنالك عوامل دينية توجب التفريق في المضاجع حسب الحديث الشريف وكذلك العامل الانساني الغريزي الذي يتطلب التفريق بين الابناء في النوم.. على ان العامل الاقتصادي كان يحدد طبيعة وسعة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

البيت او الخيمة اذن فان شخصية الطفل تتاثر بصورة متفاوتة في درجاتها ونوعها تبعا للظروف الذاتية والموضوعية المحيطة بذلك.

ذلك فيما يتعلق بمرحلة الميلاد وسنورد بعض التفاصيل العامة حول مرحلتي الزواج والوفاة بين ثنايا الكتاب.

وفي الختام ناتي لنؤكد على ان انجاز اي دراسة علمية لا يتم دون مواجهة صعوبات وتفاقم بعض المشكلات، ووجود بعض العثرات ويمكن القول بان الدراسات الميدانية عموماً تواجه نفس الصعوبات التي يتعلق بعضها بالنواحي العلمية والبعض الاخر يتعلق بمجتمعات الدراسة والثالث يتعلق بالعمل الميداني عموما. لكن هذه المشكلات جميعها تم التغلب عليها أثناء هذه الدراسة بفضل حماس الباحثات ومؤازرة مركز التراث الشعبي وايماننا المتزايد باهمية الحفاظ على كنوز هذا التراث بدولة الامارات، وحماسنا الذي لا ينقطع في الذود عن هوية هذا المجتمع.

ونامل في النهاية ان نكون قد وفقنا في ايضاح صورة حقيقية لملامح التراث الشعبي لمجتمع الامارات كما تعكسه العادات والتقاليد المتعلقة بدورة الحياة لمراحل (الميلاد و الزواج ثم الوفاة) التي ستكون موضوع بحث للمرحلة الاخيرة استكمالا لذلك الجهد الذي تكلل بانجاز المرحلتين السابقتين وباستكمال المراحل الثلاث من دورة الحياة، نكون بذلك قد جمعنا وحللنا كل مظاهر التراث الشعبي لمجتمع الامارات مكملين المشروع الذي يتبناه مركز التراث الشعبي منذ سنوات في دراسة دورة الحياة في مجتمعات الخليج كلها...

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل ،،،،

د. موزة غباش - ٢٠٠١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحواشي والمراجع:

١- د. علياء شكري، "أخلاقيات البحث العلمي في مجال التراث الشعبي قضية وطنية"، في: (د. علياءشكري وآخرون، "دكتورمحمد الجوهري، "دراسات في علم الفلكلور"، (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية: الهرم، ج.م.ع. الطبعة الأولى، ١٩٩٨)، ص١١٧

٢- أعلاه، ص١١٨

٣- أعلاه، ص١١٨

٤- د. محمد الجوهري، "علم الفلكلور: الموضوع والمنهج"، في: (د. علياء شكري وآخرون، "د. محمد الجوهري، دراسات في علم الفلكلور"، (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية: الهرم، ج.م.ع.، الطبعة الأولى، ١٩٩٨)، ص١٥

٥- أعلاه، ص١٥

٦- أعلاه، ص١٥

٧- أعلاه، ص١٥

٨- أعلاه، ص١٨

٩- د. محمد الجوهري، "عبد الحميد يونس رائداً عظيماً لعلم الفلكلور العربي"، في (د. علياء شكري وآخرون، "د. محمد الجوهري، دراسات فيعلم الفلكلور"، (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية: الهرم، ج.م.ع.، الطبعة الأولى، ١٩٩٨)، ص١٠٣

١٠- أعلاه، ص١٠٤

١١- د. محمد الجوهري، "علمالفلكلور.. الموضوع والمنهج (مرجع سابق)، ص٤١

١٢- أعلاه، ص٤٢

١٣- أعلاه، ص٤٣

١٤- أعلاه، ص٤٣

١٥- د. فوزية دياب، "القيم والعادات الاجتماعية، مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية"، دار النهضة العدبية: بيرت، ١٩٨٠)، ص١٠٧

١٦- أعلاه، ص١٣١

١٧- د. سيد حامد حريز، "تصنيف ودراسة عادات وتقاليد دورة الحياة البشرية: المنظور الحضاري والإطار العلمي"، (ندوة جمع ،توثيق العادات والتقاليد المرتبطة بدورة حياة الإنسان في دول مجلس التعاون: أبوظبي، ٢-٤ أكتوبر ٢٠٠٠)، ص١٨

١٨- فوزية دياب (مرجع سابق)، ص١٠٨

١٩- أعلاه، ص١٠٨

٢٠- أعلاه، ص١٢٨

٢١- د. محمد عبده محجوب، مقدمة "انثروبولوجيا الزواج والأسرة والقرابة"، (السلسلة السوسيو انثروبولوجية، الكتاب الأول، دار المعرفة الجامعية: الإسكندرية، ١٩٨٥)، ص١٣

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الاول

التراث الشعبي

والتنمية

Folklore

And Development

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التـــراث الشعبـــي والتنميه

التقديم :

ربما حان الوقت للتفكير في ايجاد علاقات مباشرة ، وغير مباشرة بين أكبر قضيتين تشغلان المحافل العلمية في الوقت الراهن ، ألا وهما قضيتا التنمية المستقلة ، والتراث (التراث الشعبي بالتحديد). فلقد طالت الحقبة التي ركزت الدراسات فيها حول موضوع التنمية ، وأهمية الانطلاق بها من خلال خصوصيات الشعوب الآخذة في النمو متبنية فكرة إلغاء التبعية و التخفيف من حدة التحديث الغربي الذي لم ينجح على مستوى التطبيق في أغلبية دول العالم الثالث. إذ عانت الدول من برامج التحديث وأدى ذلك إلى إعادة إنتاج التخلف بدلاً من التخلص منه . فأصبح التراث إذاً يمثل مخرجاً ومرتكزاً لتنطلق منه عملية التنمية لعلها تجد الأرضية الخصبة لنماء مشروعاتها الاقتصادية ، والاجتماعية والثقافية . ومن هذه الفكرة تنطلق هذه الدراسة لتبحث عما يمكن استخلاصه من اعتبارات ايجابية من التراث الشعبي لمجتمع الإمارات العربية المتحدة ليخدم عملية التنمية المنشودة . وربما حان الوقت لاتخاذ موقف محدد ، ورؤية جديدة من هذه القضية.

إن التنمية المنشودة التي يجب أن يتبناها مجتمع حديث كالإمارات لا بد أن تكون تنمية شاملة تسعى لترسيخ أسس لمجتمع جديد ينمو كل شيء فيه من البداية. وربما الحديث عن التنمية بعد مرور اثنين وعشرين عاماً على بروز هذا المجتمع على الخريطة الدولية يكون حديثاً متأخراً، رغم اننا لا ننكر أن هناك تغييرات شاملة حدثت في هذا المجتمع واننا بهذا نصل إلى حقيقة مفادها أن هناك بناءً قد تم ، ودولة أسست على مبدأ الوحدة والاندماج منذ عام ١٩٧١، وأن هناك مؤسسات قد رسخت ، ولكن ينقص كل ذلك النظام ، فلم تتحدد حتى الآن الأنظمة التي سوف تدار بها تلك المؤسسات ، والتي تحقق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

للمجتمع أو لذلك البناء الجديد معاييره التي يستند إليها.

فلم يأخذ البناء السريع للمجتمع ، والتخطيط له حقه من الدراسة الواعية . وهنا سنتوقف قليلاً لنتساءل عن القضية التنموية في مجتمعنا هل تبنت لها معايير جديدة .. ونظريات قوية متلائمة والبيئة الجديدة (سواء كانت البيئة الاقتصادية أو الاجتماعية أو الجغرافية).

ولن نتعجل الاجابة على هذه التساؤلات ، إذ قدمت العديد من الدراسات والأبحاث حول التنمية بكل أبعادها في الإمارات ، ولكن حتى الآن لم تأخذ تلك الدراسات طريقها للمخططين ، والمهتمين بالتنمية وربما لن يكون في وسع هذا البحث أن يناقش ما تم من مشروعات للتنمية ، وما لم يتم ، إنما نستطيع أن نصل إلى حقائق يشعر بها الجميع الآن .. أهمها أن التنمية البشرية لم تتضح معالمها بعد في هذا المجتمع .. من هنا نتساءل لماذا؟ لماذا يعاني الإنسان في مجتمعنا اليوم من الفشل في تأدية دوره الاجتماعي على مستوى الأسرة، او الوظيفه العامة؟ وكذلك الفشل في استغلال طاقاته من اجل انتاجية عاليه في العمل، ثم الفشل في المشاركات العامه والمساهمة في بناء المجتمع على المستوى التطوعي!. لماذا برزت هذه المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ؟. لماذا نعاني اليوم من فشل في نظامنا الاجتماعي ؟ لماذا نلاحظ هذا الخلل في منظومة القيم؟ لماذا برزت قيم الاستهلاك محل الانتاج، وقيم البذخ بدل الترشيد وقيم الاتكالية بدل الاعتماد على الذات؟. والى آخره من هذه القيم التي تغيرت وأثارت مشكلات جمه على مستوى الفرد والمجتمع. ان المجتمع في مرحلة بناء وتأسيس وما احوجه في هذه المرحله الى قيم قوية سواء أكانت القيم الاجتماعيه، أو الاخلاقيه أو قيم العمل والانتاج .. وكثيرة هي التساؤلات التي ستحاول هذه الدراسة البحث عن اجابة لها..

ونخرج من هذا أننا أمام تحدٍ يحتاج إلى وقفة متأنية نعيد النظر فيها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عن مسوغات هذا التحدي . فنقول بداية لنبحث في تراث وحضارة هذا المجتمع .. فلربما كان هناك موروث يغذي الحياة فينا من جديد .. ويبعث بقيمه السالفة لتبعث النماء في الحياة الحاضرة. ونحن بهذا لا نبتعد عن حقيقة أن التنمية في الإمارات لم تنبع من واقعه ، ولا من اختيارات أفراده، ولا من إطار تراثه وقيمه وميراثه الشعبي الوطني . بل جاءت من خارجه ، من معايير مادية رأسمالية أعيد انتاجها هنا ضمن المنظومة العالمية .. فأعيد انتاج التخلف فيه خلال مرحلة طويلة من الانسلاخ عن جسد الأمة العربية في فترة الاستعمار البريطاني التي امتدت عام ١٨٨٢ إلى ١٩٧١ فلقد سادت ثقافة غربية في هذا المجتمع ـ تناغمت الآن والثقافة الجديدة فيه (ثقافة الآسيويين والأوربيين) مما أدى إلى ضياع الهوية العربية فنجد المجتمع اليوم أمام لحظة حاسمة يبحث فيها عن هويته!! وهذا ما يتفق وما تطرق إليه السيد ياسين حول هذه القضية وأهمية البحث عن التراث.

إذ يقول في هذا الصدد :

«في اللحظات الحاسمة من تاريخ الأمم والشعوب تثور تساؤلات شتى حول هويتها القومية وجذورها الحضارية وتقاليدها الوطنية . وإذا طبقنا هذه الحقيقة على التاريخ المعاصر للأمة العربية ، فإنه يمكن القول أن هزيمة حزيران/ يونيو ١٩٦٧ من ناحية ، وحرب تشرين الأول / أكتوبر ١٩٧٣ من ناحية أخرى تمثلان هذه اللحظات الحاسمة التي أدت إلى ظهور وبلورة عديد من التساؤلات عن العرب في الماضي والحاضر والمستقبل ، عن السلبيات والايجابيات ، عن عدم الفاعلية السياسة والعسكرية من خلال الاقليمية والتجزئة ، وعن الانجاز السياسي والعسكري من خلال التنسيق والوحدة ، وبعبارة مختصرة عن فاعلية وشخصية القومية العربية ، وقدرتها على التفاعل الخلاق مع المواقف المصيرية التي تتعرض لها الأمة العربية في الوقت الراهن ، وعن محصلة هذا التفاعل من سلوك قومي عربي» (١).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولعل هذه المقولة العميقة تدفعنا إلى البحث في نفس الاتجاه عما إذا كانت هناك حالة ذاتية خليجية تبحث في مقدرات تراثها من قيم وعادات وتقاليد وممارسات ومعتقدات .. تنسحب هذه الحالة الخليجية إلى الإمارات كتجربة خاصة .. إذ بدأ بالفعل البحث عن الذات من خلال التراث ، وتحديداً التراث الشعبي ، ولقد انصب البحث في المرحلة الأولى على الجمع والتوصيف والتصنيف .. أما الآن فالمرحلة الثانية تأخذ بعداً جديداً ألا وهو تحليل هذا التراث ، وتوظيفه بما يخدم القضية الإنسانية الكبرى ألا وهي التنمية .. وتحديداً التنمية البشرية ..

فالإمارات كمجتمع يجمع بين الحداثه والقدم .. يتعرض منذ بدأ التوسع والتوحد فيه لمؤثرات جديدة تشكل مشكلات حادة أهمها المشكلة الديمغرافية ، والعجز السكاني أمام الخطر الخارجي المتمثل في الهجرة الآسيوية الحادة جداً .. من هنا جاء الاهتمام الأول وهو البحث والتأكيد على الهوية العربية استناداً إلى الجذور الحضارية لهذا المجتمع وعاداته وتقاليده الوطنية . فأصبحنا نبحث اليوم عن إجابات لتلك التساؤلات التي تطرح على المستوى العربي .. فعندما نبحث عن مصيرالتنمية العربية .. نجد التساؤل الذي يطرح نفسه ألا وهو : ماهي الوسائل التي تكفل للعرب عبور الفجوة بين التخلف والتقدم ؟ وهل يكون ذلك باحتذاء النموذج الغربي في السياسة والاقتصاد والثقافة وغيرها احتذاءً كاملاً ، أم يكون بإحياء التراث العربي باعتباره يصلح كنموذج حضاري للتنمية والتحديث، أم أن الحل يكمن في محاولة التوفيق بين النموذج الغربي والتراث ؟

كل هذه التساؤلات تمثل كما يراها السيد ياسين جوهر الأصالة والمعاصرة[٢] ونحن نبحث في قضية التراث في الإمارات لندور حول نفس تلك المحاور وإلا بماذا يمكن أن نبرر حديثنا حول جدوى التراث الشعبي في التنمية في دولة الإمارات العربية المتحدة ؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إننا إذن نتطلع إلى أن يكون للإمارات نموذج للتنمية يستعين بأصول من حضارته السابقة وخاصة ما يتمثل في الجانب الإنساني والقيمي منها ، الذي يخدم الركيزة الأساسية في هذه التنمية وهو الإنسان ، ثم ينطلق بأطر تحديثية يستقيها من معطيات التقدم المادي في العالم .. بحيث تتكامل هذه العملية .. في إطار يلغي عنها صفة التبعية ويعطيها الاستقلالية التي هدفت إليها كل المجتمعات على مستوى العالم

ونستطيع أن نؤكد أن المخزون التراثي الشعبي لو وظف وخُدم بشكل موضوعي يستطيع أن يبث في الإنسان هنا العديد من القيم والقدرات العقلية التي سوف تتيح له العمل الجاد المنتج وتحقق له تنمية فاعلة . ولكن كيف يمكن أن يتم ذلك ؟ إذ لا بد من العثور على معادلة صحيحة توفق بين الأخذ من هذا التراث والانفتاح على التقدم المادي في العالم .. ولعل ذلك من التحديات التي تحتاج إلى عملية كبيرة.

وفي ظل التحديات المعاصرة التي تواجه الوطن العربي يصبح التمسك بالميراث القومي ، الذي تشكل الموروثات الشعبية أبرز عناصره ، مطلباً ملحاً للدفاع عن التراث ، ولكن ما هو هذا التراث ؟

فلقد كثرت الرؤى حول التراث ولكننا نشير هنا إلى تعريف (محمد أركون) الذي يعتبر التراث سنة الآباء ، وإطاراً من الأحكام والشرائع ، ومعلومات عملية تجريبية شعبية ، ومجموعات أدبية فكرية علمية مكتوبة ، خاصة بالطبقات المدنية العالمة ؟ تختلف عن التراث الشعبي الشفوي ، والتراث - أخيراً - تصورات للماضي مبررة لما تحلم به الجماهير لحاضرها ومستقبلها[٣] ونحن إذ نتبنى هذا التعريف الشامل للتراث إنما فقط لأنه يحقق لنا ثلاثة أبعاد نسعى للتوفيق بينها وهي الماضي والحاضر والمستقبل، هذه الأبعاد هي التي تشكل لنا العلاقة الجدلية بين (الماضي أي التراث) (والحاضر - أي المجتمع) - (المستقبل أي التنمية) ففي هذا الإطار

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سوف تسير الدراسة ، وضمن هذه الفروض سوف تحاكم قضيتي التراث والتنمية ، وتحقيق ذلك الحلم (الهدف من الدراسة) إنما يحتاج منا إلى فهم واع للتراث ، فهم يجمع بين العمل المتصل والوعي بقضية ان التراث ليس هو بتصورات فقط، بل - ربما قبل - ذلك هو أسلوب للحياة ، وأدوات وأساليب للانتاج ، بجانب القيم والعادات والتقاليد.

أما عن الموروثات الشعبية العربية والخليجية فهي كل ما صدر عن الشعب العربي والخليجي بجميع فئاته وطبقاته من إبداع ، ومن شعائر وطقوس ومراسم ومعتقدات وما صدر عنه من عادات وتقاليد . كلها تشكل ثقافة عقلية ومادية خاصة تمثل روحه وحكمته وإبداعاته المختلفة على مر الزمان ، مثل اللغة ، الموسيقى ، الأشعار ، الأهازيج ، الأزجال ، الرقص ، الحكايات ، السير ، الملاحم ، الأغاني ، الأمثال ، الأزياء ، الحلي ، الطب ، الصناعات ، الحرف ، العادات والتقاليد وغيرها ، مما عبر عنه الحس ، وتفاعل بالتبادل والتداخل والالتحام والاحتكاك والصراع مع الثقافات المجاورة ، وتواتر عبر الأجيال حتى وصل إلينا[٤]

ويحتاج كل ذلك إلى إلقاء الضوء على بعض التعريفات الخاصة بكل عنصر من عناصر التراث . فالأدب الشعبي : تدخل ضمنه كل فنون القول التي توارثت مشافهة : اللغة المحلية وصوتياتها وعلوم صناعتها ، الأشعار ، الأزجال ، الأحاجي ، الخرافات ، السير ، الملاحم والحكايات ، ثم الأمثال.

أما عن العادات والتقاليد : يندرج ضمنها كل ما له علاقة بالممارسات الشعبية التي كرسها الشعب عرفاً وعادة متوارثة كالتنظيم الاجتماعي والتنظيم الاقتصادي وتفسير المعالم والقوانين التي تسير وفقاً لها ظوهر الكون وأشكال السلوك [٥] فالعادة الشعبية هي نمط السلوك الذي يرتضيه الفرد أو الجماعة لأنفسهم ويميل إلى الثبات بمرور الوقت بل والانتقال الوراثي . ويرى محمد الجوهري أن العادات ذات قوة معيارية وتتنوع بتنوع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ظـروف المجتمع والعمر والنوع ، والمهنة [٦].

فنون الموسـيـقى والغناء والرقص : وهذا المحـور من أوسع المحـاور لاشتماله على ثلاثة فنون كل منها عالم قائم بذاته ، لكن هذه الفنون لا تأتي إلا مجتمعة ، فيؤدى الرقص بمصاحبة الغناء على أنغام الموسيقى ، ونستطيع أن نعتبر الألعاب الشعبية ضمن هذا المحور [٧] . وتقوم هذه الفنون ببلورة وترجمة مشاعر الأفراد ورغباتهم وهمومهم وأحزانهم وأفراحهم ومشاكلهم تجاه مختلف قضايا حياتهم المباشرة وغير المباشرة . وهي كذلك أداة رفض ورغبة في التغيير والتعبير عن روح الجماعة وعن الذوق الشعبي والقيم الجماعية .

الحرف والصناعات الشعبية : وهذا محور أساسي في الفلكلور العربي لأنه يشكل جانب الإبداع في الثقافة الشعبية ، ويغطي جميع إبداعات الفنون التشكيلية والتطبيقية التي منها على سبيل المثال : تشكيل المعادن وصناعة وتشكيل الفخاريات ، العمارة ، النجارة ، أعمال الحفر على الخشب ، الأزياء وأعمال النسيج ، التجميل والزينة وصناعة وتشكيل الزجاج [٨].

الأفكار والمعتقدات : هي مجموع المعلومات والمعارف المتراكمة في أذهان الناس عن حياتهم والبيئة المحيطة بهم وعلاقاتهم بعضهم ببعض ، والتي تشكل الإطار المرجعي لكل مظاهر سلوكهم ، والفرق بين الأفكار والمعتقدات على المستوى الشعبي فرق نسبي ، حيث تمثل الأفكار الشعبية المعلومات والمفاهيم الأقل تقلباً والأكثر قرباً من وقائع الحياة اليومية ، ومتطلباتها الضرورية والمحاطة بالاحترام والالتزام الاجتماعي [٩].

وهناك العديد من الدراسات التي اعتبرت المعتقد سلاحاً قمعياً جماعياً ضد الأفراد ، فنرى مثلاً عبدالعزيز شرف يرى أن هناك مجتمعات متخلفة قد تؤمن بمعتقدات صارمة تمنع مخالفتها على الإطلاق . ويرى أن المعتقد (اجتماعياً) يبرز كالرأي العام الاجتماعي [١٠] .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحكم والأمثال : وهي التعبير اللفظي المقتضب والمتداول بغير تبديل أو تغيير في لفظه الحرفي ، والتي تمثل بما تنطوي عليه نصوصها وألفاظها من استخلاصات للتجربة ، واستقرار للواقع ، وتراكم للخبرة والمعاناة التاريخية، وهي قد تشبه القواعد والخطوط النظرية للسلوك العلمي [١١] .

أما لو تحدثنا عن كيفية نشأة هذه المفردات للتراث الشعبي فنجد أنها تنبع من البيئة الاجتماعية والجغرافية التي يعيش فيها الإنسان فهناك تنوع في هذه البيئات بالنسبة لمجتمع الإمارات إذ نجد البيئة الصحراوية والزراعية والبحرية ، وكذلك الجبلية .. فالتراث الشعبي إذن هو نتيجة تفاعل الإنسان مع بيئته ، ونتيجة للاستجابات وردات أفعاله ومعتقداته ، فكل نوع من تلك البيئات تنتج تراثاً بتفاعل الإنسان معها ومعرفته بظروفها ، إنما تظل الأهمية الكبرى للبيئة الاجتماعية التي تسهم في خلق المعتقدات والتصورات حول الحياة والوجود . فمن الضروري إذن فهم تلك البيئة الاجتماعية على أساس أنها البناء الاجتماعي والسياسي الذي يُفهم من خلاله تراثهم الشعبي. وبجانب تلك التعددية البيئية في الإمارات ، نلاحظ كذلك التعددية الثقافية حيث تنصهر في ثقافة المجتمع بعض الثقافات الفرعية كثقافة البلوش، والأفارقة والتي أفرزت العديد من أشكال الممارسات الشعبية التي أصبحت اليوم تمثل جزءاً هاماً من التراث الشعبي في الإمارات.

ومن هنا عندما ننطلق في حديثنا عن البيئات المتعددة لمجتمع الإمارات وما أفرزته تلك البيئات من موروثات عميقة الأثر اليوم في حياة الإنسان في هذا المجتمع .. إنما نود التوقف عند خصوصية تاريخية لهذا المجتمع .. إذ بجانب ذلك التعدد والتنوع في بيئاته الجغرافية والطبيعية نجد كذلك تنوعاً في ظروفه التاريخية والاجتماعية .. فلقد مر المجتمع بمراحل تاريخية تميزت بشيء من التحول والتقلب في الظروف الاقتصادية، إذ عاش أبناء هذا المجتمع في بدايات هذا القرن حياة منظمة اجتماعياً واقتصادياً . ففي المرحلة ما قبل الحرب العالمية الأولى كان المجتمع يعيش في حالة من الرخاء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الاقتصادي خلقت تنظيماً اقتصادياً لأبنائه أثر في ايجاد وإفراز تراث شعبي أدبي وشفاهي تمثله الشعب في حياته واستخدمه في رموزه وأشعاره ، وكذلك تقدموا في مجال تطبيقاته من الحرف والصناعات اليدوية ، وتطوروا في مجال البحر والأسفار والتجارة .. ثم تواترت مرحلة أخرى تغيرت فيها هذه الحياة فمر المجتمع بفترة حوصر فيها بظروف الحرب العالمية الثانية فأحيطت المنطقة بالمجاعة والأمراض والوفيات بالجملة ، والركود الاقتصادي والقسوة المعيشية المضنية . مما دفع أبناء الإمارات إلى الاندفاع نحو البحر ومحاولة محاصرة هذه الأزمة الاقتصادية ، واستطاعوا في شكل من التضامن الاجتماعي مقاومة هذه الظروف .. وتحدثنا المقابلات التي أجراها عبدالله عبدالرحمن مع العديد من الشخصيات والرموز الوطنية عن هذه المراحل ، وعن كيفية مقاومتها (١٢).

ثم تلت تلك المرحلة مراحل أخرى بين مد وجزر في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، مما يعكس تراثاً تبرز فيه صور المعاناة والاصرار والقوة، وصور أخرى تعكس المقاومة والرفض والتحدي للظروف السياسية والبيئة الاجتماعية .. مما أصبح اليوم يمثل مخزوناً نفسياً يعبر عن العادات والتقاليد والنظم الاجتماعية التي عرفتها منطقة الإمارات ويوجد على مستويات عدة منها مثلاً على المستوى النفسي ، ومنها على مستوى التدوين في المكتبات والمخازن والمساجد والدورالمختصة بالتراث ، أو على مستوى المخطوطات ، فللتراث الشعبي في الإمارات إذن دلالات اجتماعية وسياسية إذ كان وراء ذلك التوازن والاستقرار السياسي الذي عاشه المجتمع في بعض المراحل ، وربما عبر في مراحل أخرى عن عدم التوازن ، وذلك هو الدور الذي يلعبه التراث دائماً فهو في النهاية تجسيد وانعكاس للواقع المادي والموضوعي. وخاصة بالنسبة للمعتقدات كأحد عناصر ذلك التراث .

كل ذلك نستطيع أن نعتبره الصورة الحقيقية للجهد الإنساني المتضمن للحقائق المادية والفكرية من حياة شعب الإمارات . وربما نستطيع أن نذهب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في تحليلنا لهذا التراث إلى أبعد من ذلك اعتماداً على رأي محمد عابد الجابري .. الذي يؤكد فيه أنه لا يجب أن نرى التراث على أنه بضاعة تم انتاجها دفعة واحدة وخارج التاريخ بل هو جزء من التاريخ ، وهو حركة الفكر وتطلعاته خلال مراحل معينة من التطور.

ننطلق مع الجابري من هذه الأهمية للتراث ونجد ضرورة أن يتم التعامل معه تعاملاً علمياً وأن نعيه على مستويين مستوى الفهم ، ومستوى التوظيف أو الاستثمار. ففي المستوى الأول علينا أن نحرص فعلاً على استيعاب تراثنا ككل بمختلف منازعه ومراحله التاريخية ، أما على المستوى التوظيفي فمن الطبيعي أن نتجه أكثر وأكثر إلى أعلى مرحلة وقف عندها التقدم [١٣] . وربما يجد البعض أن في ذلك الرأي بعداً أبعد مما يتحمله التراث الشعبي ، وأن الجابري كان يتحدث عن التراث العربي الإسلامي بشكل شامل ، ولكي نواجه ذلك بأننا نسعى فعلاً إلى فهم تراثنا الشعبي بنفس العمق والتبصر حتى نستطيع أن نخلق إمكانية التوظيف أو الاستخدام له ، أي انتقاء العناصر الايجابية من ذلك التراث وإدخاله كعناصر رئيسية لخطط التنمية في هذا المجتمع .

وفي هذا المجال نتحاور قليلاً مع طيب تيزيني [١٤] أيضاً في اتجاهه للفصل بين التراث والموروث . إذ يرى أن التراث هو أشمل من الموروث، وأن الموروث من وجهة نظره هو مجموعة من النتاجات الفكرية والسياسية والعمرانية التي أصبحت بحوزة الفعل التوريثي، أي أصبحت بين الوارث واعياً أو غير واع ، وبالتالي فالموروث أصبح جزءاً من الحاضر ، أما التراث فهو أشمل من الموروث لأنه يشتمل على أمرين ، الأول هو الماضي ، والثاني هو الحاضر مستمراً . إذن التراث في نظر (تيزيني) له حضوره في الماضي أما الموروث فله حضوره في الحاضر وربما لا يبدو أن هناك خلافاً بين ما نتبناه من فكر حول قضية التراث والموروث وبين طيب تيزيني إلا في التعمق الفلسفي الذي تبرر عليها آراؤه .. والتي تستطيع وجهة نظر (حسن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حنفي)[١٥] أن توصل فيما بينها عندما قال إن التراث هو كل ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة فهو «إذن قضية موروث. وفي الوقت نفسه قضية معطى، على العديد من المستويات» في الوضع الراهن.

ونخرج من ذلك الحوار بأن التراث الشعبي لا زال المخزون الأول لفلسفة الشعوب ولقيمها ، وعاداتها ، وحتى لتطلعاتها. وخاصة التطلعات التنموية التي نركز اليوم عليها . أو التطلعات القومية الكبرى في حالة إذا امتد حديثنا إلى الأمة العربية كلها فالتراث هو الذي يجب أن يجسد أرقى حالة من التماسك ، والشعور بالهوية، ضمن الجماعة ومطابقة ذلك مع الأهداف المستقبلية المطلوبة سواء لجهة التوحيد القومي لشعوب الأمة العربية في إطار من العلاقات الديمقراطية المحلية والروابط الإنسانية المتقدمة [١٦] .

ومن هذا الهدف العام تنطلق دراستنا هذه بأهدافها الخاصة التي تتحدد فيما يلي :

١ ـ تحليل الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية لعناصر التراث ، وتحديد علاقاتها لعمليات التغيير والتنمية ، وتطويع هذه الجوانب لخدمة خطط التنمية .

٢ ـ محاولة لتطوير نظم اجتماعية أكثر استجابة لمطالب عامة الناس وتحقيقاً لمطامحهم في الرخاء.

٣ ـ توظيف التراث للمحافظة على الثقافة العربية الإسلامية في مجتمع الإمارات، واستخدامه لمقاومة أشكال التدخل الثقافي الأجنبي.

٤ ـ البحث عن كيفية تطوير المهن الحرفية المنطلقة من الموروث الشعبي.

٥ ـ البحث في إمكانية استخدام الموروث من أجل مزيد من الولاء الاتحادي والاندماج السياسي والدفع برؤية جديدة لهذه الوحدة الإماراتية وذلك بتأكيد الشخصية التاريخية له.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٦ - ايجاد علاقات أكثر ديناميكية بين عناصر التراث الشعبي والواقع المجتمعي، وخاصة في بعث القيم والمبادئ التراثية لخدمة تصدعات البنية الاجتماعية الحالية في الإمارات ، انطلاقاً من أن التراث يشكل علاقة حركية بين ماضي الأمة وحاضرها.

فأهداف الدراسة إذن تتحدد في إحياء الماضي إحياء يسري به في جسم الحاضر ويكون ذلك بالمحاكاة في الاتجاه العام لذلك التراث وليس في خطوات سيره ، وكذلك المحاكاة في الموقف ، ومحاكاة في النظرة ، ان نستطيع تطويع ذلك التراث الشعبي ليكون منبعاً لإبداعات الإنسان في الحضارة ، والمحاكاة أيضاً للقيم التي تمكننا من قياس ما يصح وما لا يصح في مشروعنا التنموي ، خاصة وأن القيم كثيرة تلك التي كانت تنظم حياة مجتمع الإمارات في الماضي ، وسوف تكون الإشارة إليها واضحة من خلال عرضنا لصور وعناصر التراث ، ومن خلال تقييمنا العام له.

فهذه الدراسة إذن نعتبرها محاولة مبدئية لتحديد العلاقة الاجتماعية والتاريخية الجدلية العلمية بين الماضي ممثلاً بالتراث من جهة ، وعملية التنمية المعاصرة في دولة الإمارات العربية المتحدة . ومن المهم في بدايات هذه الدراسة أن نلمح إلى أن هناك صراعاً قد ساد فترة طويلة في هذا النوع من الدراسات تحدد ذلك الصراع بالتناقض ما بين النظرة الرسمية للتراث والنظرة الشعبية له . وكذلك التناقض ما بين وجهتي نظر تتطرف كل منهما تطرفاً عنيداً في استخدام التراث (١٧) . فهناك من يرى ضرورة ترك التراث ويعتبره حجر عثرة في طريق التنمية وهناك آخرون يرون ضرورة التمسك به بشكل متحمس بحيث لا يمكن التغيير في المجتمع إلا وفق مفاهيم ذلك التراث، ومعاييره ودراستنا هذه تتجه نحو التوازن في الرأي.

وترى أن كلا الرأيين أو الاتجاهين السابقين يحملان نوعاً من الايجابية ولكنهما لم يصلا إلى الحقيقة كلها إذ أن الوصول إلى الحقيقة لا يمكن أن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يتحقق ، لذلك تلتمس هذه الدراسة البحث عن الموقف المتوازن من التراث ، الموقف الذي لا يرى التراث على أنه الحافز فقط للاندفاع إلى التنمية ، ولا هوالتراث العبء المعطل لها ، بل نعتبره الرافد القيمي والسلوكي لكل مشروعاتها[١٨] . وللوصول إلى ذلك الموقف المحدد علينا أن نقوم بإجراء تحليل ونقد اجتماعي شامل لتوجهات التراث السابقة ، وعلينا أيضاً أن نكشف عن كل الأبعاد السياسية والقبلية التي يتضمنها ، كل ذلك من أجل الوصول إلى توجه اجتماعي وعلمي ناضج يساعد بالفعل في الدفع بحركة التغيير الاجتماعي والتنمية في هذا المجتمع.

أما عند الحديث عن التنمية - كمحور رئيس في هذه الدراسة فنجد أمامنا كماً هائلاً من التراث النظري حولها بدرجة لا يتسع لها هذا البحث ، ولذلك سنحاول التركيز على مفهوم واحد لها يتبنى هذا المفهوم التنمية البشرية بالتحديد.

يرى - أسامة عبدالرحمن - أن الإنسان هو محورالتنمية الفعلي وهو الوسيلة والغاية في نفس الوقت - ولا يمكن بأي حال من الأحوال - أن يكون هناك تنمية دون اطلاق قدرات هذا الإنسان وطاقاته وحشدها واستثمارها الاستثمار الأمثل في سبيل بلوغ غايات التنمية الفعلية ومراميها - ويقول كذلك إنه رغم أن هذه التنمية تمثل مطمعاً لدول العالم الثالث ، إلا أن مسارها في هذه الدول غالباً ، كان مساراً مغلوطاً بحيث حكم على تلك التنمية فيها إلى حد كبير ، عملية تلقائية متلاحقة القفزات والانجازات ، وفي الوقت الذي لا تزال الدول المتخلفة مشدودة إلى التخلف محاصرة في ردهاته ، وأفضى بها المسار المغلوط للتنمية إلى جعلها رهينة مزالق ومآزق عديدة [١٩].

وتأكيداً على ذلك - وتركيزنا على الإنسان - كقضية رئيسة في مجال التنمية فإنه لن يكون لهذا الإنسان دورٌ في التنمية إلا عندما يكون مشاركاً ومنتجاً لها . وذلك لا يتحقق إلا عندما تتاح الفرص لينطلق هذا الإنسان

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بقدراته العقلية كلها .. وكذلك عندما تتحقق لهذا الإنسان كل حقوقه حتى تترسخ لديه مشاعر الانتماء والحماسة ، والعمل الدؤوب .. ويمكن تلخيص حقوق المواطنة كما يحددها - أسامة عبدالرحمن - في الحرية والمشاركة في صنع القرار من منطلق تأكيد مسؤوليته المجتمعية وانتمائه.

وبناء على الارتباط في هذا البحث ما بين التراث والتنمية فإننا ندعم ذلك الرأي بأن تستند التنمية الإنسانية فيه على تراثها ، وخاصة على القيم المتضمنة في ذلك التراث . وقيم الحرية ، والمبادرة ، والتفكير المستقل ، وعدم الخوف من العقاب ، وإتاحة الفرصة للرضا بنتائج العمل ، وإعطاء العقل دوره للمحاكمة على أسس موضوعية ، بجانب قيم العدالة والمساواة فكل هذه من لوازم التنمية. ولعل تلك القيم لا تتعارض واحتياجات الإنسان فحقوق الفرد وواجباته ركائز أساسية مترابطة ضمن الاطار الاجتماعي والمقبول لدى القاعدة المجتمعية العريضة ،فاحتياجات الإنسان تتركز في حقه في الأمان ، ويتحقق ذلك بسيادة الشرع والقانون العادل، وضمان الحرية الفكرية ، وصون الحقوق الأساسية وتحقيق التنمية ذات المحصلة الاقتصادية المتوازنة والظروف الاجتماعية المنصفة (٢٠).

فهذا هو إطار التنمية والمفهوم الذي تتبناه الدراسة ، والتي تسعى لتقريب العلاقة بينه وبين مضمون التراث الشعبي بحيث يخدم كل منهما الآخر.

فبرامج التنمية يمكن أن تتأثر إلى حد كبير بطبيعة التراث الشعبي ، وما تتضمنه عادات الناس ومعتقداتهم ونظراتهم إلى الكون والحياة وطريقة حكمهم على الأشياء . وأي خطة للتنمية لا تراعي مثل هذا البعد لا بد وأن تنتهي إلى طريق مسدود ، أو إلى نتائج محدودة جداً مما ترمي إليه في أحسن الأحوال ، مهما توفرت لها من العوامل الاقتصادية الكافية والاطار السياسي المناسب . لهذا يجب أن يتكامل وبنسبة صحيحة كما يقول د.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحسيني [٢١] - الإيمان بالتراث والاندفاع نحو التقدم لكي نضمن انتظام إيقاع التطور الثقافي والاقتصادي . ذلك أن البرنامج الانمائي الذي يتضمن بناء مستشفى عام ، ومن أحدث طراز في منطقة ريفية دون مراعاة مدى استجابة المواطنين لهذه الظاهرة، والاستفادة منها ، استناداً إلى أي افتراض نظري مسبق بأن المستشفى مفيد للمواطنين ، وعليه فإنه لا ينتظر من يعارض أو يرفض الفائدة لنفسه ، فإن المشكلة تبدأ حينما يبدأ المجتمع نفسه بمحاصرة هذه الظاهرة - المستشفى، الجمعية التعاونية ، المبيدات الحشرية - الخ - وإثارة الشكوك حولها والرفض المباشر وغير المباشر لما يمكن أن تؤدي إليه من تغيير حقيقي في حياة الناس نحو الأفضل ، وذلك تحت وطأة مختلف المشاعر والأطر المرجعية في حياة الأفراد التي تقضي مثلاً باستحالة السماح للمرأة بأن تكشف عورتها لرجل أجنبي - الدكتور مثلاً - والارتياح لبعض الأمراض المزمنة ، وعدم الرغبة في التخلص منها باعتبارها محنة المؤمن في هذه الحياة الدنيا والتي سوف يؤجر على احتمال عذابها يوم القيامة [٢٢].

ونستطيع أن نقدم العديد من النماذج لمظاهر التراث والسلوك الشعبي التي تمثل أحد المعوقات الرئيسة أمام التنمية في الإمارات :

النظرة الدونية إلى المرأة في الإمارات.

- احتقار العمل اليدوي .
- ممارسة الطب الشعبي وعدم الاعتراف بالطب الحديث.
- الاستهلاكية في عادات وممارسات الزواج وما يمثله ذلك من هدر للإمكانيات الاقتصادية.
- الانتماءات القبلية وعرقلة ذلك للإنتماء الوحدوي بين الإمارات.
- العلاقات الاجتماعية المفقودة في الفئات الاجتماعية الطبقية المختلفة ، وخاصة علاقات الزواج والتحريمات المفروضة عليها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- المعتقدات الغيبية حول بعض الأمراض أوالمظاهر مما يؤثر على تنمية الإنسان وتفسير بعض الحالات المرضية وممارسة الزار للعلاج أو الكي بالنار [٢٣].

وعموماً قد تكون هذه العناصر من الممارسات الشعبية ذات مضمون اجتماعي سلبي بالنسبة لبرامج التنمية ، ولكن نفترض أنه قد تحوي هذه العناصر السلبية القدرة على المرونة لتكييفها من جديد في خدمة التنمية ، ونؤكد هنا أننا لا يجب أن ننظر إلى هذه النماذج من السلوك والتراث الشعبي على أنها مقاييس ثابتة غير قابلة للتغيير ، بل على العكس من ذلك نستطيع اخضاعها لمؤثرات التغير التي تمر بمجتمع الإمارات في هذه المرحلة ، ونوظفها لصالح اتجاه هذا التغير بشيء من الدراسة والتحليل الناضج.

فالتراث الشعبي إذاً طرف أساسي لا يمكن تجاهله في أي خطة تنموية، خصوصاً وأن تغيير ظروف المجتمع نحو الأفضل هو الهدف النهائي للتنمية ، وعندما يشارك أفراد المجتمع في التنمية فإنه يستطيع أن يتقبل نتائجها ويقتنع بها ، ويتحمل أخطاءها . وان تأكيد مبدأ المشاركة للأفراد في العملية التنموية إنما تؤكده قيم الماضي . والمشاركة الجماعية في العمل الاجتماعي ، والنشاطات الاقتصادية كانت إحدى الدعائم الرئيسة التي أعطت لمجتمعنا تلك الاستمرارية في ظل الظروف القاسية التي تحدثنا عنها في بداية الدراسة . بالإضافة إلى أن ذلك العمل الجماعي كان يدور في ظل إطار من نظام التكافل الاجتماعي الذي تمثل في رموزه الرئيسية ألا وهي (نظم الفزعة - والشوفة - والطراز)[٢٤] حيث كانت هذه الأنظمة هي المحدد الرئيس لنشاط المجتمع وحركته وديمومته وقوته في مقاومة ظروف التحدي التي مرت عليه.

وفي هذا السياق تتأكد أهمية أبعاد ومسارات التراث الشعبي . وتتأكد أيضاً أهمية أن ينقل هذا التراث إلى حالة تثقف عامة لكل أفراد المجتمع بحيث تركز في هذه الحالة التثقيفية على إحياء ما كان مفيداً وذا جدوى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبطريقة غير قسرية ، بل اختيارية تحقق للأفراد غاياتهم الحضارية.

وعند تناولنا للتراث الشعبي سيتحدد ذلك بالحديث عن هذا التراث في شكل دورات اجتماعية للحياة التي كان يعيشها الإنسان في هذا المجتمع ، وسوف ينصب الحديث عن الدورة الثلاثية للحياة البشرية وهي مراحل الميلاد، والزواج، والموت والعادات والأعراف المرتبطة بهذه المراحل ، والتي تعكس الواقع الاجتماعي . ثم دورة الحياة الزراعية وتنقسم إلى مرحلة الحراثة وإعداد الأراضي ، ومرحلة الزرع ، ثم مرحلة الحصاد ، وما يرتبط بهذه المراحل من عادات وأعراف تنظم تلك الحياة الزراعية ، وتنظم علاقة الإنسان بالزراعة ، رغم أن الزراعة لم تكن هي النشاط الأوحد للإنسان في الإمارات ولكنها كانت تشكل أحد أنشطته التي تمارس في بعض المواسم عندما ينتهي موسم الغوص .. والذي سنفرد له جانباً أيضاً بكل ما يتعلق به من عادات وتقاليد ومعتقدات تعكس أهمية ذلك النشاط بالإنسان ، وأهمية البحر عموماً كمصدر رزق وإلهام في ذات الوقت لكل النشاطات الفكرية والذهنية لهذا الإنسان. هناك أيضاً الممارسات والعادات في بعض المواسم الأخرى كالأعياد - عيد الأضحى وعيد الفطر . وكذلك العادات حول بعض الرياضات الشعبية كالصيد بالصقور وسباق الهجن وعادات نزول الأمطار.

التراث الشعبي في الإمارات :

هناك العديد من التصنيفات لعناصر التراث الشعبي على مستوى الدراسات الأنثروبولوجية ، فهناك مثلاً تصنيفات وضعها (فابس) وأخرى وضعها (بوبكارت ولاوفر) . أو تصنيف (دروش) وتصنيف محمد الجوهري الذي وضع ضمن الحلقة الدراسية لعلم الاجتماع الريفي في جمهورية مصر العربية وجاء على النحو التالي :

١ - المعتقدات والمعارف الشعبية .

٢ - العادات والتقاليد الشعبية .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣ ـ الأدب الشعبي وفنون المحاكاة .

٤ ـ الفنون الشعبية والثقافية المادية [٢٥] .

وكما أسلفنا فسوف تتخذ هذه الدراسة : محور التراث الشعبي في شكل الدورات الحياتية التي تتخذها حياة الإنسان ، أو حياة الزرع ، أو الغوص ، أو المواسم والأعياد والمناسبات و الرياضات الشعبية .

دورة الحياة البشرية :

أ ـ عادات الولادة :

تعتبر هذه المرحلة هي الأولى بالنسبة لدورة حياة الإنسان وبالتالي فهي تحتوي على العديد من الممارسات الشعبية ، التي يمكن تبني الايجابي منها ، ويمكن التخلي عن السلبي من مضامينها. تبدأ هذه المرحلةمن ظهور أعراض الحمل الأولى على المرأة حتى نهاية الأربعين بعد الولادة . تمتنع المرأة في الأسابيع الأولى عن ممارسة الحركة الكثيرة خوفاً على الجنين من السقوط ، ولكنها بعد تلك الأسابيع تمارس عملها في المنزل أو الحقل. ويساعدها أفراد أسرتها على القيام بأدوارها داخل المنزل ، ويشجعونها على كثرة الحركة حتى تسهل عليها عملية الوضع ، وأثناء الولادة تتم الاستعانة بالداية لمساعدتها على تحمل الآلام ، واخراج الطفل وقطع الحبل السري ، وتنظيف المرأة نفسها والمولود . وربما أثناء الولادة تساعد الداية الأم على أن تأخذ الوضع المستقيم حتى تسهل عملية الولادة خاصة ، وأن هذه الداية هي التي قامت بالكشف على المرأة والتعرف على وجود علامات الحمل في بدء المرحلة . وهنا نلاحظ أن من العادات في مجتمع الإمارات ما يختلف عن غيرها من المنطقة العربية إذ أنهم في هذه المرحلة لا يؤمنون بالحسد ، ولا توجد عندهم رموز للتفاؤل أو للتشاؤم حول حمل المرأة ، ويعتبرون ذلك خرافات لا علاقة لها بالواقع ، وتسمى المرأة الولود (حمال إمغال). ولكنهم يعتقدون في ظهور علامات الوحم على جسم المولود في حالة عدم تمكن الأم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من الحصول على ما تشتهيه من مأكولات أو غيرها أثناء الحمل . (وفي فترة الوحم بالتحديد). وتقوم الداية بعد نجاحها في توليد المرأة بدفن المشيمة ، وهناك اعتقاد يسود حيث أن هذه المشيمة سوف تلتقي بالمرأة نفسها عند سدرة المنتهي يوم القيامة فيقال في لحظة الدفن (بسم الله الرحمن الرحيم وكلناك يا حفرة إلى أن ألتقي معك عند سدرة المنتهى لهذا الدم) وأيضاً بالنسبة لدفن مشيمة ما بعد الولادة هناك اعتقاد راسخ عند بعض القبائل يرون فيه أن المشيمة يجب أن تدفن وهي في حالة اعتدال وليست مقلوبة أي كما كانت في رحم الأم ، وذلك حتى تستطيع المرأة أن تنجب مرة أخرى .. أما عند قطع الحبل السري للطفل فيقال (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم يجعلك في الدنيا نافعاً ، وفي يوم القيامة شافعاً لأمك وأبيك).

وهناك إيمانٌ أيضاً بأن حمى النفاس أسبابها الحسد ، ومن المعتقدات المشهورة أيضاً في فترة ولادة المرأة ورضاعتها لابنها (المدارس) (أو المدارسة) ، والمقصود بها المشاهرة في المجتمعات العربية الأخرى حيث يعتقد أن كلمة مشاهرة ليست موجودة على الاطلاق في مجتمع الإمارات بل قالوا إنها جاءت مع القبائل الفارسية التي عاشت في المنطقة . أما المدارسة فالمقصود بها عدم إنجاب المرأة وهي عروس في حالة ما إذا دخلت عليها إمرأة والدة وأكلت من طعامها. أو أن تمنع زيارة العروس لصديقتها العروس التي تزوجت معها في نفس اليوم وذلك حتى لا تتعطل عن الانجاب.

أما عن كيفية فك (المدارسة) ، فذلك يتم بأن تؤخذ المرأة التي تعرضت لهذه الحالة إلى قبر إنسان ميت ومقتول بالخطأ ، ويطوفوا بها القبر ويقولوا (يا مذبوح بلا يرمة فك الدراس عن الحرمة). ويعتقد كذلك أن الكلاب أيضاً تتعرض لظاهرة (المدارسة).

وهناك من الأفكار والمضامين السلبية في هذه المرحلة منها مثلاً إذا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنجبت الأم أنثى أساء ذلك للأب وأخفى المولودة حتى لا يتعرض للإهانة من الأهل والأقارب أما إذا أنجبت له ذكراً فإن ذلك يكون من أسعد الأخبار بالنسبة له .. وتعتبر هذه من الرواسب المتبقية من عصور الجاهلية ، وتسود اليوم المجتمع العربي ولها من التفسيرات والتحليلات الكثيرة في كتب الأنثروبولوجيا والفولكلور.

يوم قالوا لي بنية أظلمت الدنيا عليه

ويوم قالوا لي غلام اشتد عودي واستقام

أما عن عادات الطعام في هذه المرحلة فنجد الاهتمام بالأم الوالدة والمرضعة ، ويسعى الأهل لتجهيز أكلات متعددة أهمها الفراخ الصغيرة ، واللحوم . وتعد لها مشروبات خاصة لأثناء الرضاعة منها مثلاً (الحريروة).(٢٦)

وتقدم الهدايا للمرأة بمناسبة ولادتها ، وتذبح الذبائح للتعبير عن الفرحة بذلك . وعلى المرأة التي تتلقي الهدايا أن تردها في مناسبات مشابهة في المستقبل ، وهذه قاعدة واجب احترامها ومراعاتها . وقد تعبر عن التأمين الاجتماعي . وتكون هذه الهدايا عبارة عن ملابس للطفل أو الطفلة أو الحلويات أو الذهب عند الفئات المقتدرة . ويختن المولود إذا كان ذكراً بعد خمسة عشر يوماً أو عندما يكبر قليلاً وتقام الحفلات لذلك .

ب ـ عادات الزواج :

بالنسبة لعادات الزواج في الإمارات نجد الزوج هو الذي يتحمل كل شيء من المهر ، وإعداد المنزل وتأثيثه ، والتركيز هنا على بعض العادات التي تعكس فكرة التضامن الاجتماعي بين أفراد المجتمع . حيث يقوم أفراد المجتمع بالمساعدة في اتمام الزواج وحفلاته ومراسمه ، ويقدمون الهدايا ، من الأغنام أو النقود . وللزواج مراحل فهناك الخطبة أوالشبكة ثم الجهاز ، والحناء والزواج . وهناك العديد من الأغاني خاصة بالفلاحين (مجتمع القرية) ،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأخرى خاصة بأعراس الصيادين ، وأخرى بالزواج عند الحضر (مجتمع المدينة) . والبدو. ولكن لا يحتفل بكل مرحلة من مراحل الزواج بل يكتفى بالاحتفال بالزفاف ، أو أحياناً بتوصيل الزهبة أي جهاز العروس ، والاحتفال لا يكون مقصوراً على ليلة الزفاف ، بل ان الفرق الشعبية تبدأ ممارسة وأداء فنونها قبل الزفاف بأربعة عشر يوماً أو بعشرة أيام عند الأثرياء ، أو بثلاثة أيام لمتوسطي الحال أو ليلة واحدة قبل الزفاف عند الطبقات الفقيرة . ومن العادات ان يشارك في إحياءالعرس جميع فئات المجتمع (٢٦).

ونتيجة لهذه المشاركة يستطيع كل فرد إقامة احتفالات عند زواجه دون تكاليف تذكر بالنسبة له بفضل هذا التضامن الأخوي الاجتماعي الملزم.

ومن الاغاني والرقصات المصاحبة للأعراس والزواج :«العيالة»

وهي من الفنون العربية الأصيلة وتمثل الرقصة القومية . وتلاحظ في أغاني الأعراس نزعات فيها المديح ، والتدين وتسجيل المعارك القبلية .

دران ياللي سعد في الجو ما جاها

طير عجلان شاقتني مضاريبه

عقب ما هي عيوز اتجدد صباها

زينها يا عرب قامت تماريبه

ج ـ عادات وأعراف الموت :

الموت هو المرحلة الثالثة في دورة الحياة البشرية ، وتتقارب عادات الموت من عادات الزواج والفرق الوحيد هو أن أهل الميت لا يتوجهون بالدعوة لأحد كما في حالة الزواج ، وإنما يقومون بعملية الإشعار عن الوفاة . وتتوقف أعمال الناس في يوم الوفاة ليحضروا الجنازة ويدفنوا المتوفي، ويتواجدون من أجل المواساة ، وحفر القبر وتطهير الميت وتكفينه حتى لا يتكلف أهل الميت إلا بقيمة الكفن . ومن الممارسات انه في هذا اليوم لا يتناول

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أفراد القرية طعام الغذاء في منازلهم إلا بالتجمع في بيت الميت بعد أن يحضروا الطعام من بيوت الأقارب والجيران . ثم تبدأ مراسم دراسة القرآن لمدة ثلاثة أيام في بيت الميت . والملاحظة على عادات الموت في مجتمع الإمارات انه يسير بشكل هادئ دون المبالغة في التعبير عن الموت ، وتلبس الملابس الملونة حيث لا يرتبطون باللون الأسود أو الأبيض مثلاً كما هي الحال بالنسبة للشعوب العربية الأخرى . ولكن هناك ممارسات أخرى تختص بها المرأة في حال وفاة زوجها فتقعد بالمنزل مدة أربعة شهور وعشرة أيام تسمى (أيام العدة)، تحرم المرأة فيها من الزينة وترتبط بلبس اللون الأخضر او الاسود ، وتمنع من مقابلة أي محرم من الرجال، وتمنع من النظر إلى المرآة والمناظر الجميلة كنوع من الوفاء متضمن هذه العادة ، حتى وان كانت ظاهرة دينية إلا أن الحرمان من الخروج يعد نوعاً من العادات الخاصة بالمرأة، وتحرمها من ممارسة أنشطتها حتى وان كانت تعول منزلها وأطفالها. وقد يوجه المجتمع لهذه المرأة الاهانة إذا لم تستكمل عدتها أو حاولت التزين أثناءها.

عادات وأعراف دورة الحياة الزراعية :

أولاً : مرحلة الحراثة وإعداد الأرض :

يتحدث السيد محمد سعيد سالم[٢٨] عن هذه المرحلة وهو مزارع فيقول، أولاً يتم شراء الأرض كتمهيد لعملية الزراعه ثم يذهب صاحب الأرض فيحضر (شبك) من الحديد حتى يسور الأرض لحمايتها ، بعد ذلك تبدأ عملية حفر الأرض وتهيئتها للزراعه في البداية تكون الحراثة عادية ثم يثنى بالحرث من أجل استصلاح الأرض ، حيث تخلط بالسماد ثم يقوم المزارع بعمل «نيشان» وهو كلافلج توضع فيه البذور خاصة للبطيخ والشمام والطماطم.

أما زراعة (الجت) أو البرسيم فيتم عمل (يلاّب) في حدود (٢٠٠ يلبة)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بطول ١٠ أمتار وعرض ٦ أمتار يبذر فيها البذر، وبين الجانبين من اليلبة يوضع (عامد) أي حاجز حتى يتسنى للزراعة شرب ما يرويها من الماء.

أما عن النخل فعندما يفسل تكون المسافة بين النخلة والأخرى في حدو ٨ أمتار حتى يتسنى لها الامتداد . وكذلك الحال بالنسبة للمانجو (المهمبا) واللومي (أي الليمون).

أما عن زراعة الطماطم فإنهم يحفرون لها حفرة ثم تخلط بالسماد ، وترمى البذور وتروى بالماء الذي يأتيها عن طريق (الري بالماكينة) . ولا بد أن يكون الماء عذباً ونقياً. وينطبق ذلك على زراعة البطيخ والشمام والفلفل. ويشير كذلك إلى الطريقة المتبعة في إعداد الأرض لزراعة القمح (الصثيف أو البر) [٢٩] فيقول:

بعد أن يعد (الحب) أي البذور ، وتحضر الأرض للزراعة التي لا يوضع لها السماد لأنه حار وقد يؤدي إلى تلف المحصول واحتراقه ، فقط يقومون بري البذور في الأرض ويخلطونها بالتراب عن طريق (الهياسة) وهي عبارة عن ثيران تقودها الرجال ليقوموا بتسوية الأرض بعد خلطها بالبذور.

ويواصل الحديث: ثم (تَقْرِزْلَهْ فلايه) ورقاب وبعد ٤ أشهر من (القرازة) يبدأ القمح في النمو حيث يسيح (لعرور) ويسوّي (قضيم) فتخرج القضية (أي الثمرة) من العرور أي رأس القمح، ثم تتم عملية الحصاد حيث ينادي صاحب المزرعة أصدقاءه لمساعدته في الحصاد ويبدؤون في ذلك وهم يرددون:

حشينا الصيف حشيناه بحديدتين مسنونه

يَرحْني الداس في يديَّ

وبعد أن يحصد يجمع ويربط (بحْلالْ) من سعف النخل «ويسوا وقور، وبعد ما نوقره سوّى كَعبة تحمل ٢٠ وكر» وبعد ١٠ أيام أو ١٥ يوم نسوي «ينُّور» في الأرض للدواسة وتأتي بعد ذلك مرحلة (التوقير) أي الحفظ ، حيث

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تقام له المداويس ويستخرجون منه (وشام) والوشام عبارة عن هدية لمن يساعد المزارع وله الحق في أن يدوسه أو يصفيه إلى حب لأولاده.

وهناك طريقة (الرصد) التي يرصد المزارع من خلالها الطيور حتى لا تغير على المحصول وتتغذى عليه ، ويقوم المزارع بعمل (مجلاع) من الحديد والخشب لصيد الطيور عند اقترابها من المحصول . ويفضل أن يحصد القمح وقت هبوب الرياح حتى تساعد على تصفية الشوائب وتنقية القمح منها فيفرز الحب عما يشوبه من قشور.

أما الأوقات المفضلة للزراعة فبالنسبة للنخيل مثلاً يفضل أن تزرع (أو تُفْسَلْ) فسل ست المساريج (وهي نجم أحمر يطلع عند شروق الشمس) ، وعند ظهوره يبدأ قص النخيل وزرعه .

أما اللومي فعندما تدخل السبعين من فصل الشتاء يفسل . وتختلف مدة نضج الثمرة من شجرة إلى أخرى فالقمح مثلاً يحصد بعد ٤ أشهر وعشرة أيام. والشعير بعد ثلاثة شهور ومثله الطماطم.

أما النخل فليس له وقت محدد قد يثمر بعد ثلاث سنوات أو سنتين.

ويشترك في عملية الزراعة ما لا يقل عن اثني عشرة شخصاً يتم استدعاؤهم بواسطة صاحب المزرعة الذي يطلب المساعدة من أصدقائه الذين يلبون له النداء ولو استغرق العمل شهوراً طوالاً.

وعن طريقة الري يقول : تروى الأرض عن طريق الأفلاج أو مياه الأمطار، أو حفر الآبار واستخدام الماكينة في ذلك ، أما السقي عن طريق الأفلاج فيتم «بالمنيور» حيث يحضر ثور ويوضع على ظهره (المقاله) التي تنقل الماء ، ثم يغرف بالدلو من الأرض ويصب في حفرة أعدت لذلك فيشترك الرجال في عملية السقي. وعندما لا يصيح (المنيور) يقولون نخل فلان (ما صاح منيورها) وعندها يصيح في وقت الفجر للصلاة وهنا يضرب مثل حيث يقال :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(المنيور يصيح والماء شالته الريح).

تصاحب تلك المرحلة الزراعية رعاية الزرع واستمرار صيانته وحمايته وما يحتاج إليه من جهود أثناء النمو ، ويسود نوع من المشاركة الجماعية في القيام بكل أنشطة الزراعة إذ غالباً ما تتجمع الأسر خاصة من البنات والشباب للعمل كل يوم في أرض إحدى الأسر سواء في ذر البذور أو في مرحلة الحصاد التي يشترك فيها الرجال والنساء، وأحياناً يؤجر آخرون للمساعدة وهم (البيادير).

ومن المناسبات في المناطق الشرقية من الدولة والباطنة «النوروز» وهو موسم يجتمع فيه أهل كل بلد في يوم من الأيام ليتفرجوا على صراع الثيران، وذلك بعد وزن التمر في المستودعات وهي ما يطلق عليها (البخاخير) ويؤذن بانتهاء عمل العمال وتجديد التعاقد معهم أو مع غيرهم للقيام بفلاحه النخيل.

ومن العادة أن لكل ثور (بيدار) أجيراً يقوم بسقي الأرض والنخل والأشجار وهي المعروفة (بالسواقي) ولها أحواض وجداول يصل منها الماء إلى النخيل وغيرها وينزعون الماء من الآبار (بدلو) له في أعلاه (عرقاه) وهما حطبتان يشد في وسطهما الحبل ويسمى (الكَرْ) وبعضهم يسميه (الرشاء) يرفع الحبل على المنور وفي وسط المنجور (حطبة) أي خشبة طرفاها في جذعين من الحطب يقال لهما القرون متكئين على حطبة يقال لها العارضة مشدودة في جذعين يقال لهما (التركيبة) وينتهي الحبل إلى وصلة يقال لها (اليامعة) ينفصل عنها حبلان يمران بجانب الثور يقال لها (البداون) يتصلان بحطبة يقال لها (الوي) على عنق الثور مشدودة بحبل يقال له (الغبط) وحبل آخر في رقبة الدلو يقال له (الماصر) وبعضهم يقول الرشا يمر على حطبة تدور يقال لها الوارة ويلتقي الحبلان عند اليامعة وتصب الماء على موضع يقال له الصدر وهناك جذعان يقال للواحد منهما (الناحب) يكونان على يمين (البيدار)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أي المزارع ويسار الثور يقال له (المريل) ينزل منه الثور إلى منخفض يقال له (الخب) وعند انتهائه يقال له (المنسم) فإذا افرغ الماء من الدلو رجع إلى المربل وهكذا حتى ينتهي العمل ومدة العمل يقال لها (الغبط) ، والعمل نفسه يقال له (اليازره) ، وهناك بعض الأشعار التي تساعدهم على عناء ومشقة سقي الزرع هذه ، وتساعدهم على استعادة النشاط ومن أمثلة ذلك (٣٠).

منيور قلبي حـــايف　　قطع غـــزال هـدوب

لو بضرب بالرهايـف　　عن وصلهم ما تـــوب

ويقال أيضاً :

والقلـــب يرَيْتَ وادي　　لـــي من نحـــا مارد

لا تعـذلنـــي هبـــادي　　قـــلبي جـدام شـد

ولقد ركزنا على هذه العادات لما لها من علاقة بالعمل والنشاط في الإمارات ، ولما تحتوي عليه من مضامين ايجابية للنظام الاجتماعي واستكمالاً لذلك نجد أن هناك أدواراً أخرى يقوم بها المزارع (البيدار) منها مثلاً إطعام الثيران، والسهر في ليلالي الصيف ، ولا يألون جهداً في ذلك ويعطون الثيران السمن مع البيض وحل السمسم ويغذونها ليوم (النوروز) ولا يستطيع مالك الثور أن يعارض البيدار وإذا فعل لا يجد عاملاً فإذا كانت صبيحة ذلك اليوم ذهبوا بها إلى البحر لغسلها ثم وضعوا عليها الطيب فإذا كان بعد الظهر اجتمع الناس وجيء بالثيران فربط كل ثور في نخلة أو شجرة وقام العقيد المسؤول فعادل بين الثيران ثم أطلق الثور على الثور الآخر وتناطحا والناس ينظرون فإذا بلغ الأمر نهايته أمر بفصل الثيران فيخرج أربعة رجال يكون دورهم هو الإمساك بالثيران وإيقافهم ، وجاء لكل ثور صاحبه فأخذه . وتعبر هذه اللعبة عن الانتهاء من عناء العمل، وكذلك عن المنافسة بين المزارعين.

أما إذا كان هناك خلافات تحصل أحياناً بين البيادير، هذا الخلاف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يسمى الثأر أو (الزماط)، هنا الثوران إذا أطلقا يتركان حتى يقفا بنفسيهما وهذا أمر يؤذن بالتعادل أو هرب أحد الثورين عن الآخر وهذا يعد نصراً ويوضع على المنتصر الزعفران (٣١).

العادات العامة والمواسم :

درج أفراد مجتمع الإمارات فيما قبل المرحلة الراهنة على الكثير من السلوكيات والعادات التي شكلت نظام الشوفة، أي نظام التكافل الاجتماعي في الوقت الحاضر.

من هذه العادات يقوم الناس بتفقد أحوال جيرانهم وأقاربهم والنظر فيما يصلح المقرض بقرضة إلا بعد عام على أقل الأحوال ، وقد يتأجل أعواماً ومن يسأل عن ذراهمه بعد عام فلا لوم عليه ، الويل لمن أرادها قبل العام منذ بدء القرض.

كذلك سادت في تلك الفترة علاقات المودة والرحمة فكانوا يتوددون إلى بعضهم بذكر القرابة والجوار أو الأسفار، وملاعب الصبا والمدارس التي درسوا فيها ، ويأخذ كل واحد حاجته من بيت جاره أو قريبه، أو من مزرعته ويركب ناقته وحماره بغير استئذان سابق. وتتكرر اجتماعاتهم في الصباح والمساء على القهوة العربية ، أما الزيارات فتكون في الأعياد والمناسبات ، ومن العادات انهم كانوا يفتحون أسواقهم حتى الفجر ثم يسعى الناس إلى المصلى ثم يعودون لذبح الضحايا في عيد الأضحى ويتزاورون إلى المغرب وينامون بعد صلاة العشاء مباشرة ويسمونها (الموتة الصغرى).

أما في رمضان فهناك العديد من العادات التي تمتد ممارستها حتى في المرحلة الراهنة .. بحيث يمر الطوافون في كل ليلة على بيوت القرية أو المدينة عند السحر ويضربون الطبول لايقاظ الناس للسحور . وفي الأيام الأخيرة من رمضان يمر هؤلاء (المسحراتية) على البيوت بعد العصر ويتبعهم الأطفال لتُدفع لهم أجورهم الرمزية عوضاً عن عنائهم وإيقاظهم الناس بغير شرط محدد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهناك مناسبة أخرى في النصف من شعبان يتصدق الناس فيها بالعيش (الرز) والتمر والطحين، والدراهم ويمر الأطفال في الشوارع وعلى المنازل ليحصلوا على بعض الحلويات أو المكسرات (النخي) أي الحمص وحبة الخضرا ويجتمع أهل المنزل بعد المغرب لقراءة (سورة يس) ثلاث مرات ثم يدعون بدعاء ليلة النصف من شعبان ، ويسمى هذا اليوم (حق الليلة).

العادات المتعلقة بالمرأة:

كانت للمرأة أوضاع اجتماعية متعددة فهي التي تدير منزلها ، وهي صاحبة الرأي في تربية أبنائها ، والمرأة التي لا تعتمد على خدمها وغيرهم لها مقام عظيم في مجتمعها . تقوم بتحضير المأكولات ، وإعداد الوجبات بنفسها . وتعتني المرأة بالضيف عناية خاصة وتكرمه بحسب استطاعتها، وتتقيد المرأة بعادات أهلها في اللباس والخروج من المنزل وزيارة الجيران فخروجها من المنزل لم يكن إلا للأرحام كأم وخالة وأخت ، ولا تخرج في زيارة عامة إلا بعد أن تلد الأولاد في بيت زوجها ثم تملك حق الزيارة في العزاء والتهنئة . ولا تملك الحرية المطلقة إلا امرأة ذات شخصية مرموقة لشخصيتها البارزة وأخلاقها النادرة ، فلا يتصرف أفراد العائلة إلا بعد أخذ رأيها ، ومن النساء الطبيبة الشعبية التي تصف الدواء بحسب الداء [٣٢].

ولنساء الحي أو الفريق أو الحارة اجتماعات في المناسبات كالعرس والعيد وعلى قهوة الصباح، ويقمن بمساعدة بعضهن بعضاً في المناسبات في الأعراس أو الختان، وفي المنطقة الشرقية من الدولة والباطنة يساعدن في جمع الحنطة أو الذرة كل يوم في مزرعة إحداهن ويقطعن الحب من الأرض وينشدن بأصوات عذبة بعض الأشعار أثناء العمل منها مثلاً [٣٣] :

تليعي يا طوي المحصنه وابك على شيخ وردها السفه

العادات المتعلقة بالنظام السياسي :

لكل أهل أو حارة أو عشيرة زعيم يقوم بقيادة الجماعة أما لكونه من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سلالة زعمائهم ، أو لعلمه أو لكبر سنه وخبرته وكرمه ، وحسن خلقه.

له إدارة العشيرة وحل مشاكل أفرادها وينوب عنهم لقضاء حاجاتهم عند حاكم الإمارة ، إن حدث أمر أضر بحقوقهم ولو وقع الضرر على فرد واحد هاجر أبناء العشيرة إلى منطقة أخرى. وعند ذلك يسارع أهل البلد الذين هم جزء من سكانها إلى الحاكم يطالبونه بإرضائهم . وبعد الذهاب إليهم ومصالحتهم يعودون إلى منازلهم وتسمى هذه (المشية) أي عملية الصلح.

وتجدر الإشارة إلى بعض العادات المتبعة في حالة حدوث الخصومة بين أفراد القبائل الذين لا تضبطهم إدارة مركزية وهم الرحل الذين يسكنون خيام الشعر . والذين اكتسبوا الكثير من السمات الشخصية من حياة الصحراء فيوصفون بقسوة القلوب وقوة الارادة ، فلا خضوع بل حسن خلق في لباقة ومحبة ، كلامهم صريح ، ولفظهم فصيح ، شبابهم رجال لا يعرفون القبيح من الأعمال . يحمون الجار ويدافعون عن الأخلاق في قبيلتهم . لهم نظام قبلي يتقيدون به ويعطون سلطة الفصل في الخصومات إلى رجل ذي شخصية يقال له (السالفة). يترافعون إليه في الحقوق والدعاوي وفي الحوادث ونظام الحروب فإذا اعتدى أحد على إبل طرف آخر لمطالبته بحق مالي يسمى هذا (الوخيذ) يقوم الطرف الثاني بالطلب ويجتمعون بأهل الرأي فإذا لم تحصل التسوية سلمياً ترافعوا إلى السالفة [٣٤].

العادات المتعلقة بنشاط الغوص :

الغوص هو البحث عن اللؤلؤ في أيام الصيف يسافرون في سفن متنوعة منها مثلاً (سنبوق وصمعاء وبقارة) وتتكون رحلة الغوص من الغاصة والسيوب واليلاسة والمجدمي والنواخذا.

وتتنوع أعمالهم فالسيب مثلاً يقوم بالإشراف على الغوص عند غطسه في الماء ومساعدته في الخروج من قعر البحر ، واليلاسة يقومون بخدمة السفينة والمجدمي الطباخ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المرحلة الأولى يقال لها الصيف ثم مرحلة الغوص وتستغرق ثلاثة أشهر تقريباً ثم مرحلة الردة ومدتها عشرون يوماً فقط وهناك مرحلة (القفال) تمتد بين الفترتين إلى ٣ أو ٤ شهور فينتهي فيها الغوص ، ويقوم التجار بممارسة القنص ، والصيد بالصقور التي كانت لها عاداتها الخاصة أيضاً . وكان لهذه السفن عقيد إذا عادت السفن معه ، وللغوص أعراف وعادات يحكم بها السلافة وهو الخبير في شؤون الغوص ، ويستطيع الفصل في المشكلات المتعلقة بتوزيع أرباح رحلة الغوص أو سداد ديون التجار أو رغبة أحد الغواصين في الانتقال إلى نواخذا أو سفينة أخرى.

وكذلك هناك العادات المتعلقة بصيد السمك وبرحلات التجارة التي تستخدم لها سفن البوم والبلغلة والجالبوت والسنبوق والرحلات كانت إلى (افريقيا ودار السلام والجزيزة الخضراء وبلاد الصومال وجزيرة سقطرة).

ولقد واكبت الأغنية الشعبية نشاط الغوص في أوج ازدهاره ورواجه وأيضاً في فترة كساده واختفائه وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية واكتشاف اليابان للؤلؤ الصناعي - فأمدنا الشعر الشعبي بتجسيد لتلك المأساة ومثال على ذلك:

تجارنا عقب المعرفة جفونا

زال الشتا وهم ما سقونا

ما اردي عسر بهم ولا جفونا[٣٥] الله

عليهم وان نووا التعاكيس

ومن الوظائف الهامة التي يجب الإشارة إليها في نشاط الغوص عمل السكوني : وهو الذي يتولى قيادة السفنية . إذ يأخذ مكانه في مؤخرة السفينة الشراعية واقفاً خلف مقودها الدائري الكبير، موجهاً مسيرة السفينة بواسطة رياح الجنوب أو الشمال ، الغرب أو الشرق . ويعتمد على السكوني

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اعتمداً كاملاً في تلك المهمة أي توجيه النواخذا والغواصين إلى مغاصات اللؤلؤ أو إلى محطات وبلدان أجنبية بعيدة كافريقيا ، والهند ، وفارس وعدن والعراق ويعتمد على قراءة (الديرة) أي البوصلة الكبيرة كوسيلة للارشاد.

الـــواش : تاجر اللؤلؤ.

الكراني : المدير المالي للتاجر ويتقاضى ألفى روبية سنوياً إلى جانب الدلالة أي نسبة من المبيعات.

المحاسب : يقوم بدور التحصيل والتدوين وعمليات تقويم العائدات ومقارنتها برأس المال والمصاريف والتكاليف.

الصناعات والحرف اليدوية :

تعددت الصناعات اليدوية وكان أهمها صناعة السفن والتي استخدمت لها أدوات وإمكانيات بدائية ويدوية كالمنشار والمطارقة والدواة التي تضبط بها المسافات والمقاسات والمجدع وهو أداة لثقب الأخشاب وكانت هذه الصناعات أقل خطورة من أنشطة الغوص والسفر والتجارة ، فكان الآباء حريصين لتوريثها لأبنائهم . وهناك أيضاً حرف صناعة الخشب وشباك الصيد ، أدوات الصيد ، صناعات الحدادة والنجارة ، والخياطة وكل احتياجات الإنسان في تلك الفترة كان يتم تجهيزها يدوياً ، ويشارك في القيام بها النساء والرجال.

الأعياد واحتفالاتها :

عندما يطلع الهلال ويثبت العيد كانت الفرحة تعم بين الناس كباراً وصغاراً في الزمن القديم ، وخاصة الأطفال الذين يفرحون بقدوم العيد وبالعيدية ، ويبدؤون في تجهيز ملابسهم الجديدة منذ الليل استعداداً لارتدائها في الصباح الباكر للذهاب لتأدية صلاة العيد مع آبائهم . ثم يعودون بعد الصلاة ليطوفوا بالمنازل بيتاً بيتاً يجمعون العيدية في بهجة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وسعادة وكانوا يرددون:

باكر العيد بنذبح لبـــقره وبنعشي خماس طويل المنخره

أما الناس فكانوا لا يبخلون على الأطفال بشيء إذا كانت العيدية قديماً تتراوح بين الروبية والروبيتين يأخذها الأطفال بكل رضا وامتنان ، مكملين المسيرة إلى منزل آخر. أما الرجال فيستقبلون العيد بنوع آخر من الاستعداد حيث يبدأ الرجل في إعداد ملابسه قبل العيد بفترة طويلة ، وعلى الطريقة القديمة فيصبغها إن كان لا يوجد عنده ملابس جديدة . تصبغ الملابس بالورس[٣٦] حيث يدق مع الزعفران والجوز والهيل وتوضع على النار مع قليل من الزيت ، ثم توضع الثياب في إناء فتصبح جديدة وكأنها أحضرت من الخياط لتوها. ولقد كانت المنازل تعج بالزوار من الأهل والجيران بمجرد الانتهاء من صلاة العيد لتبادل التهاني بهذه المناسبة . ولعيد الأضحى احتفالات خاصة ، حيث يقوم الناس فيه بشراء اللحم في جماعات تتآلف وتقوم بالغناء في يوم (المشوي) ويقومون بتتبيل اللحم (بالخل) وهو نوع من البهارات يحتوي على الفلفل والزعفران والهيل والبزار والجرفة والتمر حتى يعطي نكهة خاصة للأكل ، وكان الرجال يرددون عند اخراج (الوخيفة) أي (الذبائح) :

«طلع يطرّب ويهه مغرب»

أو (عيد العود شايبهم كله من قرايبهم)

وكان للنساء دور في هذه المناسبة فكن يقمن بإعداد الأكلات الخاصة بالعيد أهمها الهريس [٣٧] ، الثريد ، والبلاليط، والعصيد . بالإضافة إلى استقبال الزوار والأقارب . أما ملابس النساء فقد كانت المرأة تقضي أيام العيد بثوب واحد حيث يأتي الصباح فيذهبن لاعداد شعرهن بالكثير من الأدوات والعطور الخاصة، وتجديل الشعر ولفه بما يسمى (العكفة). وبعد «العقوص أو العكفة» يلبسن الثياب الخاصة بالعيد والمكونة من كندورة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مخورة وصروال أخضر وشيلة نَدْوَةْ.

وعندما يحين وقت الغداء يجتمع الأهل والجيران في منزل أكبرهم سناً في الحارة أو المنطقة لتناول الغداء في منزله ثم يذهبن مع الرجال لتناول الغداء ، كل في ركن خاص به في المنزل. وتدور السوالف [٣٨] بينهم عن الحياة والأعياد والعلاقات الاجتماعية ، وكانت الفتيات يستقبلن العيد بالرقص والغناء ابتهاجاً بقدومه فهي أيام لا تتكرر ولا تأتي سوى مرتين في العام فيفرحن فيها أشد الفرح. حيث يتجمع الرجال وينتظمون في حلقات منظمة ليقيموا الأغاني والأفراح العربية بمشاركة النساء والأطفال ، حيث يرقصون العيالة والرزفة والعرضة وغيرها من الفنون الشعبية الأخرى.

والملاحظ على هذه الممارسات والعادات البساطة ومحدودية التكاليف مما يعني عدم وجود القيم الاستهلاكية التي نلاحظها في المرحلة المعاصرة ، ثم نلاحظ التآلف والعمل الجماعي الذي تفتقد إليه أنواع الأنشطة الاجتماعية الآن.

الاستخلاصات والنتائج :

لقد حاولنا في هذه الدراسة البحث في كيفية ايجاد العلاقة التاريخية والجدلية ما بين التراث الشعبي والتنمية في الإمارات ، فلقد كان توظيف التراث في المشروع التنموي هو أحد الأهداف الرئيسة لهذه الدراسة باعتبار أن الانطلاق من الموروث الروحي للأفراد سوف يهيئ لهم العديد من أساليب التفكير، وأساليب السلوك والقيم ، وتحديد احتياجات الأفراد ، والتفكير في إمكانية الاستجابة لهذه الاحتياجات بما يتلاءم والواقع المعاش. فالاعتماد على الموروث إذن يعطي التنمية الدلالة الواقعية لهذا المجتمع.

فإذا كانت الوحدة وترسيخ الاندماج بين الإمارات إحدى متطلبات التنمية السياسية، فالاعتماد على الميراث الشعبي الذي يمتلكه أفراد مجتمع الإمارات يستطيع أن يمدهم بذلك الانتماء ، ويقلل مشاعر الانتماءات القبلية ، أو الاقليمية ، خاصة وان ذلك التراث تكون بفعل حركة السكان وتفاعلهم مع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الظروف الاقتصادية التي مرت بمجتمع الإمارات . فالانتماء بقوة إلى تراث ثقافي وحضاري يستطيع أن يرسخ الانتماء بين أفراد المجتمع المكونين له ، ويكون انتماؤهم متيناً يصعب الفكاك منه.

بالإضافة إلى أن ترسيخ النظام السياسي يحتاج العودة إلى تراث الشورى وروح الجماعة، والقرار المشترك الذي كان يمارس في المجتمع القبلي القديم . خاصة وان هناك تراثاً إسلامياً يدعم ذلك النظام ، فالسياسة الإسلامية في لحظة ظهورها كانت تلبي مصالح الغالبية في المجتمع الجاهلي، ومن هنا كانت الشورى هي الروح الجماعية المضادة لأية تجاوزات في حقوق الأفراد.

ذلك على المستوى السياسي ، أما على المستوى الاجتماعي فلقد استعرضنا الكثير من العادات والممارسات المحيطة بمراحل الحياة البشرية الميلاد والزواج والوفاة وتوصلنا إلى أن هناك ممارسات ايجابية وأخرى سلبية ولكنها قابلة للتغيير والتعديل بما يخدم التوجه التنموي.

فلاحظنا كيف يعيش المجتمع حالة من التضامن الاجتماعي التي ترافق تلك الدورة الحياتية وتجسد ذلك في حركة حالة المعاناة التي تمر بها النساء أثناء الوضع ، أو المعاناة في حالات الوفاة وغيرها من المواقف الاجتماعية التي يعمل فيها الأفراد بالألفة والفزعة للإغاثة ، وربما لا يستطيع الإنسان المعاصر أن يقاوم حدة القلق والخوف المرتبطة بتلك المواقف مثلما كان عليه الوضع في المجتمع القبلي في الإمارات.

كل تلك العادات نستطيع استلهام الايجابي منها وتعزيزه عند وضع السياسات الاجتماعية التي تشكل أحد بنود التنمية البشرية الهامة .. فهذه القيم تستطيع أن تلعب دوراً اجتماعياً لتقوية بنية المجتمع ، وإعطاء الارادة لأفراده لمقاومة شتى أشكال المشكلات الاجتماعية أو الاقتصادية أو أحياناً النفسية.

وفي هذا الجانب يبدو من الضروري أن نتحدث عن العديد من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المضامين السلبية التي تكمن في دورة الحياة البشرية خاصة تلك النظرة التي يميز فيها أفراد المجتمع بين الذكور والإناث، وحالة الرفض لولادة الإناث واستنكار ذلك لما يمثله من إهانة للرجل وتقليل من رجولته .. في هذا الصدد يجب أن نتبع الموروث الديني وان نحارب هذه النظرة طالما سعينا منذ البداية لاختيار طريق التنمية البشرية التي تعتمد على صون حقوق الأفراد ، والمساواة وتكافؤ الفرص.

فالتاريخ الإسلامي مليء بفكرة المساواة بين الرجل والمرأة . فالإسلام حركة اجتماعية سياسية لها رؤيتها للمجتمع وللمسائل المختلفة أهمها قضية النظرة للمرأة.

بسم الله الرحمن الرحيم «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم». من سورة التوبة.

وآية أخرى «وما خلق الذكر والأنثى إن سعيكم لشتى».

وفي آية أخرى «فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضم من بعض» . من سورة آل عمران.

وربما من دواعي الاهتمام بالسياسات الاجتماعية علينا أن نرفض الموروث الشعبي الذي هيأ للرجل الفرص في تعدد الزوجات وأضعف ذلك من بنية الأسرة في الإمارات وربما استمرت هذه الظاهرة الاجتماعية حتى الآن.. لذلك هنا يجب أن نعي بعض هذه السلبيات في الموروث الشعبي .. وان نقوم ذلك بواسطة الاستناد إلى حقائق احتياجات التنمية ، وضرورة التخلي عن بعض المظاهر السلبية التي بالضرورة تعني هدراً إنسانياً ومادياً يضر بالتوجه الاجتماعي للتنمية.

وهناك من الأحاديث الشريفة ما يستنكر هذه الفعلة الاجتماعية فينتقد الرسول ﷺ عادة تعدد الزوجات بقوله «خير الرجال الذي يكرم الحرة ، ولا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يجمع الضرة» .

لا تقل دورة الحياة الزراعية عن مثيلاتها من دورات الحياة البشرية التي تحدثنا عنها سابقاً ، بل تعد هذه الدورة من أكثر المحكات الحياتية التي تبرز نمط التعاون والمشاركة الجماعية في العمل ، واستخدام الآلات وتنظيم الزراعة بحسب مواسم تتناسب وجهد العمل وثمراته ، إذ أن ذلك يعبر عن أكبر مقومات الحياة الاقتصادية في المناطق الزراعية من رأس الخيمة والعين وغيرها من المناطق الزراعية ، وتعبر مظاهر السلوك والعادات المتبعة في هذه المرحلة عن احتياجات الإنسان المزارع .. إذ بالعمل المشترك يستطيع أن يؤكد ويجسد ذاته في مواجهة ظروف الحياة القاسية ، وكذلك ضد التسلط الذي من الممكن أن تتعرض له هذه الفئات (المحدودة والفقيرة غالباً) من الفئات الأخرى الأكثر قدرة مادية.

تؤكد إذن تلك الاستخلاصات من مظاهر السلوك والعادات والتقاليد والأعراف أنها تستطيع أن تكون المخزون الاستراتيجي لوضع أبعاد التنمية البشرية والاقتصادية والحضارية ، خاصة التركيز على مضامين تغليب مصالح الجماعة على الفرد، والعدل والمساواة ، وتكافؤ الفرص في التوظيف والحياة ، وإلغاء الحواجز الطبقية بين الأفراد، وتثبيت مبدأ الاحترام لكل الأعمال على أن تتجلى الصور الإنسانية الكبرى لذلك . وبذلك كله تستطيع خطة التنمية أن تنحو نحو التغيير الجذري الشامل لمجتمع الإمارات.

ولا يفوتنا في نهاية الدراسة أن نؤكد على حقيقة أن التراث الشعبي في الإمارات بكل عناصره واقعي في الشكل والمضمون ، ويخلو من الكثير من الخرافات ، ان العادات وجدت لتخدم واقع حياة الإنسان في مجتمعنا ولم تخرج عن إطار تلبيتها لتلك الحاجات وبالتالي جاءت واقعية . ومما يثبت واقعية الموروث الشعبي في الإمارات أن الإنسان هنا لم يقدس محتويات بيئته كما فعلت الشعوب الأخرى فنجد مثلاً على ذلك ان الصقر من أمثلة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحيوانات والطيور التي تحتل مكانة هامة في الحياة الاجتماعية والثقافية ، بحيث أصبحت تمثل رموزاً فنية تدل على الصبر والقوة . بحيث استخدمت للصيد والتنقل والغذاء فكانت تمثل محور الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ولكن كل ذلك لم يصل إلى درجة التقديس.

وهناك صفة أخرى متعلقة بالتراث الشعبي في الإمارات وهي خلو هذا التراث من الصور الخرافية والأسطورية المتطرفة كما هو الوضع بالنسبة للتراث الشعبي عند الشعوب الأخرى، كالشعب المصري أو اليوناني مثلاً أو الهندي . فيما عدا بعض التصورات حول الجن والعفاريت وإيمان الناس بأن الجن قد تتدخل في حياة بعض الأفراد ، وتبدو عليهم بعض السلوكيات الشاذة أو غير الطبيعية ، إن ظاهرة الاعتقاد بوجود الجن يدعمها الدين الإسلامي ولكن الناس المؤمنين بها يستخدمونها في تفسير بعض الأمراض، ويحاولون استخدام الطب الشعبي لعلاجها مما يؤدي إلى بعض التأثيرات الشعبية مما يؤكد بقاء بعض أشكال التخلف الفكري وعدم استيعاب الطب الحديث عند أغلبية أفراد المجتمع وذلك يعطل بعض جوانب التنمية الصحية. إنما فيما عدا ذلك لا نجد أسطورة شديدة التواجد بين مضامين هذا التراث .. رغم وجود الأسطورة في بعض قصص الأطفال منها مثلاً (جنية البحر) وأم الدويس ولكن كل ذلك لم يعكس أية تأثيرات في الحياة الاقتصادية والاجتماعية للناس.. بالإضافة إلى خلو هذا التراث من الاعتقاد بالأولياء وزيارتهم وتعطيل الحياة الاقتصادية الناتج عن هذا الاعتقاد كما يحدث عند شعوب أخرى والتي لازالت تعتقد بقدرات خارقة لهؤلاء الأولياء.

وعموماً ، لا نستطيع أن ندعي أننا توصلنا إلى كل الحقيقة المرتبطة بالعلاقة ما بين التراث والتنمية ، ولكننا تطرقنا إليها في محاولة هي الأولى من نوعها على مستوى مجتمع الإمارات ، ولقد بان واضحاً وجلياً مدى حاجة هذا الموضوع إلى الدراسة والبحث الأكثر تعمقاً ووعياً بجوانب التراث ، وبأشكال التنمية المنشودة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحواشي والمراجع

١ ـ أنظر : السيد ياسين ، الشخصية العربية بين تصورات الذات ومفهوم الآخر . ط٣ (بيروت: دار التنوير، ١٩٨٣ ص١١).

٢ ـ السيد ياسين وآخرون ، التراث وتحديات العصر في الوطن العربي (الأصالة والمعاصرة) بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية . الطبعة الأولى أغسطس ١٩٨٥ ص١٢.

٣ ـ محمد أركون ، مركز دراسات الوحدة العربية ، المرجع السابق ص ١٤.

٤ ـ علي عبدالله الخليفة ، عناصر الأصالة في الثقافة القومية ، حملة التراث الشعبي ، وزارة الثقافة والإعلام ، العدد الخامس والسادس ، السنة الخامسة عشرة ١٩٨٤ ، ص ١٠٥.

٥ ـ علي عبدالله الخليفة ـ المرجع السابق ص ١٠٦.

٦ ـ حمود العودي «التراث الشعبي وعلاقته بالتنمية في البلاد النامية» (دراسة تطبيقية على المجتمع اليمني) دار العودة ـ بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٦ ص ١٢٦.

٧ ـ علي عبدالله الخليفة ـ المرجع السابق ص ١٠٧.

٨ ـ علي عبدالله الخليفة ـ المرجع السابق ص ١٠٧.

٩ ـ حمود العودي ـ المرجع السابق ص ,١٢٦

١٠ـ عبدالعزيز شرف ـ (وسائل الإعلام وهندسة العادات والتقاليد ، مجلة المنهل ـ العدد ٤٦٢ السنة ٥٤ المجلد ٤٩ ابريل ١٩٨٨، ص ٣-٨ .

١١ـ حمود العودي ـ المرجع السابق ـ ص ١٢٧.

١٢ـ عبدالله عبدالرحمن ، مقابلة مع سعادة محمد بن حميد البسطي النائب الثاني للمجلس الوطني جريدة الاتحاد الخميس ١١ اغسطس ١٩٨٨. وغيرها من المقابلات تضمنها كتاب «الإمارات في ذاكرة أبنائها (الحياة الثقافية العامة)» الجزء الأول منشورات اتحاد كتاب وأدباء الإمارات ١٩٨٩ ص ٥٠.

١٣ـ فرحان صالح ، جدلية العلاقة بين الفكر العربي والتراث ، ورؤي نقدية، دار الحداثة ، الطبعة الأولى ١٩٨٣ ، ص ٨ - ٩ .

١٤ـ المرجع السابق ص ١٠.

١٥ـ فرحان صالح ، جدلية العلاقة بين الفكر العربي والتراث ، ورؤية نقدية «دار الحداثة» الطبعة الأولى ١٩٨٣ ، ص ٨-٩.

١٦ـ المرجع السابق ص ١٠.

١٧ـ حمود العودي ـ المرجع السابق ص ٧٠.

١٨ـ موزة غباش، التنمية الريفية البدوية في دولة الإمارات ـ بحث منشور بمجلة كلية الآداب العدد الخامس ـ جامعة الإمارات (باللغة الانجليزية(١٩٨٩.

١٩ـ أسامة عبدالرحمن ـ الإنسان العربي والتنمية : حقوق الإنسان ركيزة محورية لأي انطلاقة تنموية ـ مجلة المستقبل العربي العدد ١٣١ يناير ١٩٩٠ ـ مركز دراسات الوحدة العربية ، ص ٤.

٢٠ـ أسامة عبدالرحمن ـ المرجع السابق ، ص ٧ .

٢١ـ حمود العودي ـ التراث الشعبي وعلاقته بالتنمية في البلاد النامية المرجع السابق ص ٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢٢- هناك العديد من الأمثلة التي فشلت فيها مشروعات التنمية نتيجة عدم ملاءمتها لتصورات الأفراد في بعض مناطق الدولة فمثلاً بعض مشاريع توطين البدو نتيجة عدم استيعاب الجماعات البدوية للمنازل الاسمنتية والعودة إلى بيوت الشعر مرة أخرى.

٢٣- وهناك العديد من المظاهر السلوكية التي تحتوي على عناصر سلبية لا نستطيع حصرها كلها في هذه الدراسة إنما نشير إلى أهمية أن تخصص لها دراسات اجتماعية وانثروبولوجية متخصصة في المستقبل.

٢٤- انظر موزة غباش : تنمية الخدمات الاجتماعية - فصل ضمن دراسات مجتمع الإمارات - غير منشور - جامعة الإمارات العربية المتحدة ، ١٩٨٨ ص٥٠.

٢٥- انظر محمد الجوهري : التراث الشعبي ، وجهة نظر في تحديد موضوعات الدراسة ، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٧٣.

٢٦- ترتبط عادات الولادة بوجود الداية والطبيبة الشعبية التي تقوم ليس فقط بمهام التوليد بل .. تعالج الأمراض الأخرى - منها مثلاً (المسح) (الكي) ، (الترفيع) أي تعديل وضع اللوزتين ثم تقوم بعملية (التوطية) أي تدوس بقدمها الأجزاء المتكسرة من القدم ، وأيضاً تستطيع علاج عسر الولادة وتعديل وضع الجنين بواسطة المسح على بطن المرأة.

٢٧- يحتفظ عادة بالحبل السري لاستخدامه لعلاج عين الطفل عندما يتعرض لأية آلام فيها أو رمد كلمة يرمة : أي جريمة أي قتل بدون ذنب.

٢٨- الحريروة : مشروب ساخن يقدم للمرأة أثناء فترة الرضاعة لتنظيف المرأة ولأنه يساعد على نزول الدم الفاسد، وهي تعد من البيض وحبة الحمراء - والدهن البلدي الطازج.

٢٩- انظر رفعت محمد خليفة دويب ، أغاني الأعراس في دولة الإمارات العربية المتحدة ، وزارة الاعلام والثقافة ، الدائرة الثقافية.

القرازة : تهيئة الأرض للزراعة عن طريق عمل الافلاج لرمي البذور فيها .

٣٠- تمت المقابلة في مدينة العين مع السيد محمد سعيد سالم الجابري ، وهو من أشهر المزارعين - بتاريخ ١٩٩٠/١/٢٥ ، وتم تسجيل الحديث باللهجة العامية.

٣١- الصيف هو القمح.

٣٢- انظر: الشيخ محمد بن أحمد بن الشيخ حسن « العادات والتقاليد في دولة الامارات العربية المتحدة» ، الطبعة الثانية ١٩٨٣ ص ٦٣ - ٦٤.

٣٣- انظر : الشيخ محمد بن أحمد بن الشيخ حسن ، المرجع السابق ص ٦٥.

٣٤- الشيخ محمد بن أحمد بن الشيخ ، المرجع السابق ص ٧٠.

٣٥- انظر : رفعت محمد خليفة دويب ، أغاني الأعراس في دولة الإمارات العربية المتحدة ، دولة الإمارات وزارة الاعلام والثقافة الإدارة الثقافية ١٩٨٢، ص ٣٠.

والمعاني وراء تلك الأغنية تعكس نوع الدهشة والاستغراب وموقف تجار اللؤلؤ (أصحاب رؤوس الأموال) بعد عشرتهم الطويلة مع الغواصين ، أظهروا لهم الجفاء الآن. فلم يدفعوا لهم أجورهم ، ويتساءلون هل ذلك بنية حسنة أم لسبب أزمة حقيقية.

٣٦- الورس : نوع من النباتات.

٣٧- الهريس : نوع من الأكل تشتهر به منطقة الخليج ويتكون من القمح واللحم والدقيق.

٣٨- السوالف : أي الحكايات والنواد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثاني
التراث الشعـــبي
بين الابعاد النفسية والاجتماعية والبيئية

Folklore
The Psychological, Social, And Environmental Dimension

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التراث الشعبي بين
الابعاد النفسية والاجتماعية والبيئية

تقديم :

نعتبر هذا البحث في التراث هو بحث في روح شعبنا وتاريخه لان روح الشعب هي تلك الحركة الخفية التي توجه سلوك الفرد نحو الجماعة، وتحرك الجماعة نحو هيكل من النظام يتالف من مجموعة من القيم والمعايير التي تتسم بالثبات والمرونة.

ونجد ان هذه القوة الخفية الموجهة لفكر الشعب وثقافته، بل وسلوكه يقابلها نظم فكرية وثقافية محسوسة وملموسة تدار من خلال المؤسسات الثقافية الرسمية التي توجه حركة الثقافة في مستوى اخر[1].

هناك من سار بعيدا في النظر الى التراث وعلى وجه الخصوص (الفلوكلور) منه اذ يقول :«الكسندركراب» يريد الفولكلور ان ينشىء من جديد التاريخ الفكري للإنسان، لا كما تمثله كتابات الشعراء والمفكرين المرموقه، بل كما تصوره اصوات العامة الاقل مهارة.

«فالفولكلور» في رأي «كراب» اذاً سيعيد كتابة التاريخ الفكري للإنسان من خلال عامة البشر وليس نخبتهم او خاصتهم..

فماذا يريد أن يقول لنا التراث الشعبي إذاً، وما هي قضيته الجديدة، والقديمة في ذات الوقت وما هي قضيتنا نحن معه؟ وماذا نريد من «الموروث الشعبي او الثقافة الشعبية؟» وماذا يريده منا؟ أسئلة كثيرة يتطلب الرد عليها تحديد اهداف واضحة لجميع الدراسات التي تشهدها منطقتنا اليوم. ويجدر بنا في هذا الصدد ان نحدد اهداف هذه الدراسة، التي تضع التراث الشعبي الاشكالية الاولى لها، ومن ثم البحث في أبعاد هذا التراث النفسية والاجتماعية واخيراً البيئية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فليس جديداً ان نتحدث عن الموروث والتراث الشعبي فلقد سبق لنا وقدمنا أربع دراسات في هذا المجال،إنما المستجد علينا هو الذهاب الى الاعماق النفسية للإنسان الممارس لهذا الموروث. فربما نستطيع اكتشاف العلاقة الوطيدة بين التركيبة النفسية للانسان في مجتمعنا وما هي محتوياتها. والى أي درجة يمثل الموروث الشعبي جزءاً منها، وبالتالي الى أي درجة يمكن ان يكون هذا الموروث بناءأخاصاً لشخصية الانسان الخليجي، أو على وجه الخصوص الإنسان الإماراتي فالكشف عن هذه العلاقة النفسية بين الميراث الشعبي وبين الانسان هو كشف عن شخصية هذا الانسان وربما تكون هي هذه الاضافة العلمية التي تقدمها هذه الدراسة.

ثم بعد ذلك ننتقل الى الاشكالية الثانية وهي العلاقة الاجتماعية بين الموروث الشعبي والانسان، او بمعنى آخر الابعاد الاجتماعية للموروثات الشعبية بجميع انواعها..

نبحث اذاً في اشكالية جديدة ربما نستطيع توضيحها قليلاً اذا قلناان الموروث الشعبي بجميع اشكاله وعناصره يمثل التكوين الثقافي للمجتمع،والنظم الاجتماعية تمثل التكوين الاجتماعي لنفس المجتمع.. فما هي اذاً العلاقة بين هذين التكوينين والى أي منهما يكون التأثير الاقوى هل للثقافة ام للنظم الاجتماعية؟.

في هذا الصدد نحن امام قضية مستترة بحاجة الى الكشف والتعمق فماذا يمكن ان يقدم الموروث الشعبي للمجتمع بجميع انظمته الاجتماعية؟ سواء أكان النظام الاجتماعي كالأسرة والقبيلة ونظام الزواج منه، والعلاقات الاجتماعية وجميع عناصر البنية الاجتماعية. ثم ما هي كذلك العلاقة بين الموروث الشعبي وبين النظام الاقتصادي؟ وكيف عبر النشاط الاقتصادي لأبناء هذا المجتمع في يوم ما عن مصدر خصب لبروز الثقافة الشعبية والعادات والتقاليد والمعتقدات والامثال الشعبية والقصص الشعبية ، كل هذه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الموروثات تلاحمت مع الصحراء والبحر، فالبحر والصحراء كانا مصدر الالهام للانسان في مجتمع الامارات ومثله كان الانسان الخليجي ايضاً. فالعلاقة اذاً خصبة بين النظام الاقتصادي وحركة الإنسان الإنتاجية، وبين موروثه الشعبي.

ثم ننتقل الى البُعد الثالث او الاشكالية الثالثة لهذه الدراسة وهي البُعد البيئي للموروث الشعبي وربما يكون هذا الاهتمام بالبيئة هو الجديد في هذه الدراسة.

فهل هناك علاقة بين الموروث والبيئة؟ ثم ما هي هذه العلاقة؟

واضافة الى ذلك أي بيئة نهدف الحديث عنها؟ هل المقصود البيئة الطبيعية «الصحراء والبحر والجبال، والحر والبرد والامطار؟» أم نقصد البيئة الاجتماعية «الانسان وعلاقاته وانظمته؟» علينا إذاً ان نحدد ببراءة تلك العلاقة ومن هم اطرافها؟ وهذه هي ثالث أهداف هذه الدراسة.

لكن هل نكتفي بأهدافها النظرية تلك؟ أم نحن مطالبون بتقديم اهداف عملية تطبيقية اخرى نُكمل بها الشروط العلمية التي يجب ان تخضع لها جميع الدراسات، وهي محاولات الكشف عما يمكن ان تقدمه دراستنا من نتائج، وماذا يمكن ان يفيد منها القارىء ؟.

اذا كانت ثقافة أي امة تتكون من شقين أساسيين : أحدهما الشفاهي وهو المتميز المستمر، والمأثور بين الناس ونستطيع ان نعتبره هو نفسه مادة البحث الفولكلوري والآخر هو المدون والثابت، والذي يعتبر مادة للبحث التاريخي.

واذا كان الجانب الشفاهي يمثل الثقافة لأفراد المجتمع، وأن مجتمعاتنا العربية يمثل فيها الجانب الشفاهي الشق الاكبر من ثقافتها وتاريخها، وبنائها الفكري [٢] فهل يساعدنا ذلك التوجه الى تحقيق هدف الربط بين المأثور الشعبي في مجتمعاتنا الخليجية، وبين البناء الفكري لها. اننا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سنحاول تحقيق ذلك من خلال تقديم مادة علمية مستقاة من الميدان، يتحدث فيه الناس البسطاء عن قصصهم وأساطيرهم وعاداتهم ومعتقداتهم وقيمهم وطرق علاجهم، واغانيهم ورقصهم. إننا سنضع في هذه الدراسة نماذج لكل تلك الموروثات وسنوضح إلى أي مدى قام بناؤنا الفكري على هذه الموروثات وإلى أي مدى ارتبطت الاعماق النفسية لهذا الانسان بالموروثات الشعبية. وسنحاول توظيف هذا القول وهذه العلاقة من أجل اتخاذ الموروث معياراً جديداً لقياس البنية الثقافية وتطورها الحضاري ومقياساً ايضاً لوضع برامج التنمية فيما اذا كانت مجتمعاتنا تهدف حقا الى التغيير المنظم. فهدفنا اذاً هو محاولة «لتوظيف هذه المادة في الحياة الاجتماعية، وفي مسيرة التطوير في المجتمع».

هل يمكن لهذه الدراسة الموجزة ان تقدم شيئاولو قليلاً من ذلك المخزون التراثي الكامن وراء الهوية والذات، والخصوصية والاصالة؟ وربما لا تغالي في ذلك، بل لا نرفع الشعارات اننا بالفعل امام رغبة للبحث عن الهوية الذاتية لمجتمعات الخليج وتحددت هذه الرغبة من خلال ما نقرؤه ونسمع عنه بل واحيانا نعيش. اننا نعيش مرحلة الخوف من اندثار الموروث، وضياع الهوية وغلبة الوافد من الثقافات.إننا في مرحلة الضياع، افلا يستحق ذلك مشروعية جمع شتاتنا الثقافي الذي يواجه اليوم اعاصير التغيير ورياحه؟.

وربما تكون هذه الرغبة هي نفسها وراء هذا الاهتمام بالدراسات التراثية وهذه الصحوة العلمية التي بدأت منذ السبعينيات وتضاعف انتاجها العلمي خلال الثمانينيات وهانحن معكم نستكمل هذه الجهود في التسعينيات.

ان مجتمعاتنا تعيش حالة الخوف على الهوية الثقافية وتعيش كذلك رغبة صادقة في تحقيق وحدة ثقافية عربية واسلامية واحدة، تترك مساحات لتعدديات ثقافية ذات خصوصيات محلية، تعبر ربما عن الابداعات الخاصة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لكل شعب من شعوب الامة العربية.

لن نكون السابقين في هذا الميدان فهناك تجارب مجتمعية قديمة قدمتها لنا الدراسات الفولكلورية اثبتت فيها دور الفولكلور والثقافة الشعبية في تحقيق الاهداف الاستراتيجية الكبرى في حياة الشعوب. فعندما طرحت قضية «الفولكلور» والفولكلور الزائف واهمية الكشف عن مناهج تحدد الاصالة للثقافة الشعبية، وتنقي الزائف منها، اهتماماً خاصاً اولاه الشعب الامريكي لدراسة فولكلوره فهناك محاولات لتقصي ذلك الموروث الذي ادى مثلا الى نمو الديمقر اطية في هذا المجتمع. اذ تعتبر الديمقراطية الظاهرة الاجتماعية والسياسية الكبرى في المجتمع الامريكي».

وإن اهتمام الامريكيين بالفولكلور ناتج كذلك من تنامي الاحساس بالقومية الامريكية وتزايد النفوذ الامريكي في الشؤون العالمية، ونجاح الامريكيين في فرض ثقافتهم،وتراثهم السياسي على كثير من الامم الاخرى، فاحسوا بمدى ضرورة ان يقفوا هم انفسهم على حقيقة فولكلورهم، الذي استطاع ان يوحد نقطة الولاء القومي للخليط السكاني الامريكي والذي ادى بهم الى الاندماج.

فهذه تجربة تؤكد فاعلية الدور الذي تقدمه الثقافة الشعبية في تحقيق الوحده والاندماج، بل معالجة الكثير من القضايا الاجتماعية الاخرى من خلال هذه الثقافة بل هذا الموروث الشعبي، الاصيل منه وليس الوافد او الزائف [٣] ونحن لا ننسى في هذا الصدد ان استخدامات الفولكلور ممكن ان تمتد لتكشف لنا عن حقيقة العديد من القضايا الاجتماعية التي لم تترسخ بعد في مجتمعاتنا العربية، واولها قضية المشاركة الاجتماعية.

ربما لن نأتي بالجديد في مفاهيم الدراسة سوى أننا سنقدم توضيحاً شاملا لمفاهيم التراث الشعبي، ونشير هنا الى ان هناك الكثير من التداخلات في استخدامات هذه المفاهيم في البحوث المهتمة بالتراث.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فنجد مثلا مفهوم «الموروث الشعبي» ثم نجد «المأثور الشعبي» نجد كذلك «الفولكلور» «الثقافة الشعبية»، «والثقافة المادية الاثنوجرافيا والاثنولوجيا» فماذا تعني كل هذه المفاهيم؟ بالاضافة الى ان هناك عناصر كثيرة تدخل ضمن هذه التعريفات الكبرى وسنحاول توضيحها خلال هذا الاطار.

ونشير في هذا الصدد ايضاً الى ان التداخل نلاحظه ليس فقط في استخدام المفاهيم، بل نجده كذلك في تصنيف عناصر التراث.

بالرغم من ان هناك تصنيفات كثيرة لعناصر التراث قدمها كل من «ريتشارد فايس، وبوبكارت» الا اننا سنعتمد على تصنيف «دورسون، محمد الجوهري» على اساس انهما يمثلان تلك التصنيفات المتفق عليها بين المتعاملين بالتراث.

«فدورسون» يقدم تصنيفاً رباعياً مقسماً الى : الادب الشعبي، الحياة الشعبية او الثقافية المادية، العادات الاجتماعية والمعتقدات الشعبية فنون الاداء.

ثم نجد تقسيم محمد الجوهري المتفق مع دورسون من حيث عدد الابواب لمواد التراث، الا انه يختلف معه من حيث المضمون في معظم الابواب تقريبا فقد رأى ان يقسم موضوعات التراث الى اربعة اقسام جاءت على النحو التالي:

- المعتقدات والمعارف الشعبية.
- العادات والتقاليد الشعبية.
- الادب الشعبي.
- الثقافة المادية والفنون الشعبية

ونرى هنا ان محمد الجوهري يولي المعتقدات الشعبية اهتماماً اكبر ثم غير محمد الجوهري من تقسيمه هذا وقسم التراث الى ستة اقسام:-

- العادات والتقاليد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- المعتقدات الشعبية.

- المعارف الشعبية.

- الادب الشعبي.

- الفنون الشعبية.

- الثقافة المادية.

وبهذا يكون قد دمج الفنون الشعبية مع الثقافة المادية، والمعارف الشعبية مع المعتقدات، ولكن اين يمكن ان نضيف العلاج الشعبي، فنرى اذاً ضرورة اعادة النظر في تلك التصنيفات..

وبهذا يكون قد دمج الفنون الشعبية مع الثقافة المادية، والمعارف الشعبية مع المعتقدات ولكن اين يمكن ان نضيف العلاج الشعبي فنرى اذاً ضرورة اعادة النظر في تلك التصنيفات.

ويقدم لنا «هاني العمد» [٤] اضافة جديدة لتصنيفات التراث وتأتي مسلسلة يبدؤها بـ : (المعتقدات، العادات والتقاليد، الادب، الموسيقى والفنون الجميلة، الطب الشعبي، الصناعات والفنون اليدوية، حملة التراث الشعبي، تاريخ التراث ونقده، المسح والاحصاءات).اذ يرى هاني العمد ان كثيراً من الباحثين قد تجاهلوا ثلاثة موضوعات رئيسة، يشكل كل باب منها وحدة قائمة بذاتها هذه الموضوعات هي : حملة التراث الشعبي وتاريخ التراث ونقده والمسح والاحصاءات.

والسؤال الآن هو أي التصنيفات نستطيع استخدامه في هذه الدراسة؟

اننا سنقدم نماذج من العناصر التراثية المصنفة تحت موضوعات المعتقدات والعادات والتقاليد، والادب والاغاني الشعبية التي يمكن ان تندرج تحت موضوع الموسيقا والفنون الجميلة، او الادب الشفاهي. ثم نقدم نموذجاً او اثنين للطب الشعبي، اما عن بقية موضوعات ذلك التصنيف فانه لا يتسع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المجال في هذه الدراسة المصغرة له ويمكن احالة ذلك الى دراسات اكثر شمولية.

ناتي الآن لنقدم بعض تصورات العلماء حول عناصر الموروثات الشعبية فنجد مثلا «الن ديزني» وهو اشهر الانثروبولجيين الفولكلوريين الامريكيين يقدم قائمة تصلح عينه لاهم المواد التي صار يشملها معنى الفولكلور في ايامنا هذه [٥].

١ - الاساطير	٢١ - الخزازير	٤١ - الطب الشعبي
٢ - نداءات الباعة	٢٢ - الوداع	٤٢ - (ما يكتب على القبور والسيارات والبافطات والجدران)
٣ - طرق الطبخ	٢٣ - المجاملات	
٤ - الموسيقى الشعبية	٢٤ - التعاويذ	
٥ - المقاهره	٢٥ - الرقص الشعبي	٤٣ - الاشعار والاغاني الشعبية
٦ - الامثال	٢٦ - المسرح الشعبي	
٧ - الاسوار	٢٧ - الشتائم والمسبات	٤٤ - عبارات التحية
٨ - بيوت الحيوانات	٢٨ - الدعاء	٤٥ - اغاني والعاب الاطفال
٩ - الترانيم	٢٩ - المعتقدات الشعبية	
١٠ - الكنايات	٣٠ - الاجابات	٤٦ - (ما يقال لطرد الحيوانات او استدعائها)
١١ - التبريكات	٣١ - التقليدية المقننة	
١٢ - اللعنات	٣٢ - انماط البيوت	٤٧ - اغاني الكبار في تعليم الاطفال
١٣ - الرموز	٣٣ - الالغاز	
١٤ - النكات	٣٤ - المصطلحات	٤٨ - (ما يقال عند العطس والسعال والتثاؤب)
١٥ - الايمان	٣٥ - التشابيه	
١٦ - الخرافات	٣٦ - الاستعارات	٤٩ - اسماء الاماكن والمواقع
١٧ - القصص الشعبي	٣٧ - الملابس الشعبية	
١٨ - انماط التطريز	٣٨ - الرموز	٥٠ - الاحتفالات الشعبية في المواسم والمناسبات المختلفة)
١٩ - الايماءات	٣٩ - الفن الشعبي	
٢٠ - المعايرة	٤٠ - الملاحم الشعبية	

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نعود لنناقش مفاهيمنا الرئيسه في هذه الدراسة وهي :الموروث الشعبي والمأثور الشعبي ونتساءل لماذا يحدث هذا الخلط في استخدامها؟ الا يمكن ان يكون الموروث الشعبي هو نفسه التراث الشعبي الذي يتضمن كل محتويات وعناصر التراث؟ ثم يمكن استخدام المأثور الشعبي للتعريف بتلك العناصر التراثية المأثوره لدى العامه، او الشائعه والاكثر تفضيلا في استخدامات الانسان في حياته اليومية.

ولكن الاجدر ان نعرف التراث نفسه، ورغم معرفتنا بالكثير من تلك التعريفات التي قدمها علماء الانثروبولوجيا والمفكرين في العصر الحديث الا اننا سنختار بعض تلك الاراء منها مثلا تعريف «محمد اركون» الذي يرى «ان التراث سنة الاباء واطار من الاحكام والشرائع، ومعلومات تجريبية شعبية، ومجموعات ادبية فكرية علمية مكتوبة، خاصة بالطبقات المدنية العالمه. تختلف عن التراث الشعبي الشفوي - والتراث اخيراً تصورات للماضي معبرة لما تحلم به الجماهير لحاضرها ومستقبلها[٦]، اما «علي عبدالله الخليفه» [٧] فيرى ان المأثورات الشعبية العربية والخليجية هي كل ما صدر عن الشعب العربي والخليجي بجميع فئاته وطبقاته من إبداع ومن شعائر وطقوس وومراسم ومعتقدات وما صدر عنه من عادات وتقاليد. كلها تشكل ثقافة عقلية ومادية خاصة تمثل روحه وحكمته وإبداعاته المختلفة على مر الزمان، مثل اللغة، الموسقى، الاشعار، الاهازيج، الازجال، الرقص، الحكايات، السير، الملاحم، الاغاني، الامثال، الازياء، الحلي، الطب، الصناعات، الحرف، العادات، والتقاليد وغيرها مما عبر عنه الحس، وتفاعل بالتبادل والتداخل والالتحام والاحتكاك والصراع مع الثقافات المجاورة، وتواتر عبر الاجيال حتى وصل الينا.

في مجال الفصل بين التراث والموروث نتحاور قليلاً مع «طيب تيزيني» وفي اتجاهه للفصل بين التراث والموروث اذ يرى ان التراث هو أشمل من الموروث وان الموروث من وجهة نظره هو مجموعة من النتاجات الفكرية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والسياسية والعمرانية التي اصبحت بحوزة الفعل التوريثي اي اصبحت بين الوارث واعياً او غير واع وبالتالي فالموروث اصبح جزءاً من الحاضر، اما التراث فهو اشمل من الموروث لانه يشتمل على أمرين - الاول هو الماضي والثاني هو الحاضر مستمراً.

إذن «التراث» في نظر (تيزيني) له حضوره في الماضي، اما الموروث فله حضوره في الحاضر وربما لا يبدو ان هناك خلافاً بين ما نتبناه من فكر حول قضية التراث والموروث وبين (طيب تيزيني) الا في التعمق الفلسفي الذي تبرر عليه آراؤه .. والتي تستطيع وجهة نظر (حسن حنفي) ان توصل فيما بينهما عندما قال .. وعلى العديد من المستويات «في الوضع الراهن ونخرج من ذلك الحوار بأن التراث الشعبي لا زال المخزون الاول لفلسفة الشعوب ولقيمها وعاداتها وحتى لتطلعاتها» وخاصة التطلعات التنموية والقومية الكبرى فالتراث في نظره هو الذي يجب ان يجسد حالة التماسك والشعور بالهوية [٨].

تتضح اذاً معالم الفروق بين مصطلحي التراث والموروث، وهذا ما نهتم بتحقيقه في هذه الدراسة، ولكن ماذا عن الفولكلور.. نعلم ان مصطلح الفولكلور صار يشمل الفنون القولية بجميع اشكالها، والموسيقى والرقص، والمعتقدات والعادات والتقاليد والمعرفة والافكار والعواطف والسلوك وكذلك مما يدخل في صنع المنتجات المادية الشعبية وتزيينها واستعمالها. ومن هذا التعريف للفولكلور يتضح لنا انه مجرد مرادف لكلمة الموروث الشعبي.

اما عن مصطلحي الاثنوجرافيا والاثنولوجيا، فنجد توضيحا شاملاً يقدمه «حسين فهيم» [٩] اذ يعرف الاثنوجرافيا بانها كلمة معربة تعني علم وصف ثقافات الشعوب او علم الاقوام فالاثنوجرافيا ما هي الا الدراسة الوصفية لاسلوب الحياه، ومجموعة التقاليد والعادات والقيم والادوات والفنون والماثورات الشعبية لدى جماعة معينة او مجتع معين خلال فترة زمنية محددة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتتحدد الاثنولوجيا كمصطلح يستخدم للدراسة التحليلية والمقارنة للمادة الاثنوجرافية بهدف الوصول الى تصورات نظرية او تعميمات بصدد مختلف النظم الاجتماعية والانسانية من حيث اصولها وتنوعها وبهذا تشكل المادة الاثنوجرافية قاعدة أساسية للبحث الاثنولوجي.

فالاثنوجرافيا والاثنولوجيا مفهومان مرتبطان ويكمل كل منهما الاخر. وهما يشكلان مجالين دراسيين هامين في إطار مجال الدراسات العامة للانثروبولوجيا التي يقصد بها ذلك النسق المعرفي والمنهجي لدراسة الانسان طبيعياً واجتماعياً وحضارياً.

وبهذا يكتمل اطارنا المعرفي والمفهومي لهذه الدراسة وربما يجدر بنا الان توضيح المنهجية التي سارت عليها هذه الدراسة مؤكدين بداية انها لا تختلف كثيراً عن ادوات ومناهج البحث الاجتماعي اذ نشهد في الآونة الاخيرة حواراً علمياً يحاول البعض الفصل فيه بين مناهج الانثروبولوجيا وادواتها، ومناهج علم الاجتماع وادواته. ونحن لا نجد ان هذا ممكناً فالمعرفة الانسانية واحده، وبالتالي يجب توحيد مناهجها وادواتها. فالمنهج في دراستنا هذه يعتمد على التسجيل والوصف والتحليل لكثير من انماط الممارسات الشعبية، وسوف نقدم نماذج الموروثات بما يتسع مجال البحث في هذه الورقة، وسيكون هذا التقديم مشتملا على رؤية خاصة تتوافق مع أساليب البحث التراثي المعاصر في جمع مواد المأثورات الشعبية وتوثيقها.

ورغم اننا نعي ضرورة استقاء المنهج المتوافق مع الجانب الشفاهي من الموروث الشعبي او الذي اصطلح على تسميته المأثورات الشعبية من واقع التراث العربي، وان لا يستند الى نظريات وافده فهناك ضرورة للاخذ بالمنهج التاريخي لاستقراء العوامل التي ساعدت على تكوين هيكل وبنية الثقافة الشعبية، الا اننا في دراستنا هذه لم يتسع اطار البحث لذلك، واعتمدنا على نفس المنهج الذي استخدمناه في دراسة سابقة لنا حول «جمع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتصنيف العادات والتقاليد لمرحلة الميلاد في مجتمع الامارات»[١٠] بحيث تحقق لنا الاستقراء التاريخي للمادة التراثية، بالاضافة الى ما تضمنته دراستنا السابقة من مسحٍ شامل للمأثورات الشعبية لمجتمع الامارات والتي نستمد نماذجنا التطبيقية في هذه الدراسة منها. ثم اننا اكملنا منهجنا بالتحليل والكشف عن التغيرات الحادثة على ذلك الموروث فتم استخدام التفسير اسلوبا اثنولوجيا حللنا به جميع تلك المادة الاثنوجرافية التي احتوتها مرحلة الميلاد في مجتع الامارات، اما عن الادوات البحثية فلقد تم استخدام الملاحظة، والملاحظة بالمشاركة، والمقابلة واستخدمنا دليلا خاصا بالمقابلات التي تمت ثم قمنا بعد عملية الجمع بالتصنيف العلمي للمادة التراثية ومن ثم توثيقها.

يتسم موروثنا الشعبي بالاعتقاد بالسحر، وهذا الاعتقاد راسخ كمعتقد غيبي يعبر عنه برغبة في إثبات قوة الانسان في احداث تأثيرات معينة باستخدام الحجاب او التعويذه او الطقوس الخاصة.

اما في الدين فنجد عالما من الارواح والجان والشياطين يثبتها القرآن الكريم والسنة الشريفة ونستشهد هنا ببعض الاحاديث التي وردت مؤكدة وجود الشياطين والجان.

الحديث الاول ورد في عدة روايات ...

رواه الامام احمد بن حنبل في مسنده وورد في سنن البيهقي وهي احاديث صحيحة عن جابر رضي الله عنه وقد جاءت كما يلي :

١ - كفوا صبيانكم عند العشاء فان للجن انتشاراً وحفظه».

٢ - إن كان جنح الليل فكفوا صبيانكم فان الشياطين تنتشر حينئذ فاذا ذهبت ساعة من الليل فخلوهم .. واغلقوا الابواب، واذكروا اسم الله تعالى وان الشياطين لا تفتح بابا مغلقاً، وخمروا انيتكم واذكروا اسم الله ولو ان تعرضوا عليه شيئا واطفئوا مصابيحكم».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣ - «كفوا صبيانكم اول العشاء فانه وقت انتشار الشياطين».

الحديث الثاني ...

« ما من مولود يولد الا وتمسه الشياطين».

ورد في مسند الامام احمد ومسلم في كتاب الفصائل لعيسى بن مريم ويقول عنه السيوطي جلال الدين انه صحيح وقد ورد في صحيح مسلم كذلك.

رواية اخرى ...

«ما من مولود يولد الا يمسه الشيطان فيستهل صارخاً من نخسة الشيطان الا ابن مريم وامه. (نفس السند)

واذا كان للارواح والايمان بالقوة الخارقة سند في الدين فانه اذاً يمثل معتقداً قوياً وراسخاً، نستطيع ان نفسر من خلاله الممارسات الشعبية الشائعة في مجتمعنا العربي فنستطيع ان نثبت ان قيمنا وعاداتنا وتقاليدنا، ومعتقداتنا واغلب الموروثات الاجتماعية تقوم على هذه الفكرة الغيبية تتقدمهم جميعا ظاهرة الايمان بالحسد والعين. ورغم اننا نؤمن تماما بوجود الحسد كعامل من عوامل فشل العلاقات الاجتماعية في مجتمعاتنا الا اننا لا نقبل باستخدامه كأساس لتفسير كافة المشكلات التي يتعرض لها الانسان.

إن عجزنا امام مشكلاتنا العامة والخاصة جعلت اغلب الفئات الاجتماعية لا تؤمن بتفسير لمشكلاتها الا من خلال «الحسد» ولقد اثبتت دراسة سابقة لنا ان «الحسد» يكاد يكون المحرك الاول او الآلية الاولى التي تقوم عليها كل علاقاتنا وان «الحسد» كشعور انتشر بين المتعلمين وغير المتعلمين، الكبار والصغار، الرجال والنساء بل والشباب وكذلك الاطفال. فلقد استطاعت عمليات التنشئة الاجتماعية ان ترسخ من هذا الشعور لدى الانسان سواء كان صغيراً او كبيراً.

اننا امام ظاهرة اجتماعية نفسية كبيرة ترتبط ببعض مكونات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشخصية العربية التي يمثل الخوف احد ابرز صفاتها. انه الخوف من المجهول، الخوف من الفقر. ففقدان الاهل، وفقدان الوطن، وفقدان المال وربما الكثير من اشكال الخوف الذي يعيشه هذا الانسان.

وإذا كان الايمان بالغيبيات سمة من سمات المجتمعات البدائية والمختلفة فكيف نفسر اليوم انتشارها بين ابناء المجتمعات المتقدمة فالجميع اليوم يؤمنون بهذه الظاهرة التي لا تختلف فيها المستويات التعليمية عن تلك غير التعليمية، بل لا تختلف فيها المستويات الطبقية بل يتساوى الغني والمتوسط والفقير، وقد تزداد لدى الاغنياء بشكل اكثر وضوحا.

إن المجتمعات الانسانية اليوم تعيش حالة «الخوف والشك» وهذا ما يفسر لنا بروز هذه المعتقدات وانتشارها بين العامة والخاصة، يتضح البعد النفسي المتصل بالمأثور الشعبي بصورة جليه اذاً في العادات والمعتقدات والطقوس ذات الطابع الديني والغيبي، لا سيما فيما يتصل بالممارسات التي تؤمن الحماية من الشر والحسد والمرض والعقم. كما يتصل بالوسائل والاساليب التي تنكرها الجماعات والتي يختزنها الوجدان الشعبي ويلجأ لها عند الضرورة للتصدي لتلك الاشياء. وسنقدم بعض القصص التي جاءت على لسان بعض المخبرات التي قمنا بمقابلتهن للاستشهاد على تلك المعتقدات والموروثات، والتي سنتتبع فيها بعض الممارسات التي تتم خلال دورة الحياة وبالتحديد مرحلة الميلاد. اذ تكثر في هذه المرحلة كما لاحظنا من الدراسة الميدانية الكثير من الممارسات التي تؤمن بالشر والحسد والمرض والعقم ونستطيع ان نركز عليها من خلال وجودها كوقاية، او كعلاج وسواء نجحت ام اخفقت تلك الممارسات او الطقوس الوقائية والعلاجية في درء الشر والمرض، او في دفع الهم والغم. فهي لا محالة تخلق جواً من الطمأنينة والاستقرار النفسي دون توفر الاقتناع والقناعة والايمان المطلق.

فمثلا يدخل ضمن الجانب الوقائي الدور الذي تؤديه كل من :-

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- الاحجبة والحروز.

- الاولياء.

- طقوس الاخصاب.

- طقوس العبور (من مرحلة الى اخرى من مراحل الحياه)

اما بالنسبة للجانب العلاجي فالاعتقاد والعقيدة والثقة المطلقة في العلاج والمعالجة هي أساس الشفاء من المرض، وسنتناول هذا الامر من منطلق الطب الشعبي ومن زاويتين:

- الامراض العضوية.

- الامراض النفسية.

ثم نحاول ابراز البعد النفسي للمأثور الشعبي من عدة انماط فنية وادبية تتصل بالاحداث الاجتماعية، والقومية الهامة التي ارتبطت بالفرد والمجتمع الاماراتي. اذ كثيراً ما دعت الحاجة الى توظيف البعد النفسي للتراث من اجل بث الثقة وشحذ النفوس وابراز حالة الاستنفار. ولكن هذا لا يمنع من ان يكون لاستخدام بعض الموروثات الشعبية بشكل خاطىء رد فعل معاكس اذ يؤدي الى حالة من الاحباط النفسي لدى الفرد.

وفي محاولتنا التعرف على اعماق الظاهرة الفولكلورية تلك المرتبطة بالايمان بالحسد والعين، تمت مقابلة العديد من المخبرات لتقصي الحقيقة حول هذا الايمان، ونقدم هذه القصة الواقعية التي ترويها السيدة موزة حمد. مقيمة في منطقة البحر الجنوبي بمدينة العين. حدثتنا عن ظاهرة الحسد الذي اعتقدت به وصدقت بانه موجود نظراً لمرورها بتجربة معينة فقدت خلالها خمسة من ابنائها كما تقول وتروي لنا فماذا قالت هذه السيدة :-

كنا نقيم في منطقة (الطريف) بسلطنة عُمان منذ زمن طويل، وكنت اعمل في منزلي كأي امرأة اخرى ترعى شؤون اسرتها وابنائها وذات يوم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ذهبت الى «البر» اسوق الغنم للمرعى وكنت قد رزقت بولد، وكان هذا الولد يذهب الى «المطوع» صباح كل يوم ليتلقى علوم القرآن، كما كانت تسكن بجوارنا امرأة مسنة لديها ابنة واحدة وقد اصيب زوجها بمرض عضال وكان يحتضر بسبب شدة المرض وعندما رأت ابني قالت :«ان شاء الله يبكوا على المر ويطيح على الحلو» وكانت هذه السيدة جدة زميل ولدي الذي كان يبلغ الثالثة عشرة من عمره آنذاك رحمه الله ومضت ليلة على كلمة السيدة تلك، وعندما جن الظلام في ليلة حالكة السواد قام ولدي من نومه يبكي وجعاً في رأسه وحاولت تهدئته وقمت بعمل بعض الوصفات الشعبية له، حتى الصباح ذهبت لتسريح الغنم وعندما عدت وجدته على نفس الحال وقد ازداد الالم ثم صار يصرخ وهو لا يرى امامه لقد عُمي ولدي في ليلة واحدة مع انه لم يكن يشكو من اية اعراض قبل ذلك، وبعدها بدقائق تقيأ وتوفي امام عيني وانا لا اعرف ماذا افعل وعندما تقيأ خرج من بطنه «عود سمر» وهو نوع من النبات الشوكي الذي ينمو في الطقس الحار ويكثر في عُمان، تعجب الناس مما حدث وفجأة جاءت ابنتي الكبرى وقالت لي : بان السيدة فلانه جارتنا قد جاءت ورأت اخي وهو يتألم وقالت لي «ان اخوك ما فيه معاليق» اي انه الان دون اعضاء داخلية وهي المعدة بمايتبعها من اجهزة اخرى وقالت لها انه سيموت، وكان زوج ابنتها قد نهض من مرضه ومات ولدي بسبب «سحرها له» وفدوه «بولدهم».

وتروي السيدة ذاتها حكاية اخرى عن احد ابنائها الذي منّ الله عليه بالشفاء وعاش وهو الان في احدى المؤسسات الكبرى في الدولة فتقول:- ولدي الذي كبر الان ويعمل بمؤسسة كبيرة بدولة الامارات كان قد تعرض في صغره لحالة حسد من السيدة ذاتها التي سحرت ولدي الاول الذي حدثتكم عنه وتوفي، اما حالة الآخر فانه اصيب فجاة بحالة ضحك واصبح كالمجنون من دون سبب، ولا يركز على شيء صار يسير كالتائه الذي فقد عقله، وعندما تطورت حالته وساءت كثيراً، استدعينا المطوع الموجود وكان يدعى «حبيب بن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حامد» وجاء المطوع الى منزلنا وعندما قام بفحص ابني وحالته قال بانه مسحور ووصف المرأة التي سحرته وطلب منا ان نحضر «سبعة اثار من ريلها» اي سبعة علامات من وقع قدمها عندما تمشي. تقول السيدة : - قمنا باحضار «الاثار» «وحور عليه المطوع» أي قام بصنع حرز له من العين بحيث لو حاول أي امرىء حسده وسحره لا يستطيع فهو قد حصنه بالحرز وقرأ عليه القرآن وعاش ولدي والحمدلله وهو الآن متزوج ولديه ثلاثة ابناء ..

وكذلك الحال مع ثلاث من بناتي توفين ايضاً بسبب الحسد..

بعض المعتقدات والطقوس الخاصة بمرحلة الحمل والولادة لدى المرأة..

يبرز في مرحلة الميلاد الموروث الشعبي المرتبط بالمرأة والطفل، وربما تكون هذه المرحلة من اكثر المراحل اهمية بين مراحل (دورة الحياة، الميلاد، الزواج، الوفاة) ان مرحلة الميلاد للانسان او للطفل انما تمثل مرحلة ميلاد المجتمع لذلك تكثر فيه الطقوس والممارسات والمعتقدات والعادات والتقاليد وتكثر فيها الاغاني الشعبية تلك المهنئة للولادة او المعبرة عن الفرحة بالطفل الجديد او المستخدمه لتنويم الطفل، تبرز في هذه المرحلة ايضا اختلاف النظرة الى الطفل الذكر والطفلة الانثى. وتبدأ فيها سلسلة التفاوتات والتفضيل للذكر. ربما كانت البداية لهذه النظرة قد جاءت قبل ميلاد الطفل بل عند تكونه جنينا في رحم الأم. فيعرف من حركته ومن لون وجه امه ما اذا كان ذكراً ام انثى [١١] وسبق لنا ذكر ذلك بالتفصيل في الدراسة السابقة.

ولا يتسع المجال في هذه الدراسة لذكر جميع تلك الممارسات فلذلك سنستشهد ببعض النماذج المعبرة عن هذه الطقوس وتلك المعتقدات وجميعها ما يؤكد البعد النفسي والاجتماعي للتراث الشعبي ومنها منع المرأة الحامل من رؤية انسان معروف عنه قوة العين ولو حدث أي لقاء بين المرأة الحامل وواحد من هؤلاء المشهورين بحسدهم وعينهم الحارة سواء كانت امرأة ام

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رجلاً تبدأ الممارسات نحو حماية هذه المرأة فمن العادات مثلان يكبّروا «الله اكبر» اما تلك المرأة او ذلك الرجل.

واذا أكلت هذه المرأة الزائرة من بيت الحامل فهي عادة ما تغسل يدها في اناء به ماء يسمى « الغسول» فيؤخذ هذا الغسول وتمسح به المرأة الحامل.

او ان تُجمع «اثار اقدام المرأة الزائرة» ذات العين الحاره كما يطلق عليها تجمع لها «سبع خطوات» يؤخذ هذا التراب ويمسح به جسم المرأة الحامل.

ومن العادات والممارسات ايضاً ان تؤخذه نواة التمر الذي أكلته المرأة في بيت المرأة الحامل، وتحرق النواة تحت الحامل في المبخر.

وفي محاولات اخرى لحماية المرأة الحامل من العين والحسد، نجدهم يأخذون اثر رجلها من التراب ويغسلونه بالماء ويُعطى الماء للمرأة الحامل لتشربه.

نستطيع الاستشهار كذلك ببعض المعتقدات في فترة الوحم، عندما يبدأ الوحم في الثلاثة الشهور الاولى للمرأة الحامل تبرز في هذه النماذج من المأثورات الشعبية الكثير من الابعاد النفسية والبيئية، فيبرز مثلا البُعد النفسي عندما تتوحم المرأة اذ يبدأ الاحساس بنوع الحمل هل حمل بذكر، ام بانثى فيقال مثلا انه اذا كانت بشرة وجه الام تميل الى البياض فهذا يعني انها حامل بذكر، اما اذا مالت بشرتها الى السواد فهي حامل بانثى. ففي الحمل بالذكر «الوجه منور» اي يشع من وجهها النور. كذلك اذا شعرت المرأة الحامل بالكسل والنعاس فهي حامل ببنت والعكس يحدث عندما تشعر بالنشاط والحيوية فهي حامل بذكر.

ومن الاقوال الشعرية المستخدمة للتعبير عن هذا الشعور النفسي تجاه المرأة الحامل.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(بشروني بالغلام فز قلبي من المقام : بشروني بالبنية ظلمت الدنيا عليّ)

او يقال لها «غربلج الله حامل ببنت».

وكل ذلك ذكر في الدراسة السابقة، وجاء في هذه الدراسة ليعبر عن الابعاد النفسية والاجتماعية للموروث الشعبي.

ويبدو الموروث المرتبط بالبنية اكثر وضوحا في الهدية التي توهب للدايه بعد نجاحها في عملية التوليد، ففي الطبقات المتوسطة والفقيرة يهدون اليها «جفير عيش» او «قفة تمر» او كيس من الارز او سلة من التمر، وهذه بالفعل ما جادت به تلك البيئة الصحراوية الفقيرة. ولكن الحال يختلف عند بعض الاسر الغنية الذين يقدمون المال مقابل جهد الدايه وغالبا ما يكون مبالغ زهيدة.

اما عن المعتقدات والارتباطات النفسية التي تبرز اثناء قطع الحبل السري فهي بالفعل مثيرة للتأمل اذ يرى سكان الامارات قديما ان الحبل السري يمثل سر الحياة او الارتباط، وربما كان هذا الاعتقاد يجد ما يؤيده بيولوجيا. فهذا الحبل كان القناة الموصلة بين الجنين والام وهي فعلا سر حياته، ولكن ماذا يمارس من عادات حول هذه الفكرة «فكرة كينونة الانسان»؟.

ووجدنا كذلك التشابه في نوعية المواد المستخدمة لحفظ وتحنيط السره من التعفن «كالاثمد وهي مادة سوداء تستخدم للكحل» او الياس والزعتر والملح وغالبا ما كان الملح الدواء الشعبي لاغلب الامراض في تلك المرحلة.

ثم وجدنا كذلك اسلوبا قياسيا متفقاً عليه في حالة قطع السرة بعد الولادة مباشرة، وهو ان تلف السرة على اربعة اصابع وتقطع، اي الاتفاق على طول السرة المقطوعة ثم عقد السرة ثلاث عقد (كل عقده تبعد عن الثانية) مما يعني التأكيد على الاحتفاظ بالسره.

دفن السرة (ليظل سر الانسان مدفونا لا يصل اليه احد) او حفظه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالمسجد او في المدرسة عند المطوع او يستخدم لعلاج العيون.

لا يقل الاهتمام بالمشيمة عنه بالسرة فلقد لاحظنا ان سرة الطفلة الانثى تدفن بجانب «التنور» فرن الخبز حتى تصبح ربة بيت وسرة الطفل الذكر تدفن في المسجد ليصبح الطفل راعي مساجد او مطوعاً وتطلق بعض الامثال الشعبية عندما يضيع انسان شيئا فيقال له (عنبوك مضيع سرك) وهنا يتعمق المعتقد بالربط بين المشيمة والقدرة الانجابية لدى المرأة، فالمشيمة تمثل الاستمرارية في عقلية الانسان في الامارات. انه معتقد جبري وعيني في ذات الوقت، وهو كذلك غموض البيئة الصحراوية والبيئة البحرية، بالاضافة الى ما تمثله كثرة الابناء من غزوة للانسان، اي من قيم الاصالة وكبر حجم القبيلة والعامل الاقتصادي الذي لا يمكن التغاضي عنه.

فكيف تحفظ المشيمة ؟

تدفن في مكان آمن بالمنزل بعد ان ترش ببعض الاعشاب والملح واثناء الدفن يجب ان لا تقلب حتى لا تنقلب قدرة المرأة على الانجاب مرة اخرى اي لا يصيبها العقم، او تجفف المشيمةوتستخدم كبودرة لعلاج العيون للاطفال من بعض امراض الرمد. والاكثر من ذلك انها تستخدم كحجاب او حرز لانسان تعرض لمشكلة كبيرة، او لقضية قانونية يلجأ فيها الى المحاكم فالمشيمة تحفظه وترفع شأنه.

أما عن الممارسات فيما بعد الولادة فتبرز في قيم النظافة والوعي بمستلزمات صحة الطفل، وتترسخ فيها قيم الرعاية الوالديه، وعدم الاعتماد على الاخرين ولربما كان ذلك من ايجابيات المرحلة التي اولي فيها الطفل رعاية خاصة وتنشئة تختلف بالضرورة عن عمليات التنشئة او التطبيع الاجتماعي التي تشهدها مجتمعاتنا اليوم، اذ القي بعبء التربية على الامهات البديلات وكان ذلك من ابرز قيم الاعتماد والاتكالية التي تعيشها مجتمعات الخليج اليوم فلقد همشت الامومة بل والابوة كذلك وصار الطفل ابن المربية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الاجنبية والمدرسة والشارع والتليفزيون.

تنظيف المولود او المولودة والتزين والحلاقة:

واستخدمت في كل ذلك مواد من البيئة فشهدنا الملح والياس والنيل والمحلب والكركم والمر والحبة الحمراء والصبر والبضاعة رحل الحلو وحل حليق والتمر الهندي، الظي، وبنت الذهب، والزبدة، والزعتر والطحين. فتستخدم هذه المواد للتظيف والتزيين بجانب قراءة القرآن عليه اثناء عمليات التنظيف لحمايته من الجان ومن العين وتطلب زيارة احد الرجال « حسني السمعه» ومن له خبرة وشجاعة ويعطى «الطفل ليلقنه النصائح المعبرة عن ثقافة ذلك المجتمع وعناصر وقيم التنشئة فيه « ان يكون الطفل صالحا وباراً بوالديه، المحافظة على الصلاة، المعاملة بالحسنى للاخرين، التواضع والبر بالجيران..

ونختار بعض اناشيد الطفولة لما تعكسه من موروث غنائي ذي خصوصية محلية، ولما تعكسه ايضا من معالم البيئة الاجتماعية التي عاشها الانسان في المرحلة السابقة.

يا وليد الصفراني

امك سايره الطوبان

تترس الخروس والوعياني

مايباه ما يباني

وبالغصب ملزوم

لي صد لي جفاني

لني قوي عزوم

لي هادن الصلاني

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فماذا تعكس هذه الاقوال المؤداة اثناء تنويم او تغسيل الطفل. انها تعكس ادوار كل من الرجل والمرأة تعكس كذلك حركة تنقل الاسرة الاماراتية صيفا وشتاء طلبا للرزق. توضح قيم حب الابناء فالثروة في تلك المراحل ثروة الابناء وليس ثروة المال.

أبيات من الشعر تقال ايضا عند تنويم الطفل:

ارقـــد يا وليـــدي رقـــدة هنيـــة

ورقـــــدة الغـــــزلان في البـــــرية

فـــــديتك حـــــبـــــابي الله

الـــــلـــــــه هـــــو

يا مـــعـــبـــود يا مـــوجـــود

يـــا راعـــي الـــكـــرم والجـــــــود

مـــحـــمـــد النشـــمي

يـضـــــرب عـلـى الخـــــشم

يامـــا خـــذ جـــســـمين

ورباعـــــتـــــه جـــــسم

ومـــــحـــــمـــــد الـوافـي

عـــلـى الـلـه طـروقـــــــــه

يـقـــضي الضـــعن صـــافي

ومـــســـيـــر بشـــوقـــه

وتـــظـــلـــل بـــلاســـــــــه

عـــن واهـــي الـــدوقـــــــــه (١٢)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يا يكة الحاير

عصة على التاير

ان كان قدرك عود

عند تاير باير

يصر مفتاحه

وفويده طاير

يقفل على البخار

ويحلف لا تونه

ويهدد الحرمه

ويقول ملعونه

ولا نبي الغواص

لي يحج فنطاسه

نبغي لها منعور

لي يركب فراسه (×)

ثم ننتقل الى مادة اثنوجرافية اخرى تعبر عن بعض المعتقدات الخاصة بالمحافظة على شعر الطفل. فوجدنا ان شعر الولد او البنت يوزن اما مع الفلوس او مع الذهب وتوزع بعد ذلك على الاطفال ثم يدفن الشعر في البحر او في مكان ذي ظل بارد بحيث يعتقد ان ذلك يخفف التعب والارهاق على الطفل.

(×) معاني الكلمات : ١ - يكه : اللؤلؤ الغالي/ الحاير : المحتار/ عصه : صعبة/ التاير: التاجر/ باير : فاسد/ منعور : الشجاع (البدوي)/ البخار : مخزن الغذاء.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولقد سادت هذه العادة الشعبية (وهي وزن شعر الطفل) خاصة بعد ان عرفت على انها سنة عن الرسول [صلى الله عليه وسلم] ويصاحب هذه المناسبة (العقيقة) [١٣] أي الاحتفال بمرور سبعة ايام من ولادته وتحسب هذه الايام السبع بدقة متناهية، اذ لو ولدت المرأة بعد ظهور الشمس فلا يحسب ذلك اليوم كذلك يحتفل بعد الاربعين يوما به ويسمى ذلك الاحتفال «بالطلوع».

ومن الجدير بالذكر هنا الاشارة الى بعض الاكلات الشعبية المستخدمة في هذه المناسبة اذ تعبر كذلك عن بعض موروثاتنا الشعبية المادية، والتي تقدم كذلك صورة عن البيئة الطبيعية ومحتوياتها. اذ يقدم (الهريس والعرسيه، والخبيص والساكو والارز والقرص والحلوى).

ثم ننتقل الى بعض الممارسات الشعبية التي تعبر عن بعض الابعاد النفسية والاجتماعية المرتبطة بالحمل والانجاب للانثى اذ نلاحظ ان الاسرة في الامارات قديما كانت تخفي نوع المولود عن الاهل والجيران ولذلك اسباب عديدة اهمهامثلاً ان المولود الذكر يُخفى خوفا من الحسد وتُخفى المولودة الانثى خوفاً من العار.

اما عن الابعاد البيئية للموروث الشعبي فنجد البيئة الطبيعية بكل ما تمتلكه من امكانيات يعبر عنها في الممارسات الشعبية، والعادات المرتبطة بفترة الحمل والولادة.

فنجد مثلاً ان الاطعمة التي تشتهيها المرأة الحامل في فترة الوحم كلها مما تقدمه لها بيئتها الطبيعية والزراعية، فكثيراً ما تتوحم المرأة «بالحيب» وهو لحاء جذع النخل من الداخل او تتوحم «بالترني» وهو نوع من الليمون المتوفر في البيئة الاماراتية، وكذلك في عُمان.

هناك ايضاً استخدامات الادوية الشعبية فهي كلها مستخدمة من بيئة المجتمع الطبيعية. ففي علاج المرأة او الرجل او الطفل نجد الاعشاب الشعبية هي المستخدمة في هذا العلاج. اذ ذكر من خلال دراستنا الميدانية العديد من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

انواع هذه الاعشاب منها مثلاً : (الورس، وحل الحليق، والتمر الهندي، والظي، وبنت الذهب، والزبدة، والزعتر والطحين).

كذلك نجد اثناء استدعاء الدايه للقيام بعملية التوليد للمرأة المقبلة على الولادة فهي تستخدم (التراب او الرمل) يسمى «الصرار» اذ تضعه تحت المرأة عندما يحمى الطلق اعتقاداً منها بان هذه العملية تساعدها على الولادة بالاضافة الى وضع «الحطبه) تسمى «الرايله» اي قطعة من الخشب او من جذع بعض الاشجار لتشد عليها المرأة بقبضتها لتحمي طلقها. ونظرة فاحصة لهذه الاستخدامات نجدها مما جادت به البيئة الاماراتية.

نجد كذلك اعتقادا بعدم الاعلان عن موعد ولادة المرأة خوفاً من تعرضها لمشكلة اثناء الولادة، فيقال مثلاً لا نخبر الناس حتى لا «يشلون ويعها» أي حتى لا يتناقل الناس هذا الخبر، فيفتر الطلق أي ينقطع الطلق وتتأخر في الولادة او تتعسر. وربما تكون هناك اسباب اخرى لاخفاء موعد الولادة اهمها فشل الدايه مثلاً وخوفها من اعلان هذا الفشل وتعرض مستقبلها المهني للخطر.

حمى النفاس :

ترتبط حمى النفاس كظاهرة مرضية قد تتعرض لها المرأة الوالده بالكثير من اشكال الطقوس والمعتقدات، والتي وجدنا انها يمكن ان تكشف لنا عن الكثير من الابعاد النفسية والاجتماعية فاخترنا بعضا من تلك الممارسات.

تعتقد المرأة ان حمى النفاس ناتجة من الحسد، او دخول الجن الى جسدها فتمسك المرأة النفساء سكيناً بيدها (خاصة اذا قامت بأي عمل بالمنزل)، او يوضع تحت رأسها الداس (أي المنجل). والبعض منهن يمتنعن عن شرب الماء لمدة سبعة أيام، واذا كان الجو حاراً صيفا يوضع بجانبها ماء ليلطف الحراره اعتقاداً بأن الماء يسبب ارتخاءً في الرحم، ومن الممارسات والطقوس ايضاً منع الزوج من الدخول عليها، او منع بعض الاقارب من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الدخول خاصة اذا كان قادما من جنازه، او مشاركاً بالدفن في المقبرة. فذلك قد يسبب لها العجز التام عن تكرار الانجاب (وتسمى هذه الحالة الانحباس).

كذلك تمنع الزيارة لامرأتين في حالة نفاس، واذا حدث ذلك تأخذ المرأة الزائرة شيئاً من منزل الاخرى ليحمي المرأتين من حالة الدراس.

كذلك تمنع الارملة من زيارة المرأة في النفاس وتمنع ايضاً العروس حتى لا تتعرض لحالة الدراس او المشاهرة.

ومن المفردات الشعبية المستخدمة للنفاس نجد (حمى الولادة، حمى الدر، حمى الملح، حمى الاربعين، حمى اللبن، حمى حليب الثدي، حمى الدبا، حمى الثلثية «اذا جاءت بعد ثلاثة ايام» حمى السابعة، حمى ام دلهم «تكسر العظم وتشرب الدم» حمى الذرية، حمى المراضع، حمى تحت الحصاه، وحمى المثاناه.).

أما عن الاسباب المؤدية لحمى النفاس فيعتقد انها قد تكون بسبب كثرة شرب «الحريروه» او وقوع المرأة (التخرطيفه) او اسباب نفسية أي يتهيأ لها أشياء غريبة فتخاف وتسخن، أو لاسباب الحسد لدخول امرأة ذات عين حارة، ورأتها ترضع ابنها فتعجبت منه واصابتها بالحسد، يتوقف الحليب نتيجة لذلك وتصاب الام بالحمى.

أما عن اشكال العلاج المستخدم لحمى النفاس فيعتمد بالدرجة الاولى على الاعشاب، كالفوطن، واليعده، والزعتر، او بقراءة القرآن او باستخدام الماء الساخن. اما عن إصابة المرأة بحمى النفاس بعد زيارة احدى النساء لها فيختلف العلاج هنا اذ تبدأ طقوس جديدة بأخذ آثار الرمل من أقدام المرأة الزائرة وتبخر به المرأة المريضة، او باخذ نواة التمر التي اكلتها الزائرة ووضعها في الماء ومسح ثدي المرأة بهذا الماء حماية لها من العين.

مرة اخرى تظهر معالم البيئة الطبيعية لمجتمع الامارات في الادوية المستخدمة لعلاج العين او الحسد وهي الخطف،والسويدا، والشب، وكلها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يمكن ان تحرق وتبخر به المرأة النفساء. ولقد وجدنا نوعاً آخر من موروثات العلاج للامراض النفسية كالقلق مثلاً الذي يصيب المرأة بعد الولادة يتركز ذلك العلاج على إثارة الانتباه للمرأة القلقة او المكتئبة بواسطة مؤثرات معينة يتوقع منها استجابة ايجابية للتخلص من تلك الحالة (يحضر منخل غضف، أي منخل مصنوع من نبات الغضف الذي يشبه النخيل، ويقوم المعالج بتذويب مادة الرصاص في ماء، ويغلى على النار، ثم يوضع في وعاء كبير به ماء بارد على مسافة معينة من رأس المرأة المريضة، ثم يوضع فوق الوعاء المنخل المعد وبعد ان يبرد الرصاص يوضع في المنخل وخلال هذه العملية ينزل الرصاص من فتحات المنخل اصواتا عالية لملامسته الماء البارد فيثير انتباه المرأة ويعتقد ان ذلك يساعدها قليلاً للخروج من حالة القلق هذه او الاكتئاب او العصاب او الوسواس).

ومن تحليل هذه المادة الانثوجرافية ذات الخصوصية المحلية لمجتمع الامارات وجدنا أنها تعكس درجة من درجات المواجهة للامراض النفسية ارتبطت هذه المواجهة بابسط معطيات البيئة وبابسط معطيات الثقافة والوعي في تلك المرحلة ثم اننا نشاهد درجة من التشابه بين هذه الوسيلة العلاجية الشعبية وبين جلسات الكهرباء المستخدمة حديثا في الطب النفسي لعلاج نفس هذه الامراض.

بالاضافة الى ما قدمناه سابقاًمن بعض العادات والتقاليد حول ولادة الطفل في مجتمع الامارات نقدم هنا صورة اخرى لكيفية تغسيل الطفل وتزيينه في الايام الاولى من حياته اذ برزت لنا من خلال المقابلات الميدانية بعض الممارسات المحلية المرتبطة بالتصورات الخاصة بتنشئة الطفل في الامارات والتي تعكس درجة الرعاية التي اولاها افراد المجتمع للطفولة. من هذه الاساليب (وضع الطفل في إناء كبير (طشت) وتضع الام او الجده ارجلها بداخل الطشت، ويوضع الطفل فوق ارجلها وتقوم امرأة اخرى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بصب الماء على رأس الطفل بطريقة حسابية خاصة. اذا كان الطفل قد أكمل سبعة أيام يسكب على رأسه سبع طاسات «مكيال للماء» أما اذا أكمل ١٤ يوماً تسكب أربع عشرة «طاسة» واذا كان قد اكمل اربعين يوماً تسكب اربعين طاسه بالاضافة الى استخدام اعشاب السدر اثناء هذه العملية. ولم نستطع تفسير لماذا تحسب ايام الطفل بشكل محدود والهدف منه الدقة في رعاية الطفل بحسب ايام عمره حتى لا يتعرض لاية مضاعفات قد تنتج من تقديم اشكال من الرعاية تفوق احتياجاته العمرية)

أما عملية تكحيل عين الطفل بالكحل الاسود ورسم الخطوط على حاجبيه فهي ممارسة شعبية لها ايضاً بعض المعتقدات اذ يفسر تكحيل الطفل في وقت المغرب ليكون هذا الكحل حارساً له من العين ومن الجن ويتخذ الكحل احياناً شكلا متميزاً اذ يرسم بين حاجبي الطفل (+) وتسمى هذه العلامة بكره وقعود وهما تسميتان لنوعين من الجمال صغيرة السن ويظهر هنا في هذه الممارسة نوع من الارتباط بالابل والجمال لما لهذا الحيوان من ارتباط خاص بالانسان في الامارات. اما عن العطور المستخدمة لتهدئة الطفل وتنويمه فهي (المسك، المخمرية، دهن العود، نبات الياس). لقد عكست لنا هذه الموروثات الخاصة بمرحلة الميلاد وبالتركيز على الأم والطفل والولادة الكثير من الابعاد النفسية والاجتماعية والبيئية التي حاولت هذه الدراسة التركيز عليها. فالثقافة الشعبية التي كانت اطاراً لهذه الموروثات في مجتمع الامارات رغم بساطتها وربما بدائيتها الا انها قدمت صورة من التكيف بين الانسان ومجتمعه تغلب فيها الانسان على البيئة في بعض مواقفه معها، وتغلب البيئة على الانسان في بعض المواقف الاخرى عندما عجز الانسان الاماراتي عن تفسير ظواهره الاجتماعية ونستخلص ايضاً من مظاهر السلوك والعادات التي ارتبطت بتلك المرحلة انها قد خلت في الشكل والمضمون من الكثير من الصور الخرافية والاسطورية المتطرفة كما هو الوضع بالنسبة للتراث

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشعبي عند الشعوب الاخرى. فيما عدا بعض التصورات حول الجن والعفاريت والتي ستظهر كثيراً في الجزء القادم في هذه الدراسة وهو الذي سيقدم الطب الشعبي والزار كأحد اشكال العلاج الشعبي.

الطب الشعبي :

«الزار» لعلاج الامراض النفسية والعضوية:

يعرف الزار بانه احد اشكال العلاج الشعبي لبعض الانواع من الامراض النفسية، والعضوية. او تلك الامراض النفسية ذات الاعراض الجسمانية كالصداع النصفي او امراض المعدة والتي يطلق عليها علمياً «الامراض السيكوسوماتية» ولقد قمنا باختيار هذا النمط من العلاج الشعبي لسببين اولهما انتشاره بشكل كبير في المجتمع العربي عموماً، وفي مجتمع الامارات على وجه الخصوص، اما السبب الثاني فهو كون الزار يمثل حالة متفردة من حالات معاناة الانسان من الامراض النفسية، التي لا يجد لها علاجاً يستطيع شفاءه فيلجأ مضطراً الى الزار ليتخلص من امراض القلق والصداع والتوتر، ويخضع المريض في هذا النوع من العلاج لاشكال من التعذيب النفسي والجسدي على السواء. لقد قدمت «فاطمة المصري» (١٤) دراسة شاملة عن الزار اتفقنا معها فيما تراه من ان الانسان العصابي او البدائي ليس سوى انسان لم تتطور حياته النفسية والعقلية بعد. ولم تنضج ولم تصل الى ما هي عليه من نضج لدى الانسان الحديث. وهو كذلك لم يصل الى القدرة على التكيف من الناحيتين الشخصية والاجتماعية.

ولقد انبثقت فكرة العلاج بالزار كما تراه نفس الكاتبه من المذهب الانيمي الذي جعل لكل الكائنات ارواحاً، وآمن بقدرة هذه الارواح على المساعدة لشفاء المرضى. وللدلالة على ذلك قمنا بزيارة الى احد البيوت التي تمارس فيها حفلات الزار، وتمت مقابلة قائد الفرقة الذي يطلق عليه (ابو الزار) ويقوم بتقديم هذا العلاج الشعبي، واعتمدت المقابلة على دليل مصغر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تتبعنا من خلال اسئلته تاريخ هذا العلاج في مجتمع الامارات وكل ما يتعلق به من ممارسات شعبية، عادات، ومعتقدات واستطعنا تسجيل الحفلة المعد لها في تلك الليلة، ونقدم بالاضافة الى ذلك الاغاني المستخدمة في حفلةالزار، والتي تعبر في اغلبها عن ذلك المذهب الانيمي أي مخاطبة الارواح، والتضرع لهم لعلاج المريض.

بدأ الزار في الامارات في مرحلة قديمة جداً. حددها المبحوث بانها قبل النفط، وقبل ظهور المستشفيات. وهنا نجد أحد شروط ومصداقية الوجود الفعلي للموروث الشعبي وهو عدم القدرة على التحديد الزمني لظهوره في المجتمع، وكذلك عدم القدرة على تحديد من هو اول شخص قام بممارسته لاول مرة ولا شك ان للزار جذوراً ثقافية في غير مجتمع الامارات، ربما تكون جذوراً ثقافية افريقية، اذ ترى فاطمة المصري ان اصل كلمة الزار ليست من اصل سام ولكنها دخلت الى اللغة الاثيوبية الامهرية من لغة «الجلاد» وهي قبائل وثنية تخضع للحكم الاثيوبي[ظ].

أما عن ماهية الزار فهو كما أجاب «ابو الزار» جان يزور شخصا ما هو يختاره. وهنا اتفق هذا التعريف مع ما قدمته دراسة فاطمة المصري من ان الزار بما يعنيه من طقوس لفظ امهري معناه عند الاحباش شر ينزل بانسان ما. اما معنى الكلمة العربية فهو سمي بالزار اشتقاقاً من الزيارة ويقال لمن تصيبه هذه الحاله (منزار) وعن أنواع الزار هناك الزار الكافر والزار المسلم. أما عن امراض الزار فهي الضيقه، أي الاكتئاب او ألم الرأس والقلب او حالات عدم القدرة على المعاشرة الزوجية.

تقام حفلة الزار في منزل الشخص المريض نفسه حسب رغبته فاذا كان الزار بمنزل المريض فانه يقتصر على الغناء والتصفيق البسيط ولا يزيد عدد الاشخاص المشاركين بالغناء عن اربعة او ستة اشخاص، ولكن اذا اقيم الزار خارج المنزل اي في الصحراء الخالية فتزداد حركة المشاركين وتزداد دقات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الطبول، كما ترتفع الاصوات عالية ويشحذ ذلك من همة المعالج والمريض وتتيسر عملية استدعاء الجان والتفاوض معهم.

أما عن كيفية وصول الزار الى المريضة اثناء ممارسة تلك الطقوس فنجد ان الغناء العالي والتصفيق يدخلان رأس المريض او المريضة فيقال شعبياً» يدخل لهبوب» أي يدخل الهوى والطرب الى رأس المريض، ويفسر كذلك بدخول الريح او الروح او الجن عندها يفقد المريض السيطرة على نفسه فيشارك مع المحتفلين بهز الرأس «النعيش» بسرعات متفاوتة، تبدأ قليلة فتزداد مع ازدياد الغناء والتصفيق حتى يتعب المريض ويتصبب عرقاً، هنا يتكلم الزار او الجان المخاوي للمريض ويبدأ بتقديم طلباته، وهنا نلاحظ التغير في صوت المريض اثناء تقديمه للطلبات اذ يصبح الصوت مبحوحاً وخاضعاً.وللزار محددات مكانية وزمانية فيفضل الليل لممارسة طقوسه خاصة اذا كانت المريضة امرأة فظلمة الليل تسترها امام المشاركين في الحفلة فهي قد تتعرض للسقوط من شدة الرقص ويقع غطاء رأسها او البرقع أي غطاء الوجه او قد ينكشف جزء من جسمها فتتعرض للحرج والخجل، ويتعارض ذلك مع الموروث الديني لقيم مجتمع الامارات، وتبرز من خلال طقوس الزار بعض التناقضات بين فكرة (الحرام) كموروث اسلامي وبين فكرة (العيب) كموروث ثقافي، فبينما يحرم رقص المرأة امام الرجال، فقد اجيز لها الرقص في الثقافة الشعبية ولكن حرم عليها الكشف عن الوجه والشعر. أما عن محددات الزار الزمنية فيمكن ان يمارس في كل شهور العام عدا شهر رمضان المبارك، وايام الجمع، وايام الاعياد الدينية. ومن خلال هذا البعد الزمني يتأكد لنا مدى انتشار هذه الظاهرة بين افراد المجتمع. فعادة لا يوجد العدد الكافي من المعالجين وفرق الزار مما يؤدي الى زيادة الطلب على العرض في سوق العلاج الشعبي.

وبالنظر الى المدة الزمنية التي تستغرقها الحفلة الواحدة فنجدها تتراوح بين اربع الى ست ساعات وقد تتكرر لنفس المريض ثلاث مرات في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الاسبوع الواحد الى ان يستطيع ابو الزار السيطرة على المريض سيطرة كاملة تؤدي به الى النعيش والبكاء والخضوع لتنفيذ ما يطلب منه من طقوس اخرى سيأتي ذكرها فيما تبقى من هذا التحليل.

أما عن نسبة انتشار هذا العلاج بين الرجال والنساء فجاءت اجابة «ابو الزار» محايدة اذ يرى انه لا احد يحب الزار، ولكن يضطر المريض الى ذلك عندما يفشل علاجه بالمستشفيات واحياناً نقوم بعلاج الاطفال بواسطة الزار، وكذلك الشباب والشيوخ ممن يلجا الينا. ×

وبمتابعة هذا التحليل وجهنا سؤالاً حول الاجر المدفوع للمعالجين بالزار فجاءت الاجابة بان الاجر يرتبط بالمستوى الاقتصادي والطبقي للمرضى المؤمنين بهذا النوع من العلاج، وبالطبع الاغنياء يدفعون اجوراً مضاعفة عن الفقراء خاصة وان اغلب الممارسين كانوا من الاغنياء ثم إننا وجدنا ان المعالج لا يشترط مبلغا معينا بل يعتمد على تقدير المريض واهله، واحيانا لا يدفع شيئاً سوى تجهيز وجبة العشاء للمشاركين في الزار. وهم ما يطلق عليهم «الجوفة» (١٦) والتي تتكون من شخصيات عديدة «الكودية» وهي المرأة التي تقوم بالواسطة بين المريض والاسياد، او قد يكون رجلا ويسمى الكودي. الشخصية الثانية «المنشدة» وهي التي تقوم بالغناء، ثم عدد من العازفين يستخدمون آلات بدائية وهي (الطنبورة، الرق، والطبلة، الصفارة، والبندير) وعن كيفية توزيع الاجور المستحقة على جميع المساهمين في الزار يكون نصيب رئيس الفرقة هو الاكبر، وتوزيع البقية من المال على الجوفة كل حسب مكانته ودوره في حفلة الزار.

× أثبتت الدراسات العلمية حول الزار، وبعض الندوات التي اقيمت في الوطن العربي الى فشل بعض الاطباء في علاج بعض المرضى النفسيين فاضطروا الى ارسالهم الى المعالجين الشعبيين لتطبيق العلاج بالزار عليهم وعلى الوجه الآخر وجدنا من نتائج تلك الدراسات عجز المعالجين الشعبيين عن معالجة بعض مرضاهم فلجاوا حينها الى تحويل مرضاهم الى مستشفيات حديثة. وتثبت لنا هذه النتائج حقيقة استطاع ان يقدمها لنا هذا الموروث (الزار) وهي عجز الانسان في بعض المواقف عن المواجهة لبعض الظواهر المرضية التي تنتشر اليوم في المجتمعات المتخلفة منها والمتقدمة على حد سواء.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لقد كان البخور احد اهم عناصر حفلة الزار وتتحدد انواع البخور بحسب نوع الزار او الجان، فالشيطان يبخر باللبان، والعود للسيد الاكبر، والعنبر للجنية بالاضافة الى استخدام ماء الورد ليشرب منه المريض والمعالجون كذلك.

اما عن اسماء الاسياد فهي كثيرة : (الشيطان، سيف، الجني، الجنية، الريحاني، الدرعي، النمرود، نوبان، واخيراً الحبشي). وربما كانت طريقة التعرف على اسم السيد هي الاساس في هذا العلاج فاثناء الرقص والغناء ونعيش المريض ينادي ابو الزار «من أنت ؟» فيرد المريض بصوت غريب «أنا الشيطان» فيرحب به ابو الزار ويبادره بالسؤال ماذا تريد وما هي اسباب المرض الذي يعاني منه هذا المريض؟ هي منك؟ فيرد مثلا بنعم ويبادره بسؤال آخر ماذا تريد منه ؟ فيقدم الشيطان طلباته، ويستجيب له ابو الزار بقوله (سنلبي لك طلباتك لكن بشرط الشفاء) وهنا يحدد ابو الزار توقيتا معينا لحفلة اخرى يوحي بها لاهل المريض باهمية تكرار هذا العلاج على ان تلبى الطلبات في الحفلة الثانية. ومن هنا تبدأ ممارسة هذا العلاج كعادة من العادات الاجتماعية التي لا يستطيع المريض التخلص منها بسهولة فيحدث ما يشبه حالة الادمان على هذا النوع من العلاج.

طلبات الارواح تتنوع من سيد الى آخر ومثال على ذلك :الشيطان يطلب عصا وكندورة «جلباب»، وكذلك سروال او خاتم فضة، او خاتم مطلي بالذهب او يطلب خزام المقصود به العقال او يطلب «افتخ» وهي كالخواتم تلبس في اصابع القدم، او يطلب «حقب» وهو حزام من فضة يلبس تحت الملابس. اما الجنية فتطلب الشيلة وغالبا ما تكون سواء وهي غطاء لرأس المرأة او تطلب الحناء او كندورة مدهونة باعشات الورس والزعفران ليكون لونها اصفر. اما الطلب الاكثر صعوبة فهو شرب الدم او شم الدم، او القيام بضيافة كبيرة تستمر مع حفلة الزار نفسه، احيانا تذبح الذبائح واحيانا يكتفي بالحلويات والمكسرات والفواكه، وكانت المفاجأة بالنسبة لنظرة ابو الزار لهذا النوع من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العلاج بان يعتبره نوعا من الفنون التي تطرب الانسان فالطرب والتجاوب مع الغناء ودق الطبول والرقص وتلبية الطلبات تعبر عن اساليب شعبية استطاعت ان تخلص الانسان من بعض همومه وقلقه.

نماذج من اغاني الزار :

× وهو ناديت الزار، وهو ناديت سيف، وهو يا مابيت، وهو ناديت مابيت، وهو ياديره، وهو ناديت الزار، وهو من كل داد من الحور والسيوح، وهو من كل دار، وهو يا نمرود، وهو يالدرعي، وهو يالهيمان، وهو يا شيطان.

× وألوه ياه والوه، دويه يا مرورد، هي يا ماما، يوسيف هي يا ماما، واتورد يوسيف، هي يا ماما، واتورد يا سيف، هي يا ماما، ورودية.

× اغنية الجنية:

الجنية كفاك الله، بليتيني بلاك الله، بليتيني بلاك الرب، بليتيني كفاك الرب، جنية عطاك الجنان، عظيم باسم الله يالريضية، ويتنزل يا شيخ الجان بسم الله بالرضية، وتنزل يا شيخ الجان.

× اغنية الشيطان :

شـــــيطان بن توه جـــــاي

مـــــجـــــدم الرياح توه ياي

شـــيطان بن هيـــمـــان توه ياي

مـــــقـــــدم الرياح ظهـــــر جـــــاي

ييناكم زائرين نحن الشـــيـــاطين

مـــســـتـــعـــرضين

ييناكم زائرين نحن الشـــيـــاطين

مـــســـتـــعـــرضين

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ياه الجني يوريحان

يوب بالجنى على الشيطان

شمللوه يا شيمال

وانت الزار يوه ريحان

جني ورد من الهيمان

جني ورد من الهيمان

عند يا قوم ترد العايل

تفرق الخل من خليله

يا طناف المطايع

رفيع الشان سماح الخطايا

شربة خذوه وانا ما بلوني

انا الزار واخوه انا ما وفوني

شيخ الزار توه لافي عالي مورد

صافي على بكرة او لافي

ورد وردي ورد نالله

زل الشامي فرشناله

وما يطلب اديناله

وعود الصنفي عملناله

يو سراح ناشرين يو سراح ناشرين

ريح الضغب سراح

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يـا سـيـف يـابـر صـان

يـا مـقـدم الـزيـران

لا يمكن الحكم على الطقوس والممارسات الشعبية اعتماداً على المنطق والعقل فقط، اذ لا بد من النظر الى الموروث الشعبي المليء، بالاساطير والقصص والخرافات والاعتقادات التي تؤثر في حياة المجتمع، وكان يلجأ الى كل الوسائل الممكنة للوصول الى نتائج أو البحث عن حلول لمشكلات تعترض حياتهم سواء خضعت لمقاييس العقل ام اتجهت الى اللامعقول فالغاية تبرر الوسيلة حسب اعتقاد «ميكيافيلي» لذلك نجد ان حفلة الزار كانت تؤدى بشكل يتناسب مع المستوى الاجتماعي. المشبع بالموروث الشعبي الذي يضم تعاليم الدين وثقافة المجتمع وادب الخيال والاساطير المتوارثة، ويتناسب مع الحالة النفسية في اعتماده طريقة تعتمد على التجريب دون النظر الى مقاييس هذا العمل العقلية المنطقية في علاج حالة مرضية.

بما ان الدراسة تحاول الكشف عن الابعاد النفسية للموروث الشعبي بكل اشكاله فاننا نستشهد في هذا الجزء الخير ببعض عناصر من الادب الشعبي ونشير الى اهمية هذا النوع من الشعر الحماسي ليخدم اغراض المناسبات الوطنية وخاصة في فترات ازمات الحروب او غيرها من الازمات.

فنقدم هذه الانماط التراثية الموظفة للمناسبات الكبرى في المجتمع كالدخول في حرب - او مواجهة اشكال من التغيير - ويحتاج الافراد فيها الى تهيئة نفسية وثقة عالية لمواجهتها، فنجد البعد النفسي واضحاً بشكل جلي في الاغاني المستخدمة لذلك، او الملاحم او الرقصات الشعبية، او ذكر سير البطولات للاجداد، وتمارس هذه الانماط في شكل جماعي يساعد على نشرها وتحقيق الفائدة منها. فلو اخذنا بعضاً من الشعر الشعبي الذي ساعد في بث روح البطولة بين افراد المجتمع في فترة ازمة الخليج، فسنجد ان هناك قصائد رائعة كان لها صدى كبير لدى افراد المجتمع، وكان من القصائد ما الهب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المشاعر وشحذ الهمم وشجع الشباب على الانخراط في سلك القوات المسلحة كمتطوعين لدفاع عن الوطن والذود عن حياضه، ومن هذه القصائد قصيدة للشاعر حمد بن سهيل يقول فيها:

« يا شـــبـــاب الوطن لـبـــوا نداكم

واحـــمـــوا الدار ضـــد الطامـــعين»

وكان لهذه القصيدة التي غُنيت على شكل رقصة (الحربية) وهي من (فنون العياله) وقع خاص على الناس لم يألفوه من قبل وذلك يؤكد ما وصلنا اليه من نتيجة ترى ان الادب الشعبي وخاصة الشعر منه يصل الى العامة من الناس والخاصة منهم. وقصيدة اخرى ايضا تؤكد على ذكرنا عن اهمية الشعر ومدى تأثيره في النفوس، وهي قصيدة وطنية ايضا قيلت إبان (ازمة الخليج) وتغنى بها الطفل قبل الكهل وهي للشاعر سعيد القمزي ويقول مطلعها:

رف يا علم في عـــالي الســـاريه رف

كـلـنـا فـــــداك وكـلـنـا نموت دونـك

رف في حـمى شيخ عـلا المجـد واشـرف

رواك عـــزولا تـهـــاون بـصـــونـك

رف بشـمـــوخ حـــوله الشـمس تلتف

وعـــانق خـــيـــوط الشـــمس وافـــخـــر بلونك

ولا يستخدم الشعر في المواقف البطولية فقط، بل ان اغراضه تتعدد بشكل واضح كما هو الشعر الفصيح، اذ نجد له وجودا في العديد من اوجه الحياة الاجتماعية، فهو عنصر من عناصر التراث الاكثر انتشاراً وتداولا بين افراد المجتمع، سواء أكان في الماضي ام في الحاضر حيث استطاع هذا الشعر بالفعل ان يفجر ابداعات ادبية رائدة في المنطقة، وهو بهذا يضيف ويسهم في خلق اتجاهات فكرية جديدة، وتصورات جديدة حول المرأة والرجل والعلاقة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بينهما، وإثارة بعض القضايا الاجتماعية من خلاله ومن اغراض الشعر النبطي وموضوعاته المعروفة :(الغزل، الشعر الاجتماعي، البداوه، فنجان القهوة، الناقة، الخيل، الصقور، الغوص، والبحر، النصائح، الحكمة، الامثال، التوجه الى الله، الوطن، القضايا السياسية والقومية، المدح، الرثاء، الفخر، الهجاء، الذم، شكوى الزمان، الوصف، الحياة اليومية، المشاركة في الاحداث والمناسبات والفكاهة).[١٧]

نماذج من اغراض الشعر:

اولاً : شعر الحكمة

ونستعرض هنا بعضا من اشعار رائد الحكمة الشاعر الكبير الماجدي بن ظاهر الذي يقول في إحدى قصائده

ما دامت الا لمن يداوم بالتقي

دار المقر ومنتهاك الا لها

شاجين فيها والشقا ضد التقى

ولا ذاك الا الصالحات ابقى لها [١٨]

ثانيا : الشعر الاجتماعي :

هو نموذج تغنى به الشعراء وطرحوا من خلاله قضايا الوطن والمواطن ونظموا قصائد تفاعل معها الناس، وادركوا من خلالها ابعاد القضايا الاجتماعية التي يعيشونها، فوجدوا الصوت الصادح الذي غرد بها على الملأ، من ذلك قول الشاعر سالم بن جمهور القبيسي في حديثه عن قضية العمالة والوافدة اذ يقول:

واجب الاقلام تتكلم

عن مشاكلنا الاساسية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لي مـــــتى نشكي ونتـــــألم

بين خـــوف وحـــرب نفـــسـيـــة

نـاس فـي الـراحـــــات تـتـنـعـم

وناس في النســـيـــان منســـيـــة

واجـب بـديـارنـا نـهـــــــتـم

نـنـظـر بـنـظـرة دراســـــيـــــة

ننظر المســـتـــقـــبل ونرسم

منطلق عـــدل وســـواســـيـــة

دارنـا هـي قـــبـلـة الـعـــالـم

نـفـطـهـــا انـفـــاسـنـا الحـــيـــة

احـــتـــشـــر فـــيـــهـــا نسل آدم

غـــصت بمليـــون جنســـيـــة (١٩)

ثالثا : شعر النصائح

ومن الشعر الجميل الذي تتناقله الالسن شعر النصح والارشاد ومنه ما قاله الماجدي بن ظاهر (في نصيحته الدينية).

عـلـيـك بـتـــــبـع ست الـلازمـــــات

صـــلاتك والشـــهـــادة والصـــيـــامي

وحـج الـبـــــيـت والـزام الـزكـــــاة

ونطق الصـــدق مـــا فـــيـــه او تـهـــامي (٢٠)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رابعا : شعر الغوص والبحر:

وعن أثر البحر والصحراء في تأصيل الثقافة الشعبية ناخذ مثالا من هذه الثقافة التي كان البحر الرافد لها، والمساعد الاول على ظهورها من خلال الشعر، اذ يقول الشاعر محمد علي المزروعي وهو غواص معروف في الامارات محاوراً البحر :

طاش البحر وطم الحدود
ونسي العهود الاولية
سرت انشده قال ارمس بهود
لان الهوا زايد عليه
واشتاق لي من هبة النود
وزادت وسوى الموج عينة (٢١)

تقول الشاعرة شيخة بنت حمد (٢٢) عن (القفال) والعودة الى الاهل وانتظار النساء بكل لهفة وشوق وأمل ليوم العودة الذي يلقينه بكل خوف ورجاء :

مدوا لغوص ويوا بدانات
وتباشروا جمل المعاريف
وان قفلوا رنه ويولات
ووقوف خلق الله على السيف
وامسوا على انسه وخفات
بين الغواني والمواليف
والنوخذه يعطي بلميات
ويقول دوكم يالمساعيف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نقدم كذلك نماذج من شعر (الشاعر سعيد الحميري) جاءت في شتى الاغراض الاجتماعية، فهو يخلد الماضي في هذه القصائد ويحفظ التراث كاغنية للحاضر، ويتذكر الاوائل من اجيال هذا الوطن واصفاً معانيهم واساليبهم البسيطة في الحياة مثنيا على كرمهم وتفانيهم في خدمة هذا الوطن حيث يذكر اعمالهم الشاقة والبسيطة مردودها البسيط من المال بانها اشرف وانبل الاعمال ويشيد بجلساتهم السمرية حول الحظيرة «وهو مجلس خارج المنزل» يجلس فيه الرجال على شكل حلقة دائرية تدور فيها السوالف والحكايات والنوادر الفكاهيةوالقصائد الشعرية، ويعكس صورة مجتمع يلفه التآزر والتراحم بعاطفه الاخوة ويجمعهم احترام الصغير للكبير وعطف الكبير على الصغير (٢٣).

شـــــــــوابـنـا لـول يـكـدون

لـلـبـــيـت ويـربـون الـعـــيـــال

من الحطب ضـــوه يـحـــرقـــون

ملقـــاف ولا ســـمـــر لـيـــبـــال

ولـي اطرشـــو بـدرب يمشـــون

كلـه طريقـــهـم وعـــر ورمـــال

اهناك في الســاحل يبـيـعـون

مـــــــردودهـم هـين مـن المـال

والميـــر من الســـوق يشـــرون

وعـلـيـــه حـطـو الـبن والـهـــال

وزاقـــرو من عـــقـب مـــا يـوون

وتـقـــهـــويو ذربـين لـفـــعـــال

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ان زرتهم بتـــــخـــــوز لحـــــزون

شـــــوفـــــهم ايزيح الهم مـــــا لبـــــال

في البـــــاديـة دايم يشـــــتـــــون

دار علـيـــــــــهـــــــا لـون واشـكـال

وبـيـــــوت سنـح فـــــيـــــه يبنـون

وتـيـــــاورن زيـنـات لجـــــبـــــال

والـنـاس مـــــــرتـاحـــــــه يغـنـون

فـي الـلـيـل يـوم الـعـــــــــالـم اذهـال

البـــــدوي حلـوه حـــــيـــــاتـه

ليـــــعـــــاد عند عـــــزبة اركـــــاب

هـيـــــه سلـوة الخـــــاطر بهـــــاتـه

ومـــــــديح بـالـه مـــــــالـنشـــــاب

ايـبـــــــيـع ويـبـلـغ زكـــــــاتـه

ويـكـرم الـضـــــيـــــفـــــان مـطاب

ايـجـلـب ويـقـــــمس مـــــقـــــاتـه

والـنسـا لـول فـــــيـــــهـم اصـــــلاب

لـكـن ذاك الـوقـت فـــــــــاتـه

والـيـــوم خـــــسـره مـــاله احـــسـاب

عـلـيـــــه شـــــاجي في غـــــلاتـه

مـــــا يحـــــسب لـوبـيـــــده اتعـــــاب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قدمت الدراسة اذاً مجموعة من ماثوراتنا الادبية المتمثلة في الشعر الشعبي استطعنا من خلالها ان نجمع تلك الاغراض الشعرية التي عبرت عن ذلك المجتمع البسيط بثقافته وقيمه ونظامه الاجتماعي.

الفنون الشعبية :

اما عن الفنون وخاصة فن الرقص فنذكر من انواعها (العياله) التي تعتبر من اشهر الرقصات واقدمها، ويكاد لا يخلو اي عرس في مجتمع الامارات من مشاركة فرقة العياله التي يتغنى فيها اعضاؤها بحب الوطن، الفروسية، والشجاعة، والغزل، والوصف، وتقوم الرقصة على مجموعة من الرجال ربما يتعدى عددهم الكلي ثلاثين رجلا يقفون في صفين متقابلين، ويكون لهم (عجيد) اي قائد يلقي الشعر فيردده الرجال اعضاء الفرقة، ويقوم الاخرون واغلبهم من الضيوف بتادية رقصة العيالة وهم يحملون السيوف والبنادق تعبيرا عن الفرحة وتاصيلا لعادة حمل السلاح اثناء حضور مراسم الاعراس.

ومن اغاني العياله المعروفة نذكر قصيدة يتغنى بها الرجال بالشجاعة فيقولون (٢٤)

سبحان يا ربنا ربي عليك اتكالي

تنصرنا وتعزنا وتعزنا القبايل

ما مركبنا حتى العدو هابنا

فترد المجموعة :

يا نديبي شدني فوق حرات الزبون

من اصل صبيان شقراء حايرة

نعم بو سلطان شيخ على حكمه اشتهر

يعتز باولاد عمه العالمين

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخصيم اللي شرد

ما لقي عنهم سفر

يلحقونه بالبنادق والسيوف الماضية

ولا يمكن استثناء الامثال الشعبية من هذه الدراسة لما لها من ابعاد نفسية قد تخدم الاهداف العامة في موضوعنا هذا، حيث يلعب المثل الشعبي دوراً كبيراً في التأثيرات النفسية على الافراد وتغيير الاتجاهات الفردية نحو اعمال الخير والصدق والنزاهة والى اخره مما تكشف عنه هذه النماذج من الامثال الشعبية المحلية من قيم اجتماعية.

١ - انت امير وانا امير - من يقود الحمير

المعنى : يضرب للانسان الذي يرى نفسه مسؤولاً عن كل شيء ولا ينجز الاشياء المطلوبة منه، لانه مسؤول واذا كان الامر كذلك فمن سيؤدي العمل اذن.

٢ - الصافع ينسى والمصفوع ما ينسى.

المعنى : يضرب هذا المثل حين يسيء المرء لانسان آخر قد تربطه به علاقة طيبة فالمسيء ينسى اساءته لكن المساء اليه لا يمكن ان ينسى.

٣ - الدراهم مراهم.

يعني المثل : ان الدراهم عند المرء هي خير معين له وقت الشدة والحاجة.

٤ - التاوه تعيب على الجدر.

معنى المثل : ان الانسان اذا نظر الى عيوبه وادركها فليس بامكانه ان يعيب على الاخرين فهو اولى بان يعالج عيوبه الشخصية اولاً.

٥ - التمر بالخص والعيش بالقص.

المعنى : ان الحياة تتطلب الحكمة والتأني وكل امر مقدور عليه بعد ذلك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وان لكل موقف يطرأ على الانسان طريقة معينة للتعامل معه بكل سلاسة وفن واتقان.

٦ - البيت بيتك والمسجد ادفى لك.

المعنى : هي عبارة ينطقها الانسان البخيل الذي يخاف الضيوف ويتأفف من دعوتهم الى منزله حينها يكون المسجد ادفأ لهم.

٧ - إش عرّف الحمار باكل الكنار.

المعنى : يضرب للانسان الذي لا يعرف كيف يتعامل في المواقف الجميلة، كالحمار الذي يأكل الاعشاب ولكنه لا يحبذ (النبق) رغم جمال طعمه.

٨ - إشلك بالبحر واهواله : ورزق الله على السيف.

معنى المثل : يضرب للشخص الذي يبحث عن المتاعب للوصول الى هدف ما ويغفل الطرق السهلة المتاحة له.

٩ - اذن من طين واذن من عجين.

يضرب المثل :لمن يسد اذنه عن الحديث بالطين والعجين فيصبح مثل الاطرش لا يعي ما يدور حوله من احداث.

١٠ - اللي ما عنده حيله يلعب التيله.

يضرب المثل : للانسان العاطل عن العمل، فالافضل له ان يبحث عن عمل يسليه ويدر عليه ربحا مهما كان حجم هذا العمل.

١١ - اللي تقصه الخوصه ما يبي سكين.

هو مثل للدعوة الى تسهيل الامور وعدم تعقيدها

١٢ - الصيده عيزانه والكلب عيزان.

يضرب المثل للشخص الذي تتاح له الفرص فلا يستغلها بالشكل الصحيح فلا هو يصل اليها ولا هي تصل اليه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٣ - الصديج قبل الطريج او الصديق قبل الطريق.

يضرب المثل لاهمية ان يكون للانسان صديق مخلص يرافقه ويخاف عليه فكما هو يسير الدرب فان اختيار الصديق اهم قبل البدء في امر ما لان الصديق يظهر عند الشدائد والملمات.

١٤ - الحب يطلع على بذره.

معنى المثل : ان المولود يظهر على ابيه فاذا كان حسن الخلق يشرب منه الاخلاق الحسنة، واذا كان سيء الاخلاق كان الطفل مثل ابيه.

١٥ - الطويله ما تنرقه والقصيرة فيها شوك.

يقال هذا المثل لمن يحتار بين امرين فلا هو يستطيع الوصول اليه لبعده، ولا هو يستطيع تناوله في يده بسبب عوائق تحول دون ذلك كالشجرة الطويلة لا يطالها والشجرة القصيرة مليئة بالاشواك.

١٦ - الحقران يقطع المصران.

يضرب المثل لمن اراد ان يتجاهل انساناً يحبه ويتعاطف معه - فانه يعيش معه، ولكنه لا يحادثه او يتعامل معه بشكل واضح.

١٧ - اللي ما يعرف الصقر يشويه.

يضرب هذا المثل لمن لا يعرف قيمة الشيء حتى يخسره.

١٨ - لو تزيد فوق الدين دين - ما تطلع من حق الوالدين.

يضرب المثل في حب الوالدين وضرورة طاعتهما والاحسان اليهما.

١٩ - يا اعور يا مهندس يوم ما تشوف تلِسّس.

يضرب المثل للانسان الذي يرى الشيء وهو امامه فلا يراه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢٠ - البعُد بُعد القلوب مو بعد الدروب

يضرب المثل لمن اراد ان يبحث عن اعذار لموقف ما فلا تقبل لان البعد ليس بعد المناطق والمساحات وانما هو جفاف القلوب وابتعادها عن بعضها.

الهوامش والمراجع:-

١- نبيلة ابراهيم «القصص الشعبي جمعه وتصنيفه» ندوة التخطيط لجمع وتصنيف ودراسة الادب الشعبي، سلسلة ندوات التخطيط لدراسة التراث الشعبي لمنطقة الخليج والجزيرة العربية - مركز التراث الشعبي - بقطر ١٩٨٤ ص (٢٠٠).

٢ - صفوت كمال «مناهج بحث الفولكلور الشعبي بين الاصالة والمعاصرة، عالم الفكر - المجلد السادس - العدد الرابع (يناير - فبراير - مارس ١٩٨٦) ص (١٧٣).

٣ - عبداللطيف البرغوثي «الفولكلور والتراث، عالم الفكر - المجلد السابع عشر - العدد الاول (ابريل - مايو - يونيه - ١٩٨٦) ص (٩٣).

٤ - هاني العمد «في التراث الشعبي واشكالية تصنيفه» ندوة التخطيط لجمع وتصنيف ودراسة الادب الشعبي، المرجع السابق (٣٣١، ٢٣٣).

٥ - عبداللطيف البرغوثي - عن د. شريف كناعنه - المرجع السابق ص (٩٤).

٦ - محمد اركون - مركز دراسات الوحدة العربية - ندوة التراث وتحديات العصر في الوطن العربي (الاصالة والمعاصرة) الطبعة الاولى بيروت ١٩٨٥ ص (١٤).

٧ - علي عبدالله الخليفة - عناصر الاصالة في الثقافة القومية - مجلة التراث الشعبي - وزارة الثقافة والاعلام - دائرة الشؤون الثقافية والنشر - العدد ٥، ٦ السنة ١٥ - بغداد ١٩٨٤ ص (١٠٦).

٨ - فرحان صالح - جدلية العلاقة بين الفكر العربي والتراث، رؤية نقدية، دار الحداثة، الطبعة الاولى ١٩٨٣ ص (٨ - ١٠).

٩ - حسين فهيم - التراث الشعبي في ادب الرحلات - نظرة منهجية مجلة المأثورات الشعبية العدد ٥ يناير ١٩٨٧ ص (٨٢).

١٠ - موزه غباش واخرون - «جمع وتصنيف العادات والتقاليد لمرحلة الميلاد لمجتمع الامارات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العربية المتحدة، اثنوجرافيا العادات والتقاليد لدورة الحياة، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية - الدوحة - قطر ١٩٩٢.

١١ - موزه غباش «تاصيل تراثي لمرجعية حقوق المرأة وواجباتها في المجتمعات الخليجية، حالة مجتمع الامارات ندوة الثقافة وحقوق المرأة، مركز ابن خلدون للدراسات الانمائية، مارس ١٩٩١.

١٢ - اقوال من المرحومة عوشه بنت حسين بن ناصر لوتاه - صيف ١٩٩٢ مستشفى هيوستن - الولايات المتحدة الامريكية.

١٣ - يقال كذلك بالنسبة للعقيقة ان الاب الذي لا يملك قيمة الذبائح في اليوم السابع، ولا يستطيع الاحتفال بها فان اول ضحية يقدمها الطفل في حياته تحسب كعقيقة له.

١٤ - فاطمة المصري - الزار دراسة نفسية وانثربولوجية - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٥ ص (٦٠٥).

١٥ - فاطمة المصري - المرجع السابق ص (١١).

١٦ - فاطمة المصري - المرجع السابق ص ٦٣ - ٦٥).

١٧ - الشعر النبطي في منطقة الخليج والجزيرة العربية - القسم الثاني - الطبعة الاولى ١٩٩٠ صفحة (٩٩٩).

١٨ - الماجدي بن ظاهر - حياته وشعره جمع وتحقيق حمد بو شهاب وابراهيم بو ملحة - مطبعة دبي - الطبعة الاولى ١٩٨٤ ص (٢٠).

١٩ - الشاعر سالم بن جمهور القبيسي - ديوان روائح النود - مطابع الظفرة - ابو ظبي - الطبعة الاولى ١٩٨٣ ص (٧٩).

٢٠ - الماجدي بن ظاهر - حياته وشعره (حمد بو شهاب وابراهيم بو ملحة) الطبعة الاولى - دبي ١٩٨٤ ص (٢٧٧).

٢١ - الشاعر خميس محمد المزروعي (جمع وشرح فالح حنظل) سلسلة دواوين الشعر الشعبي رقم ٣ وزارة الاعلام والثقافة - الادارة الثقافية - ابو ظبي - المطبعة العصرية - ص (١٢٠).

٢٢ - غسان الحسن (المرجع السابق) ص (٧٥٦).

٢٣ - الشاعر عتيق الحميري - لوحة مشرقة في الاغراض الاجتماعية، جريدة الاتحاد ٢٨ نوفمبر ١٩٩٢ ص (٢٦).

٢٤ - حسن قايد - بادية الامارات، تقاليد وعادات، الطبعة الاولى عام ١٩٩٠ ص (١٥٠).

٢٥ - حبيب الصايغ - عمود في الحقيقة «دراما» جريدة الخليج، الاثنين - جمادي الاول ١٤١٣هـ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثالث
الحمل
Pregnancy

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تقديم:

الحمل هو المحور الأساسي لقياس مرحلة الميلاد للأنسان في أي مجتمع من المجتمعات، فالحمل هو بدء الحياة، ونحن لا نهتم فقط بالعادات والتقاليد والمظاهر الثقافية المشخصة أو العيانية التي تؤلف أصلا مادة الفولكلور والأثنولوجيا، ولكننا نسعى كذلك الى ربط هذه المادة العلمية بسياقها الاجتماعي، والمؤثرات التي تركت بصماتها على هذه الممارسات والعادات، ومن ثم التوصل الى عاملي التغير والثبات من مجموع عناصر هذه العادات ، وذلك يقينا منا بأن هذه العناصر والأبعاد الثقافية تشكل الانسان ككائن ثقافي في مجتمع الإمارات، فدراسة بعدي التغير والثبات انما تحدد لنا الى أي مدى استطاع الرواة التعبير عن القيمة الجديدة التي تتلائم مع واقع الحياة، وهل استطاع الانسان في الامارات أن يغزل قيمه الجديدة في النسيج التقليدي السائد والذي يحظي بقبول الناس، ولقد عالجنا موضوع الحمل من خلال الموضوعات التالية:

- بدء الحمل
- ردود فعل الأهل لحمل المرأة.
- الاتجاهات نحو انجاب الذكور والاناث
- التحريمات المرتبطة بالحمل.
- غذاء الحامل.
- الوضع الصحي للمرأة أثناء الحمل.
- مجموع الممارسات المرتبطة بكل مراحل الحمل.

وهي الموضوعات التي تكشف لنا عن الواقع الاجتماعي الثقافي الذي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كانت تعيشه المرأة الحامل منذ أول حمل لها وحتى آخر حمل، والاتجاهات السائدة نحوها[1].

إن مجموعة الأسئلة التي عالجت هذا المحور من خلال الموضوعات المذكورة كانت على النحو التالي : -

١ - كيف يتم حساب فترة الحمل؟

٢ - ومن الذي يقوم بحسابها؟

٣ - كم كان سنك عندما حملت اول مرة؟

٤ - ما هي أصغر سن يمكن ان تحمل فيها المرأة؟

٥ - ما هي علامات الحمل؟ (جسمية ، نفسية ، اخرى تذكر).

٦ - ما هي ردود الفعل تجاه حملك :

أ- مشاعرك الخاصة.

ب - زوجك

ج - زوجات زوجك (خاصة العواقر).

د - حماتك وأقارب زوجك.

هـ - أمك وأقاربك.

٧ - هل ترغب في إنجاب الذكور أكثر من الاناث؟

٨ - لماذا يرغب الرجال في انجاب الذكور أكثر من الإناث.

٩ - لماذا ترغب المرأة بشدة في انجاب الأطفال؟

١٠- لماذا يرغب الرجل في انجاب الأطفال؟

١١- هل يخاف الزوج على زوجته وهي حامل من الحسد؟

١٢- هل هناك اشياء نتفاءل بها أو نتشائم منها أثناء الحمل؟

١٣- المرأة الولود بماذا تسمى وتشبه؟

١٤- ما هو رد فعل المجتمع المحيط نحو المرأة الولود؟

أ - الزوج .

ب - أقارب الزوج.

ج - أقارب الزوجة (أذكر ما يقال لها أو عنها من كلمات وتعبيرات وأغاني .. الخ).

١٥- هل يمكن معرفة نوع الجنين قبل ولادته؟ وكيف؟

١٦- ما هي أسباب الامتناع عن الاعلان عن الحمل؟

١٧- متى يتم الإعلان عن الحمل؟

١٨- هل هناك تحريمات تتعلق بالأماكن التي تزورها المرأة الحامل؟

١٩- هل هناك تحريمات تتعلق باتصال اناس معينين بالمرأة الحامل (المرأة ذات العين الحارة). =

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ان الحديث عن السن المناسبة للحمل يرتبط ارتباطا مباشرا بالسن المناسبة للزواج، خاصة وان الدراسة تكشف لنا حقيقة لم تتغير كثيراً رغم مرور مراحل زمنية طويلة في هذا المجتمع، فالزواج المبكر، وربما الزواج الطفولي كان سائداً ومنتشراً الى درجة تزويج الفتاة وهي لم تبلغ بعد.. فلقد تراوحت سنين الزواج من ٩ سنوات الى ١٧ سنة وهنالك الكثير من الممارسات الشعبية المتصلة بالاهتمام بالحمل وربما كان أغلبها ممارسة واستخدام الطب الشعبي لعلاج التأخر في الحمل، واستخدام الأساليب المنتشرة في أغلب دول المنطقة كوسيلة (الخبانة، والمسح ، واستخدام النباتات كالقرط والحرمل)،

إن معاملة الأقارب للمرأة الحامل ومحاولتهم للحفاظ على حملها، ومعالجتها وتلبية رغباتها أثناء الوحم كلها دلالات تشير الى عمق قيم

= ٢٠- هل هناك تحريمات تتعلق بأي كلام أو أخبار تقال أمام المرأة الحامل؟

٢١- ما هي القيود والتحريمات التي تفرض على المرأة الحامل؟

أ- بالنسبة للغذاء.

ب - بالنسبة للحركة.

ج - لاداء الأعمال.

د - للعلاقات مع الآخرين.

٢٢- من أول شخص يعلن له حمل المرأة؟ ولماذا؟

٢٣- هل هناك خوف من الاعلان عن الحمل؟

٢٤- ما هو الغذاء المثالي للمرأة الحامل؟

٢٥ - هل هناك قيود تفرض على العلاقات الزوجية أثناء الحمل؟

٢٦- ما هي الاحتياطات التي تساعد عل اتمام الحمل بسرعة؟

٢٧- هل يعاني الزوج أثناء حمل زوجته؟

٢٨- ما هي المشكلات الصحية التي تواجه المرأة الحامل؟

٢٩- ما هي الأسباب التي تجعل حمل المرأة في أمان؟

٣٠- ما هي الممارسات التي تحافظ المرأة بها على حملها؟

٣١- بعد كم من الوقت لا تكون هناك خطورة تتعلق بالاجهاض؟

٣٢- إجمع اي أغاني أو اقوال أو حكايات تهنئة تقال للمرأة بمجرد أن تحمل أو في فترة الحمل؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الانجاب وأهمتيها لدى أفراد مجتمع الإمارات فالانجاب يحمل قيماً إسلامية وقيماً إجتماعية تمتد في العمق العقلي للانسان في مجتمعنا العربي، وتعني له القوة والكثرة والعزة، والأستمرار، و قوة الاسرة والعائلة والقبيلة .

ومازال هذا الأتجاه سائداً في مجتمعنا العربي بجانب بعض الأختلافات لدى أفراد الطبقة المتعلمة، التي بدأت تتجه نحو التقليل من الأطفال، لأسباب ثقافية واقتصادية، وربما صحية في بعض الأحيان.

إن الفرحة بالانجاب، وسرور الأهل والأقارب بحمل المرأة وولادتها يتزامن معه الخوف والقلق على المرأة، وعلى وليدها، يمتد هذا الخوف ليصل الى درجة إخفاء الحمل حتى يكتمل نضوج الجنين بعد الشهر الخامس في رحم الأم وتتعدد أشكال الخوف المحيطة بالحمل، خاصة إذا كان الحمل الأول للمرأة، فالخوف هنا من أن يكون حملاً كاذباً يعرض الأسرة للإحراج والخجل، ويشعر الرجل بالعار وربما دفعه ذلك الى الزواج بأخرى، والخوف على المرأة الولود من الحسد، لتكرار ولادتها فلازالت العين الحارة تلعب دورا في تحديد أثر العلاقات الانسانية بين أفراد المجتمع.

وعندما نود قياس مدى لَعِبت هذه العناصر الثقافية دورا في الحياة الاجتماعية فإننا نجدها في هذه التفاصيل المتعلقة بحياة الأم الحامل، مثال ذلك ردود الفعل للأهل والأقارب تجاه المرأة أثناء الزواج، وعند الحمل الأول، وتكرار الحمل والامتناع عن اعلانه، وكذلك التوقيت الذي يتم فيه الاعلان، والتحريمات التي تتعلق بحمل المرأة والذي سنتعرض لها في هذه الدراسة، كل هذه العادات والعناصر التراثية تكوّن ما نستطيع تسميته بآليات التفاعل الاجتماعي بين الأسر، وفي مجموعها تكون آليات التماسك للنظام الاجتماعي عموماً في المجتمع، وربما امتدت هذه العناصر حتى بعد مرحلة التغيير الذي تعرض لها المجتمع لتلعب نفس الدور وإن كان بممارسات مختلفة.

ويعتبر الاعلان عن الحمل أحد العناصر الرئيسية في دراستنا هذه لأنه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يتضمن اعتبارات وموروثات عميقة جداً في ثقافة أهل الإمارات، فيتم احيانا إخفاء الحمل أو التأخر في إعلانه نظراً لبعض الاعتبارات المتعلقة بالحسد، وبالخوف من الحمل الكاذب، ويتم التأخير احيانا حتى الشهر الخامس. أو عندما يكتشف الناس حمل المرأة بأنفسهم فتضطر هي الى الاعلان عنه، وفي العادة يكون توقيت الإعلان عن الحمل، ما بعد شهرين من تاريخ الحمل وقد يؤجل إلى ما بعد أربعة شهور.

وترتبط أهمية تأخير الإعلان عن الحمل ببعض المفاهيم والقيم الاجتماعية المتصلة بالمرأة والأسرة وأهمها مفاهيم المستر والمعيب والقول بأن المرأة «بيت عيب» أي أن كل ما يحكى عن المرأة يدخل ضمن اعتبارات العيب، وأن للمرأة خصوصيات لا ينبغي الكشف عنها إذ أحيانا لا يكشف عن الحمل حتى الولادة. وذلك للمرأة التي لا تتعرض لمتاعب الوحام، وبالتالي لا يلاحظ عليها ذلك الحمل.

يبلّغ خبر الحمل أولا الى الصديق الغالي الخاص الذي تضمن فرحته معك، فاذن الصديق قبل الأم أو الزوج والسبب الثاني لأخبار الصديق أولاً انك تضمن كتمان السر، حيث أن المطلوب كتمان خبر الحمل في بدايته، وهذا اتجاه عام متعلق بالحمل، وبمرحلة بداية تكون الجنين وَسَتُثْبِت الاجابات لجميع الاخباريات والاخباريين أن هذا الاتجاه لكتمان خبر الحمل خاصة في بدايته هو اتجاه عام بين افراد الأسر الاماراتية في ذلك الوقت.

بعد الصديق ينقل الخبر الى الأم، وأم الزوج، اذا كانت الزوجة تعيش في بيت أهل الزوج والبعض يؤكد أن الخبر ينقل الى الزوج، أولا، رغم أن الزوج يبدأ بنفسه ملاحظة انقطاع العادة الشهرية لدى الزوجة، وقد يخفى الحمل تماما عن الزوج، وتضطر لأعلامه فيما بعد إذا ظهر عليها الوحم خاصةحسب اعتقاد البعض.

إن إخبار الزوج من أول الحمل مردهُ أن الزوج كان دائم الاسفار وخاصة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أسفار الغوص وبالتالي لابد أن يعرف أن زوجته حاملاً قبل سفره، وقد يكون السبب وراء اعلام الزوج الخوف من موته اثناء رحلات الغوص.

ومن المفاجآت التي تعرضنا لها في الاجابات على هذا السؤال أن المرأة تبلغ زوجها ببداية الحمل حتى تتقي الضرب الذي قد يؤدي الى الاجهاض، مما يعكس طبيعة العلاقة بين الزوجين لدى بعض الأسر التي كان يستخدم الزوج فيها الضرب عند الاختلاف على أي شيء بينه وبين زوجته.

اذن الحمل وسيله لحماية المرأة وصون كرامتها فهي تعلمه بحملها حتى تتحاشى ذلك الاسلوب في التعامل معها.

إن الخوف من اعلان الحمل كما تؤكد إجابات الاخباريين قد يكون لواحد أو اكثر من الأسباب التالية :-

أ- أن يكون حملاً كاذباً.

ب - الخوف من الحسد أو الفشل في الحمل.

ج - ان يقال انها «تتغلى على ريلها» أي تبالغ في اظهار قدرها وحب الزوج لها.

د - حتى لا يقال أن الزوجة «حملت عمرها قبل الحمال» أي ادعت الحمل قبل التأكد رغبة منها في اظهار انوثتها مثلا امام مجتمعها.

و - الخوف من الفضيحة.

هـ - الخوف من الاجهاض

وفي بعض الحالات نجد ان هناك من يتباهى بالحمل أمام الأزواج والجيران، ولكن البعض يخجل من الافصاح عن هذا الحمل ويسعى إلى اخفاءه ويشبه اخفاء الحمل « بالعيش» أي الأرز المزروع الذي يظهر بعد فترة بظهور بعض العلامات.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اذن تظل المرأة تخفي حملها الى أن تظهر علاماته عليها.

يتضح مما تقدم ان هناك جوا اجتماعيا خاصاً يحيط بالمرأة منذ بدء الحمل تتشابك فيه بعض القيم الخاصة والاتجاهات ذات التأكيد على أن كل شؤون المرأة يجب أن تخفى من بدايتها.. وان المجتمع بأفكاره يساعد على هذه الاتجاهات خاصة فيما يتعلق بالمخاوف الأخرى، كالحسد والعين، والخوف من الفشل، وبروز الفضيحة والخجل كعوامل مؤدية الى الاخفاء، وربما يقود هذا التساؤل المنطقي لماذا الخوف من الفضيحة والخجل؟ وهل يرتبط الحمل بكل هذه المخاوف؟

حساب الحمل:

إن حساب فترة بدء الحمل لا تختلف كثيراً عن حسابها في المرحلة الحالية في مجتمع الإمارات، فالحمل يحسب منذ انقطاع (العادة الشهرية) الأخيرة عن المرأة المتزوجة إلا أن هناك من يرى أن الثلاثة شهور الأولى لا تحسب لأن المرأة كما يعتقدون معرضة الى أن تعاودها (العادة الشهرية) خلال هذه الشهور وإن حدث ذلك يطلقون عليه (قطوع) أي انقطاع الدورة الشهرية بسبب غير الحمل وهنا يحدث الشك لدى أقارب المراة من الحمل الكاذب ولهذه الأسباب فلا يعلن أو يصرح عن حمل المرأة إلا بعد الشهر الخامس.

أن الكثير من الأمور المتعلقة بالحمل كشفت عن الكثير من تداعيات الماضي، والعلاقات الاجتماعية التي كانت سائدة فمثلاً لم تكن المرأة تكتم حملها عن زوجها، ولكن من الجائز أن تخفيه عن أقاربه خوفاً من الحسد، إذ كان الحسد يلعب دوراً أساسيا في تلك العلاقات الاجتماعية ، ان المفردات المحلية المتداولة عن الأمور المتصلة بالحمل لتكشف لنا احياناً عن العناصر المحلية من التراث في مجتمع الامارات كما تكشف احيانا أخرى عن العناصر الثقافية المهاجرة الى المجتمع من بقية دول الخليج، أو من بعض الدول غير العربية المجاورة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما تكشف الممارسات المتصلة بالحمل عن المعتقدات الراسخة في عقول أفراد المجتمع عموماً، فنحن نلاحظ شدة التمسك بالدين الإسلامي وجميع معتقداته، إذ عندما تجيب احدى المبحوثات بالتعقيب على ادراك بدء الحمل بالقول (لا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى) يعني أن التراث لا يمكن أن تتكون عناصره ومعتقداته إلا في إطار الدين الذي يسود في أي مجتمع من المجتمعات، فالتراث لا يتكون من فراغ، بل لا بد من ذلك الإطار الديني تتجمع عناصره حوله، ونلاحظ كذلك أن أحاديث الإخباريات تستطيع أن تعبر لنا عن عاملي الثبات والتغير في هذه العناصر الثقافية المرتبطة بفترة الحمل وبدءها بالنسبة للمرأة، والقارئ يستطيع بنفسه أن يحدد العناصر المتغيرة، والعناصر الثابتة منها وبذلك يتحقق لنا الهدف الرئيسي من هذه الدراسة وهو أننا نضع هذه المادة الأثنولوجية الخام من أجل رؤية علمية تضع لنا هذا التراث في إطاره الإجتماعي، وتقف به على أرض الواقع المعاش باعتباره إنتاجا ثقافيا أنتجه بشر بأعيانهم في ظرف تاريخي محدد[1].

أما من يقوم بحساب الحمل فالمرأة نفسها هي التي تقوم عادة بحساب بدء حملها وحتى نهايته، وأحيانا كانت تستعين بأمها إن كانت مازالت طفلة في الثالثة عشرة من عمرها.. حيث نعلم أن الزواج المبكر كان أحد سمات مجتمع الإمارات في الماضي، وقد يكون في الحاضر في بعض المناطق والقرى النائية فيه. وأشارت بعض الاجابات إلى الأستعانة أحيانا بالزوج أو ببعض المتخصصات ويطلق عليهن «الحسيّبات» لحساب بدء الحمل لدى المرأة .

أن التعامل مع ظاهرتي الحمل والولادة كان بصفة عامة يتسم بالبساطة فكثيراً ما ألمّ المخاض بالمرأة وهي تعمل في جلب الماء (تروّي) أو التحطيب.. أو غيرها من الأنشطة الاقتصادية التي كانت تمارسها المرأة.

١- عبدالحميد حواس ، ترتيب المادة الفولكلورية ومتطلبات البحث العربي الراهن، مقالة منشورة وغير مذكور مكان النشر وتاريخه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ان الموقف الاجتماعي في حمل المرأة يمكن أن يكشف عن كثير من المشاعر وعن الأدوار والاتجاهات الفردية التي كان يلعبها أفراد العائلة الواحدة.

إن أول رد فعل على الحمل يأتي من المرأة ذاتها إذ تعبر عن فرحها بحملها وسعادتها رغم صغر سنها، وبعضهن كن ينشغلن بأعمالهن المنزلية اليومية، و «الراوي» أي جلب الماء، و «الحلاب»، وصناعة النسيج، ورغم فرح المرأة بحملها إلا أنها تتعرض لأزمات صحية تستعين بالداية لعلاجها.. وتتضح صورة الإتكال على الله عند حمل المرأة فتقول «إنه زرع الله».

أما ردود فعل الزوج فكانت تتسم بالفرح أيضا والسرور، وبمحاولاته مساعدة زوجته وتخفيف العبء عنها.

أما ردود أفعال الزوجات الأخريات إن وجدن فتتراوح بين الفرح والغيرة فقد أشارت الأغلبية منهن إلى أن الزوجات الأخريات يشعرن بالفرح، وأنهن يتمنين الرضا للزوج لأنهن لم يستطعن تحقيق ذلك، ويقمن بمساعدة الحامل، وتربية أبنائها بعد أن تنجب ولكن يظهر أحيانا الحسد، والغيرة من الزوجات الأخريات. إن الفرح والسرور هو الشعور السائد الذي ينتشر بين أفراد العائلة مما يؤكد ترسيخ قيم الانجاب لدى أفراد مجتمع الإمارات، وأن هناك نوعاً من العلاقات الإنسانية التي تربط بين أفراد الأسر والعائلات تقوي من أواصر هذه العائلات خاصة في فترة الحمل.

ما إن يتأكد الحمل حتى يكون أمر الحفاظ عليه هو محور الاهتمام الرئيسي للجميع ومن أهم الاحتياطات التي تساعد على اتمام الحمل خاصة للمرأة التي قد تعرضت للإجهاض في المرات السابقة الالتزام بالاعتدال في المشي، وعدم التحرك الكثير أثناء النوم، وإذا ما أرادت تغيير موضع نومها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عليها الوقوف قليلاً ثم تغيير الوضع الذي هي عليه لأن في ذلك راحة «للضنا» وللأم أيضا، كما أن على الحامل تجنب حمل الأثقال «والرب هو الحافظ» كما تنصح كذلك بشرب الأدوية الشعبية «كالورد والحلول» و «الطبيخة والسبوعة» وعندما تصل الشهر الثامن تمنع عن تناول هذه الأدوية حتى لا تؤدي الى اسقاط الجنين. وتعتقد بعض النساء بأن الذهاب الى «المأتم» والمطاوعة وزيارة الأولياء يساعد على انجاح الحمل وإتمامه بسلام. ويجب على الحامل عدم تناول الثوم والفلفل الحار، وعدم سكب الماء الحار على نفسها حتى لا تجهض. ويتجسد الايمان القوي لدى سكان مجتمع الإمارات في أهمية «التسمية بالله» في كل عمل تقوم به المرأة خاصة في الليل لاعتقادهم بوجود الجن تحت الأرض .

وقد كانت المرأة في السابق تواجه العديد من المشكلات الصحية التي تتعرض لها فترة الحمل فكانت تلجأ الى الطب الشعبي للعلاج مما كان يخفف عنها تلك المشكلات الصحية، ولقد جاء التأكيد على أهمية الحركة الجسمية بالنسبة للمرأة الحامل، إذ يرى الجميع أن الحركة تخفف عن المرأة أورام القدمين وتعب الوحام، وسوف تكشف الاجابات عن هذه المشكلات الصحية وطرق علاجها.

ومن المشكلات الصحية التي تواجه المرأة الحامل «الدوخه والدوار والصداع» وكذلك «الزكام» و «المنان» وهو ألم في المفاصل أعراضه تشبه أعراض الروماتيزم المعروف.

وأهم الأعراض أو المشكلات الصحية التي تتعرض لها الحامل «الوحام وما يصحبه من أعراض مختلفة .

كما تتعرض الحامل لأمراض أخرى كالسكري وارتفاع ضغط الدم، والقيء، وتعب الجسم وتكسر وكسل وعدم رغبة في المشي، إضافة الى النزيف الذي تتعرض له بعض النساء.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن أهم الممارسات التي كانت تحافظ بها المرأة على حملها وتحيطه بالأمان. الألتزام بالهدوء والاعتدال في السير والبعض يقوم بعمل «يامعه» لها وهي عبارة عن حجاب أو حرز يحميها من العين الحارة . أو تشرب «الحلول» حتى «لا يحيس الريح على الياهل» أي تحاصره الغازات فيسبب التعب لأمه .

أما في الشهور الأخيرة ففيها أن تشرب «العشرج» وهو نوع من الأعشاب الطبية التي تساعد كما يعتقدون على ازالة المشكلات الصحية عن الحامل خاصة في فترة الشهور الأخيرة، كما يجب عليها اتقاء «الليحة » أي أنه يطلب منها عدم التلفت كثيراً وهي تحمل شيئاً ثقيلاً، وكذلك «الهبعة» أي القفز بسرعة.

ومن الجدير بالتأكيد هنا ذكر مجموعة الاحتياطات الشعبية التي تلجأ اليها المرأة الحامل وأفراد الأسرة المحيطين بها لانجاح حملها :-

١. شرب الحلول أي الشربة المؤدية إلى الإسهال.

٢. شرب «اليعدة» وهي مجموعة اعشاب شعبية.

٣. شرب «العشرج» وهو نوع من الاعشاب ايضا.

٤. تحاشي «الليحه والهبعه» أي التلفت السريع وهي تحمل شيئا ثقيلاً، أو التعثر والوقوع.

٥. عدم حمل الاثقال.

٦. عدم الخروج ليلا خوفا من رؤية أي شيء يزعجها.

٧. عدم الأكل بين الوجبات الرئيسية.

٨. ينجح الحمل إذا عاملها زوجها معاملة حسنة وكذلك اهل الزوج.

٩. شرب الطبيخة «مجموعة من الاعشاب مغلية».

١٠. عدم سكب الماء الحار عليها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١١- شرب الحلبة واللبان.

١٢- مسح الداية لها وتقوم «بنفضها» أي تهز ساقيها بالإمساك بطرف القدم.

الاجهاض:

الإجهاض هو أخطر التجارب التي يمكن أن تتعرض لها المرأة الحامل في تلك الفترة السابقة نظراً لانعدام الوعي الطبي آنذاك، ،ولعدم وجود عناية صحية مباشرة للمرأة كما هو الوضع في المرحلة الراهنة، ولقد ارتأى الباحثون الاهتمام بهذه القضية نظراً لما تشكله من تجربة خطرة على المرأة الحامل، ولما يمكن أن تعلن بها من ممارسات ومعتقدات توضح المزيد من تلك العادات والتقاليد لمرحلة الميلاد في المجتمع.

وتبدو الاجابة هنا أن الوعي بزمن الاجهاض أو بالفترة التي يمكن أن يحدث فيها الإجهاض قليل فبعضهن رأى أن الاجهاض يحدث في الشهور الأولى، بل الأيام الأولى، وبعضهن وجد أن من الممكن أن يكون في الشهور الأخيرة، وبعضهن قال أن الاجهاض لا يرتبط بزمن معين، بل بحدث معين فاذا حملت المرأة أثقالاً فوق طاقتها يؤدي بها ذلك الى الاجهاض وتكون المرأة في أمان بعد دخولها التاسع حتى لو بدقائق معدودة ويضرب لذلك مثلٌ وهو : «حتى ولو بفورة الدلة» .. حتى بسرعة غليان الماء المعد لعمل القهوة.

رغم ما يمثله الأدب الشفاهي من أهمية وقدرة على الكشف عن مشاعر الناس وأحاسيسهم، ولما يسهم به في اثراء الحياة الثقافية في أي مجتمع من المجتمعات، إلا أننا وفي مناسبة الحمل لم نجد على الاطلاق أي شكل من أشكال ذلك الأدب الشفاهي، بل على العكس وجدنا رفضا قاطعا من أغلب الاخباريات فكان تبريرهن، لذلك، أن هذه المناسبة لا تقال فيها القصائد ولكن يُكتفى بالتهنئة والدعاء لها بسلامة الحمل والولادة.

ولقد ذكرنا سابقاً أن هناك فرحة كبيرة تجتاح الأهل والزوج والجيران عندما يعلن عن حمل المرأة ولكن يصاحب ذلك الخوف والحذر من الفشل في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ذلك الحمل ولذلك يتستر الأهل في بداية الحمل عن اعلانه، وربما هذه المشاعر المتعارضة بين الفرح والخوف جعل هذه المناسبة أي حمل المرأة من المناسبات الشحيحة في الأدب والأغاني، ويكتفي الأفراد ببعض الأقوال والأمثال نذكر منها مثلاً.

«الله يعطيج الولد .. الله يعطيج خفيف العباله»[1]

أي الدعاء لها بالولد الصالح قليل العناء والتعب، ويقال «مبروك مادبرت».

وتشبه المرأة الحامل بالمحمل «البوم» أي المركب وهو في الماء حيث يقولون «حملتك أمك تسعة أشهر بين التمرض والضجر» والتشبيه هنا بأن المرأة كالمركب أما ان يصل سالماً أو يغرق، أو «بالبركة عليك» بزيادة زيادتها.

وأحيانا تشبه المرأة بالبحر أي أن المرأة بحر لا يعرف أحد ما بداخل بطنها من صيد، وعندما يكبر بطنها يقولون لها «هاطلع العشا عشا الليل» يقصدون ان ما في بطنها هو ما تأكله خلسة في الليل من عشاء أي مضاجعه الزوج، أو يسخر البعض من حمل المرأة «خاصة المرأة المغرورة» فيقال لها «حامل من شيخكم مخطوني».

معرفة نوع الجنين :

من التساؤلات الهامة التي يطرحها البحث عن ثقافة الحمل السؤال عن إمكانية معرفة نوع الجنين قبل ولادته؟ وكيف؟

وتكشف لنا الاجابة عن هذا السؤال درجة من الوعي الذي ساد تلك الفترة عندما لم يكن هناك تقدم في المجال الطبي، فلقد كانت للنساء «الدايات» خبرات يستطعن بها الكشف عن نوع المولود قبل ولادته؟

وربما لا تكون وسائلهن لمعرفة نوع المولود ناجحة في تحديد نوعه ولكنها في النهاية تعبر عن محاولات يقوم بها الانسان لتفسير الظواهر من

---

(١) خفيف العباله : قليل المسؤولية .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حوله، والكشف عن المجهول فهذه علاقة جدلية بين الانسان وبيئته وظواهرها، وتزداد عندما يفتقد هذا الانسان للأدوات التي تساعده على ذلك والعلم الذي يستطيع أن يساعده في ذلك الكشف، والتحقق من ظواهر البيئة وسوف تشير لنا هذه الإجابات عن هذه المحاولات، ومدى امكانية استخدامها كمقياس لقدرات الإنسان «المرأة والرجل» في التفاعل مع المجتمع ومتطلباته وخاصة في مرحلة الميلاد.

قدمت الدايات خبرتهن في هذا المجال ـ مجال معرفة نوع الجنين والتي تجسدت فيما يلي :

معرفة نوع الجنين من خلال الشكل الخارجي لبطن المرأة فالحمل بالذكر يكون مثل «القالب أو الدائرة بجانب السرة» وظاهر للخارج أما الحمل بالبنت فيكون البطن مثل «الكسرة او مدلي أو مدور أو منفوش». ولكن كل الدايات ارجعن معرفة ذلك إلى الله سبحانه وتعالى.

والبعض منهن ممن اعتمدن على شكل المرأة الخارجي لمعرفة نوع الجنين أجبن بإن «انف المرأة الحامل يكون كبيراً عندما تحمل بالبنت، كذلك بالنسبة «لحلمة الثدي» فإذا كانت حمراء اللون أي ذات لون فاتح يقال انها حامل بالولد. ولكن اذا كانت الحلمة سوداء اللون يقال ان الحمل ببنت. كذلك اذا صارت المرأة حلوة وجميلة اثناء الحمل يقال لها انها حامل بالولد والعكس بالنسبة للبنت .

ولقد اكدت بعض الراويات المعرفة التامة بنوع الجنين من خلال معرفة نوع الوحم، فهناك من التجارب من عرفت نوع الجنين في تسع ولادات متتالية لاحدى النساء.

ولكن ذلك لم يمنع من أن هناك بعض الردود التي نفت معرفة نوع الجنين وقالت العلم عند الله، والبعض أجبن بأن معرفة نوع الجنين تتم من خلال الزمن الذي يتحرك فيه الجنين، فإذا تحرك في الشهر الرابع كان ولداً، وإذا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تحرك في الشهر الخامس كان بنتاً. واستخدمت بعض التشبيهات باثبات ذلك اذا كان الجنين بنتا فإن البطن يبدو مثل الكرة الصغيرة بالداخل «مثل فؤاد العنزة» أما الولد فيبدو في البطن وكأنه «عرق كركمه» اي يبدو بشكل طولي. وهنا نلفت نظر القارئ إلى العودة إلى المادة العلمية المقدمة في نهاية كل محور لمتابعة الردود الخاصة على كل سؤال وذلك لمزيد من الكشف عن العناصر الثقافية الشعبية الخاصة لهذه المرحلة لمجتمع الإمارات العربية (إمارات ساحل عمان سابقاً) .

ومن الملاحظات التي وردت في هذا الجانب أي جانب الكشف عن نوع الجنين انها المرحلة الأولى الذي يبدأ فيها التمييز بين الجنسين في هذا المجتمع، فتبدأ عملية التأكيد على أفضلية ولادة الذكر، وعدم الرغبة في ولادة الإناث في هذا المجتمع.. وهذا ما تؤكده الاستجابات على هذا السؤال.. وكذلك سوف تؤكده أغلب الأجابات في المحاور القادمة من هذه الدراسة.

ونود أن ننوه هنا الى أن هذا البحث الشمولي لعادات وتقاليد مرحلة الميلاد لمجتمع الإمارات قد كشف لنا مجموعة كبيرة من الممارسات، والعادات والمعتقدات، والمأثورات من الحكم والأمثال والأقوال والتي جميعها ميزت بين الجنسين، وقست على المرأة وحرمتها من ابسط الحقوق وأعطت كل الحقوق للرجل وسارت هذه المجموعة من الموروثات والعادات مع المرأة في كل مراحل حياتها في الطفولة والشباب والنضج والشيخوخة وحتى يوم مماتها، فمنذ النشأة والتكون وبدء حركتها بداخل رحم الأم، يبدأ المجتمع في التمييز بينها وبين الذكر وسوف تتضح هذه المفارقات في مناسبات الحمل، والوحم، والولادة والبشارة، وفي اخفاء الطفل. ففي كل هذه المواقف الإجتماعية سوف يشاهد القارئ فروقا صارخه بين نظرة المجتمع للولد، ونظرته للبنت مما تبع ذلك اختلاف نيل الحقوق لكل منهما في هذا المجتمع، وربما لا تختلف الصورة في غيرها من المجتمعات .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المعتقدات المتصلة بالحمل:

من أهم المعتقدات السائدة حول الحمل الخوف من الحسد من قبل الزوج على زوجته، وإن كانت أقلية من النساء يؤمن بالحسد، لأن ذلك يعني في رأيهن الغاء قدرة الله، والخوف من قدرة الإنسان، فبعضهن رفض الاعتراف بالحسد، وبعضهن أكد عليه الى درجة أن الحسد أو العين «عقت الرجال في القبور، وعقت[1] الحمال في القدور».

وتتداخل المعتقدات حول ظاهرة الحسد والخوف من العين الى درجة تعمقها في حياة أفراد المجتمع، ولكن نجدها تتركز حول المرأة والخوف عليها من العين اذا كانت كثيرة الولادة، فيخاف الزوج عليها ويمنعها من الخروج.

ولقد اتضح من بعض الاجابات أن الحسد يكثر الشعور به بين بعض الأقليات الأثنية في مجتمع الإمارات الجماعات الأثنية وهم البلوش مثلا، والمجموعات النازحة من الباطنه.

وربما كان ما نشاهده هنا من قوة معتقد الحسد والعين لا يعبر عن عنصر ثقافي جديد في هذا المجتمع، بل هو ضمن العناصر الثابته بين أفراد المجتمع، فبالرغم من أن جذوره في عقلية الانسان كانت محدودة والخوف على المرأة كان من أجل المحافظة على نسلها فقط، إلا أن الحسد اليوم يأخذ أبعاداً أوسع في محيط دائرة حياة الإنسان سواء كان رجلاً أو امرأة. وينتشر بشكل يتحول الى الظاهرة المتعمقة في حياة المجتمعات العربية، ويؤمن به الانسان المتعلم والمثقف تماماً كما يؤمن به الانسان غير المتعلم، وربما تفسير ذلك يحتاج الى بحث واستطلاع لعوامله على مستوى المجتمعات العربية بشكل عام. فهناك علاقة مباشرة بين الايمان بالحسد وبالعين وبين الواقع الاجتماعي الاقتصادي والسياسي لهذه المجتمعات .

إن المرأة الحامل تمنع من رؤية أي انسان معروف عنه العين الحارة، ولو

---

(١) عقت : رمت.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حدث ذلك اللقاء بهذا الانسان يبدأ اهل الحامل بممارسات تمنع أذى ذلك الانسان فمثلا من العادات ان يكبروا عليه واذا اكلت من بيتهم ، وغالبا ما كانوا يأكلون التمر وغسلت يدها في إناء الغسول، أخذوا هذا الماء ومسحوا به المرأة الحامل، وهناك نوع آخر من العادات كأن يأخذوا من آثار خطوات المرأة ذات العين الحاره على أن تكون سبع خطوات ويمسحوا بهذا التراب المرأة الحامل، أو يقومون بحرق نواة التمر التي أكلتها الزائرة الحسود تحت الحامل، أو أن يؤخذ أثر التراب ثلاث مرات لتلك المرأة «النضاله» أي الحسوده من وجهة نظر أهل الزوجة الحامل، ويغسل هذا التراب بماء ثم يعطي هذا الماء للمرأة الحامل لتشربه.. إلى آخره من هذه العادات والممارسات التي تؤكد دائماً الخوف من العين والحسد، والتي من الممكن أن يطلع عليها القارئ في الاجابات المرفقة بكل محور.

هل هناك تحريمات تتعلق بالأماكن التي تزورها المرأة الحامل؟

وتبدأ الاسئلة في دليل الدراسة من (السؤال ١٨ إلى السؤال ٢٥) تبحث عن قائمة التحريمات، والممنوعات التي تسهم باتباعها في انجاح حمل المرأة هذا ان اتبعت تلك التعليمات فالقائمة كبيرة وتنفيذها يتطلب من المرأة الحامل المغاناة والصبر والحذر، ويكفي شعورها بالقيود الكثيرة اثناء فترة الحمل الطويلة، والتي تتطلب قليلاً من الراحة والرعاية للمرأة الحامل ولنبدأ بالسؤال الـ ١٨.

ان المتأمل لاجابات الاخباريات والاخباريين عن السؤال، أو عن غيره من التساؤلات الذي تضمنها الدليل وخاصة بالنسبة للمحور الأول الذي نحن بصدد الكتابة فيه يجد ان هناك دائما تفاوتاً بين مؤيد ورافض للفكرة التي تطرح في أي سؤال، فمثلا بالنسبة للتحريمات المتعلقة بالاماكن التي تزورها المرأة الحامل نجد أن هناك آراء تؤيد وآراء أخرى ترفض او بمعنى أخر آراء تطرح لتحريم الزيارات العائلية، او زيارات المقابر او الافراح والاغلبية هنا وترى حرمان المرأة من زيارة المنازل التي قامت فيها مراسم العزاء خوفا على صحة الأم النفسية ومحاربتهم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

للصدمة التي من الممكن ان تتعرض لها اذا رأت الجنازه وهناك من وجد أنه لا تحريم اطلاقا على المراه الحامل، بل هي على العكس تستطيع زياره كل المناطق حتى بما فيها الجبال وتستطيع المرأة ان تمارس كل انشطتها الاقتصادية دون خوف ، بماذا نعلل هذا التفاوت؟ ربما نستطيع ان نقول أن عدم الاتفاق في اغلب الاجابات عن الاسئلة التي جاءت في الدليل انما يعبر عن تفاوتات ثقافية لمجموعات عرقية مختلفة «العرب ، العجم ، البلوش ، العمانيين» وربما كان هناك تبرير أخر نستطيع الخوض فيه وهو ان التراث متغير. وان المعتقدات ليست واحدة في هذا التراث الثقافي في الامارات خاصة تراث العادات والتقاليد وعناصرها المتعددة.

محرمات أو محظورات الحمل :

تتمتع المرأة الحامل بكل أنواع الرعاية التي يقدمها الاهل سواء كانت رعاية صحية جسمانية أو رعاية نفسية حتى لا تتاثر هذه المرأة وينعكس ذلك على جنينها فتتعرض للاجهاض، أو للارتباك والاضطراب النفسي فيحظر ذكر اخبار سيئة كأخبار الموت أو المرض، أو موت المرأة اثناء الولادة، كما يحظر ضرب الحيوانات اثناء الليل قربها أو رفع بعض الاسلحة كالسكين أمامها وبصفة عامة يحرص الجميع على ألا تسمع اية اخبار محزنه وأن يكون الحديث امامها بكل ما هو مفرح.

وبالرغم من أن هناك بعض القيود وبالاخص تلك المتصلة بالحفاظ على الحمل وأمانه، فإن الموروث الشعبي يركز على أهمية الحركة والعمل بالنسبة للمرأة الحامل وكان أحد العناصر المشتركة بين الماضي والحاضر، وربما مشتركة ايضا مع المنظور الصحي والطبي للمرأة ، فلا يتعارض ذلك مع تثبيت النظريات الطبية الآن في اهمية الحركة للمرأة الحامل فيما عدا تلك المرأة التي تتعرض للأجهاض الدائم تلك فقط التي تمنع من الحركة طوال اشهر الحمل.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولكن ما نريد اثباته هنا ان المرأة الحامل في الامارات سابقا كان لها نشاط اقتصادي دائم لا يتوقف اثناء فترة الحمل مثال ذلك مثلا (الغسيل ـ التحطيب ـ ري الماء ـ رعاية الحيوانات والحلب ـ الطبخ ـ الخياطة ـ كل اعمال المنزل) وهذا قد يفتقده المجتمع المتحضر اليوم، فالمرأة الحامل الآن بدأت تتخلى عن هذه الادوار لعوامل كثيرة ربما لكثرة الخدم بالمنازل وربما خوفا على حملها ـ وربما تداعيات الحياة الاستهلاكية التي تعيشها مجتمعات الخليج في هذه الفترة الزمنية، وهذه متغيرات متعلقة بالاطار القيمي في المجتمع . فهناك تغير قيمي أخذ مكاناً في هذا المجتمع وبالتالي أثر على حركة الافراد وادوارهم.

بالرغم من هذه القيود نلاحظ قوة «الإتكال على الله» سبحانه وتعالى في المحافظة على حياة الجنين وتبدو صور الايمان متجلية في هذه الاجابات فالذي يحفظ لهم حياة الأم وجنينها هو الله، بجانب بعض الحذر وقلة الحركة، واستخدام الأدوية والاعشاب دائما، والغذاء الجيد وهناك بعض المعتقدات التي ترى أن سكب الماء الحار على رأس المرأة يؤثر على الجنين سلباً.

ومن المعتقدات الراسخة المعتقدات المتصلة بتحريم الاكل على المرأة الحامل اثناء الليل لما يسببه ذلك من امراض لها وللجنين، وكذلك تحريم شرب الماء في الليل واعتقادهم ان الماء يغرق الجنين.

وعموما وجدنا ان الغذاء المستخدم للمرأة الحامل يمتاز بإنه غذاء طازج سواء أكان من الالبان أو اللحوم أو الخضروات إعتماداً على البيئة الطبيعية، أي ان مصدر الغذاء كان محليا وليس مستوردا واستطاعت المرأة بالفعل أن تتفاعل مع تلك البيئة المحدودة في عطائها وان يحولوا عناصرها الى ادوات للحياة سواء أكانت بالنسبة للغذاء أو المستخدمات والادوات الأخرى.

إن علاقة المرأة الحامل بالآخرين تظل جيدة وقوية، ويقوم الاهل والاقارب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والجيران بكل الاعمال التي لا تستطيع المرأة تاديتها عندما تتاخر في شهور الحمل، وهنا نلاحظ شدة التماسك بين الافراد، وقوة الروابط الاجتماعية، ولا تمتنع المرأة الحامل عن الإتصال بجيرانها واصدقائها بل تزورهم في كل المناسبات ولا توجد اية قيود على علاقاتها بكل المحيطين بها، وتظهر بينهم روح المشاركة في الأعمال والحرف التي يقومون بها فيقال مثلا انهم يتسامرون طوال الليل ليعملوا في غزل شباك الصيد، وهذه ابهى صورة للعلاقات الاجتماعية سابقا في مجتمع الإمارات.

اما بالنسبة لعلاقة المرأة الحامل بزوجها فهنا حدث نوع من الاختلاف في الآراء.. بعضهن اجاب ان العلاقة الزوجية والمعاشرة تظل مستمرة حتى يوم الولادة لما لذلك من اثر حسن على صحة المرأة النفسية والجسدية وعلى الجنين كذلك، ولكن هناك آراء وجدت ان المعاشرة قد تؤثر سلبا على الجنين وبالتالي يمتنعوا عنها.. خاصة ان هناك اعتقادا وخوفا من ان يكون الجنين بنتاً ويلحقها شيئ من أبيها وكان هذا مصدراً لتحريم المعاشرة في الاشهر الأخيرة من حمل المرأة.

ومن أيدوا فكرة استمرار المعاشرة قدموا لنا قصصاً عن كيفية اثارة رغبة الرجل في المعاشرة بأن تقوم الأم (ام المرأة الحامل) بالعجين امام الزوج بشكل مستمر حتى يشعر انه كلما زادت حركة عجن الدقيق كلما كان ناتج الطحين افضل وهو كذلك بالنسبة للمرأة كلما عاشرها زوجها كلما كان ابنها او جنينها اكثر صحة وعافية، وهذه ممارسات وعادات ثبتت بعض القيم الهامة في الحياة الزوجية بين الازواج .. وربما كانت آثارها ممتدة لتقوية النظام الاجتماعي عموما بالنسبة للأسرة او للنظام الاسري.

وربما في هذا العنصر التراثي لا نستطيع اثبات مدى تغيره او ثباته في المرحلة الراهنة الا بعد اجراء دراسات مشابهه على عينة من المجتمع الحالي..

اما عن معاناة الزوج اثناء حمل زوجته فلقد جاءت بعض الاجابات لتؤكد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عدم معاناة الزوج بل تفهمه التام لحالة زوجته النفسية ومساعدتها على تخطي مرحلة الحمل بكل نجاح، ويظل يظهر لها فرحه بحملها ولكن بعض الاجابات وجدت ان الزوج يعاني اثناء حمل زوجته وربما يدفعه ذلك للزواج بأخرى خاصة اذا توحمت زوجته به، ولكن الاغلبية اكدت مساعدة ومداراة الزوج لزوجته طوال فترة الحمل.

وفي اطار بحثنا حول العادات والتقاليد لمرحلة الميلاد في مجتمع الامارات وجدناانه لا بد من تحديد بعض الاتجاهات النفسية والإجتماعية المتعلقة بهذه المرحلة. فتحديد الرغبات الخاصة بالانجاب عموماً بالنسبة للرجل او المرأة، وكذلك تحديد نوعية الاطفال المرغوب بهم يفصح لنا عن الكثير من المفاهيم الخاصة بالانجاب، كذلك المعتقدات الدينية المرتبطة بالاطفال ونوعيتهم، ويكشف أيضاً عن بعد ثقافي هام يحيط بدائرة الانجاب، والاطفال، ونمط التنشئه الاجتماعية وربما كشف لنا المزيد عن النظام الاجتماعي في ذلك الوقت.

فماذا كانت الرغبات عموما ومدى تأثير التغير عليها؟

لقد وجدنا انه من أجل تحديد تلك الرغبات والاتجاهات فلا بد من اللجوء الى القياس والاحصاء.. ولكن لبعد هذين المنهجين عن الدراسات الاثنولوجية والفولكلورية رأينا الاستعانة بالاحصاء بشكل يعتمد فقط على العدد الرقمي، تراوحت الرغبات بين افراد البحث فأنقسمت الى اتجاه يؤمن بالمساواة ، واتجاه يؤمن بما جاء به الدين الاسلامي ، واتجاه ثالث يفضل الذكور، والرابع يفضل الاناث.

فبالنسبة للأم أو المرأة عموما وجدنا انها أميل الى القناعة الدينية فما يأتي به الله فهو خير، ولا تتدخل في مشيئة الله، افاد بذلك سبع عشر اخبارية.. أما من أمن بالمساواة في الرغبات ولم يفرقن بين الذكور والاناث فاحدى وعشرون راوية واخبارية وجاءت ردودهن توكد على اهمية الانجاب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

للذكور والاناث حيث أن لكل مزاياه في خدمة الأب والأم.

أما من فضلن الذكور فعددهن ثمانية عشرة راوية، وجاء تاكيدهن على اهمية الذكور في حمل أسم العائلة، وخدمة الاسرة والانفاق عليها، وانهم يحملوا السمعة والشرف للعائلة.

اما من فضلن انجاب الاناث فلم يزدن عن ٦ راويات وبررن تفضيلهن هذا بأهمية البنت بالنسبة لأمها ومساعدتها لها.

أما بالنسبة للرجال وتفضيلاتهم في نوعية الانجاب فلقد تاكد لنا ان الاغلبية تفضل انجاب الذكور وكان عددهم ثمانية وأربعون أما من ينظرون الى الانجاب نظرة المساواة، ورفض الفروق بين الجنسين فكان عددهم سبعة، ومن ارجعوا النوعية الى ارادة الله كانوا ثلاثة أما من فضلوا البنات فكانوا خمسة.

ومن الملاحظات الهامة التي يجب التأكيد عليها ان عدد الرواة والإخباريين كان اثنين وسبعين، وان اغلبهم كانوا من الاناث، والتفضيل هنا جاء على لسان الاناث منقولا عن وجهة نظر الرجال في المجتمع، وهنا يأتي التأكيد على درجة ذلك التفضيل، وبالفعل فبالرغم من نسبية التساوي في الافضلية لدى النساء، الا انها جاءت سالبة لدى الرجال، فالاغلبية تفضل الذكور.

ونلاحظ كذلك من متن الاجابات بإن سبب ذلك التفضيل يعود الى العامل الاقتصادي فالاغلبية ترى في انجاب الذكور مصدرا قويا للكد والعمل ومزيداً من القدرة على الانفاق على الأسرة وكذلك لعوامل ثقافية واجتماعية اخرى أهمها التباهي، والسمعة الطيبة، والمكانة الاجتماعية، والاستمرارية، وأن يقال أن العائلة منجبة للذكور.

وربما ونحن نبحث هذا الاطار من القيم فإننا لا نشهد الكثير من التغير في مجتمعنا في المرحلة الحالية .. فلا زال التفضيل للذكور يسود بين اغلب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

افراد المجتمع وربما نحتاج الى دراسات واسعة لاثبات ذلك.

ونشير هنا الى الحكم والامثال التي وردت على لسان الاخباريات ربما لمزيد من التاكيد على تلك القيم الخاصة بنوع الجنس المولود، ولقد تركنا هذه الامثال ضمن متن الاجابات وكذلك المفردات ولكن اشرنا إليها بوضع الخطوط تحتها لمزيد من التوضيح.

أما بالنسبة للرغبة الشديدة لدى المرأة والرجل في الانجاب فلقد لاحظنا أن الاجابات جميعها اشارت الى الرغبة الشديدة في الإنجاب خاصة وانه لم يكن هناك من وعي حول الظروف الصحية بالنسبة للأم، ولم تكن تتوفر كذلك الوسائل والموانع للحمل بحيث تستطيع المرأة التحكم في انجابها.. وتميل النساء الكبيرات سناً الى الانجاب بشكل دائم وربما يعود ذلك الى رغبتها في الاستمرار في العطاء والمحافظة على الزوج، ثم ان الانجاب يعني كثرة الخير من الله «سبحانه وتعالى».

وهنا يبرز لنا عامل التغير في هذا العنصر الثقافي فربما تميل الاسر الجديدة اليوم الى العدد القليل من الاطفال وهذا ما أكدناه سابقاً .

ويبرز لنا كذلك بعض التشبيهات التي ترسخ فكرة حب الانجاب فمثلا يقال ان المرأة من غير اطفال مثل النخلة اليابسة ثم ان القيم الدينية كانت تحرم انذاك التوقف عن الانجاب فهذا تدخل في مشيئة الخالق.

ثم نجد بمفهومها ان الرغبة في الانجاب بالنسبة للمرأة تعني مزيداً من الارتباط بالزوج، ومنعه من الزواج بأخرى.

في الماضي كان يطلق على المرأة الولود أنها «مغال» أو «قطة» أو «غنمة» والى آخره من الامثال والتشبيهات المتداولة آنذاك وهذه التسميات لم تعد تستخدم في الوقت الراهن ولكن قد تكون التسمية «أم العيال» لازالت باقية في العادات والتقاليد العربية الراهنة، وكذلك اسم «أم المال» فهنا إذن تتدخل درجة من درجات التغير الثقافي والاجتماعي في هذه العادة، وربما يعود ذلك الى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اتساع دائرة العلاج الطبي، وتنظيم الانجاب بالنسبة للمرأة وانتشار الوعي بشكل عام.

و من الملاحظ التأكيد على أهمية الانجاب للاسر في الامارات ويقال على ذلك مثلٌ شعبيٌ «رزق الفقير ولا مال ولا عيال».

إن اتجاهات المجتمع نحو المرأة الولود تعبر عن مدى الرغبة الجارفة في الانجاب، وحب العدد الاكبر من الابناء والبنات، واختلاف ردود الفعل بين اهل المرأة الولود وأهل زوجها.. فالفرحة والسرور تحتوي الزوج واهل الزوجة أكثر من اهل الزوج إذ تتدخل بعض الاعتبارات مما يجعلهم يتضايقون من كثرة انجاب زوجة ابنهم خاصة اذا كانت تعيش معهم فتكثر اعباء تربية الابناء عليهم.

إن العامل الاقتصادي قد يؤثر احيانا على النظرة الى المرأة الولود ففي الطبقات الفقيرة قد لا يشعر الاب بالفرح لكثرة انجاب زوجته نظراً لتعذر قدرته على الانفاق عليهم.

ومن الأغاني التي تعبر عن رد فعل المجتمع نحو المرأة الولود :-

ربيت العيال يوم الصغر ويتوني تحسبت العيال في الكبر يغنوني

عندي سبعة أولاد ما قدروا يعيشوني وسبعة البنات لاقني بالصحوني

وكذلك يقال :

يا أم الولد حسها يلالي صوتها على الجيران عالي

ومن الامثال الشعبية :-

يا ليتني منه غلاي غلا العادة شروا[1] ولد البنت عند ايداده[2].

١- شروا: أي مثل

٢- ايداده: أجداده والمقصود هنا نتمنى أن يكون قدرها عند زوجها كقدر وقيمه ولد البنت عند أجداده، أكدت الردود في هذا السؤال على قيمة الانجاب وكثرة الابناء، وربما يعود ذلك الى تعزيز دور الانسان في المجتمع، والى التمسك بالقيم الدينية الداعية الى كثرة الانجاب، والسنة النبوية الشريفة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الرابع

الـــوحـــم

Morning Sickness

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الوحـــم:[1]

يعتبر الوحم من أهم الأمور المتعلقة بالمعتقدات والممارسات لمرحلة الميلاد في مجتمع دولة الإمارات العربية المتحدة .

ويأتي الوحم[2] كأول ظاهرة تتعرض لها المرأة بعد بدء الحمل، لذلك جاء كفكرة تالية للحمل مباشرة، إعتمدنا في ذلك مبدأ أن المعرفة العلمية لا تقوم إلا على مبدأ الترتيب للظواهر والوقائع، وأنه من دون هذا الترتيب لا يمكن فهم هذه الظواهر واكتشاف العلاقات فيما بينها.

١- الوحم : عباره عن جملة عوارض واضطرابات نفسية وجسمية وهرمونية ترافق الحمل في شهوره الأولى.

- الأسئلة التي عنيت بتغطية هذا المحور هي :
- ماذا يعني أن المرأة تتوحم؟ صف الوحم؟
- بماذا تشعر المرأة عندما تتوحم؟
- هل يختلف الوحم من حمل إلى آخر ؟ كيف؟
- هل يختلف وحم المرأة الحامل بذكر عن وحمها وهي حامل بانثى؟ كيف؟
- هل تحتاج المرأة الحامل الى أشياء غير المأكولات أثناء الحمل؟
- ما هي الأشياء التي تشتاق إليها المرأة الحامل؟
- ما هو شعور المرأة الحامل تجاه الروائح؟
- إذا توحمت المرأة الحامل على شيء ولم تحصل عليه ماذا يحدث لها؟
- هل توحمت النساء على أشياء غريبة؟ ما هي (حيوانات ... الخ)؟
- أذكر أي قصص أو غرائب عن المرأة التي توحمت على أشياء ولم تحصل عليها ؟

٢- التفسير العلمي للوحم : من الناحية العلمية والطبية - كما ذكرت - قد نجد لبعض أعراض الوحم تفسيرا علميا في ضوء التغيرات الفيزيولوجية (والهرمونية خاصة) والنفسية التي تمر بها المرأة الحامل في هذه الفترة.

وهنا نجد أن الوحم هو عبارة عن جملة عوارض وإضطرابات نفسية وجسمية وهرمونية ترافق الحمل من شهوره الأولى، وتصيب أكثر من نصف الحوامل، ويصاحب ذلك تقلبات حادة في الشهية تكون خفيفة أحيانا وعنيفة أحيانا أخرى، كما يدفع الحامل إلى الحيرة والإستغراب، كما تحصل إضطرابات في القلب والدورة الدموية، وتمتلي المعدة بالغازات المعوية، وقد يصاحب ذلك أوجاع في الرأس وإضطراب في التوازن الفيزيولوجي بالجملة إضافة إلى العصبية في التصرف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الوحم وأعراضه:

ومن سياق الإستجابات عرف الوحم بانه اشتهاء المراة لشيء معين (طعام وسواه) وكراهيتها لأشياء أخرى أو محبتها لبعض الناس، وكراهيتها لبعضهم الآخر، وكذلك بالنسبة للأماكن والروائح، وأما أعراض الوحم فمنها دوخة في الرأس، وكراهية الأكل، والقيء، ويطلق عليه باللهجة المحلية في بعض المناطق (تتنسا)، والبعض يطلق عليه «تتوحم» ثم من أعراضه أيضا الغثيان، وكثرة النوم، وأحيانا فقدان الرغبة لمعاشرة الزوج،وكثرة القيئ.

ويبدأ الوحم بعد الأربعين يوما من بدء الحمل ويطلق عليها كلمة "تستغيب" أي تنقطع عنها الدورة الشهرية، والكثيرات عرفن الوحم بأنه «إذا عقد الجنين في بطن الأم» يطلق عليه الوحام.

أما قائمة المأكولات المطلوبة أو المرغوب فيها أثناء الوحم فهي:-

١- الهمبا الأخضر (أي المانجو في بداية نموه، ويزرع محليا).

٢- النبق الأخضر.

٣- الليمون الأخضر.

٤- الفلفل والملح والفواكه.

٥- (خبيصة) نوع من الحلويات الشعبية مكوناته الأساسية الدقيق والسكر والسمن.

٦- (اليقط) وهو يجهز من بقايا اللبن الرائب ويوضع تحت أشعة الشمس حتى يجف ويعمل على شكل كرات صغيرة الحجم.

٧- (الجسين) السمك المدخن المجفف.

٨- اللقيمات (نوع من الحلويات) مكوناته الأساسية الدقيق والسكر والسمن والخميرة ويخمر لمدة ساعتين ثم يحمر في سمن حار.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٩. أنواع محددة من الأسماك (النقر أم الحبر والجرجور الصغير).

ومن الأشياء أو المأكولات الممنوعة أو غير المرغوب فيها (تابو) :-

١. السمك ما عدا المشار إليها آنفا.

٢. التمر.

٣. القهوة والشاي والأرز.

ومن الملاحظ من قوائم المرغوب والممنوع تعدد ما تشتهيه وما تكرهه المرأة المتوحمة من غذاء وروائح وأماكن، والمحيطين بها من أفراد عائلتها كما قد يلاحظ أيضا أن بعض هذه المأكولات والمشروبات وبالأخص المطلوب منها أو المرغوب قد يرتبط بالتغيرات الفسيولوجية والإحتياجات العضوية للمرأة الحامل في هذه الفترة، ولكن البعض الآخر قد لا يوجد له تفسير ظاهر إلا من خلال العوامل النفسية، والمعتقدات الشعبية عبر الأجيال والتي قد لا يجد العلم الحديث لها تفسيرا أو تبريرا فيدرجها في قائمة اللاعقلاني (Irrational) إذا لم يكن غير العقلاني (Rational)

إن الحديث عن أعراض الحمل ومدى إختلاف الوحم بين حمل وآخر، وكذلك بين الحمل بالأنثى والحمل بالذكر، يعكس لنا تعدديه شديدة في المادة التراثية المعطاه، فبعضهن لا يجدن فرقا في الوحم بين الحمل والآخر، وكذلك لا يجدن فرقا بين الحمل بالأنثى أو بالذكر، والبعض الآخر وجدن أن هناك إختلافا فمثلا يقال أن هناك حملا (وحامة ثقيل) وحمل (وحامه خفيف) وربما في الحمل الثالث لا تتعرض للوحم إطلاقا.

وأيضا ربما تتوحم المرأة على زوجها أي تكره القرب منه، وربما يكون العكس إذ تحبذ أن لا يفارقها أبدا.

وهناك إختلاف بين الحمل (البكر)[1] والحمل (الثنوة) أي ثاني حمل،

---

١. من الملاحظ اننا نقوم بوضع خطوط تحت العبارات التي تعبر عن المعتقدات والممارسات الشعبيه التي تركز عليها الدراسة وكذلك تحت المفردات الشعبية والأمثلة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فحمل البكر شديد جدا، والحمل الثاني يكون الحمل فيه أخف والإختلافات بين حمل وآخر تكون بالإختلاف في نوع الطعام المستخدم، فتذكر إحدى الإخباريات أنها المرة الأولى توحمت (بالحيب) وهو لحاء جذع النخل من الداخل، وفي المرة الثانية توحمت (بالترني) وهو نوع من الليمون كبير الحجم.

وهناك دائما تاكيد في هذه المادة التراثية على أن الحمل أو الوحم لا يعوق المرأة عن تادية أدوارها فتذكر واحدة أنها كانت تذهب للحطب وجلب الماء (وتروي) وتحمل "جرار" الماء على رأسها.

أما بالنسبة للإختلافات بين وحم الحمل بالذكور، ووحم الحمل بالأناث فالبعض يقول أن الوحم لا يختلف بين الإثنين، ولكن كان هناك إعتقاد بأن اعراض الحمل تكون مختلفة فلون البشرة بالنسبة للأم إذا مال إلى السواد قيل بأنها «حامل ببنت» ويدعي عليها بقولهم «غربلج الله كنج حامل ببنيه»[1] أما إذا مالت البشرة إلى البياض فتعرف بأنها حامل بذكر ويقال لها «ويها ينور» أي يشع من وجهها نور واضح، وكذلك إذا مالت المرأة للكسل والنعاس يقال لها حامل ببنت، وهنا إرتباط شديد بين قيم التفرقة بين الجنسين وفرحة الآباء والأهل بولادة الذكر، ونجدها كذلك تبرز في ظاهرة الوحم مما يدل على عمق هذا الفهم الخاطئ، وإن إكتشفنا بعض الفروق الفردية في الإجابات السابقة[2].

تكشف لنا الممارسات المتعلقة بالوحم أن هناك تأكيدا على إحتياج المرأة لبعض المأكولات التي قد تكون غير متوفرة في البيئة الطبيعية لمجتمع الإمارات، ولكن تبذل محاولات لتوفير هذه المأكولات للمرأة التي توحمت عليها.

١- غربلج الله حامل ببنت : أي حلت عليك اللعنة إذا كانت حاملاً بأنثى.
٢- أنظر إجابات س ٧ و س ٨ من محور الحمل.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكذلك بالنسبة لشعور المرأة الحامل تجاه الروائح فالأعتقاد أن هناك أنواعا من الروائح تفضلها المرأة الحامل، وأخرى تكرهها؟

ومن المعتقدات الشائعة حول هذا الموضوع أن بطن الحامل حينما يكون مستديرا فسوف تنجب ولدا، أما إذا كانت شكل البطن عريضا ومفلطحاً فإنها سوف تنجب بنتا؟ ويعتقد كذلك بانه إذا ماشمت المرأة الحامل وهي في فترة الوحم رائحة الطعام فيجب أن تاكل منه حتى لا "تضر الجنين" وعليها ألا تخرج في وقت المطر وذلك أن المطر سوف يضر بالجنين أيضا وربما يتعرض للتشوه.

ماذا يحدث إذا توحمت المرأة على أي شيء ولم تحصل عليه؟

أغلب الإجابات أشارت إلى ظهور شكل الشيء المشتهي على جسم الجنين ويسمى (شهوة) هذا إن لم تاكل منه.

كما يعتقد ان الجنين قد يخرج مشوها مقطوع الشفتين مثلا أو الأذن، ويكون ذلك بسبب قيام بعض أهل المرأة بقطع الخشب مثلا، أو فرم البصل بحضورها وبذلك يؤثرون على جنينها.

وتتضمن عادة الأثنوجرافية العديد من الأمثلة لأمهات إشتهين شيئا معينا ولم يجدنه، وبذلك ظهر على الولد أو البنت، وكل هذه الأمثلة تشير إلى أن العجز أحيانا قد يدفع إلى نوع من التفكير والتصورات غير الواقعية، فربما العجز الإقتصادي، ومعاناة المرأة في تلك الفترة ماديا أو إجتماعيا جعلها تميل إلى تفسير متطلباتها غير المتحققة تفسيرا غير علمي، ومن الناحية الثانية نستطيع أن نعلل ذلك، أي إعتقاد الناس بظهور الشيء المرغوب فيه على جسم الوليد كنوع من محاولات الإنسان لإيجاد تفسيرات لا يعرفون لها تفسيرا بيولوجيا أو طبيعيا من واقع المعرفة العلمية المتاحة، فمثلا بماذا يمكن أن نفسر بعض التشوهات والعلامات على جسم الطفل أو الطفلة دون أن يكون هناك وعي صحي فسيولوجي فيتم اللجوء إلى فكرة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الوحم وأثرها على الأم والطفل معا.

ولكن بماذا نستطيع تبرير وجود نفس التفسيرات على مستوى الأفراد في المجتمعات المتحضرة الآن، والتي تمتاز بتطور طبي وصحي كبير، وربما يعود هذا إلى أن المعتقد يتوارث، وقد يكون من القوة أحيانا إلى درجة أنه يتجاوز المعطيات العلمية والتفسيرات الواقعية إلى الخيال والوهم، وهذا هو أحد الأهداف التي نحاول الكشف عنها، والوصول إليها من خلال هذه الدراسة، فإلى أي مدى تسير العادات والتقاليد والممارسات والمأثورات والمعتقدات؟

إلى أي مدى تنغمس في عمق التراث الثقافي للإنسان في مجتمع الإمارات؟ وكذلك ماذا حدث فيها من تغيير؟ وكذلك ما هي أدوارها الآن أي في مرحلة التحديث؟

هل يعوق هذا التراث ببعض جوانبه السالبة حركة التنمية البشرية مثلا؟

إننا في سياق الإجابات سنجد كماً كبيراً من هذه الأمثلة نضعها كما جاءت على لسان الإخباريات ربما يستطيع غيرنا من الدارسين الإستفادة منها، حتى وإن كانت هذه المادة يشوبها بعض التكرار والإلتباس فهذه هي سمات البحث في المادة الفولوكلورية دائما.

الوحم وتفسيراته:

من الناحية الإنثروبولوجية فإن الوحم وإرتباطاته الثرية بقوائم طويلة من المرغوب والممنوع (تابو) من الطعام بصفة خاصة يفسر من قبل البعض (وعلى رأسهم سير جيمس[1] فريزر (Frazer) بأنه من الرواسب أو القضايا الحية (Survivals) للدلالة على أن المعتقدات المبكرة أو البدائية عند الإنسان ربطت بين الحمل والطعام أو الغذاء، أي فسرت الحمل نتيجة للطعام أو

1- Frazer , J. G: The Golden Bough, Paperback abridged, (1957).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الغذاء الذي يعيش عليه الإنسان، ولهذا جاءت قائمة «الممنوع» والمرغوب و«النافع» و «الضار» من الطعام عند حدوث هذه العملية.

وفي رأي فريزر أن هذا التفسير للحمل والإنجاب هو الذي أدي إلى ظهور أبسط أشكال الحياة الدينية عند الإنسان البدائي أو القديم ولكن الدراسات الإنثروبولوجية لنظم المعتقدات في المجتمعات البسيطة (كدراسة السحر والعين الشريرة والحسد). أكدت أن التفسير الروحي أو الطقوس يتكامل مع التفسير العلمي ولا يتناقض معه أو يلغيه أو يتجاوزه، فالإنسان الذي يعتقد بأنه بدائي (لأنه لا يقدم تفسيرا علميا للظواهر) هو في الواقع أكثر شمولا في تفكيره إذ أنه قد يعرف التفسيرات الطبيعية للظواهر ولكنه يضيف بعدا آخرا وهو التفسير فوق الطبيعي، فإذا إنهار بيت على جماعته فقتلهم فإن الإنسان «البدائي» يعرف التفسير الطبيعي لهذا الحادث وهو أن المنزل ربما كان بناؤه ضعيفا، أو تآكل بفعل عامل الزمن أو ... أو ... (وظل هذا تفسيرا علميا يعرفه) ولكن يبقى التفكير ناقصا بالنسبة له إذ أن هنالك جانبا لم يفسر وهو :-

لماذا إنهار هذا البيت بالذات؟ في هذا الوقت بالذات:، والذي كان فيه هؤلاء الناس بالذات (لماذا هم وليس غيرهم)؟

والرجل الغربي قد يقول أنه صدفه (وهذا يعتبره البدائي هروبا من التفسير وليس تفسيرا).

ونحن نقول : قضاء وقدر (وهو تفسير عقائدي ممكن أيضا) أما الرجل البدائي فيقول أن العين (الحسد) هو الذي جعل هؤلاء الناس بالذات هم الضحايا وليس غيرهم فالتفسير هنا تفسير كلي شمولي حيث تتكامل العوامل الطبيعة مع العوامل فوق الطبيعية ولا تتناقض ولا يلغي بعضها الآخر.

فمثلاً:

لو أن هناك تشوها حدث لجنين بعد الميلاد، فبغض النظر عن العوامل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العلمية أو الطبيعية التي تفسر ذلك (عرفها الإنسان أو لم يعرفها) يبقى السؤال القائم هو : لماذا حدث هذا الحدث المؤسف لهذه المرأة بالذات؟ ولهذا الجنين بالذات؟ فالتفسير الإسلامي عند عامة الناس هو قضاء وقدر وإن كان لدى المسلمين المتخصصين ما يفسر ذلك تفسيراً علمياً لا تدركه العامة من الناس أما التفسير الشعبي، فقد يضيف بعدا آخرا وهو البعد الطقوسي القائم على الترابط بين ما يحدث داخل رحم المرأة وما يحدث حولها (فتقطيع البصل أو الخشب أمام المرأة الحامل بواسطة السكين، حالة غير مرغوب فيها لأنها عن طريق الترابط قد تؤدي الى نتيجة متوازية داخل الرحم فتظهر تشوهات للجنين)، أما كيف يحدث هذا الترابط فهم لا يعرفون.

أي أنهم يعرفون لماذا حدث التشوه، ولا يعرفون كيفية حدوث ذلك.

الوحم والوضع الإجتماعي للمرأة :-

أما عن الصورة التي ترسمها المادة التراثية التي جمعناها من واقع مقابلة (٧١) حالة من الدايات والطبيبات الشعبيات، وبعض الحالات من الرجال الذين عايشوا تلك المرحلة فنجد أنها صورة متكاملة للوضع الذي كانت تعيشه المرأة في تلك المرحلة وإذ يتسم الوضع الإجتماعي للمرأة في تلك الفترة ماقبل التغيير بنوع من التناقض في بعض جوانبه، فبالرغم من أنها كانت صاحبة الدور الإقتصادي الأساسي في حياة الأسرة إلا أنها كانت على المستوى الإجتماعي تميل إلى تهميش دورها، وإن كان هذا التركيز الشديد عليها من قبل الأهل (أهلها وأهل الزوج) ورغبتهم في الإنجاب ينطلق من ذلك الواقع، ألا وهو واقع العطاء، هذا من ناحية أما من الناحية الآخرى فالإنجاب هنا يعني أيضا ترسيخ دور العطاء الإجتماعي وبناء الأسرة، وتقوية النظام الإجتماعي في المجتمع القبلي في تلك المرحلة.

وتتنازع هذه المرحلة قيم الكثرة في الإنجاب وذلك لتقوية بناء العائلة والقبيلة، وإكثار العزوة من أجل تبوء مكانة إجتماعية أفضل بين بقية القبائل.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولكن ما علاقة ذلك والمادة التراثية حول أعراض الوحم والمبالغة الشديدة في معطياته من اشتهاء وكراهية، والقصص التي سنوردها حول تجارب النساء ممن لم يحصلن على ما أردن أكله أثناء بدء الحمل، وظهور ذلك النوع من الطعام وغيره على أجسام الأطفال. .

ربما كان ما يحيط بمرحلة الحمل كالخوف من الحسد، ومشاعر الفخر لدى الرجل، ومشاعر وأحاسيس العطاء لدى المرأة كل ذلك يؤدي إلى نوع من الممارسات الخاصة جدا مما دفع إلى هذه الأمثلة الكثيرة لظاهرة الوحم.

وإذا أخذنا في الإعتبار الوضع الهامشي للمرأة فإن التفسير الذي تردد كثيرا كظاهرة طقوسية مرتبطة بالمرأة (كالزار) على سبيل المثال - بإعتباره (عبادة المحرومين) Deprivation Cult[1] وهم الفئات الهامشية في المجتمع فإنه يمكن القول أن الوحم وما يحيط به من عناية فائقة بالمرأة في هذه الفترة وما يرتبط به من طلبات ورغبات للمرأة يجب أن تلبي بواسطة الذكور، والذين عادة لا يهتمون كثيرا برغباتها وطلباتها ضمن روتين الحياة، وقد يفسر إجتماعيا أيضا بأنه مظهر من مظاهر نظم المحرومين (Deprived).

1- Lewis, I.M. Ecstatic Religion Penguin (1971).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الخامس
الـــولادة
Giving Birth

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الـــــولادة:[1]

يدور محـور الولادة حـول الممـارسـات والإسـتـعـدادات والإجـراءات والمعـتـقدات المتـصلة بهذا الحدث الـهام في حـيـاة الفرد والجـمـاعة. ويقـدم الإخـباريون في إفاداتهم عن الأمور المتصلة بهذا الحدث صورة حية لمستوى المعيشة التي كان يعيشها شعب الإمارات في المراحل السابقة لمرحلة الطفرة الإقـتـصـادية كـما تعكس إجـابـاتـهم الحـيـاة الإجـتـمـاعـيـة المتـماسكة والبناء الإجتماعي القوي القائم على نظام التكافل الإجتماعي.

١- *إن الاسئلة المتعلقة بالولادة كانت كما يلي :*

- ما الأشياء التي تعد للمراة قبل الولادة؟
- ما الأدوات والتحضيرات اللازمة قبل الولادة؟
- ما الأشياء التي تعمل للمراة او تعطى لها لتسهيل الولادة؟
- كيف تتم تحمية الطلق للمراة ذات الطلق الضعيف؟
- صف الوضع الذي تتخذه المراة وهي تلد؟
- ما العلامات الدالة على قرب الولادة؟

كيف يعرف الناس أن الولادة ستتم بطريقة طبيعية او متعسرة؟

- من الذي يقوم بمساعدة المراة في الولادة؟
- ماذا ياخذ كل منهم مقابل ذلك؟
- ممن تتلقى المراة الواضعة التهنئة أولا؟
- ماذا تقدم للداية بعد الولادة (نقود - هدايا)؟
- هل هناك هدية او أي شيء يقدم لمن يبشر الأب بالمولود؟
- هل هناك فائدة من وجود الزوج بجوار زوجته أثناء الولادة؟
- من يكون في الحجرة أثناء الولادة؟
- ما الصعوبات التي تواجه المراة البكر وهي تلد؟ كيف يتصرف فيها؟
- كيف يتم قطع الحبل السري؟
- كيف يتم التصرف في المشيمة؟ اسال عن اسباب حفظها او التصرف فيها باي شكل؟
- ما هي مؤشرات عسر الولادة؟ وكيف يعالج كل منها شعبيا؟
- اسال عن اي ولادات غير طبيعية قد تكون حدثت لبعض النساء؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويمكن تناول الولادة من خلال ثلاث مراحل هي مرحلة ما قبل الولادة ، مرحلة الولادة، مرحلة ما بعد الولادة، على النحو التالي :-

١- مرحلة ما قبل الولادة:

أن الأشياء والتجهيزات التي تعد للمرأة قبل الولادة تعبر عن صفاء العقلية آنذاك من العديد من القيم الإستهلاكية بل على العكس من ذلك نجد قيما إقتصادية متواضعه وبسيطة تعكس المستوى الإقتصادي الفعلي للآفراد دون الجنوح بعيداً إلى مستويات لا يستطيع تحقيقها الفرد، فهناك نشاهد الاتساق بين ما يملكه الفرد وبين ما يستهلكه، فالتجهيزات للمولود تتمثل في الياس والملح والشنوط والقماط والسرعة الطاقية (الكلوين) والكحل وغالبا ما تكون الملابس ليست جديدة، بل من الفائض الموجود بالمنزل وربما لأطفال سابقين لولادة الطفل الجديد، ويأتي ذكر التجهيزات الأخرى ضمن الإجابات المذكورة[١].

إن الحديث عن الممارسات التي تتم لتسهيل الولادة وتحمية الطلق تعكس فقدان مجتمعنا في السابق للخدمات الطبية المطلوبة، ولخطورة المرحلة وانعكاسها على صحة الأم وجدنا أنفسنا أمام تساؤل هام كيف إستطاع مجتمع الإمارات الإستمرار والمقاومة لشتى أنواع القصور في مستلزمات الحياة العادية للإنسان؟ .. ورغم ذلك قاوم ذلك الجفاف على المستوى المعيشي والصحي، وكيف إستطاع إستخدام أبسط المواد المتاحة في البيئة المحلية؟ كما كان هناك أساس السلامة فيها الإيمان بالله، والذي يتمثل في اللجوء لتلاوة القرآن الكريم على الأم بهدف تسهيل عملية الولادة، بإستخدام (حل السليط)[٢] أو (حرز تخلاص)، ثم كانت هنالك الخبرة العملية المكتسبة عبر

١- يرجى الإعتماد في معرفة التفاصيل على الإجابات نفسها كما جاءت على لسان المتحدثين والمتحدثات من الإخباريات حاملي التراث، وذلك في الجزء الثاني لهذه الدراسة.

٢- (حل السليط أو حرز تخليص) حل السليط مادة دهنية تعطي للمطوع أو المطوعة ليقرأ من القرآن الكريم حتى تسهل ولادة المرأة، ويمكن أن يكون ما تقرأ فيه آيات من الذكر الحكيم فتشربه المرأة وتسهل ولادتها، وعندها يسمى (حرز تخلاص).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأجيال والتي تتمثل في أمور عده، منها على سبيل المثال معرفة اهمية المشي بالنسبة للمرأة الحامل وهذا يكشف عن وعي خاص باهمية الحركة للمرأة، ثم إستخدام العديد من المواد الشعبية مذكورة ضمنا ولكن لا يغيب عن القارئ ايضا ملاحظة بعض الممارسات الخاطئة التي كانت تقوم بها الداية، وخطورة ذلك على الأم كما نلاحظ الإختلاف الواضح بين ممارسات الجماعات الثقافية المختلفة كالسنة والشيعة، وجماعات البلوش واللارية [1] حول الوضع الذي تتخذه المرأة وهي تلد. حيث جاءت الإجابات لتعكس درجات الوعي لدى المرأة حول هذه القضية، رغم أن معظم هذه الأمور كانت من توجيهات الداية فالداية كانت المرأة التي يرتبط بها مصير الأم الوالدة منذ بدء الحمل وحتى الولادة، بل وما بعد الولادة، فهذه الداية تلعب دورا حيويا في حياة الأم والجنين، فترتبط حياتهما بها، إذ تلعب دور المؤسسة الطبية، في مجتمع يفتقد إلى المؤسسات الطبية بالفعل. ولنا أن نتساءل كيف كانت هذه الداية تعاني من الجهل بمهنتها؟ وما الخطورة التي يمكن أن تسببها للمرأة وللجنين؟

إن الداية تستخدم في ممارساتها معطيات البيئة لمساعدة المرأة على الولادة فعلى سبيل المثال نجد أن الرمل يوضع تحت المرأة لكي يساعدها بالإضافة إلى (الحطبة) المغروزة أمامها لتتمسك بها المرأة عند إشتداد الطلق.

ومن الأمور الهامة التي يجب الاشارة اليها هي أن عملية الولادة تتم بسرية تامة بحيث لا يعلن عن المرأة المقبلة على الولادة (عن يشلون ويعها) والسبب كما نذكر حتى لا يتناقل الناس خبر بدء آلام الولادة عندها وبالتالي ينتشر الخبر بينهم ليصبح الخوف من الحسد قائماً، إضافة إلى تفسير آخر مؤداه أن الألم عندما يتناقله الناس يقل تدريجيا عن المرأة التي تلد مما يعني

١- (جماعة اللارية) تعود إلى (لار) إسم قرية في جنوب إيران وهي منطقة جبلية - ويؤمنون بالمذهب الشيعي، لقد كانت مجموعة منهم من السنة ولكنهم تحولوا إلى المذهب الشيعي منذ حوالي ١٥٠ أو ٢٠٠ عام.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فتور آلام الطلق لديها وبالتالي تعسر الولادة، لذا فهم يخفون أمر الولادة تشاؤما من حدوث أمر خطير ولربما تكون هناك أسباب أخرى أهمها فشل الداية مثلا وخوفها من إعلان هذا الفشل، وتعرض مستقبلها المهني للمخاطر ومن المهم تأمل المفردات التي أعطيت لقطعة القماش المملوءة بالرمل والتي تجلس عليها المرأة أثناء الولادة أهمها - الصرار -، والذي يعتبر كالمقعد، ثم كلمة «الدايلة» أي عمود الخشب الذي تتمسك به المرأة، كل هذا يوضح لنا أن تغيراً قد حدث على المستوى العلمي في منطقة الخليج، خاصة بعد ظهور مستشفى حمدة في قطر، تلاه بعد ذلك المستشفيات في دبي، ورغم ذلك فلقد كانت النساء يجمعن بين عمل الطبيبة والإستعداد الشعبي لحالة الولادة، وهذا يعبر عن متغير جديد دخل المنطقة الخليجية.

أما عن العلامات الدالة عن قرب الولادة، وما إذا كان الناس يعرفون الولادة إن كانت ستكون طبيعية أم متعسرة؟ فقد تكشف لنا هذه الأسئلة عن مدى المعرفة والوعي بظواهر الولادة، ومخاطرها فقد تراوحت الإجابات بين المعرفة وقلة المعرفة بهذه الظواهر، مما يكشف حقيقة أن الطب لم يكن قد وصل في تلك المراحل إلى درجة تتيح وعيا للإنسان العادي، وذلك سائد حتى اليوم، أو في المرحلة الراهنة التي تطور فيها الطب والمؤسسات الطبية ولكنه الإنسان العادي الذي ظل يجهل الكثير من خبايا الأمور.

ولكن أما من دور إيجابي للدّية؟ تظل (الداية) تقوم بدور يبعد الخطر عن الأم، ويتمثل هذا الدور في سرعة التصرف عندما تشعر بإستعراض وضع الجنين أفقياً أو مقلوباً، فتقوم بإدخال يدها في رحم الأم وتعدل من وضعه.

ومن المعتقدات الخاصة بطبقة معينة، وتبدو أنها طبقة غنية لجماعات من الشيعة في دبي، وضع خاتم من الماس في ماء وتشربه المرأة المتعسرة، وهنا يبرز هذا السؤال لماذا الماس؟ لماذا هذا الإعتقاد؟ ثم بعد أن تشرب الماء يربط الخاتم في فخذ المرأة فتتسهل الولادة، وهؤلاء يؤكدون على فكرة أن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هدية بسيطة جداً ولكنها تعبر عن قيمة إجتماعية عالية القدر في ذلك الوقت، وما أعجبها من مقارنه إذ أتاح لنا هذا البحث المقارنة بين متغيراته القديمة والحديثة فنجد في زماننا هذا الهدية للطبيبة قد تصل إلى «عقد الألماس» أو السيارة ورغم قسوة هذه المقارنة إلا أن الممارسة القديمة تبدو أكثر عقلانية وتحمل المودة والحب بين الأسرة ومن يقدم الخدمات.

وفي بعض الحالات لولادة زوجة الشيخ وبالاخص في حالة بشارة بالولد وليس بالبنت فماذا كانت الهدية (خاتم ذهب)، وهذا هو سقف الفرق بين الطبقات الإجتماعية الغنية والفقيرة، وتقول بعض الاخباريات أن بشارة الولد (١٠٠ روبية) أو خنجر، والبنت (١٠ روبيات).

وهنا نقول لماذا الفرق؟ ولماذا الخنجر؟ إنها قيم إجتماعية كانت ولازالت سائدة.

بشروني بالغلام فز قلبي في المنام بشروني البنية أظلمت الخيمة عليه

أما التساؤل حول ضرورة وجود الزوج بجانب زوجته أثناء الولادة، فكان هناك شبه إتفاق بين جميع الإخباريات والإخباريين برفض الفكرة والتعبير عنها بكلمة (حشا) أي المنع التام من تواجد الزوج أثناء الولادة، وربما يعود هذا الرفض القاطع لوجود الزوج إلى قصور في الوعي بأهمية وجوده أثناء الولادة فهذه من المتطلبات الجديدة في حياة المرأة أو الأسرة بالإمارات ولكنها لم تكن مدركة آنذاك فالعامل النفسي المؤثر لوجود الزوج أثناء الولادة للطرفين زوجاً وزوجةً مهم لتشعر هي بدفئه ويشعر هو بمعاناتها، وحتى يسهم معها في تربية الطفل الجديد بالأسرة، ثم إن الرفض ربما يعكس كذلك خجل الزوجة من زوجها ومن رؤيته لها وهي في حالة الولادة فقصور الوعي، وخجل المرأة ربما كانا العاملين اللذين يكشفان حقيقة الموقف ، ولكن البعض أفاد بأنه إذا تألمت الأم وتعسرت ولادتها يطلب من الزوج أن يحضر.

ننتقل بَعدَها إلى الصعوبات التي تواجه المرأة البكر وهي تلد وهنا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نلاحظ الفرق بين حاضرنا وماضينا، فالآن يحسب ألف حساب لولادة البكر، أما في الماضي فقد كانت ولادتها عادية ولا تختلف الإستعدادات لها عن غيرها من الولادات، وربما كان ذلك يعكس مدى بساطة الحياة وقلة التعقيدات وبساطة التفكير في قضايا الولادة، وقلة الوعي كذلك بهذا الجانب . وهناك من يعتقد أن ولادة البكر أسهل ٨من ولادة (الثنو) أي التي تلد لثاني مرة .

مرحلة ما بعد الولادة : قطع الحبل السري، وحفظ المشيمة:

إن قطع الحبل السري للمولود أو المولودة يعد عملا تقوم به الداية ضمن وظائف التوليد، ولكنه عملٌ يحمل العديد من الممارسات الشعبية التي ربما تكشف عن معتقدات ثابتة لدى سكان الإمارات في تلك المرحلة التي لم يدخل فيها المجتمع مرحلة التحديث.

مع ملاحظة أنه من هذه الممارسات تم رصد العديد من الأمثلة الشعبية التي تعكس عن تلك المعتقدات، وتوضح مدى إيمان أفراد المجتمع بأهمية المحافظة على «سر» الإنسان.

هناك دائما «سر» في كينونة الإنسان يقف المخلوق حائرا لا يجد تفسيرا لهذه الكينونه، وربما هذا الشعور القوي لدى الإنسان ورغبتة في فهم السر الإلهي تجعلانه يحرص كل هذا الحرص على "سرة" الإنسان إعتقاداً بأنها تحمل سر الإنسان.

فمن الإجابات الأحدى والسبعين يوضح الأخباريون الذين ساهموا في هذه الدراسة تشابها عجيبا في كيفية التصرف في «سر» الإنسان.

أولا : التشابه في الرغبة الشديدة للمحافظة عليها أي على السرة.

ثانياً : التشابه في نوعية المواد المستخدمة لحفظها من التعفن. كالأثمد، والياس والزعتر، وبالطبع الملح فلقد كان الملح الدواء للعديد من الأمراض في تلك المرحلة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثالثاً : عملية قياس أربعة أصابع أو شبر واحد ثم القيام بالقطع مما يعني أن الإتفاق على الطول الذي يجب أن يقطع من السرة، ولهذا في نظرنا تفسيرات لا تخلو من العلم والوعي لهذا القياس بالتحديد.

رابعاً : العقدة أي عقد السرة (٣) عقدات في ثلاث مناطق منها مما يعني التثبت من الإحتفاظ بالسرة.

خامسا: دفن السرة ليظل سر الإنسان مدفونا لا يصل إليه أحد.

من أكثر العناصر ثراء أوغنى بالمعتقدات والممارسات الأمور المتصلة بكيفية الإحتفاظ بالمشيمة أو السرة للوليد الجديد.

إذ يتضح لنا أن هذين الجزئين الرئيسيين المتخلفين بعد الولادة يتم التعامل معهما بشيء من الإهتمام، ويمثلان أهم المعتقدات في حياة الأسرة الإماراتية.

فالمشيمة إعتبرت عنصر التواصل والإستمرار بالنسبة للمرأة فالطريقة التي تحفظ بها المشيمة تعبر عن إستمرارية قدرة المرأة على الإنجاب فلقد أجمعت اجابات الاخباريات على أن المشيمة تدفن في مكان آمن من المنزل أو على البحر.

إن أهمية المحافظة على المشيمة نابعة من أنها تمثل سر المرأة، وحمايتها، وحماية قدرتها على الإنجاب مستقبلا أما عن السرة فالإهتمام بها أيضاً يمثل الرغبة الشديدة في الإحتفاظ بالوليد والمحافظة عليه من خلال حماية سرته من الإفساد، بل تستخدم له مجموعة من الأعشاب أو الملح الذي يساعد على الإحتفاظ بها، ومن ثم إستخدامهابعد أن تجف في علاج مرض العيون بالنسبة لنفس الطفل أو علاج المغص المعوي.

ومن الملاحظ كذلك أن الإعتناء بالمشيمة والسرة وحفظهما ودفنهما أو إستخدامها وخاصة المشيمة أداة لدرء الحسد والتيمن بها إذا تعرض الإنسان لقضية في المحكمة فإنه يتخلص من التهمة لمجرد أن يحمل المشيمة المجففة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالملح والاعشاب الأخرى - إلى جانب أن هذه المرحلة من مراحل التوليد ورعاية الأم والوليد تعبر في الكثير من الملابسات والممارسات الشعبية عن وعي صحي كان حاضرا لدى القابلة ولدى أهل الأم، فنجدهم مثلا يحاولون التخلص من كل أجزاء المشيمة حتى لا يظل بعضها عالقا بالأم مما يسبب لها المرض أو الوفاة، وإذا حدث ذلك فإنهم يستخدمون بعض الأدوية الشعبية كالفلفل الحار والقرض والحبة الحمراء لتنزيل هذه الأجزاء - مما يعني أن الإنسان في تلك المراحل كان يقاوم أشكال الأمراض التي من الممكن أن يتوقعها، وكان حريصا على إستخدام الأدوات التي تقدمها له البيئة الفقيرة من أجل مقاومة تلك الأمراض.

وأن الإنسان لم يكن مستسلما للعديد من الأزمات التي كان يتعرض لها، فمثلا إستخدام الإنسان للمشيمة بعد أن تجفف لمواجهة أية معضلة إجتماعية كالمحاكمة أو العجز الإقتصادي والفقر والتيمن بهذه المشيمة، لانها الجزء الذي حفظ الجنين تسعة أشهر والذي إعتمد عليه الجنين في التغذية والحماية، وإنما يعبر عن القيمة الكبرى التي تعطيها المرأة للمشيمة التي كانت آداة لحماية الجنين، وبالتالي يمكن أن تكون آداة لحماية نفس الجنين بعد أن يولد، ويكبر، أو لحماية الأب والأم . إن الإهتمام بالمشيمة "أو السرة" هوفي المقام الأول إهتمام ذو طبيعة "طقوسية Ritual يرتبط برسوخ فكرة ما يشير إليه علماء الفولكلور إصطلاحا بالتأثير التعاطفي أو السحر التعاطفي Sympathetic Magic وهو السحر الذي يقوم على مبدأ أن التأثير على الجزء هو بالضرورة تأثير على الكل، فحفظ السرة وصيانتها وحمايتها هو حفظ وصيانة وحماية للإنسان نفسه والضرر الذي قد يقع على "السرة" ينعكس بالضرورة على صاحب السرة حاضرا ومستقبلا، وعلى هذا المبدأ تقوم بعض ممارسات "السوا" أو "العمل" حيث تؤخذ أجزاء من الإنسان (كالشعر مثلا - أو الملابس) تجرى عليها بعض الطقوس والممارسات التي يعتقد أن أثرها ينسحب بالضرورة على صاحب الشعر أو الملابس.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل السادس
مرحلة ما بعد الولادة
Postnatal

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مرحلة ما بعد الولادة (١)

تشمل مرحلة مابعد الولادة العديد من الأمور والظواهر والممارسات المتبعة بعد الولادة، وتبدأ بالاستعدادات لحياة جديدة، وبالأخص تلك المتبعة للأسرة عامة وللمولود الجديد بخاصة.

ومن أهم الممارسات والعمليات والظواهر المرتبطة بهذه المرحلة ما يلي :

أولا : تنظيف الأم بعد الولادة :

يعتمد تنظيف الأم بعد الولادة على استخدام العديد من الأدوية الشعبية، وقبل الحديث عن هذه المستخدمات والأدوات نطرح فكرة رئيسية ألا وهي أن درجة الوعي بالنظافة للمرأة الوالدة كانت عالية جدا، وجاء إحساسنا بصدق هذه المعلومة من التشابه في الإجابات والتأكيد على أنهم كانوا يعتنون بالمرأة بشكل دقيق لإزالة المتبقى من الولادة بداخل الرحم وخارجه من بقايا المشيمة والدم، وأحيانا تقوم بنفسها بعملية التنظيف بعد أن تجهز لها المواد المطلوبة وهي :-

١ - الملـح : وله دلالة كبيرة في حياة الأسرة الإماراتية في السابق (إلى درجة

والأسئلة هي:-
- كيف يتم تنظيف المرأة بعد الولادة؟
- كيف يتم غسل وتنظيف الطفل بعد الولادة (صف الأدوات والمواد المستخدمة في تحميم الطفل
- صف الإجراءات الصحية التي تعمل للطفل للحفاظ على صحته مثل التكحيل) ؟
- هل هناك بعض الأقوال التي تقال في مثل هذه المناسبة؟
- ما هي مواعيد تحميم الطفل؟
- من يقوم بتحميم الطفل لأول مرة ؟ لماذا ؟
- ما هي ملابس الطفل الوليد؟
- ما هي أساليب زينة الطفل الوليد؟ - أكتب الأيات القرآنية والأدعية التي تقال عند نزول الطفل وتحميمه؟
- متى يتم حلق شعر الطفل بعد الولادة؟ - أذكر أي أمثال أو أغاني تقال عند تحميم الطفل؟
- كيف ينظر الناس إلى المرأة التي في فترة النفاس؟
- بماذا تسمى حمى النفاس في المجتمع المحلي؟
- ما هي الأسباب التي تؤدى بالمرأة الى الإصابة بحمى النفاس؟
- ما هي طرق علاج حمى النفاس؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنها تسمى أم الولد) لما تمثله من أهمية خاصة لديهم.

٢ ـ السـمن : الدهن.

٣ ـ اليـــاس : نوع من الأعشاب مطحونة ولها رائحة جيدة لغسيل الشعر.

٤ ـ النـــار.

٥ ـ البـــزار : نوع من البهارات والفلفل.

٦ ـ الـكركم : نوع من البهارات أصفر اللون.

٧ ـ حريـيف.

٨ ـ بول البوش: بول الجمال، ويستخدم خارجيا أي يوضع على التراب ويسخن، ويوضع تحت ظهر المرأة.

٩ ـ إستخدام الحصاه: نوع من الحجر لتدفئة البطن.

١٠ـ الـــقرط : نوع من الشجر تؤخذ أوراقه ويمتاز بطعمه المر

١١ـ الطحـــين :

١٢ـ الحريروه : مشروب لتسخين البطن مكوناته الأساسية الحبة الحمراء، والبيض، والفلفل، والدهن البلدي.

١٣ـ الحلبـــة : تشرب لتساعد على تنظيف البطن وجسم المرأة وتعويض الدم النازف.

١٤ـ الحرمـــل: نوع من النبات الشديدة المرارة.

١٥ـ السـح : أي التمر ويخلط التمر والكركم والملح ويستخدم لتنظيف الرحم.

١٦ـ الجلاب : طعام مكون من الطحين والزنجبيل والفلفل والجرفة (القرفة) والهيل.

١٧ـ الزنجبيل : نبات حار يستعمل للشرب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٨- السـدر: نوع من الشجر ذو ثمرة النبق.

١٩- المعمولة : عبارة عن الياس والتركة صالح ومجموعة أدوية تخلط وتوضع في الشمس ثم تغسل لتنظيف مهبل المرأة .

٢٠- قشر الرمان : ويستخدم كذلك مع الماء والملح للتنظيف.

إذن تتعدد الأدوات والمواد المستخدمة لتنظيف المرأة بعد الولادة مما يدل على عمق الوعي بأهمية هذه النظافة، ومما يدل كذلك على قدرة الإنسان الإماراتي في تلك المرحلة على إستخدام كل ما تقدمه له البيئة من مواد يستثمرها لصالح الصحة ولصالح إستمراره في تلك البيئة ومن الملاحظ التأكيد على أن الملح هو الدواء الأول لتنظيف المرأة، وهو قاسم مشترك مع جميع الأعشاب الأخرى، وتظل تستخدمه خلال ١٤ يوما أو ٤٠ يوما حتى تتم عملية الإغتسال وتبدأ بالطهارة.

ثانيا : تنظيف المولود وتحميمه :

تنظيف المولود أو المولودة والتزين وحلاقة الشعر أمور كان يحرص عليها الجميع، وهنا نعود لنؤكد عمق الوعي الصحي والإهتمام بصحة الطفل وإن كانت في الغالب تستخدم المواد التي قد تضر بقدراته في المستقبل، ولكنها في النهاية تعكس السياق العام لهذه البيئة ومتطلباتها.

وتتشابه المواد المستخدمة لتنظيف المولود مع تلك التي إستخدمت لتنظيف المرأة كالملح والياس، والنيل والمحلب، والكركم، والمر، الحبة الحمراء، والصبر، والبضاعة، وحل الحلو، وحل حليل، والمر الهندي، الظي، وبنت الذهب، والزبدة، الزعتر والطحين.

وتؤكد الراويات على أهمية تحميم الطفل، وتستخدم نفس تلك الأدوات في كل البيئات سواء كانت الحضرية أم البدوية أم الجبلية، كذلك لدى بعض الفئات الثقافية (البلوش) مثلا، وكلها تستخدم تلك المواد، بالإضافة إلى قراءة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القرآن على تلك المواد والأعشاب قبل إستخدامها لتنظيف وتحميم المولود أو المولودة.

ولاحظنا أن بعض أفراد الفئات الثقافية غير العربية يسكبون الماء بعدد أيام الطفل فإذا كان في سابع يوم سكبوا عليه الماء سبع مرات، وإذا كان ١٤ يوم يسكبون الماء عليه ١٤ مرة، وكذلك الحال إذا كان في يومه الأربعين مما يدل على بعض التصورات الضمنية التي تعمق فهم النظافة والوعي بها.

وإستكمالا للفكرة الثانية جاء السؤال "صف الإجراءات الصحية التي تجرى للطفل للحفاظ على صحته (مثل التكحيل) ليؤكد ضرورة التركيز على جميع الممارسات التي تتم بعد الولادة لما لها من أهمية قصوى في هذه المرحلة من حياة الإنسان ولقد أثمرت الإجابات العديد من الممارسات المتشابهة في أغلبها لتؤكد أن الأسرة الإماراتية كانت تعتني عناية فائقة بالطفل، وكانت تستخدم كل الموجودات البيئية من أدوية وأعشاب وعطور لمعالجة الطفل، ولمساعدته على إستخراج (العقا) أي المتبقى من أوساخ في بطنه بعد الولادة، وللتكحيل، والتحريص، ورسم الحاجب، والتدليك والتحنيك أي تدليك اللثة بالعسل وكلها عمليات فعلية تقوم بها الأم أو الداية أو أحد الأقارب لمساعدة الطفل، وعلاجه وتنشئته تنشئة صحية جيدة، أما المستخدمات أو الأدوات والمواد في هذه العمليات فهي : الزباد، وهو نوع من العطور يأتون به من عدن والصراي الأسود (وهو الكحل الذي يحضرونه من رأس الخيمة، وهي أحدى إمارات الدولة)، والأثمد نوع من الحكل البودرة، ويؤتي به من السعودية، والسمن، والدبس، والتمر، والياس، وهو نوع من العطور أو الأعشاب ذات الرائحة الجيدة ويسحق كالبودرة، والعشرق أو العشرج، وهو نوع من الإعشاب الجبلية تستخدم في علاج الإمساك لدى الأطفال.

أما الكحل فيوضع بشكل + فوق جبهة الطفل، ويعتقد أن هذا الشكل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يمنع الحسد، أما التغذية فتعتمد على الحبة الحمراء لما له من فوائد غذائية كبيرة، كذلك الزعتر واللبان العربي بعد أن يغليا على النار، كذلك المواد (كتركة صالح) والدوخشير، والسكر أو سكر نبات أو "عيون حراح" وهي نوع من الكحل يوجد في محار البحر . وكذلك تستخدم (النيل) وهي المادة الزرقاء التي يعالج بها الجلد من أية أنواع من الحساسية وكذلك تستخدم للتغذية نوع من المكسرات (البيذام أي الجوز) ولم يصعب على الأسرة في تلك المرحلة إيجاد العلاج لكل أشكال الأمراض التي يتعرض لها الطفل حديث الولادة. .

فوجدنا علاج "إنزال العقا والتخلص منه" أو علاج (أم زليقة) أي حساسية الجلد، (علاج العيون)، علاج الأذن بما يسمى (اللغو)، محاولة إستدارة رأس الطفل حتى لا يكبر ورأسه مستطيل، أو إذا تعرض الطفل للبكاء الدائم (الصيحة) ثم التأكيد على إستخدام الرضاعة الطبيعية، أو حليب البقر مما يؤكدالرعاية الفائقة أو إستخدام المواد الطبيعية مما يساعد على النمو الصحي الجيد للطفل.

وإستمرارا لمتابعة ممارسات الأسرة بكامل أعضائها للمولود أو المولودة الجديدة نطرح تساؤلا حول الأقوال التي تردد أثناء تحميم الطفل والعناية به، ثم من هم الذين يقومون بتحميمه أول مرة، وما هي الملابس المستخدمة لذلك؟

والردود على هذه التساؤلات ربما تفتح لنا آفاقا جديدة في هذه الدراسة لربما أجلنا الكتابة فيها للمحور الأخير منها، وهي أمور التنشئة النفسية والصحية، وكذلك القيمية والإجتماعية، إذ لاحظنا مباشرة من الإجابة على الأقوال التي تردد أثناء العناية بالطفل، إنها ذات مضامين خاصة تركز أغلبها على التنشئة الدينية بجانب الإعتماد على تعليم الطفل أمور الحياة الخاصة به سواء كانت للذكور أو للإناث وهي مختلفة فيما بينها بطبيعة الحال.

فالأقوال التي تردد تعتمد على آيات من القرآن الكريم لحفظه من الحسد والعين، ثم تطلب زيارة من رجل ذي سمعة طيبة وخبرة وشجاع، ويعطى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الطفل ليلقنه النصائح التي بعد تحليلها إكتشفنا أنها تحمل قيما ذات أهمية كبيرة لحياة الإنسان في المجتمع الإماراتي في ذلك الوقت.

أولا : أن يكون صالحا.

ثانيا : أن يكون بارا بالوالدين.

ثالثا : المحافظة على الصلاة في أوقاتها.

رابعا : معاملة الناس المعاملة الحسنة.

خامسا : التواضع.

سادسا : بر الجيران.

هذه إذن القيم المنقولة عبر ممارسات التراث في مجتمعنا وهي بالتاكيد تعبر عن مجتمع ذي سمات خاصة يترابط ويتماسك أفراده للمحافظة على أمنه الداخلي في حدود علاقة الإنسان بالإنسان الآخر، وهو مجتمع ديني ذو إيمان قوي، فالإسلام هو ما كان يتسلح به الإنسان لمجابهة كل ما يواجهه من متاعب.

"صادقا" أمام مخاطر الطبيعة والأزمات الإقتصادية أو الإجتماعية، وكذلك أمام مخاطر الحسد والعين التي أعتقد فيها الإنسان كثيرا في تلك المرحلة.

وإذا تأملنا بعض الأقاويل الأخرى التي تقال أثناء التحميم، أو تنويم الطفل نجدها حافلة بحركة الحياة آنذاك، وأدوار أفراد الأسرة فمثلا تأمل الإجابة في أنشوده "يا وليد الصفران".

(أمك سايرة الطوياني) أي ذاهبة لآبار الماء.

(تترس الخروس والوعياني) أي تملأ حلل الماء.

(ما يباه ما يباني) أي لا أريده إلا يريدني.

(ولا بالغصب ملزوم) أي لا أستطيع إجباره على شيء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(لي صدلي جفاني) أي إذا إبتعد عني.

(لاني قوي عزومي) لأنني قوية عزائمي.

(لي هادن الصلاني) أي اذا اثمرت الصلاني وهو نوع من النخيل طيب المذاق.

(بنقيض في مخزوم) أي نقضي الصيف في مخزوم وهي أحدى مناطق الدولة.

ولا بأس هنا من طرح هذا السؤال ماذا تحمل هذه الأنشودة من معاني ومضامين؟

إنها تكشف عن نمط الحياة للأسرة الإماراتية وعن دور المرأة في الأسرة وخدمتها بمزاولة الذهاب لأباز الماء وإحضار الماء للإستخدام وللشرب، ثم تحمل معاني عزة لإنسان في أن يكون قويا أمام صد الآخرين أي لا يتنازل ولا يضعف، ثم تستكمل دورة الحياة للأسرة في أنهم ينتظرون ثمر النخيل لإعلان فصل الصيف والتنقل للأماكن الأقل حرارة بالدولة.

ولكن السؤال لماذا تنقل هذه المعاني للطفل عبر أنشودة النوم؟

إنه دورة التراث وأهمية نقله للأجيال القادمة لتستمر الحياة بنفس نمطها وليحافظ المجتمع على سماته.

نلاحظ كذلك هذا الإرتباط الشديد بالأطفال وحبهم بإعتبارهم رزق الفقير كما يردد آنذاك، فالثروة لم تكن في تلك المرحلة ثروة المال، بل ثروة العيال أي الأبناء فهم العزوة ورمز الإستمرار،

أما عن مواعيد تحميم الطفل، لربما جاء تبريرنا لطرح مثل هذا السؤال هو الحرص على معرفة مدى الإنتظام في رعاية الطفل ومدى إحترام مواعيد التحميم والنوم والراحة وهل كانت تسير بمعدلات متلائمة وصحية أم تتم بعشوائية لا تنم عن وعي بصحة الطفل.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولكن المفاجأة كانت أن الأم أو الجدة تحافظ على أن يكون التحميم وقت الضحى أو وقت المغرب، وهي المواعيد التي تقل فيها أعمال المرأة بالمنزل أذ تستطيع المرأة بعد أن تقوم بتحميم طفلها وتكحيله وتنويمه أن تمارس عمليات تنظيف المنزل والطبخ وإحضار الماء الى آخره من المتطلبات اليومية التي أضيفت إلى أعباءها كإمرأة وكذلك ما يوفره وقت "الضحى" أي منتصف النهار من جو دافئ بحيث لا يتعرض الطفل للبرودة فأثناء هذا الوقت تكون الشمس قد أشرقت وأشعت بالدفء بحيث يحمى الطفل من أية نزلات برد. ولقد تضاربت الآراء بين مؤيد للتحميم اليومي أو الأسبوعي في فترة الشتاء و ٣ مرات في اليوم الواحد في الصيف وهناك ما يسمى بغسالة الأربعين أي تحميم في اليوم الأربعين بعد الولادة وهو اليوم الذي يحتفل فيه بالطفل والأم، وتبدأ مرحلة طهارة الأم وإستعدادها للحمل مرة أخرى.

والأغلبية أكدت عدم التحميم أثناء الليل والمبرر أن المنازل كانت مصنوعة من سعف النخيل أي أنها لا تحمي الطفل من البرد، ويعكس ذلك محدودية الحياة الإقتصادية بالنسبة للأسرة الإماراتية في ذلك الوقت إذ كان من الصعب إستخدام مواد أخرى للبناء كالطوب أو الحديد وذلك للفقر ومحدودية عطاء البيئة والإعتماد على إستيراد تلك المواد من الهند أو إفريقيا كالأخشاب مثلا وكان ذلك من قدرات الأسر الغنية فقط.

أما عن السؤال عمن يقوم بتحميم الطفل، فلقد كشفت الردود عن عملية المشاركة والفاعلية التي تقوم بها الأسرة الممتدة بكل أجيالها للمساهمة في خدمة الأم الوالدة فتشترك الأخت الكبرى، والجدة والعمة والخالة أو أم الزوج، وتسهم كل منهم في المساعدة بتحميم وتنظيف الطفل، إلا أن الإعتماد الأكبر على الداية أو القابلة كما يطلق عليها البعض إذ تستمر في عملها الذي يبدأ بتوليد الأم وقص السره والإحتفاظ بالمشيمة وإزالة المتبقى من أوساخ، ثم تحميم الطفل وقص الشعر لمدة ١٠ أيام أو ١٤ يوماً حتى تسترد الأم قوتها وتبدأ هي بعملها الوظيفي هذا، فلقد إعتمدت التربية في تلك المرحلة على الأم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نفسها أو إحدى القريبات ولم تكن الأم البديلة أو المربية الأجنبية موجودة وكان ذلك ضمن معطيات المستوى الإقتصادي الذي أفرز هذه النتائج الإيجابية بعكس المستوى الإقتصادي الآن وعامل الوفرة المادية التي عكست آثارا ضارة ومدمرة في مجال التنشئة الإجتماعية للأطفال وهدم أهم عناصر الثروة في مجتمع الإمارات حيث إستبدلت الأم نفسها بمربية أخرى أجنبية لتحل محلها في تلبية كافة متطلبات الإبن أو البنت أو الزوج أو المنزل عموما وبدأت مرحلة تهميش نفسها بنفسها بدافع التطور الشكلي لأدوار أخرى لا تمت للمجتمع بأية صلة أو بحاجة المجتمع لذلك.

وهذا يكشف عمقاً في فهم المجتمع بأفراده لأدوارهم الحقيقية في الماضي ويكشف زيف حياة الأسر في المرحلة الحاضرة في مجتمع الإمارات.

ثالثا : ملابس الأطفال وزينتهم :

كشف لنا السؤال حول ملابس الطفل العديد من الأبعاد الإقتصادية والإجتماعية في حياة الأسرة الإماراتية في مرحلة ما قبل النفط وربما في المرحلة الراهنة لبعض الأسر التي تعيش في المناطق النائية سواء أكانت جبلية أم صحراوية.

فالبساطة في إختيار ملابس الطفل كانت السمة الأولى لتلك الأبعاد الإقتصادية، وإستخدام أبسط أنواع الأقمشة وأرخصها، وإستخدام الملابس القديمة التي أستعملت من قبل لأطفال في نفس العائلة أو الأسرة الصغيرة نفسها، يلاحظ أيضا الثبات في إستخدام تلك الأدوات والملابس وخاصة عندما تناولت إحدى الإخباريات قضية إستخدام (البامبرز) الآن وضحكت وتدلل بذلك على الفروقات ما بين الأمس واليوم، وأشكال التغير الإجتماعي والثقافي التي برزت في أبسط الصور وهي إستخدام (البامبرز) بدلا من القماش الخفيف الذي يلف به الطفل ليحميه من الرطوبة والبلل.

وقد كان أفراد الأسرة يعتمدون على أنفسهم في صناعة الملابس

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وخياطتها في شكل متكامل مما يعني ظاهرة الإعتماد الذاتي على إمكانيات وقدرات المرأة في تلك المرحلة، إذ تصنع النسيج وتخيط وتعتمد في تلبيس إبنها أو بنتها وتزيينهما بأرق الأدوات والعطور التي تقدمها لهم البيئة، أو المستوردة من الدول والمجتمعات القريبة، والتي كانت ترتبط بدولة الإمارات بعلاقات تجارية واسعة ولكن ما هي تلك الملابس.

إنها السبابيح الفساتين أو الجلابيب : من نوع الأقمشة النيلي، والمريس.

القماط : لفة من نفس القماش.

النسعة : الخيط الذي يلف به القماش.

الكندورة : هي نفسها السبوحة.

الويل : نوع من القماش الخفيف.

العنقة : أي مجموعة من الأدوية تلف وتلبس للطفل من رقبته لتظل رائحته عطرة والمواد المستخدمة داخل العنقة هي الحلبة والمثيبة والسويدا.

المعافاية : تطلق على السبوحة أو الكندورة وهي مفردة جديدة.

الخدار : غطاء الطفل يحميه من الحشرات.

الطوق : قماش مصنوع بشكل طوق صلب ليحافظ على إستدارة الرأس.

القحفية : القبعة.

بكيرة : نوع من الملابس لحديثي الولادة أي تلبس له قبل الأربعين.

الكلوتي : الطاقية وهي مفردة بنفس معنى القحفية.

الكتاه : مفردة بنفس معنى الطوق لإستدارة الرأس.

البتة : نفس معنى الكندورة أو السبوحة وهذا التعدد في المفردات يقدم لنا دلالة حول إختلاف اللهجات الخاصة بالمجموعات الآثنية الثقافية التي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تعيش في مجتمع الإمارات.

الكتافـــة : رباط لكتف الطفل.

الكمـــــة : بنفس معنى الطوق أو الكتافة.

هذه هي الملابس المستخدمة للطفل الوليد أو الطفلة الوليدة في مجتمع الإمارات فيما قبل عصر الوفرة النفطية، ولابد هنا من الإشارة إلى أن نفس هذه المفردات الشعبية أو لنقل بعضه لازال مستخدما حتى الآن، وخاصة (الكندورة - أو القحفية) وإن إختلفت في أنواع الأقمشة والنسيج وطريقة الصناعة، والإشارة كذلك إلى بروز عنصر الإحاطة من قبل الأهل وإستعدادهم لتوفير مستلزمات الطفل مما يعني أن العائلة في السابق كانت تقوم بدور المؤسسة الصحية والإجتماعية اليوم، وكانت تستطيع الوصول إلى مرحلة الإكتفاء الذاتي، ربما لصغر حجم السكان في تلك المرحلة، وربما كذلك لتهيئة الإنسان ثقافيا وقيمياً على قدرته للقيام بكل المهام المطلوبة لإستمراره، وتعكس صورة لقوة الإنسان في تلك المرحلة، أما المقارنة بالدور الذي تقوم به المؤسسات اليوم فلا يمكن الحكم بوصول هذه المؤسسات إلى مرحلة الإكتفاء الذاتي أي إنتاج وإعادة إنتاج حاجات الإنسان في مراحل حياته، بل تدخل عنصر الإختراق الخارجي لهذه المؤسسات ورغم ذلك لم تحقق ما يتطلبه الإنسان وما تتطلبه المرحلة إضافة إلى عجز الإنسان نفسه عن تلبية حاجاته الضرورية وإعتماده إعتمادا كليا على ما تقدمه له المؤسسات العامة والخاصة لتلبي متطلباته.

إن الملابس وأدوات وأســـاليب الزينة في الماضي وبالأخص الزينة المستخدمة للأطفال تؤكد أشكال الرعاية المقدمة للأطفال عبرمشروع التربية والتنشئة الإجتماعية الذي كان سائدا في ذلك الوقت كما تؤكد على إستخدام معطيات ومنتجات البيئة المحدودة وتكريسها كلها للإستعمال من أجل بيئة صحية جديدة للأطفال حديثي الولادة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الكحل والدهان وأشكال العطور كدهن العود أهم ما يستخدم لزينة الطفل ولم يكن يفرق بين الذكر والأنثى في أشكال الزينة إلا في القليل من الأدوات إذ نجد الكحل يستخدم للذكر والأنثى دون إستثناء بينهما ودون فروقات المدنية في الوقت الراهن، الحناء كذلك للذكر وللأنثى دون أدنى ممانعة أو نظرة مفرقة بين الجنسين، بل على العكس نجد الحناء والكحل يستخدمان كأدوات لزينة الذكور الكبار كما هي للإناث على نفس الدرجة وهذه من مفاجآت هذا التراث الخاص جدا بمنطقة الإمارات العربية المتحدة ، أو إمارات الساحل كما كان يطلق عليها في المرحلة السابقة قبل نشأة الدولة الموحدة.

أما عن زينة الملابس فيستخدم التطريز بالبريسم والزري وهي خيوط مستخدمة بألوان متعددة لتطريز الملابس الكندورة أو السبوحة.

حلاقة الشعر للذكر وللأنثى أيضا تعد أحد أشكال الزينة، والمواد العشبية الأخرى المحلب، الزعفران وماء الورد والعنبر والصبر وتركة صالح وكلها تستخدم للزينة وتركة صالح تستخدم درءا عن الحسد.

ثم الذهب لعمل الغوايش والمطول تلبس للطفل وللطفلة كل ذلك بحسب قدرة الأبوين أو العائلة في توفير هذه المتطلبات، فلم نلاحظ أية مبالغات في الإجابات حول هذا السؤال، بل على العكس إن توفرت مواد زينة الطفل وإن لم تتوفر لم تحاول الأسرة المباهاة والإستهلاكية الخارجة فوق قدرة الأب الإقتصادية، إنما كانت كل تلك الممارسات تدور في إطار من البساطة والمجتمع المتكامل والمتماسك.

رابعا : تحميم الطفل :

ثم نواصل البحث حول الطقوس الأخرى المتبعة عند تحميم الطفل أو الطفلة حديثي الولادة وما هي الآيات التي تقرأ عليهما،والأدعية أو الأغاني التي تتردد على ألسنة كل من يشارك في تلك الطقوس وبالبحث عن هذه الأدعية إنما نهدف إلى إكتشاف المحتوى الإجتماعي والنفسي والثقافي لهذه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممارسات، وبالتالي نصل إلى معرفة التكوينة الذهنية أو العقلية السائدة آنذاك لدى الأسرة والأجيال القادمة من خلالها.

لقد وجدنا الكثير من الآيات والأدعية ولكن القليل من الأغاني والأناشيد التي تردد، وقد يعبر ذلك عن إحتفاظ ذاكرة المسنين بالآيات القرآنية وعدم قدرتهم على تذكر الأغاني والأناشيد .

أن البسملة وأيات التوكل على الله هي الغالبة في الإستخدام حين يتم تحميم الطفل والصلاة على النبي ﷺ والدعاء بحفظ الطفل، وتستخدم حبات القهوة المقلية أو النية لحساب عدد الأدعية والآيات التي تقرأ ربما لتسهيل عملية الحساب وعدم تواجد السبحة في ذلك الوقت .

ومن الأهمية أن يؤذن في أذن الطفل اليمنى وتقام الصلاة بجانب أذنه اليسرى من خلال الأب أو الأم أو أي قريب آخر يتواجد في ذلك الوقت، وكذلك قراءة المعوذتين وربما كان ذلك لحفظ الطفل من الحسد أو الجان، كذلك قراءة آية الكرسي ويوضع الداس وهو كما عرف سابقا الآلة الحديدية التي يقطع بها الشجر وكذلك الملح وتركة صالح وتستخدم هذه كلها درءا للحسد وللجان.

وهناك تشابه بين الأدعية التي تقال لدى السنة أو أصحاب المذهب الشيعي، وربما كانت الإضافة لدى اصحاب المذهب الشيعي بذكر الله والرسول وأمير المؤمنين وأبنائه الطاهرين والمقصود على إبن إبي طالب وأبنائه الحسن والحسين عليهم السلام.

وهناك من ذكر أنهم يقرأون القرآن بصورة معكوسة (وهو أمر محرم) وخاصة (سورة الزلزلة والطارق والقارعة) وقد يشير ذلك إلى ممارسات سحرية خوفا من الجن.

وهنا نحيل القارئ والباحث لقراءة الإجابات نفسها لمعرفة المفردات والمصطلحات حيث أنها كثيرة لا نستطيع تكرارها عند تحليل تلك المادة العلمية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذا بالنسبة للقرآن الكريم والأدعية الدينية وأما الأغاني الشعبية فكانت قليلة نشير إلى بعضها الذي قد يحمل بعض المضامين كما قدمنا لها سابقا.

منها مثلا: إرقد يا وليدي رقدة هنية ورقدة الغزلان في البرية

أو : فديتك حبابي اللـــــه اللـــه هـــــــو

يا معبـود يـــا موجـــود ياراعي الكـــرم والجـــود

ولقد كانت المفاجأة للباحثين عندما فشل بعض الإخباريين في تذكر تلك الأغاني، ونشير هنا إلى أهمية ذلك .

وهنا لجأنا عند التحليل والكتابة إلى سؤال الوالدة [1] عن بعض الابيات الشعرية التي تقال عند تحميم الطفل أو تنويمه فذكرت :

محمـد النشـمي يضرب على الخشم

يا ماخذ جسمـين وربـاعته جـسـم

ومحمـدا الوافـي علـى اللـه طـروقه

يقفي الضعن حـافي ومسـير بشـوقـه

ومضلـل بلاسـه عـن واهـي الدوقة

معاني الكلمات :

النشمي : صاحب الجاه.

الخشـم : الأنف.

جسمين : أي يحصل على حقه مضاعفا وذلك لرجولته.

يقفي الضعن : أي يسير وراء قافلة الجمال.

مسير بشوقه : يسير فرحا.

---

١ ـ استـعانت المشرفة بسؤال والدتهاللحصول على بعض الأغاني لدعم هذه المادة العلمـية الخاصة بتربية الابناء ومحاولة تذكيرها باتجاهات التربية في ذلك الوقت.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لاســــــــه : نوع من القماش لتغطية الرأس.

نلاحظ من المعاني المستوحاه من هذه الابيات بعض اتجاهات تنشئة الابناء من الذكور المتمثلة في الشجاعة، تحمل المسؤولية، المشاركة في نشاطات القبيلة والقوة، تبرز لنا هنا بعض القيم الخاصة بالتنشئة لهذا المجتمع وهي بالضرورة تختلف عن القيم الأخرى المقابلة لتنشئة الاناث في هذا المجتمع وهذا يتضح في الأبيات القادمة وهي كالآتي:

يا يكة الحايـــر عصة على التاير (*)

إن كان قدرك عود عـن تايـر بايـر

يصـر مفتـاحـه وفـويـده طايـر

يقفل على البخار ويحلف لا تونه

ويهـــدد الحرمـة ويقـول ملـعونـة

ولا نبي الغواص لي يحج فنطاسه

نبغى لها منصور لي يـركب فراسه

وهنا تبدو ملامح التربية للفتاه في مجتمع الإمارات إذ لا يتمنون لها الزواج من تاجر بخيل ولا من غواص يقضي عمره يملأ وينظف الفنطاس، بل يتمنون لها الزواج من المنعور أي البدوي الفارس، وهذه دلالات ربما تختلف عن النظرة للزواج اليوم والرغبة في الزواج من تاجر يدفع مهرها وتكون فخرا

---

* يكة : أي نوع من اللؤلؤ الغالي.
الحـايـــر : المحتـــــار.
عصـــه : صعبة .
التايـــر : التاجر .
قدرك عود : أي قدرك كبير.
بـــايـــر : فاسد.
بغير مفتاحة : أي يربط مفتاحه في إزاره.
وفويـدة : أي قلبه خائف.
البخـــاز : مخزن الغذاء.
يحلف لاتونه : يقسم عدم الإقتراب منه. المنعـور : البدوي الفارس. يـــحـــج : يحك.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لأسرتها وهنا نلاحظ مدى التغير الذي أصاب الأسرة الإماراتية وعناصر التغير إستطاعت أن تصل إلى القيم الإجتماعية وتترك آثار سلبية على الأسرة ومستقبل إستمرارها.

حلاقة شعر الطفل :

إن أشكال العادات والممارسات المتبعة ضمن طقوس حلق شعر الطفل أو الطفلة ربما تعبر عن مخاوف كثيرة تنتاب أسرة الطفل تجعلهم يحاولون حماية الطفل بالعديد من الممارسات التي تختلف باختلاف المجموعات الأثنية التي تعيش وتستوطن الإمارات.

أولا : بالنسبة لموعد الحلاقة فالأغلبية أكدت أنها بعد الأربعين والبعض أجاب بمرور أسبوع واحد بعد الولادة إذا كان شعر الطفل طويلا، والبعض وجد أن الحلاقة تتم بعد سنة من الولادة.

ثانيا : أن يقوم بالحلاقة رجل من القرية ذو سمعة طيبة أو حاج أو من يتبارك به الأهل لأية أسباب أخرى، أو يقوم بها الأب أو الأم أو أحدى القريبات ذوات الخبرة في حلاقة الشعر وتتم بواسطة آلة تشبه السكين لعدم وجود الموسى الخاصة في ذلك الوقت.

ثالثا : الإحتفال الكبير بيوم الحلاقة سواء كان بعد أسبوع أو الأربعين أو مرور عام على الميلاد والإحتفال يتخذ شكل ذبح الذبائح وطبخ العديد من الأكلات الشعبية، وهنا وجدنا الفروقات واضحة بين عدد الذبائح التي تذبح لحلاقة شعر الولد عنها لحلاقة البنت، وهنا ما يتناقض مع ممارسات أخرى ذكرت سابقا في هذه الدراسة، أكدنا فيها عدم وجود تلك الفروقات خاصة بالنسبة للزينة وملابس الأطفال، وغيرها من العادات، وإذا أردنا أن نقدم تبريرا ثقافيا يوضح لنا هذه المتناقضات في العادات والممارسات الشعبية لأهل الإمارات، فإننا سوف نجد أن إختلاف الفروقات بين الجنسين وتقييم ولادة الذكر له قيمة أكبر من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولادة الأنثى، إنما هو شعور عام يمتد إلى أعماق المجتمع العربي ما قبل الإسلام حيث وئدت البنات في العصر الجاهلي، بالإضافة إلى العوامل الإقتصادية، وكيف تؤثر وتقضي على الحياد في العلاقات بين الذكور والإناث، أو تقضي على تساوي النظرة للجنسين، فالمؤمل أن الشاب سوف يكون معينا للأسرة مستقبلا لقدرته على العمل، ولذلك تفرح الأسرة به بشكل يختلف عن فرحتها بالبنت ولقد قدمت الكثير من الدراسات تفسيرات حول هذه الظاهرة يستطيع القارئ الرجوع إليها حيث لا يتيح لنا المجال هنا مناقشة كل التصورات والتفسيرات المطروحة لخدمة هذه القضية ولمعرفة أسباب إختلاف النظرة إلى الجنسين.

رابعا : من الملاحظات الهامة التي وجدناها في هذه المادة الإثنوغرافية أيضا أن شعر الولد أو البنت يوزن إما مع فلوس فضية أو مع الذهب، وتوزع بعد ذلك هذه الفلوس على الأطفال ثم يدفن الشعر بعد ذلك في البحر، أو مكان ذي ظل بارد بحيث لا يرهق أو يتعب الولد، ولقد سادت هذه العادة الشعبية وهي وزن شعر الطفل بعد حلاقته خاصة بعد أن عرفت على أنها سنة عن الرسول ﷺ ويصاحب هذه المناسبة الإحتفال (العقيقة) كما ذكرنا سابقاً.

إضافة إلى ذلك لاحظنا أن هناك عادة أخرى متبعة عندما يحلق شعر الطفل، ألا وهي أن يقوم من يحلق الشعر بقص قطعة القماش المربوطة في يد الطفل، والتي بها "مرة" وهذه من الأدوية الشعبية التي يعتقد أنها تزيل الحسد عن الطفل لتدفن بعدها مع الشعر بعد الأربعين.

كذلك الإعتقاد السائد لدى بعض الأسر التي لا تنجب فيها المرأة لاية أسباب صحية، إذ هم ينذرون بزيارة بعض المناطق الدينية (كقبر الولي) في دبي ذلك إذا تمكنت المرأة من الحمل وأنجبت بعد فترة طويلة من الزواج. إذن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تدفن مخلفات الحلاقة مع "المرة" وكذلك سر الطفل حين يقطع أو يحتفظ به حتى تتم حلاقة الطفل ويدفن الشعر والسرة بسبب الإعتقاد السائد بأن دفنهما يعني حماية سر الطفل، وعدم تعرضه لآية مشاكل في المستقبل.

الملاحظة الأخرى في هذه الممارسات أيضا أنها مشتركة بين الأغنياء والفقراء (العالي والداني) حيث يتساوى الأفراد في الإحتفال وذبح الذبائح، ودعوة الأقارب للمشاركة في هذه المناسبة، وكذلك يقصد بها أشهار إكمال الطفل للأربعين أو مرور عام على ولادته.

أما بالنسبة لجماعة البلوش فلقد لاحظنا بعض الإختلاف في الإحتفال بقص شعر الطفل حيث يقومون أولا بالحلاقة بعد مرور ستة أشهر، ثم يحلق للطفل وتترك خصلة واحدة في قمة الرأس نذرا عن عدم قدرة المرأة على الإنجاب سابقا وتترك الخصلة سبع سنوات، ولا تقوم الأسر البلوشية بالإحتفال في هذه المناسبة، وليس لديهم ما يسمى بالعجيجة (العقيقة).

أما عن الأكلات الشعبية التي تقدم في هذه المناسبة فهي العرسية والهريس والخبيص، والساكو، والأرز، والقرص، والحلوى وكل هذه الأكلات ممكن أن تقدم صباحا مع الأفطار أو على الغذاء أو العشاء، ويتم توزيعها على الجيران إحتفالا بهذه المناسبة.

وهناك إختلاف في شكل الحلاقة بين الأنثى والذكر فالذكر يحلق جميع شعر رأسه ما عدا عند البلوش وعند بعض الأسر التي تنذر بإبقاء خصلة في قمة الرأس، وأما البنت فيحلق شعرها بشكل دائري وتبقى أطرافه كما هي، ورغم أننا ذكرنا ضرورة وزن شعرالطفل بالذهب أو الفضة، إلا أننا ننوه أن بعض الأسر تزن الشعر بالسكر، ويعطي هذا السكر إلى رجل مسن إعتقادا منهم ورغبة في أن يصل الطفل إلى مثل عمر هذا الرجل المسن.

---

١ ـ الإحتفال : يطلق عليه العقيقة وهي سنة اخذت عن الرسول ﷺ إذ ذبح يوم ولادته خروفين وظلت هذه العادة متبعة حتى الآن.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذه هي أذن الممارسات (العادات والتقاليد) التي ترتبط بها الأسر الإماراتية عند حلاقة الطفل فهي جميعها تعبر عن الفرحة بهذا الطفل، وإعطاءه حقه من الرعاية والإهتمام، وإتباع سنة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام في الإحتفال وذبح الذبائح.

النفـــــاس :

تهتم هذه الدراسة بالتركيز على كل ما يتعلق بمرحلة الميلاد من أحداث ووقائع، خاصة تلك المرتبطة بالمرأة أو الطفل وهنا تناقش الدراسة فترة النفاس من خلال نظرة الناس إليها كفترة مرتبطة بما بعد الولادة، ولأنها فترة حرجة تحتاج المرأة فيها إلى الرعاية والعلاج فتكثر الممارسات حولها، وتختلف نظرة الناس إليها، والمقصود بالناس هنا ليس المجتمع ككل ولكن المرتبطين والمحيطين بالمرأة الوالدة كالأهل والأقارب والجيران وبالتركيز على نظرة زوجها لها في هذه الحالة الصحية غير الطبيعية.

وبناء على تلك النظرة الخاصة للناس المحيطين بالمرأة تجاه حالة النفاس تتعدد وجهات النظر، والإحتياطات المتبعة لإنقاذ المرأة من مضاعفات ما بعد الولادة وخاصة تعرضها للحمى التي ربما تؤثر على قدراتها الإنجابية في المستقبل، أوأحيانا قد تودي بحياتها.

أن النفاس مرتبط بحالة خوف تنتاب المرأة وأهلها فتتوقف عن العمل داخل المنزل، وتبتعد عن الزوج وعن الناس، وتداري نفسها عن عيون الناس.

الكثير من النساء في حالة النفاس يحاولن ممارسة بعض الطقوس الخاصة إعتقادا منهن أن النفاس يعني الحسد أو يعني دخول الجن إلى جسدهن، فيمسكن سكين بيدهن في حالة قيامهن بأي عمل داخل المنزل. .

البعض يمتنع عن شرب الماء لمدة سبعة أيام، وإذا كان الجو حارا أي في موسم الصيف يضعون الماء بجانبها أو تحت رجلها ليلطف الحرارة من حولها وذلك إعتقادا منهم بأن الماء قد يسبب إرتخاءا في الرحم، بالإضافة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلى إستخدام الملح عند الوضوء أو الإغتسال.

كذلك يمنع دخول زوجها أوأحد أقاربها عليها إذا كان مارا بجنازة أو مشاركا في الدفن في المقبرة، فذلك قد يسبب لها العجز التام عن تكرار الإنجاب (وتسمى هذه الحالة الإنحباس) وهذه ظاهرة قد تكون سائدة في المجتمع العربي كله [1].

ومن الملاحظ أن الأغلبية من أسر الإمارات أكدت أن نظرة الناس عادية جدا تجاه المرأة التي في حالة النفاس ويزورنها حاملين الإفطار ولكن هناك تأكيد على أن تكون الزائرة طاهرة أي ليست حائضة.

فالأهل والجيران يقومون بالزيارة والإحاطة بالمرأة الوالدة لمساعدتها على تخطي هذه المرحلة، ولكن الزوج هو الذي يحاول الإبتعاد عنها حتى تخرج من الأربعين أو بمرور ٤٠ يوما على إنجابها لتكون في حالة جيدة للإتصال بالزوج.

وذكرت بعض الراويات عن إذا كانت هناك إمرأتان في فترة النفاس، وزارت أحداهما الأخرى يجب أن تأخذ شيئا من المنزل كالأكل مثلا وذلك خوفا من الدراس (المشاهرة) إذن تمنع الزيارة لإمرأتين في حالة النفاس وإذا حدثت تأخذ شيئا من المنزل ليحمي الإمرأتين من حالة الدراس، أو فقدان القدرة على الإنجاب، أو إذا كانت أرملة تمنع عن زيارة النفساء لنفس الأسباب ولكن إذا كانت قريبتها فتستطيع زيارتها دون خوف أو حذر.

كذلك تمنع العروس من زيارة النفساء حتى لا تتعرض النفساء لحالة الدراس أي المشاهرة والعكس صحيحٌ أيضاً أي إذا قامت المرأة الواضعة بزيارة العروس يصيب العروس نفس الحالة أي الدراس.

وهنا يجدر بنا توخى الحذر في هذه المعتقدات حيث تؤكد جميعها على

1- John G. kennedy, Mushahara: A. Nubian Concept of Supernatural Danger and the Theory of Taboo. in : American Anthropologist Vol. 69, No. 6, September, 1967, pp.685 - 782.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خوف الإنسان في مجتمع الإمارات قديما من المجهول، ورغم عدم معرفتهم بذلك المجهول إنما يتركز خوفهم من الحسد والعين والجن والشياطين فذلك هو المجهول الذي يجعلهم يبادرون بممارسات قد لا تحمل وعيا صحيا أو إجتماعيا مبررا بأسانيد علمية.

إذن تناقضت الآراء حول نظرة الناس للمرأة في حالة النفاس فالبعض يؤكد على تجنب المرأة الوالدة، والبعض يؤكد أن تعامل المرأة النفساء معاملة عادية دون أية محاذير.

والملاحظ أن الفئة التي أيدت فكرة عزل المرأة النفساء عن مخالطة الناس لها، فئة أكثر إيمانا بالمعتقدات غير العلمية، فتبدو عليهم سمة العجز التام عن التفسير العلمي أو الواقعي لظاهرة النفاس أو الأمراض التي قد تتعرض لها المرأة الوالدة في تلك الفترة، ويمارسون العديد من الطقوس الغريبة كأن يضعوا تحت رأسها (الداس أي المنجل) منعا من الشياطين أو تعزل في غرفة بعيدة، أو يوضع على بطنها الحصا الساخن، أو يرقدوها على خيشة بها رمل أحمر وهذه ممارسات تنم عن عدم إيجاد الوسائل الواقعية لحماية المرأة في هذه المرحلة، مما قد يعرضها للأمراض الأخرى نتيجة سوء الإستخدامات للمواد العشبية في علاجها أو تضميد جرح الولادة لديها.

وهناك من أكد على التناقض في هذه الإجابات فبينما أكد البعض على بعد الزوج عن زوجته في هذه المرحلة، هناك من رأي أنه الوحيد الذي يدخل عليها أما الآخرون فلا.

الملاحظ كذلك أن لفظ الدراس يستخدم للطفل المولود إذا تعرض لحالة زكام شديد ويمرض ويعتقد أن هذا المرض ناتج من زيارة إمرأة ليست طاهرة لهم، أي أنها على جنابة، وهنا يستخدم الماء والسدر لعلاج الطفل.

إذن تعبر مفردة الدراس عن الإنعكاس المرضي على المرأة أو الطفل في حالة زيارة الآخرين غير الطاهرين لهم سواء كانوا ذكورا قادمين من حضور

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جنازة أو إناثا لسن طاهرات (حائضات أو ذوات جنب) ومن وجهة نظرنا فإن هذا الإستخدام للكلمة قد يختلف قليلا عن إستخدام كلمة المشاهرة التي تنتشر في المجتمع العربي وكذلك المجتمع الأفريقي.

أما عن السؤال الخاص بتسمية حمى النفاس في المجتمع المحلي للإمارات؟ فوجدنا إختلافات واضحة في هذه التسمية؟

١ ـ حمى النفاس.

٢ ـ حمى الولادة.

٣ ـ حمى الدرة أو الدر.

٤ ـ حمى الملح (لأن الملح يجذب العروق ويمتص اللحم مما يؤدي إلى خروج الدم ـ ومن لا تعالج بالملح تصاب بهذه الحمى).

٥ ـ حمى الأربعين.

٦ ـ حمى اللبن.

٧ ـ حمى حليب الثدي.

٨ ـ حمى الحليب أو حمى الصدر أو حمى الثدي.

٩ ـ حمى الدبا.

١٠ـ حمى الثلثية إذ جاءت بعد ثلاثة أيام.

١١ـ حمى السابعة إذا جاءت بعد سبعة أيام.

١٢ـ حمى أم دلهم (تكسر العظم وتشرب الدم).

١٣ـ أم الذرية .

١٤ـ حمى المراضع.

١٥ـ حمى تحت الحصاة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٦. حمى المثاناة.

وجدنا ستة عشر تسمية أو مفردة لنفس الحالة أي حمى النفاس مما يعكس إختلافات واضحة في مفردات اللهجات المحلية بمجتمع الإمارات المتعدد الثقافات.

فهناك الثقافة الحضرية والثقافة البدوية وكذلك الجبلية، وكذلك الثقافة العجمية أو البلوشية وهذه لها جذور بالثقافة الإيرانية أما عن الأسباب التي تؤدى بالمرأة إلى الإصابة بحمى النفاس (أسباب نفسية ـ حسد .. الخ)؟.

فقد شملت كثرة شرب الحريروة وهي شراب الحبة الحمراء والسمن، أو السبب در الحليب، أو تكمن الأسباب في التعب المتبقى من الولادة ولكن التركيز هنا على أن الأسباب كانت من الثدي ودر اللبن.

وهناك من علل الأسباب إلى وقوع المرأة وتسمى (التخرطيفة) أو الأسباب النفسية أي يتهيأ لها أشياء غريبة تجعلها تخاف وتسخن لذلك لا تترك المرأة وحيدة بالمنزل ولا بد من وجود شخص معها في ذهابها وأيابها أو أن تكون الأسباب عدم التداوي بالملح بعد الولادة، أو أن السبب يكمن في الحسد إذ دخلت إمرأة ذات عين حارة أي ساخنة ورأت الأم وهي ترضع طفلها وتعجبت منها فتصيبها بالحسد ويتوقف الحليب وتصاب الأم بالحمى، والضيق كذلك من إستمرار التواجد بالمنزل بعد الولادة مما يؤثر على حالتها النفسية.

كل تلك الأسباب قد تكون قريبة من الفهم العلمي لحالة النفاس والحمى ولكن كيف نستطيع تفسير الحسد والعين الحارة، فكلها تفسيرات أقرب إلى الخيال منها إلى الواقع ولكنها أيضا تسود بشكل واسع في المجتمع العربي الإسلامي، وهناك إعتقاد أرسخ من الإيمان نفسه بظاهرة الحسد تسود بين أفراد مجتمع الإمارات ولكن ذلك لا يعني فقدان المجتمع لبعض التفسيرات العلمية والواقعية للكثير من الظواهر الصحية والإجتماعية، بالإضافة إلى المرحلة المتغيرة التي يمر بها المجتمع، والذي تبدو فيها الثوابت أكثر رسوخا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتفاعلا من المتغيرات وقد تكون ضمن هذه الثوابت أو الإعتقاد بالحسد، إلا أنه يجدر التذكير بأن التفسير الخيالي أو قضية الحسد والعين الحارة تسود اليوم في أكثر المجتمعات تقدما خاصة المجتمع العربي والأمريكي فهل يعني ذلك تخلفا علميا، أم قد يعني عودة الإنسان عموما إلى حالة العجز أمام تفسير الظواهر الطبيعية أو الصحية التي كثرت أشكالها، وكذلك بعض الظواهر الإجتماعية.

فهي إذن مراحل للوعي يمر بها العقل الإنساني عموما ولا نستطيع الوقوف مؤيدين لذلك أو معارضين، ولكن الحياد في النظر قد يكون موقفا ملائما في هذه المرحلة على الأقل فالحياد والقبول نوعا ما هو السائد بين الأغلبية من العقول الإنسانية يعني أن هناك أتفاقا ما، قد يكون خلفه تفسيرا جديدا، ولقد أرجعت بعض الإجابات حمى النفاس إلى الحالة الإقتصادية المحدودة التي كانت تعيشها الأسرة الإماراتية في المرحلة الماضية، فلم تكن تتوفر وسائل التدفئة للمرأة الواضعة بما يسبب تعرضها للبرد ومن ثم للحمى أثناء مرحلة النفاس.

أما عن طرق العلاج من حمى النفاس فيلاحظ العديد من الممارسات والإستخدامات والتي أهمها الأدوية الشعبية كما أكدت العديد من الإجابات على الأسئلة السابقة، أنما هناك دواء معين يسود إستعماله وهو ما يسمى (اليعدة) أو الفوطن وتسمى الطبيخه وكذلك الزعتر أو قراءة القرآن أو إستخدام الماء الساخن.

هناك بعض الممارسات تكشف عن معتقدات عميقة منه مثلاً، متابعتهم لزيارة بعض الناس للمرأة الواضعة، فإذا أصيبت المرأة بالحمى بعد زيارة إحدى النساء أخذ بعض من الرمل من آثار أقدامها لتُبخر به المرأة، أو نواة التمرة التي أكلتها هذه الزائرة وتوضع في ماء ويمسح به ثدي المرأة الواضعة (المريضة) درءا للحسد أو لعين هذه المرأة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أو إستخدام الخطف والسويدا والشب وتحرق درءا للعين الحارة، كذلك أي أن تستخدم هذه الأدوية كبخور، وإذا كانت المرأة قلقة في منامها فيقوم الأهل بإحضار "منخل غضف" أي منخل مصنوع من نبات الغضف الذي يشبه النخيل، ويقومون بتذويب رصاص في ماء ويغلي على النار، ويوضع وعاء كبير به ماء بارد على مسافة صغيرة من رأس المرأة ويوضع فوق الوعاء المنخل وبعد أن يبرد الرصاص يوضع في المنخل وخلال هذه العملية يخرج الرصاص فتصدر منه أصوات لملامسته الماء البارد فيزيل ذلك القلق عن المرأة.

إذن هناك محاولات كذلك لعلاج حالات القلق النفسي لدى المرأة الواضعة والتي تعاني من حمى النفاس والى أي مدى تستطيع أصوات الرصاص الملامس للماء البارد أن تزيل قلق المرأة؟ ربما لا نجد له الإجابة العلمية الشافية، ولكن نستطيع إعتبارها محاولة ذهنية لشغل عقل المرأة النفساء والقلقة بأصوات أخرى غير تلك التي تعاني منها من التفكير الداخلي والخوف المصاحب للقلق، وربما يعني ذلك محاولات الإنسان للعلاج أو للوقوف ضد الظواهر المرضية في مجتمع الإمارات.

إن التراث الطبي في الإمارات يؤكد على وجود وسائل كثيرة ومتنوعة لعلاج المرأة من حمى النفاس ولكن الجدير بالذكر أن الإنسان في تلك المرحلة استطاع أن يكشف مصاحبات تلك الحمى من الحالات النفسية (كالقلق والعصاب، والوسواس أو الإكتئاب) وإستطاع أن يعالجها بأدواته المحدودة وكان تركيزه هنا في العلاج على القرآن الكريم.

ويمكن للقارىء الرجوع إلى الجزء الثاني من هذه الدراسة المتمثل في المادة العلمية ليطلع بنفسه على العديد من الاجابات التي أوضحت وسائل علاج حمى النفاس ولا نستطيع ذكرها بالتفصيل في هذا الجزء حتى لا نقع في اشكالية التكرار للمادة العلمية، ولكن نوجز هذه الاجابات بما يتعلق بالأدوية وهي:-

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اليعدة ، الطبيخة ، الحصاه الساخنة التي توضع على البطن، أوراق شجر الشريش ، المساج أو المساح على البطن أو السخانه وهي المكونة من بهارات حارة وطحين وسكر وحبة الحمراء، الكي بالنار، الشوربة المكونه من حبة الحمراء والهيل والفلفل الأسود والطحين ويحمر ويوضع عليه الدهن البلدي أو القلابه وهي المكونة من فلفل أسود وزعتر واستخدام زيوت الحل والكركم وزيت جوز الهند للمساح والمساج، أو تطبخ لها (التخويه) مكونة من الحرمل هو نبات صحراوي مر الطعم وتبخر به المرأة لمدة ثلاثة أيام، أو استخدام تركة صالح والمغيلان والحرمل والزعتر واللبان يغلي ويسقى للمرأة أو استخدام سدر مع بَعَرْ (أي مخلفات الغنم) لتحميم الطفل وأمه، قراءة القرآن واستخدام عملية الرصاص لأزالة القلق والاكتئاب.

هذا هو ملخص طرق العلاج من حمى النفاس لدى المرأة الواضعة في مجتمع الإمارات سابقاً، مما يدل على أن هناك مواجهة دائمة لكل ما يتعرض له الانسان من أمراض، سواء نجحت هذه المواجهة أو فشلت أو عرضت المريض للموت ولكنها تبقى في النهايةلتعبر عن مواجهة ايجابية وليست سلبية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل السابع

المشاهرة

Moshaharat

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المشاهـرة :

إهتم الباحثون بقياس ظاهرة المشاهرة من كل زواياها فطرحت الأسئلة كما يلي :-

- ما هو الإسم الشعبي المتداول عن المشاهرة ؟
- ما هي الأشياء التي تؤدي إلى مشاهرة المرأة الوالدة؟
- ما هي الحالات غير المستحب دخولها على المرأة الوالدة؟
- عندما تتم مشاهرة المرأة ماذا يحدث لها؟
- ما هي طرق وممارسات الوقاية من المشاهرة؟

ومن الملاحظات الهامة هنا أن معظم الأمراض والمشكلات المتصلة بالمرأة الولود مرتبطة إرتباطا وثيقا بهذه الظاهرة.

فهل كان هذا تفسيرا أم هروبا أم عجزا عن التفسير؟

لماذا تنتشر هذه الظاهرة في كل أو أغلب المجتمعات العربية والإفريقية؟

ما هي الجذور التاريخية لهذه الظاهرة في المجتمع الخليجي، والإمارات على وجه التحديد؟

للإجابة عن تلك التساؤلات نقترح إجراء العديد من الدراسات حول هذه الظاهرة، وربطها بنفس الأمراض التي تتعرض لها المرأة اليوم بعد الولادة وفي ظل التطور الصحي ومقارنة تفسيرها علميا مع تلك التفسيرات الغيبية.

وما نحاول التركيز عليه هنا ليس الممارسات والمعتقدات في حد ذاتها بقدر إهتمامنا إذا كانت تلك الممارسات تكشف عن نوعية العلاقات الاجتماعية التي كانت سائدة في مجتمع الإمارات، وشكل البناء الاجتماعي الخاص بهذا المجتمع في المرحلة السابقة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ورغم أننا نعي أن مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية يبحث في الإطار الفولكلوري التوثيقي فقط، إلا أننا نربط هدفنا هذا "الكشف الإجتماعي" (ربما نستطع تسميته هكذا) بهدف المركز، ولعل في ذلك تلاحما بين ما يسعى اليه مركز التراث وما يسعى اليه علم الاجتماع من أهداف.

فالتراث بما يحمله من مأثورات وممارسات ومعتقدات يعد اليوم وعاءا زاخرا بالمادة العلمية الهامة ليغرف منها عالم الإجتماع ويصل من خلالها للكشف والتحليل لبلورة صورة هذا المجتمع أو ذاك في آية مرحلة زمنية كانت.

إن الأصل اللغوي لكلمة (مشاهرة) هو (المحظور)، وهذا الفصل يقدم شرحا وافيا حول ما يسمى بظاهرة المشاهرة.

المشاهرة ظاهرة نفسية غيبية وهو من المعتقدات الشعبية السائدة، ونستطيع أن نطلق عليها إسم ظاهرة نتيجة لإنتشار الإعتقاد بها بين الناس.

قد يبدو من الإجابات بعض الإختلافات فيما إذا كانت المشاهرة ظاهرة منتشرة أم لا؟ ولكنها في أغلبها تؤكد ومازالت على أن المشاهرة كانت ولازالت مستمرة حتى يومنا هذا، ويقتنع بها الكثير من الأسر حتى وإن لم يجدوا لها أي مبرر علمي.

أولا : المشاهرة و مسمياتها المحلية:

والملاحظ أنه لم يستطع الإخباريون تذكر الكلمة المستخدمة لمقابلة كلمة المشاهرة، ولكنهم على الأقل اتفقوا على كلمة الدراس بأفعالها المختلفة (مدروسة ، مدارس ، مدروس إدراس ، دارس ، مدارس ميت ، أو مدارس عرس ، الدراسي) يمكن أن يكون بسبب التواجد مع ميت أو مخالطة عروس، كما يمكن أن يحدث للمرأة والطفل كذلك، ويمكن أن يستمر فترة قصيرة أو سنوات طويلة حتى تتم إزالته بممارسات وطقوس مختلفة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن خلال المقابلات استطعنا أن نستخلص المفردات الأخرى منها مثلا:

١. المشاهرة : ولها ثلاثة معاني (التوقيت الشهري ، الإعلان ، الذكر بالسوء) فاي المعاني لها صلة بطبيعة الظاهرة هنا؟

٢. الدراس : المدارس أو المدروسة من درس بمعنى داس (وطئ مس ـ ضغط على).

٣. الكبسة : بمعنى الإغارة أو الهجوم على حين غرة ، والمعنى هنا هو الإغارة الطقوسية الضارة أو الشريرة.

٤. الصدايا: (من الصدى : رجع الصوت) أو من الصدى : التعرض.

٥. جلة باند (كله باند) ربما ليست بلوشية ، أو بلوشية مأخوذة من الإنجليزية، لأن معنى باند Banned في الإنجليزية المحظور أو الممنوع.

٦. السياج : بمعنى الحماية أو المحظور.

٧. الربط : بمعنى التأثير الإرتباطي بين شيئين.

٨. المنافسة : بمعنى الغيرة والحسد.

٩. عوض بخت: بمعنى إنتقال البخت من فرد لآخر في حالة ـ تماثل الحالتين.

يعتقد في بعض المجتمعات العربية أن كلمة مشاهرة موجودة بنفس التسمية، أما في مجتمع الإمارات فهي ليست موجودة على الإطلاق، بل قالوا أنها جاءت مع القبائل الفارسية التي عاشت في المنطقة، أما (المدارسة) فالمقصود بها عدم إنجاب المرأة وهي عروس في حالة ما إذا دخلت عليها إمرأة والدة وأكلت من طعامها، أو أن تمنع زيارة العروس لصديقتها العروس التي تزوجت معها في نفس اليوم وذلك حتى لا تتعطل عن الإنجاب.

أما عن كيفية فك (المدارسة) فذلك يتم بأن تؤخذ المرأة التي تعرضت لهذه الحالة إلى قبر إنسان ميت، ومقتول بالخطأ، ويطوفوا بها القبر ويقولوا (يا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مذبوح بلا يرمه فك الدراس عن الحرمة) ويعتقد أن الكلاب أيضاً تتعرض لظاهرة (المدارسة).

هل هذه المفردات مترادفات مع بعضها، ومع المفهوم الأساسي المطروح؟ أم أنها مفردات قد تتشابه أو تختلف على نحو ما، وبالتالي فهي مترابطات وليست مترادفات.

ولهذا يمكن القول بأن مفهوم المشاهرة يتضمن العديد من المفاهيم المترابطة والمتداخلة، ولهذا فهو ليس بمفهوم واحد، وإنما مجموعة من المفاهيم يمكن الإشارة إليها إصطلاحاً بمنظومة المحظور أو Tabo.

هذه هي المفردات التي أمكن إستخلاصها، والتي تتفق في غالبيتها على كلمة «الدراس» وبالتالي قد يكون ذلك التعدد ناتجا عن الإختلاط باللغات الأخرى، وهنا يجدر الإهتمام بأن هذه الدراسة قد ساعدت من خلال العديد من الأسئلة وبنود الدليل الذي تم إستخدامه في تقديم الكثير من المفردات الشعبية الهامة، والتي ربما كانت إحدى الأهداف الرئيسية لها، فتستطيع في دراسات مستقبلية أن توضع هذه المفردات وتجمع في شكل قاموس شعبي تراثي، وسوف يساعد ذلك كثيرا في إثراء المكتبة التراثية في الخليج.

ثانيا : المشاهرة : وقواعد الإجتناب والحالات المحظورة :

إن أهم الاشياء أو الاحداث التي تؤدي إلى المشاهرة، أو المدارسة، أو الحسد، أو عوض بخت، كما أطلق عليها العجم هي على النحو التالي :-

١- إذا إستحمت النفساء في ماء الغدير أو ماء المطر.

٢- إذا دخلت عروس على المرأة الوالدة توقفت هذه المرأة عن الحمل الاخر (دراس العروس).

٣- إذا دخلت ضيفة على المرأة الوالدة، وكانت قادمة من عزاء، (دراس الميت).

٤- إذا أكلت المرأة الوالدة في منزل زوجة تقضي أيام العدة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٥- إذا زارتها إمرأة كانت تغسل ميتا قبل دخولها عليها.

٦- إذا تزوجت إمرأتان في أسبوع واحد يتدارسن أي يتشاهرن.

٧- إذا تزوج اثنان من الرجال في أسبوع واحد وأكلا من وعاء واحد يتدارسان أو يتشاهران أي تتوقف قدرتهم على الإنجاب.

٨- إذا دخلت إمرأة في مرحلة الحيض على المرأة الوالدة تدارسها.

٩- إذا دخلت إمرأة لا تحمل (عاقر) على إمرأة حامل ممكن أن تدارسها إلا إذا أعطتها بعد ولادتها شيئا من أكلها حتى لا تحدث المشاهرة.

١٠- إذا دخلت امرأة تتوحم على عروس تصاب الأخيرة بالدراس إلا إذا طلبت منها شيئا كالاكل.

١١- إذا كانت المرأة في الأربعين، وزارتها أخرى والدة أيضا يحدث الدراس.

١٢- إذا كانت إحدى النساء مستحمه أو رأت شخصاً عائداً من سفر ثم دخلت على الوالدة يحدث الدراس.

١٣- إذا دخلت إمرأة عينها حارة على الوالدة يحدث الدراس.

١٤- إذا كانت إحدى النساء إنتهت لتوها من التزين وتضفير الشعر (حيث كانت عملية التضفير تتم مرة كل شهر) وتدخل على والدة يحدث الدراس.

١٥- إذا كانت إمرأة في حالة جنابة إي (لم تغتسل من مخالطتها لزوجها) وتدخل على الوالدة يحدث الدراس.

١٦- اذا حملت إمرأتان في نفس الوقت، وأنجبتا في نفس الوقت قد يحدث الدراس أو المشاهرة وفي هذه الحالة يحدث الدراس لأحد الأبناء المولودين أي يولد مريضاً أو معوقاً.

١٧- مدارسة أو مشاهرة الأطفال (إذا أنجبت إمرأة ولداً وأكلت من منزل أخرى أنجبت بنتاً فيظل أحد الأطفال يبكي) أي يدارس.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثالثا : المشاهرة وممارسات وإجراءات الوقاية والمعالجة:

والممارسات للوقاية من المشاهرة هي :

١- قراءة القرآن على المرأة في حالة الدراس أو المشاهرة.

٢- إستعمال الأدوية الشعبية.

٣- تؤخذ المرأة التي لم تنجب لفترة طويلة إلى أخرى والدة ويحلب من ثدى الوالدة على العاقر للعلاج.

٤- تؤخذ في قارب صغير إلى البحر لتخويفها ومحاولة من الزوج لرميها في البحر ليفك الدراس.

٥- وضع الحصا الحار على بطن المرأة المدروسة.

٦- إذا تدارست إمرأة (دراس ميت) أي بسبب زيارة لبعض الأقارب الحاضرين للجنازة يؤخذ من تراب قبر ذلك الميت ويرش على رأس المرأة ويفك الدراس.

٧- إذا تدارست المرأة بسبب عروس (مدارس عروس) يأخذوها لنفس العروس لتأكل من أكلها في مرحلة أخرى.

٨- إذا كان الطفل في حالة دراس (يعرض لبخار ماء من حلة تغلي على النار). أو تمر المرأة المدروسة عدة مرات فوق قدر يغلي.

٩- أن تذهب المرأة إلى قبر رجل (مذبوح) لتطوف عليه أو تغتسل بتراب القبر.

١٠- علاج (المخبن) أي كشط الجلد في مكان من البطن أو مكان ورم يمنع الحمل وتوضع المخبنة أي الآلة الحادة من الحديد على الجسد، ويساعد ذلك إعادة القدرة على الإنجاب للمرأة في حالة الدراس.

١١- الإغتسال بالسدر. (سبق تعريف السدر)

١٢- أن ينخل على المرأة المدروسة روث الحيوانات.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٣- إزالة مدراس الطفل حيث تأتي إمرأة حائض وتبلل شعرها بالماء وتعصره على الطفل فيزول عنه الدراس.

١٤- إذا كان الدراس من أرملة قاعدة أي في حالة العدة تزورها المرأة المدروسة وهي أثناء العادة الشهرية أو عند الإغتسال منها وتغسل في منزل الأرملة، وتحمل داس أي المنجل وتقول : (ياداس فك الدراس).

١٥- أن تقطع المرأة المدراسة بحراً أو تذهب إلى منطقة تبني فيها السفن، وتتخطى "بيص" الركب (أي القطعة المركزية من الخشب أسفل السفينة)، أو تتخطى أساس بناء لم يكتمل، أي تطوف عليه ثلاث مرات.

١٦- أن تأكل العروس من منزل أخرى مترملة حتى لا يحدث لها الدراس أي أن تأكل ذلك الأكل قبل أن يدخل عليها زوجها.

١٧- أن يحضر زهاب أي عروس (جهازها) ويوضع في حضن المرأة المدروسة ويقوموا بإزالته قطعة قطعة ليزول دراسها.

١٨- زيارة قبر الأولياء وذبح الذبائح.

١٩- أن يقطع الحبل السري لإحدى النساء الوالدات وتجلس عليه المرأة العاقر فيزول الدراس وتعاود الحمل والانجاب.

٢٠- حرق نوى التمر الذي أكلته المرأة المتشاهرة ومعها المرأة الأخرى ثم يحرق النوى تحت جسم السيدة الأخرى حتى ينفك عنها، أو تسقى من الماء المتبقي الذي غسلت به الوالدة يدها.

٢١- أهم طرق علاج المشاهرة هي بالتوكل على الله وهذه إجابة تكررت عند الكثير من الإخباريين مما يعني إرتباط أهل الإمارات بالدين الإسلامي والتوكل على الله عند حدوث المصائب.

هكذا إذن تتعدد ممارسات وسبل علاج حالة المشاهرة أو المدارسة، وأذا أردنا تقديم بعضها للتحليل فسوف نجد الإيمان بالغيبيات يسود كل تلك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممارسات وكذلك السحر، والإيمان بالعين (الحسد) واستخدام كل وسيلة محاولين الوصول لعلاج تلك الحالة.

رابعا : المشاهرة: الظاهرة والتفسير :

إن هناك حوالي ستة عشر شكلا من أشكال المدارسة أو المشاهرة، كلها ترتبط بالتفكير الميتافيزيقي الذي لا يمكن تفسيره بالمنطق العلمي، ورغم ذلك فينتشر بين أهل الإمارات حتى الآن ويحاولون تحاشي هذه المواقف درءا للمشاهرة أو المدارسة أو الجلة باند (كما يسميها البلوش).

وإذا أردنا أن نعود إلى «الكشف الاجتماعي» وإستنباط بعض التفسيرات لذلك المجتمع القديم، و ربما الجديد أيضا لقينا أن الخوف سمة من سمات ذلك المجتمع، وان العلاقات الاجتماعية رغم قوتها في الماضي إلا أنه يشوبها شيء من الحذر والوجل بحيث يخاف الناس كثرة التواصل في أثناء مراحل الحمل والولادة وما بعد الولادة، وتحاط تلك العلاقات بشيء من التكتم حتى أنه أحيانا لا يعلن عن الطفل المولود حتى تمر أيام يزول معها خوف فقدان ذلك المولود.

ومن إحتمالات التغير الاجتماعي التي تكشفها لنا ظاهرة المشاهرة أيضاً، أن الإنسان في تلك المرحلة لم يستطع أن يفسر أزماته أو الأمراض التي كان تعرض لها إلا بوسيلة (التشبيه) وربط الظواهر ببعض، وهذه أقل القدرات العقلية إمكانية في إيجاد التفسيرات.

بمعنى أن يفسر فشل المرأة في الإنجاب، لأنها تزوجت في نفس اليوم مع إمرأة أخرى لم تنجب أيضا (أو عاقر)، تميز ذلك العقل لأنسان الإمارات بسمة التشاؤم أيضاً، فهناك تشاؤمٌ وخوفٌ من القادم من العزاء، أو الزائرة الحائضة أو ذات الجنابة، أو من الحسد والعين الحارة، كما تكشف عنها تلك الحالات الست عشرة والتي نستطيع أن نطلق عليها «إحتمالات المشاهرة الست عشرة لمجتمع الإمارات العربية المتحدة».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والحقيقة أن هناك بعض الأحداث التي تربط بها الظاهرة ولم نستطع إيجاد تفسيرٍ لها، وربما حاول البعض تفسيرها في دراسات أخرى شبيهة مثال ذلك، لماذا يحدث الدراس لإمرأتين تزوجتا وأنجبتا في نفس الوقت؟ ولماذا تتوقف أحداهن عن الإنجاب، تصاب بالمشاهرة؟ ولماذا ربط المبرر بالمرأة الأخرى؟

أن المعتقدات المتصلة بالمشاهرة تشير إلى خطورة المشاهرة أو الدراس وما يترتب عليها من نتائج سلبية أو خطيرة على المرأة ومولودها.

ومنها أن المشاهرة قد تعني عدم الإنجاب مرة أخرى أو تصاب بحمى ويغمى عليها.

- أو تصاب بالهفان أي حالة هستيرية.
- أو تاصب بأم الصبيان أي الضرر (أي دخول الجان إليها).
- المرض حتى الموت.
- أو يصاب الطفل بالكساح أو الإعاقة.
- النزيف.

ولكن في الأغلب فأن المدارسة أو المشاهرة تعني عدم الانجاب لفترة أو لبعض السنوات ثم تعود المرأة للإنجاب مرة أخرى، بعد قيام الأهل بإجراء بعض الممارسات وطرق العلاج وهي عديدة ومتنوعة.

وقد نستطيع هنا إيجاد مبرر لكل تلك الممارسات الشعبية والغيبية لمقاومة "العقم" الا وهو إرتفاع قيمة الإنجاب لدى الإنسان عموما، فدائما تعكس الممارسات قيما معينة يؤمن بها الإنسان وتمثل ضمنا تلك الرغبة في الإستمرار، ومقاومة التوقف أو الموت.

إن الحياة في مجتمع الإمارات في تلك المرحلة التي كانت تخلو فيها أو تتضاءل فرص التطور والتقدم كانت مليئة بالعديد من القيم والمعتقدات التي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

برزت كلها في هذه الممارسات، والعادات والتقاليد التي تتضمنها مرحلة الميلاد للمجتمع، وربما تساعدنا الفصول القادمة من هذه الدراسة في إكتشاف المزيد والمزيد من تلك القيم والمعتقدات الراسخة في مجتمع الامارات.

الخلاصة:

يمكن الإشارة إلى أن «الولادة» تعد مرحلة إنتقالية من حياة المرأة والمولود، فالمرأة تنتقل إلى دور الأم والمولود ينتقل من مرحلة العدم الى مرحلة الوجود، ومن مرحلة الجنين إلى مرحلة الطفل الذي سيصبح عضوا في المجتمع.

ومن هذا المنظور فإن المجتمع يحيط هذه الفترة الإنتقالية بكثير من الممارسات والطقوس، وقواعد الأجتناب والمحظور، وذلك بهدف حماية المرأة والمولود.

فالإعتقاد من منظور مقارن - هو أن الإنسان يكون أكثر عرضة للتأثر بالقوى الضارة أو الشريرة - في مرحلة الإنتقال ولهذا سميت هذه الطقوس والممارسات وقواعد الحظر بطقوس المرور أو طقوس الانتقال.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثامن

إخفاء نوع المولود

Keeping Secret the Sex of Child

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إخفاء نوع المولود:

أن اخفاء نوع المولود ربما يكون نوعا من السلوك والممارسات التي يحرص عليها الأفراد المحيطين بالمرأة الواضعة حتى يستطيعوا تجنب أية أزمات قد تتعرض لها المرأة أو طفلها، والمادة العلمية التي قدمت من خلال المشاركين في هذه الدراسة أثبتت جدية الظاهرة، وتمسك أغلب الأسر بها، أي بفكرة إخفاء المولود ونوعه عن الناس سواء كانوا من الأقارب البعيدين أو من الجيران المحيطين بمنزل هذه الأسرة، أو من الغرباء، لهذا تركز التعقيب أو التحليل على القضية التي هدفنا إلى الكشف عنها وهي لماذا يخفي نوع المولود؟

ولقد كان الحسد والعين الحارة هي الظاهرة التي تعبر عن الخطر الذي تتعرض له الأسرة الإماراتية في كل مراحلها، وهذا ما أثبتته كل فصول هذه الدراسة، رغم رفض البعض لذلك والتمسك بالقدرة الإلهية، إلا أن أغلب ممارسات الإنسان كان يندفع لها نتيجة خوفه من الحسد والعين الحارة والجان ، وهذا ما يدفعنا للقول (أننا نرى ضرورة ماسة لتبنى مراكز البحوث المختلفة هذه الظاهرة، القيام بدراسات وافية عنها، بشكل يغطي كل جوانبها بحيث نستطيع الوصول الى حقيقة هذا الخوف، وكيف أثر على حياة الأسرة والفرد في هذاالمجتمع، أو غيره من المجتمعات الخليجية).

ولمحاولة تفسير وتعليل ظاهرة إخفاء المولود نبدأ بالإشارة إلى محاولة إحصائية مبسطة لمجموع (٧١) إجابة عن السؤال الخاص بمعطيات المولود وجاءت كما يلي :

- ٤٦ موافقون على إخفاء المولود سواء كان ولدا أو بنتا.
- ٩ رافضون للإخفاء.
- ٣ غير مبالين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٥. يخفون المولود الجميل والسمين فقط.

٣. يخفون البنت عن الأب لفترة محدودة.

١. اجابات بالاخفاء لدى البلوش وليس العرب

٣. أجابو باخفاء التوائم فقط.

١. إجابة واحدة أكدت الإخفاء للمولود القاصر.

نلاحظ من تلك الإحصائية أنه (٤٦) إجابة أكدت إخفاء المولود سواء كان ولدا أم بنتا، مما يعنى ترسيخ قيمة الخوف من الحسد لدى الأسرة الإماراتية، وتأكيدا على ذلك بعضهم أجاب أن الإخفاء يتم لو كان المولود ذكرا ويتم الإعلان عنه على أنه أنثى خوفا عليه من الحسد أكثر من خوفهم على الأنثى، لما للذكر من قيمة أكبر لدى الأسرة الإماراتية، ولأنه قد يتعرض للحسد أكثر من البنت، الآخرين تباينوا في الإجابات فبينما يخاف البعض على المولود الجميل، أو على التوائم وذلك خوفا من حسد المرأة التي وضعتهم، أو إخفاءه إذا كان قاصرا عن التسعة أشهر حتى يتم شهوره ويعلن عنه، وقد تكون هذه الإجابة واقعية، ومبررة علميا حتى لا يتعرض هذا الطفل القاصر للأمراض المنقولة من الأقارب خاصة وأنه لا يكون قادرا على مقاومة الميكروبات المنقولة من الأقارب.

الفرح بالإنجاب بالمواليد الجدد في الأسرة، قد يبرر ذلك الإخفاء قليلا، ولكن قد تكون ردة الفعل للأهل بالإعلان عنهم والتباهي بهم.

إذن تعبر ظاهرة إخفاء المولود عن قيمة راسخة لدى الإنسان سواء كان رجلا أو إمرأة في هذا المجتمع ألا وهي الخوف من الحسد، ولكن ظل السؤال لماذا يخاف الناس من الحسد؟

وما هي طبيعة هذه القوة التي تؤمن بها العامة، وتسمى الحسد؟ وما هي إنعكاسات هذا الشعور أو المعتقد الراسخ على الممارسات الحياتية المختلفة سلبا أو ايجابا؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نشير هنا إلى عنصر آخر من عناصر هذا الموضوع وهو يتصل بالمدة الزمنية التي يخفى فيها المولود، ووجدنا الكثير من الإختلافات في هذا الأمر، فالجدير بالذكر أن الاجابات التي يقدمها الرواة أو الراويات في هذه الدراسة تتخذ أحيانا الوضع البندولي Pendallum الذي يتأرجح أحيانا بين القبول والرفض، بين الإثبات والنفي وقد يكون هذا نتيجة للتقابل أو عدم التمييز أحيانا بين المعتقدات الإسلامية السلفية وبين المعتقدات الشعبية، أو مظاهر الثقافة المحلية، المظاهر الوافدة، أو التباين النسبي بين بعض الثقافات الفرعية المحلية (ساحلية، جبلية، صحراوية)؟!!.

فبينما ترتفع الأصوات كلها موافقة على بعض الممارسات، تتراجع أحيانا الى الوراء لترفض أو لتجد تبريرا لموافقتها، فنحن هنا أمام دراسة تعتمد على الذاكرة في المقام الأول، وعلى الرأي الخاص، وعلى الرأي العام ثم على التصورات، ثم نتابع مشاعر الناس تجاه بعض الظواهر وهكذا نكون قد جمعنا شمل كل الوسائل من أجل الحصول على تلك البيانات.

فالإخباريون قدموا لنا فترات زمنية متعدد ة لإخفاء المولود حتى يكبر وهنا المدة غير محددة.

وكان هناك من ذكرت أن الإخفاء يبدأ من لحظة الميلاد وحتى (٤ أشهر) أو سنة، ثم يعود البعض ليحدد المدة بأنها أربعين يوما فقط، ثم (٣ أشهر) ثم إلى حين يمشي الطفل قبل السنتين أو إلى أن يكمل السنتين ثم يعلن عنه.

ومن الحالات التي اشارت اليها الراويات أن هناك إمرأة أخفت إبنها عن الناس وعن إمرأة ذات عين لمدة (٤ سنوات) (أو خمس سنوات) تقريبا، ورددت أن هناك من يخفي لمدة (١٠ سنوات) وذلك خوفا من الحسد.

وهذا ما يستوقفنا في هذه الدراسة فهناك بعض الطقوس التي تستمر وبالتالي قد تكون عاملاً من عوامل المعاناة بالنسبة لبعض الأفراد، فما ذنب هذا الطفل الذي يخفى عن البشر حتى يصل إلى سن العاشرة دون أن يمر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بتجارب الطفولة؟ ودون أن يعيش سنه بحرية ويصعب عليه تعلم المعايشة الإجتماعية مع الأهل والجيران،

إذن يقع هذا الطفل ضحية لهذه الممارسة الخاطئة الناتجة عن الخوف من الحسد، وبالتالي يفتقد الفرص لتكون شخصية إنسانية تستطيع اكتساب التجارب التي نحتاج إليها، وتمارس عليه سلوكيات من مخلفات التفكير السائدة.

ومن هذا ننطلق إلى أن هذه المادة التراثية تقدم لنا هنا الأبعاد الإجتماعية التي نحتاجها لدراسة البنية الإجتماعية لمجتمع الإمارات، وتكشف لنا التشكل الإجتماعي الذي كان قائما في تلك المرحلة، ولسوف تقدم هذه الدراسة في فصولها القادمة صورا أخرى عن الكثير من العمليات الإجتماعية وخاصة بالنسبة لفصل التنشئة الإجتماعية.

وعند السؤال عن كيفية الإخفاء هل بتغيير الإسم؟ أو الزي؟ أو الملامح؟ كشفت لنا المادة العلمية عن أساليب عدة سيتابعها القارئ من خلال الإجابات، ولكننا هنا نختار بعضها لإعطاء بعض الدلالات الإجتماعية والنفسية والثقافية، ونكتشف من واقع الإجابات أن الإخباريين يعودون للتأكيد على مسألة الإخفاء رغم أننا تجاوزناها في السؤال السابق مما يدل على عمق هذه الظاهرة، فالتأكيد يأتي هنا لتبرير طريقة الإخفاء، فهناك من يرى أن الإخفاء يتم بتغيير هذا الدور وهنا نلاحظ ملمحا جديدا من ملامح أدوار أفراد الأسرة التي تثبت من خلال ممارسة العادات والتقاليد أن هناك هدفا كبيرا يندفع الجميع لتحقيقه، كل بحسب مركزه في لأسرة والمجتمع وهو هدف البقاء والإستمرار في بيئة شحيحة قليلة العدد والعدة.

فالمجتمع يجب أن يحافظ على أفراده، وأن قوة البقاء تستمد من قوة الأفراد، وهذه بدورها بحاجة الى الإمكانيات، ورغم شح الإمكانيات المادية والإقتصادية إلا أن المجتمع آنذاك إستطاع أن يقاوم كل تلك الظروف إلى أن آن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

له الدخول في المرحلة الجديدة مرحلة النفط والتغيير الشامل، ولو عدنا إلى الإجابات لاكتشاف من هم القائمون على إخفاء الطفل بالأساليب السابقة الذكر فسوف نجد أن الأب يشترك في هذه العملية بالإتفاق مع الأم، وهنا يبرز لنا دور جديد يقوم به الأب رغم إبتعاده عن الظهور على مسرح العادات والتقاليد لمرحلة الميلاد حتى الآن إلا فيما ندر من ممارسات تحدثنا عنها في السابق، والدور الأكبر كانت تقوم به المرأة سواء كانت الزوجة أو الأم أو الأخت أو الجدات، فمرحلة الميلاد وما قبله مرحلة ملك للمرأة في مجتمع الإمارات، والرجل فيها مشارك سلبي ربما في التهيؤ للمرحلة فقط، ولكن يبدأ بعد ولادة الطفل حيث يبرز على هذا المسرح ويمارس حقه في إخفاء إبنه عن رؤية الآخرين لحمايته، ولكن السؤال هل لو كان المولود بنتا سيشارك الأب في إخفائها؟.

ان القلة من الاخباريات اكدت دور الأب في الاخفاء وهذا ما يشير الى محدودية تدخل الأب في الحياة الأسرية وهذا يعتبر بعدا جديدا يضاف إلى بنية الأسرة الإماراتية، وربما كان ما نلاحظه اليوم في ذات المجتمع من إنحسار دور الأب في التربية والمشاركة في حياة الأسرة ربما يعد مجرد إستمرار أو إمتداد لذلك الدور فيما قبل مرحلة التغيير وهنا نضع أيدينا على جذور هذه الظاهرة، وربما بعد فترة من السير في هذه الدراسة سنكتشف أبعادا أخرى وأسباباً محددة لنمو هذه الظاهرة الغريبة، ألا وهي أنحسار دور الأب في التنشئة وكذلك في الحياة الأسرية على العموم.

أما عن ردود الفعل تجاه تغيير نوع المولود فالملاحظة العامة هنا قبول فكرة الإخفاء للمولود لدى الأهل والجيران ولكن عند التطبيق يتضايق بعض الجيران، هذا ما تثبته الإحصائية التي ذكرت في بداية هذا الفصل مما يعني أن الدراسة تسير بنسبة عالية من المصداقية في التأكيد على بعض الظواهر، ورفض البعض الآخر، فكلما سار البحث قدما نحو بقية الإجابات تتضح الصورة المجتمعية أكثر، ويزول عنها بعض الغموض وعدم الوضوح.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فالأهل يقبلون بإخفاء مولودهم لحمايته من العين، والجيران يقبلون ولكن يشعرون بأنه سياتي يوم يعرفون فيه المولود الجديد لدى تلك الأسرة الجارة، والأقارب البعيدون يقبلون بفكرة إخفاء مولود تلك الأسرة ويعزمون هم أيضا على القيام بإخفاء مواليدهم عندما يحين ذلك، فإذن ردود الأفعال تجاه هذه الظاهرة هنا تقترب كلها من بعض وإن كان هناك من يسخر ويهزأ أحيانا منها إلا أنه في قرارة نفسه يؤمن بالظاهرة وهذا ما نريد إثباته لتكتمل الصورة التي نبحث عنها لبنية المجتمع القائم على بنية الأسرة.

أما عن التأكيد على أوجه القبول أوالرفض تجاه فكرة إخفاء المولود فيلاحظ القارئ هنا أن الأغلبية لم توضح رأيها مما يعني إشارة واضحة إلى ملل المبحوثين من تكرار الطلب للكشف عن هذه الظاهرة، مما يعد طبيعيا حيث يشعر أفراد عينة البحث بملل البحث عن إجابات تأكيدية في مثل هذه الدراسات الطويلة.

أما السؤال الخاص بردود الفعل عند الطفل المخفي نوعه عندما يكبر ويدرك حقيقة جنسه فقد كانت بعض الاجابات تشير الى أن الطفل يخبر بهذه الحقيقة حتى لا يصدم عندما يكبر وهذا يعد موقفاً إيجابياً في طرق التنشئة والبقية أكدت أنه لا يخفي جنسه، بل يخفى فقط عن الرؤية.

ومن الممارسات المتصلة بأخفاء المولود دهن جلده بالنيل الأزرق وإلباسه ملابس متسخة أو قصيرة، أو غير لائقة حيث تكون مرقعة بألوان متعددة، أما عن تغييرالملامح فبعضهم يرفض هذه الفكرة ويقول أننا لا نغير الملامح بدليل أننا نكحل الطفل سواء كان بنتا أو ولدا وهذا لا يدل على التغيير للملامح، بل يدل على عادة الأهالي بتزيين الأطفال كما ذكرنا في الفصل السابق.

أما عن تغيير الإسم فلم نلاحظ تاكيدا على هذه العادة الشعبية ولكن البعض فقط وافقوا على أنهم كانوا يقومون بتغيير الإسم إذا لاحظو أن الطفل يمرض كثيرا فيقال أن إسمه ثقيل عليه، فيقومون بتغييره، بعد سنتين أو

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثلاث سنوات وذلك بالإحتفال ودعوة الأهل والجيران وإعلان الإسم الجديد.

وأحيانا يقومون بالتغيير للإسم نتيجة الخوف من العين التي قد تكون سببت له أمراضاً معينة، كما يعتقدون وهنا نجد إعتقادا لدى أفراد المجتمع يثبتون فيه أن تغييرالإسم للطفل قد يساعد على تخلصه من عين أصابته دون أن تصلي على النبي.

أما عن الأسماء المختارة للتغيير فمثلا إذا كان إسمه محمد يغير إلى درويش أو يستخدم إسم (حميروه) تصغيرا للحمار، وقد يكون معناها الطفل الأحمر.

ولقد قدمت الإجابات الأكثر رفضا لقضية تغيير الإسم إلا فيما ندر، والتأكيد فقط أن الإخفاء يكون بإبعاده عن رؤية الآخرين حتى تمر فترة زمنية محددة.

أما من يقوم بهذا الدور أي دور الإخفاء؟ فالواضح أن الأم نفسها، أو الجدة/ أو الخالة/ والعمة/ المقربين للأم الوالدة هم الذين يلعبون هذا الدور وجاءت الإجابات متراوحة بين أن الإخفاء يتم برضى الأب وفهم الطفل عندما يكبر لذلك، وللهدف من هذا الإخفاء، وبين حيرة الطفل لذلك دون أن يعرف سببا واضحا لإخفاء نوعه أو إسمه، وبين مؤيد ورافض.

إن هذه الظاهرة عندهم عادية وبالتالي لا توجد لها ردود أفعال، وهناك بعض الاراء وجدت أن الطفل الذي يخفي نوعه لا ينمو نموا نفسيا طبيعيا أي قد يتعرض لمرض (التخنث) أي عدم ثبات نوعه وتبدو عليه ممارسات معارضة لرجولته.

فإن هناك سلبيات حقيقية كشف عنها هذا الفصل وخاصة في ظاهرة إخفاء المولود فهي بالضرورة تؤدي إلى سوء في التنشئة الإجتماعية للطفل المخفي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخلاصة :

١- السبب الأساسي في الإخفاء هو الحسد أو الخوف من العين الشريرة، خاصة وأن الثروة الحقيقية في هذا المجتمع البدوي «ثروة الأولاد» وبالأخص الذكور وهم عصب القوة الإقتصادية والإجتماعية والسياسية للأسرة والقبيلة.

ولكن تبقى هناك بعض التساؤلات الفرعية :-

أ- إلى أي مدى ترتبط هذه الظاهرة أحيانا بظاهرة «الخطف» والذي كان يمارس وبالأخص بين بعض القبائل المتناحرة؟ والذي يمكن تسميته «بالإنجاب الجهاز» كما قد يكون آلة دفاعية أو وسيلة لحمايته من الخطف أيضا.

ب - إلى أي مدى ترتبط هذه الظاهرة بمعدلات الوفيات العالية بين الأطفال في تلك الفترة الحرجة؟ أي أن الإخفاء هو من طقوس الإنتقال أو المرور (Rites of Passage) للدرجة التي يعتبر فيها الطفل وكأنه مازال جنينا.

ج - إلى أي مدى ترتبط هذه الظاهرة أحيانا بقيمة «الشرف» «والعار» ومن ثم «الستر» خاصة عند المولود القاصر .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل التاسع
ولادة التوائم
Birth of Twins

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولادة التوائم: [1]

إن ولادة التوائم في مجتمع الإمارات تعتبر ظاهرة نادرة، أو قليلة الحدوث بالنسبة للأسرة الإماراتية وهي تكشف لنا العديد من الممارسات، والعادات والمعتقدات السائدة في المجتمع آنذاك ومنها إستخدام التوائم لعلاج بعض الأمراض، لبعض أفراد الأسرة الذين يتعرضون لأمراض غامضة لا يدرك الآخرون طرقا لعلاجها فالإعتقاد أن التوأمين يحملان قوة روحية أو غيبية خاصة من الممكن أن تشفى بعض العاهات، والأمراض، وقد يكون هذا الإعتقاد نابعا من حيرة الإنسان وعدم فهمه للأسباب التي أدت بالمرأة إلى ولادة التوائم فدائما عندما يصعب تفسير ظاهرة ما في مجتمع الإمارات تستخدم نفس الظاهرة للعلاج، والكشف والتيمن، وهذا ما يمكن أن نسميه «الحقيقة الأولى» أو النتيجة العامة التي توصلنا إليها في هذه الدراسة والتي تكررت إذ غالبا ما يكون وراء الممارسات والعادات والتقاليد في المناسبات المختلفة تصورات فوق عقلانية، فولادة التوائم تحدث في كل المجتمعات وتثير العديد من التساؤلات بالنسبة لتلك المجتمعات التي لا يستطيع أفرادها تفسير هذه الظاهرة، فالتفسير الطبي لم يكن واردا في تلك المرحلة، وبالتالي توقعت

أما بالنسبة للأسئلة قد جاءت كالتالي : .

- إذكر حكايات أو قصص أو نوادر تدور حول التوائم ؟
- إذا توفى واحد من التوائم هل يموت الآخر ؟
- كيف يتم تنظيف الطفلين؟
- كيف ترتبين رضاعة الطفلين ؟

ما هو رد الفعل للمجتمع تجاه ولادة التوائم ؟

أ - الزوج.

ب - أقارب الزوج.

ج - أقارب الزوجة .

د - أبناء الحي.

- هل تشعر المرأة أنها حامل بتوائم «في الشهور الأولى أم الأخيرة».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الدراسة أن تجد ممارسات عديدة تؤكد عجز الإنسان عن معرفة أسباب وعلة ولادة التوائم.

وعودة للحديث عن ولادة التوائم، فهي ظاهرة قليلة الحدوث ولكن رغم قلتها إلا أن الإحتياطات المتخذه من قبل أفراد المجتمع تكاد تكون متشابهة، وكأن هناك إتفاق عام حولها فرغم ولادة التوائم إلا أنها كظاهرة إستطاعت أن تخلق ممارسات من نوع العموميات في المجتمع وليس الخصوصيات وهناك فرق كبير بين هذين العنصرين، فمصداقية المعتقد أو العادة أو التقليد تأتي بنسبة تكررهاوتحولها إلى عموميات يمارسها أفراد المجتمع.

ولاشك أن هناك بدائل آخرى من الممارسات والعادات تمارس عند، ولادة التوائم في الأسرة،أي أنها لا تخضع لتلك العموميات، لكنها في النهاية تعبر عن ظاهرة صحية في هذا المجتمع إذ لا يمكن أن يحدث الإتفاق العام في أي مجتمع، وإلا تحول هذا المجتمع إلى قرية ذات ثقافة منعزلة.

وهنا نلمح لطبيعة الظروف الثقافية والجيوبوليتيكية التي عاشها أفراد المجتمع في الإمارات سابقا، والتي لازال يعيش فيها رغم بعض الاختلافات، فهذا المجتمع تحيط به ثقافات متعدده نظرا لموقعه الجغرافي، ونلاحظ أن هذه الثقافات يجمعها عنصر واحد وهو الإسلام، وتفرق بينها مئات العناصر الأخرى، وكان لا بد أن يحدث التأثير والتأثر، ومن ثم التفاعل وإفراز نوعٍ آخر وجديدٍ من الثقافة، إضافة إلى التشابه والتجانس بين هذه الثقافات.، وهذه الأمور لاحظناها بين إنسان السواحل، وانسان الجبال، وإنسان الصحاري، والعرب والبلوش، فالتعدد الثقافي سمة رئيسة من سمات ثقافة الإمارات، وبالتالي نستطيع إعتبار هذه النتيجة من النتائج الرئيسة في هذه الدراسة، والتي برزت بشكل واضح على مسرح العادات والتقاليد وهي نتيجة تتأكد وتتعزز بصفة مستمرة في تحليلنا المتتابع لمحاور هذه الدراسة.

إن إستخدام نفس المنهج السابق وهو منهج تحليل المضمون لإجابات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإخباريات والإخباريين الذين إلتقى بهم الباحثون من أنحاء مختلفة من مناطق الإمارات (أبوظبي - العين - دبي - الشارقة - رأس الخيمة - الفجيرة «دبا») يعود بنا هذا المنهج إلى أعماق الحركة الإثنولوجية في هذا المجتمع فيكشف لنا أولى هذه النتائج وهي تعدد وتنوع المسميات لظاهرة ولادة التوائم فنجدهم يطلقون عليها نصيفات، وعند البلوش جار، فلجة ثومة، مغال - ولكن التسمية المنتشرة هي (أتوام) وليست (التوائم) أو (التوم) كما يطلق عليها في بقية دول الخليج العربي، وبطبيعة الحال نجد أن الجديد من هذه التسميات هي النصيفات والجار، فلجة الثوم، مغال، وربما يضيف لنا هذا التعدد لمصطلح التوائم عناصر جديدة لقاموس التراث اللغوي الذي إحتوته هذه الدراسة .

إن ولادة التوائم تتضمن العديد من الحالات المتنوعة والمتباينة والتي تعكسها إجابات الراويات ففي إحدى الحالات ولدت المرأة الطفل الأول، وظل التوأم الثاني في بطنها لمدة ثلاثة أيام ثم ولدته ميتا، وتتحسر الراوية لعدم وجود الأطباء الذين ربما ساعدوا في إنقاذه.

الراوية الثانية قالت أن إحدى الجارات ولدت أربع مرات وكل مرة بتوأم - وكلهم عاشوا ولم تتعرض الأم لآية مضاعفات وربما يكشف ذلك عن قدرات صحية تمتلكها بعض النساء ولا تمتلكها الأخريات.

الحالة الثالثة حالة امرأة ولدت ثلاثة أطفال في بطن واحدة، ومات أحدهم وعاش الإثنان ونوت الأم إهداء أحدهم إلى أختها العاقر، وهكذا أدت (النذر) وعاش الإثنان[1] فالنذر وعد وإلتزام روحي أو (نية) ينويها الإنسان عندما يكون أمام موقف خطر لا يملك تجاوزه، كطلب الصحة والشفاء لأحد الأعزاء أو تمني استمرار حياة التوائم ويقدم نذرا لذلك.

١- النذر أن تنوي أو تنذر المرأة بأن تهدي إبنها إلى اختها العاقر لا بد أن تفي بنذرها وإلا مات الطفل، «يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً». (الآية ٧ سورة الإنسان).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثم نجد ضمن الإجابات راوية تكشف لنا مرة أخرى عن حالة التفضيل لولادة الذكور عنها لولادة الإناث، فإحدى النساء تلد الإناث، وفي حملها الخامس طالب الزوج زوجته بإنزال الجنين أو التخلص منه خوف من ولادة مزيد من الإناث، ولكن يأتي الإنقاذ على يد إمرأة أخرى حلمت أن تلك الزوجة تحمل حمامتين تمسك بهما وتمنعهما من الطيران، ومن ثم ولدت المرأة بذكرين توأمين، وهنا تتجلى دلالات جديدة وممارسات شعبية إيجابية قد تساعد في إنقاذ الإنسان من أزمة قد يتعرض لها، وتحتل الأحلام وتفسيرها مكانة خاصة في المعتقدات الشعبية ويعززها التراث الإسلامي المتصل بالرؤيا الصالحة وتفسيرها ومن الناحية التحليلية يؤكد هذا الإرتباط التوثيق بين الوعي واللاوعي وبين الضمير الفردي والضمير الجمعي، فأحلام الفرد لا تفسر سلوكه أو شعوره بقدر ما تفسر سلوك وشعور الجماعة أو الظروف والمظاهر المحيطة بحياة الجماعة ، وهذا يعكس مدى الترابط والتلاحم الشعوري والإجتماعي الحميم الذي كان سمة لمجتمع الإمارات في الماضي.

إذن شاهدنا حتى الآن (النذور ثم الأحلام) وكيف استطاع الإنسان إستخدام هاتين القدرتين لإنقاذ المرأة والأطفال من موت محقق، على يد الزوج الذي يرغب بولادة الذكور، أو أي مخاطر أخرى وهذه وسائل جديدة وأدوات يستخدمها الإنسان للمحافظة على حياته، وعلى قيمة الإستمرار في مجتمع الإمارات.

ومن الحالات الهامة التي أوردتها روايات الإخباريات حالة لإمرأة ولدت توأمين وتجلت قدرة الله في المحافظة على أحدهما رغم إعتقاد الأهل بموته، إذ لف الأهل الطفل الأول (بخيشة) ظنا منهم أنه مات ووضع بجانب النافذة، وأتى المولود الثاني وإستقبل إستقبالا حافلا وتم تنظيفه ووضع في سريره، وعادوا للطفل الأول لدفنه فوجدوه حيا، أما الطفل الثاني الذي وضع في سريره فلقد توفى، وقد تكشف لنا هذه الحالة بجانب القدرة الإلهية في وهب الحياة أو الموت، ومدى قدرات الإنسان (الأهل والمرأة أو الداية) في حماية المواليد أو الكشف عن إمكانية حياتهم أو موتهم لم تكن قوية، وبالتالي قد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تحدث المفاجآت في موت أحدهم، وإستمرار الآخر، أو موت الإثنين بحسب ظروف كل إمرأة واضعة، وقدرة المحيطين بها لحمايتها أو لحماية الأبناء.

ومن المعتقدات حول ولادة التوائم استخدام التوائم لعلاج بعض الأمراض كالكسور، بأن يطاف بالتوائم حول الإنسان المتعرض لحالة الكسر فذلك يساعده على التماثل للشفاء، ولقد جاء تكرار لهذا المعتقد في أكثر من إجابة مما يدل على قوته كمعتقد لدى بعض الأسر الإماراتية.

أما عن التساؤل حول مدى إرتباط وفاة أحد التوائم بالآخر فلاحظنا إجماعا عاما من الإخباريات بعدم وجود مثل هذا الإرتباط بل قد يعيش بعضهم ويموت الآخر، أو يعيش الإثنان وكل ذلك يعود إلى قدرة الله سبحانه وإرادته.

طرق تنظيف التوائم:

أما عن طرق تنظيف التوائم فأنها تتم بطرق عادية، وتستخدم فيها نفس المواد السابقة الذكر عندما تطرقنا لتنظيف المرأة بعد الولادة، كالملح وبعض الأعشاب كالسدر مثلا فيتم تنظيفهم ووضعهم في سرير واحد بشكل عاكس ليجد الإثنان مساحة كافية للنوم في سرير واحد، أو قد يستخدم سريران لدى بعض الأسر المقتدرة، وهذا يختلف عن السائد في كثير من المجتمعات أو الثقافات البسيطة التي تقرر الإرتباط العضوي والنفسي والروحي بين التوأمين.

رضاعة التوائم:

أما عن رضاعة التوائم وكيفية تنظيمها فتأتي على التوالي حيث ترضع المرأة أحد الطفلين في حالة نوم الآخر، ثم تقوم بإرضاع الآخر، وتستخدم وسائل للرضاعة أخرى كالتمر مثلا وذلك بدلكه بالماء وعصره ثم تنقيطه في فم المولود ليساعده ذلك على الشبع، في حالة عدم كفاية لبن الأم للوليدين.

وهنا نجد تأكيدا من الراويات أنه في الزمن السابق كان ثدي المرأة الوالدة أكثر درا للحليب منه في المرحلة الحالية، وربما يكون في ذلك بعض الصحة بحسب التفسيرات الطبيعية، فلقد تعرضت المرأة في المرحلة الراهنة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لإستخدام بعض الوسائل العلاجية والمواد الكيميائية التي قللت من الدر الطبيعي، فنلاحظ على مستوى كل المجتمعات إنسحابا عن الرضاعة الطبيعية، والإتجاه إلى إستخدام الرضاعة الصناعية مما يشير إلى إيجابية الظروف السابقه في بعض المواقف لحماية الإنسان من المستخدمات غير الطبيعية ولكن لاشك أن للإنحسار عن الرضاعة الطبيعية أسبابا آخرى غير طبية كالوعي الزائف الذي تحمله بعض النساء للمحافظة على شكلهن ورشاقتهن، وأسباباً آخرى كتوفر البدائل الصناعية مما أضر بالطفولة عموما، وهنا يمكن القول بأن رضاعة التوائم لا تختلف عن رضاعة الأطفال العاديين.

فالرضاعة الطبيعية إذن كانت إحدى إيجابيات المرحلة الماضية بالاضافة إلى إستخدام بعض المواد الغذائية المتوفرة آنذاك، حيث ذكر الإخباريون (الساكو) بشكل متكرر وهي وجبة غذائية مكونة من النشا والسكر والسمن، مما يؤكد أهمية هذه الأكلة الشعبية حتى الآن كذلك التمر بعد هرسه وتحويله إلى عصير، وهذا يؤكد القيمة الغذائية العالية التي يتكون منها التمر.

وترتبط الرضاعة بممارسات أو معتقدات الحماية الطقوسية من الحسد (العين الشريرة) نسبة للإعتقاد بأن المرضع أكثر عرضة للحسد والعين الشريرة من غيرها، وقد روت لنا إحدى الإخباريات عن دخول إمرأة جاره لها على إحدى الوالدات وهي ترضع أحد التوائم وبجانبها يرقد التوأم الآخر، فحسدتها وجف الحليب في ثدييها وتعرضت الأم للمرض.

وهنا تكشف لنا هذه القصة عن أهمية الرضاعة الطبيعية لدى النساء في مجتمع الإمارات سواء كان سابقا أو في المرحلة الراهنة إذ تنصح الأمهات والجدات بناتهن الواضعات حديثا بعدم إرضاع الأبناء أمام الناس أيا كانوا وخاصة الأقرباء حتى لا يتعرضن للحسد.

إن ردود الفعل للمجتمع المحلي تجاه ولادة التوائم كما تتمثل في ردة فعل الأهل والجيران، إذ تتراوح بين شعورين متناقضين هما الفرح والخوف أو الفرح

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- الحسد، الفرح بولادة التوائم، والخوف عليهم من الحسد، وهنا تشير التكرارات في هذه الإجابات إلى عمق هاتين الظاهرتين النفسيتين، أو الحالتين النفسيتين اللتين كان يعيشهما الإنسان الإماراتي سابقا الفرح والحسد، إذ تنطوي الحياه كلها على هاتين الحالتين وربما إستمرتا حتى الآن في هذا المجتمع، مما يؤكد مرة أخرى مقترحات هذه الدراسة بضرورة توجه الدراسات المستقبلية نحو الكشف عن عمق هذه الظاهرة في هذا المجتمع.

إن وجود العلاقات الإجتماعية الحميمة والترابط الوثيق تنعكس في مظهر الفرح والشعور الجمعي بوحدة الجماعة وتكامل مصالحها، وبالرغم من ذلك يأتي التمايز الداخلي، داخل الجماعة (كالعشيرة أو الطائفة أو الأسرة الممتدة الكبيرة) فيثير هذا التمايز النسبي عنصر أو عامل المنافسة الكامن فيعبر عن نفسه في الخوف، الخوف من حسد الاخرين وهم في الغالب أفراد الجماعة أنفسهم!!

ثم أكدت أغلب الإجابات على حركة التعاون والتكاتف بين الأهل والأقارب وأبناء الحي الواحد لمساندة المرأة المنجبة للتوائم، ونرى في هذا بعداً إجتماعياً كامناً لحالة التماسك في المجتمع الصغير، وخاصة الحي الصغير، والذي أكدته الكثير من الإجابات في المحاور السابقه، كذلك كشفت ردود فعل الأب عن مساهمة حقيقية يقدمها لزوجته في حال ولادة التوائم له، فهو يسهم في خدمة المنزل وحمل الطفل الثاني المنتظر للرضاعة وهنا تبرز مشاركة إيجابية من الأباء وبما لم ترد سابقا مما يعكس بعض التناقض في الإجابات ولكن تعكس في المحل الأول أن المواقف تثير عادة بعض ردود الأفعال المعينة سواء من الأب أو من الآخرين، وهنا جاءت المشاركة كردة فعل متوقعة من زوج يشاهد معاناة زوجته في تربية التوائم، وربما يقلل هذا التفسير من ذلك التناقض فيظل السائد لدور الآباء هو السلبية تجاه المشاركة في التنشئة الإجتماعية، وهنا نشير للقارئ أننا في المحور الأخير من هذه الدراسة سنتعرض لهذا الدور للرجل عموما في مجتمع الإمارات.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إن معرفة حالة الحمل بالتوائم تتم بواسطة الداية كما يمكن الوصول اليها بواسطة المحيطين بالحامل من الأقارب، ويستخدمون شواهد على ذلك منها حالة شق البطن أي إنقسام البطن في إنتفاخة إلى جزئين، أو الإحساس بالثقل الكبير، أو الإحساس بحركتين بداخل البطن وليس بحركة واحدة، وفي الأغلب يتم الكشف عن حالة الحمل بالتوائم في الشهور المتقدمة أي السادس والسابع، ولاحظنا من بعض الإجابات أن البعض لا يدرك بحمل التوائم والمبرر في ذلك أن النساء أنفسهن الحاملات يكن منشغلات بتنظيم المنزل والزراعة والري وتربية الحيوانات طوال فترة الحمل، وبالتالي لا يلاحظن الفرق في حملهن سواء بواحد أو بإثنين، وهنا تكشف لنا الدراسة عن الأدوار الحقيقية للمرأة الإماراتية المنتجة والتي لا يعيقها حملها عن تلك الأدوار.

تتعرف المرأة إذن على نوع الحمل لديها في الشهور الأخيرة وتساعدها في تلك المعرفة الداية التي تلاحظ إنتفاخ السرة لدى المرأة الحامل، أو تلاحظ الإرهاق الشديد للمرأة الحامل بالتوائم وهناك بعض النساء التي أثبتت الإجابات أنهن لا يدركن بحملهن توائم إلا بعد الولادة، مما يشير الى وجود الوعي لدى البعض وغيابه عن الأخريات اللاتي ربما لم يتعرضن لتجارب سابقة لحمل التوائم أو لم يسمعن عنه قبل ذلك، فالوعي كان محدودا حول الظاهرة، ولكن يتم أدراكها في الشهور الأخيرة.

الخلاصة:

إذن نستخلص أن ظاهرة الحمل بالتوائم كانت موجودة في مجتمع الإمارات، وأن الممارسات حولها متشابهة، وأنه تحيط بها بعض المشاعر أو الأحاسيس التي تم ذكرها وهي الفرح بولادة التوائم خاصة الذكور، ثم حالة الخوف من الحسد التي ترافقها خوفاً على الأم أو التوائم وما يتبع ذلك من إجراءات وسلوكيات تحركها معتقدات ذات طابع....

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل العاشر

تسمية الطفل

Naming Cermony of Child

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تسمية الطفل : [1]

إن تسمية الطفل لها أهمية كبيرة في المجتمع ويؤكد ذلك ارتباطها بالكثير من العادات والممارسات التي من الممكن أن تكشف عن معتقدات عميقة راسخة ترتبط بإسم الطفل، أو الطفلة، وتعكس فكرا وأيديولوجية وثقافة شعبية ذات خصوصية في بنيتها الإجتماعية، ولكنها ذات عمومية في إرتباطها بالموروث الثقافي العربي والإسلامي، فلنحاول إذن البحث عن دلالات ثقافية جديدة لمجتمع الإمارات العربية المتحدة.

من يقوم بتسمية الطفل:

تكاد تجمع الآراء على شيء واحد هو الإعتراف شبه الإجماعي بالدور الأساسي للأب مع قيامه بالتشاور مع الأم ومع الجد والجدة وربما مع الأهل

والأسئلة هي:

١- من يقوم بتسمية الطفل؟

٢- هل تسمى الأنثى بإسم ذكر؟ وهل يحدث العكس..؟ ولماذا؟

٣- ما هي الأسباب التي تؤدي إلى تغيير الأسماء؟

٤- متى يتم تغيير الأسم؟

٥ - ما هي الممارسات المرتبطة بتغيير الإسم؟

٦ - أذكر الأسماء المحلية التي ترتبط بمناسبات معينة؟ (أذكر المناسبة والتسمية المرتبطة بها).

٧- هل هناك نذر بإطلاق إسم معين على الطفل.. لماذا ؟

٨ - هل تطلق على الأطفال أسماء لأشخاص راحلين؟ كالأجداد مثلا؟ .. أو أطفال توفوا؟ .. ولماذا؟

٩- أذكر عددا من أسماء التدليل وأسماء التصغير المستخدمة في المجتمع ومدلول كل منها؟

١٠- هل يسمى بعض الأطفال بأسماء شاذة أو تحقيرية؟

أ - أذكر نماذج من هذه الأسماء؟

ب - أذكر أسباب التسمية بها؟

١١- أذكر الأمثال الشعبية والأقوال والأغاني التي تتعلق بتسمية الطفل أو تغيير إسمه؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جميعا.. ومع أخذ جميع الآراء بعين الإعتبار إلا أن القرار يظل في النهاية للأب. ومع تلقائية هذا الأسلوب الإجتماعي في تسمية الطفل وبالرغم من أنه يبدو أسلوبا بسيطا وسهلا وعاديا. إلا أن الشيء غيرالعادي فيه ينبع من كونه يعكس نظاما إجتماعيا ساد حياة مجتمع الإمارات في الزمن الماضي ولم يقتصر فقط على ما يتعلق بتسمية الطفل بل إمتد ليسود معظم علاقات الحياة الإجتماعية بل والسياسية أيضا إذ أن هذا النظام في حقيقته هو جزء من نظام الشورى في الحياة والحكم الذي يكشف لنا كيفية صناعة القرار الإجتماعي.. وما تسمية الطفل إلا موقفا أو جانبا واحدا من الحياة الإجتماعية التي كانت يسودها نظام الشورى في كافة الجوانب.

ومن الأسئلة التي طرحناها

هل تسمى الأنثى بإسم ذكر؟ أو العكس؟

وتؤكد الإجابات على مدى ثبات نسق القيم العامة السائدة في ذلك الوقت في النظرة للرجل وللمرأة كما أن الإجابة على هذا السؤال أكدت بصورة لا تقبل الشك أن الولد ظل في نظر المجتمع ولدا وأن البنت بقيت في نظره بنتا.. وبمعنى آخر أن الرجل يبقى رجلا في خصائصه ومميزاته وملامحه وملابسه وأسمائه.. وأن المرأة تبقى إمرأة لها خصائصها ومميزاتها وملامحها وملابسها وأسماؤها التي تميزها عن الرجل.

وعلى هذا الأساس كادت الإجابات أن تصل إلى حالة الإجماع على أن المجتمع الأول رفض تماما إختلاط المعايير وبالتالي رفض تماما تسمية الذكر بإسم أنثى أو العكس إلا في حالات نادرة جدا .. لها أسباب لا تقوى على أن تشكل ملمحا له قيمة من ملامح الحياة الإجتماعية.

أما الأسباب التي دفعت إلى ثبات هذا الموقف فلقد كانت أغلب الإجابات تستند على أن تسمية الذكر بالأنثى أو العكس حرام لأنها خلط بين الجنسين وتزييف للتمييز بينهما ولأن الدين حض على عدم تشبه الرجال بالنساء أو

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العكس لا لشيء إلا لكي يتكامل الجنسان ولا إئتلاف بغير إختلاف.. أما المتشابهان فلا يتجاذبان وحكمه الحياه تقتضي الإختلاف والخصوصية لكي يتم الإئتلاف والتكامل لتستمر الحياة، أما الحالات النادرة الأخرى فالأسباب الداعية لها واهية وتكاد تكون مضحكة إلى الحد الذي لا يمكننا الإستناد عليها للخروج بنتيجة موضوعية إلا أننا من واقع أمانة البحث لا نستبعد وجودها لكننا نشير إليها بإعتبارها إستثناءا نادرا جدا في مجتمع الإمارات القديم.

من الظواهر الهامة في تسمية الأطفال ظاهرة تغيير التسمية وهي ظاهرة تشير إلى مرونة الجماعة في نظرتها إلى أمور الحياة.

ومن الأسباب التي تساق لتفسير هذه الظاهرة .

مرض الطفل ويقولون هذا الإسم ثقيل على «الياهل» أي الطفل ويلزم تغييره خصوصا إذا حاولوا معه بكل علاج وما حصلوا فايدة .. قالوا غيروا اسمه يمكن يطيب.. والحمد لله بعضهم على نياتهم.

الغالبية تردد هذا المعنى بتغييرات مختلفة لكنها تكاد تجمع على أن الإسم يتغير في حالة مرض الطفل أو الطفلة إعتقادا منهم بأن الإسم "ثقيل على الطفل" وإعتقادا منهم بأن شفاء الطفل يتطلب تغيير الإسم هذا في الأغلب والأعم.

ومن أسباب تغيير الأسم كذلك إذا كان الإسم على صيغة التصغير كأن يسمى «وليداً» مثلا وعندما يكبر يرى الأهل أن الطفل لم يعد طفلا وإنما أصبح شابا أو رجلا راشدا فيغيرون إسمه إلى «راشد» مثلا، أو أن يتم تغيير الإسم بعدما يكتشف الأهل لسبب أو لآخر أنهم إختاروا إسما غير حسن لوليدهم فيعمدون إلى تصحيح موقفهم، أو يتم تغيير الإسم إستجابة لشيوع مناداته في المجتمع بإسم آخر غيرالمسمى به أصلا فيتم تغيير الإسم ليتطابق إسمه مع ما يطلق عليه من المجتمع.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكان مما يسبب ويسهل تغيير الإسم أن مجتمع الإمارات الأول لم يكن فيه نظام شهادة الميلاد التي يطلق عليها إسم «الميلادية» لكن التغييرالشائع كان يتم في السنوات الأولى من عمر الطفل عندما كان الطفل صغيرا.

إلا أن تلك العادة لم تمنع من تغيير الإسم في سن الكبر إذا إقتضت الضرورة ذلك.

وإذ يتضح لنا أن الأسماء كان يمكن تغييرها فإنه من المفيد معرفة ما إذا كان لهذا التغيير ممارسات خاصة ترتبط به؟ وما هي تلك الممارسات؟

إن تغيير الإسم كان يتطلب بعض الممارسات .. فالحاجة إلى الإعلان عن التغيير وإشاعة الإسم الجديد كان يتطلب دعوة الأهل والجيران وأهل الحي حول وليمة كبيرة غذاء أو عشاء وتتم الدعوة إليه بمناسبة تغيير إسم فلان إلى الإسم الجديد وكان من عادة الأهل - كما تشير الإجابات - القيام بطبخ «الهريس» و «الخبيص» وتذبح الذبائح وبإسم الله يتم الإعلان عن الإسم الجديد وسط دعاء الأهل والجيران له بالشفاء والسعادة وبأن يكون الإسم الجديد بشارة خير له في مستقبل حياته.

كما كان الناس يقومون في مثل هذه المناسبة بتوزيع اللحم والهريس إلى الذين لم يتم دعوتهم بهذه المناسبة وفي شكل آخر من أشكال الممارسات الإجتماعية التي تصاحب تغييرالإسم كان يطوف الطفل بين الناس وأهله يقومون بنثر الحلوى أو الفلوس من حوله وينادونه بالإسم الجديد.

كما أشارت بعض الإجابات إلى أن بعض تلك الممارسات كانت تعتمد على عمل "العصيدة" وتوزيعها على الأهل والجيران وكانت "الوليمة من سمات الأغنياء، و "العصيدة من سمات البسطاء.

كما كانت تصاحب عملية تغيير الإسم بعض الأغاني الخاصة بهذه المناسبة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي بعض الأحيان كان البعض يلجأ إلى التنجيم لإختيار الإسم الجديد.. كان يتم إختيار ١٢ إسما ويختار طفل أحد الأسماء من بينها عن طريق سحب إحدى الأوراق الأثنى عشرة المكتوب فيها الأسماء.

غير أن بعض الإجابات لم تشر إلى ممارسات معينة سوى إشاعة الإسم الجديد بين الناس. ومن الملاحظات الغريبة في مثل تلك الممارسات لجوء قلة نادرة إلى ما يطلق عليه (بيع الطفل) كبيع الطفل في حالة مرضه بمن من الملح إعتقادا منهم بأن هذا يساعد على طرد الشياطين وشفاء الطفل، إلا أنه مع ذلك يبقى الطفل في كنف أمه، إذ أن هذا البيع ليس سوى بيعا شكليا لا يترتب عليه أية حقوق ويمكن اعتباره بيعاً طقوسياً Ritual.

ومن الطريف أن الراوية نفسها باعت إبنتها «بوزنة» تمر جاف لإطعام الأغنام بالطريقة نفسها أملا في شفاء إبنتها من مرضها على أنه يلزم التأكيد مرة أخرى أن هذا البيع شكل إجرائي لا يعني أن الأهل في الماضي كانوا يبيعون أطفالهم وهناك بعض الممارسات الأخرى المرتبطة بتغيير الإسم سوف يوضحها الإطلاع على نصوص الإجابات التي تلقيناها من الإخبارين.

ثانيا: العوامل المرتبطة بتسمية الأطفال:

أ- العامل الديني :

كان من عادة المجتمع الأول إطلاق أسماء الأنبياء والصحابة والصالحين والأئمة والحكام على أبنائهم خصوصا إذا جاءت أوقات ميلادهم مناسبة لذكرى معينة أومناسبة ترتبط بأحدهم، ففي يوم مولد النبي محمد عليه الصلاة والسلام مثلا كانت تطلق أسماء «محمد» و«أحمد» وكذلك أطلقت أسماء «زهراء» و«فاطمة» تيمنا بإسم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إرتبطت التسميات في مجتمع الإمارات بالأثر الديني فشاعت وتشيع فيه أسماء «محمد» و «أحمد» و «عبدالله» إتباعا للحديث الشريف القائل «خير الأسماء «ماحُمد وعبَد».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد ارتبطت بعض الأسماء بالمناسبات والأعياد الدينية والأيام المباركة على مدارالعام فإذا كان اليوم هو يوم العيد مثلا فإن الأهل في الماضي كانوا يسمون مواليد هذا اليوم في العادة بإسم «عيد» للولد و «عيده» أو «عيدوه» تيمنا بهذا اليوم.

وكذلك إذا كانت التسمية يوم وقفة عرفات فإن الطفل كان يطلق عليه إسم «عرفه» أو «عرفات» أو «حاجي» وكذلك الأمر إذا ولد الطفل في شهر رمضان فكان يسمى بإسم الشهر «رمضان» أو «صيام» أو «صائم».

وقد إرتبطت التسميات بأسماء الأيام السبعة

- فمواليد يوم الجمعة كان يطلق عليهم «جمعة» للولد و«جميعة» للبنت.
- و مواليد يوم السبت كانت تطلق عليها أسماء «سبت» و«سبيت» للأولاد و«سبته» و «سبيته» للبنات.
- ومواليد يوم الإثنين كان الإسم الشائع هو «ثاني» للولد.
- ومواليد يوم الخميس من الذكور كان يطلق عليه «خميس» وهكذا.

كما إرتبطت التسميات بالتوقيت اليومي ..

وهذه بعض الأسماء على سبيل المثال:-

- مواليد الفجر «الفجرى» و «الغبش» و «غابش» للولد، وغبشة أو «غبيشة» للبنت.
- مواليد الصبح «صبيحه» و «صباح» للبنت.
- مواليد العصر «العصري» للولد.
- مواليد الضحى «واضحة» و «هيرة» أي الضحى للبنت.

وهناك تسميات إرتبطت بأسماء الشهور العربية :-

- كإسم «رمضان» لمواليد شهر رمضان.
- و «رجب» تيمنا بشهر رجب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- وربما "شعبان" لمواليد شهر شعبان وإن لم يرد في روايات الإخباريين هذا الإسم بالذات وإسم «صفر» على إسم شهر «صفر».

أيضا إرتبطت الأسماء بالأوقات المناخية المختلفة :-

- ففي وقت المطر كان البدو يسمون البنات «غدير» و «نفافه» عند المطر الخفيف. كما كان يطلق علي الأولاد أسماء «مطر» و«مطير» «ومطيري».

- وفي وقت الضباب كانت تطلق أسماء «ضبيب» للولد و «ضبابة» للبنت.

- وفي وقت الإخصاب كانت تطلق أسماء «خصيبة» على البنت و «خصيب» على الولد.

- وفي وقت الجفاف.. كان يطلق إسم «محيلوه» و «برادوة» على المواليد البنات.

- وفي وقت القيظ في الصيف كان يطلق إسم «قيضوة».

- وفي وقت العواصف كان يطلق إسم «غرابي» على الولد.

- وفي وقت الرعد كان يطلق إسم «رعد».

- وفي وقت البرق كان يطلق إسم «برق».

- وفي وقت الرياح «السهيل» وكان يطلق إسم «سهيل للولد»، و «سهيلة للبنت».

من ناحية أخرى شاعت أسماء معينة بين البدو مثل «وضحة» و «غبيشة» و «مفرح» كما شاعت أسماء أخرى بين البلوش مثل «عائشة» و «مريم» و«كلثوم» و «زينب» في حين أن الحضر إختلفوا عن البدو في ربط الأسماء بالمناسبات.. فكان من النادر أن يسمى الحضريون أولادهم بأسماء لها إرتباط بالمناسبة بل شاعت بينهم الأسماء ذات المعاني مثل «راشد» و «سالم» و«صالح» و «عبيد» و «عبدالله» وغيرها من الأسماء كما شاع في جانب آخر إطلاق أسماء الجد أو الجدة على الأولاد والبنات.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانيا : التسميات والنذور :

أرتبطت بعض التسميات بالنذور فمن المفيد التأكيد بأن «النذر» هو نوع من العهد يقطعه الإنسان على نفسه أمام الله ويكون عليه الوفاء به إذا حقق الله له أمنيته أو إذا إستجاب لدعائه .. وإذا كان من شيم العرب الوفاء بالعهد، فإن الوفاء بالنذر هو جزء من تلك القيم التي سادت العرب. ولم يكن «النذر» مجرد عادة إجتماعية بل كان سلوكا دينيا.. لأن النذر لا يكون إلا لله.. ولأن الإسلام يأمر بأن يوفى بالنذر إذا نذرنا.. وفي هذا المعنى يقول الله تعالى في كتابه العزيز «يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا، ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا صدق الله العظيم»[1] ، كما أن من المفيد أيضا توضيح أن النذر كان سعيا إلى التقرب إلى الله من نواحي كثيرة.. ولهذا فلم تكن النذور قاصرة فقط على إطلاق تسميات معينة ولكن الوعد بإطلاق أسماء معينة كان أحد أشكال «النذور».

وتوضح لنا الإجابات التي جمعناها حول هذا الموضوع.. أن في مجتمع الإمارات الأول كانت بعض التسميات تطلق على المواليد من البنين والبنات تبعاً للنذور.

كما كانت بعض التسميات تطلق على الأطفال تبعا لبشارة رآها الأب أوالأم في المنام (وتشير الإجابات إلى أن أحد الوالدين كان يقطع على نفسه عهدا أمام الله أي ينوي سرا أو علانية إذا جاءه ولد أن يسميه اسما معينا يعتقد أن فيه بركة وهذا في حالة كون الأب يريد من الله أن يرزقه ولدا لأنه يحب الأولاد أو لأن ذريته كلها من البنات).

وكذلك الأمر إذا كان يرجو من الله أن يرزقه ببنت لأن ذريته كلها من الأولاد، كما أن هناك أسبابا أخرى للنذر هي :-

---

١. الآية (٨) من سورة الإنسان.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- أن تكون الزوجة لا تنجب.

- أن تكون قد أنجبت ولم يعش أي من أطفالها.

- أن تكون الذرية قد جاءت سقيمة ويتمنى الأهل طفلا سليما.

كما أن هناك أسبابا أخرى للنذر كانت أقل شيوعا.

ولأن النذر تقرب إلى الله فإن الأسماء التي إرتبطت به لا بد أن تكون من خيرالأسماء وهي التي أوصى بها النبي عليه الصلاة والسلام حين قال "خير الأسماء ما حمد وعبد".

- ولذا شاعت أسماء النذور على إسم النبي إذا كان ولدا .. أو على إسم أي من زوجاته أمهات المؤمنين أوبنات النبي (ص).

مثل «محمد» و «أحمد» للأولاد و «عائشة» و «فاطمة» و «زينب» وغيرها من الأسماء للبنات.

- كذلك شاعت التسمية في النذور بأسماء الأنبياء والرسل عليهم السلام كإبراهيم، وعيسى، وموسى ويوسف .. الخ وأيضا على أسماء الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم مثل «عمر، علي، و عثمان» تيمنا بهم.

- كما شاعت التسمية على أسماء الصحابة والصالحين وكان من عادة بعض أهل الإمارات قديما أن تنذر مثل هذه النذور في أيام الحج وسائر الأيام المباركة الأخرى كأيام الأعياد ومولد النبي وغيرها.

ومثل عامة المسلمين كان أهل الإمارات يعتبرون النذر دينا لله يجب تأدينه عند إستطاعتهم لأن النذر كما أسلفنا عهد بين العبد والرب ودين يحيط بالإنسان إلى أن يؤديه.

ومن الأقوال الشائعة في مجتمع الإمارات الأول .. «وفوا نذوركم ولو كنتم في قبوركم».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكان من عادة بعض الناس أن يعلنوا النذر أمام أحد الصالحين أو عند قبر أحد الأولياء.

وبعض الناس كانت تتخوف من النذر مخافة عدم القدرة على الوفاء به.. خصوصا وأن النذر كما أشرنا سابقا ليس مقصورا على الأسماء فمن النذور - أداء الحج أو العمرة.

- أو رصد مبلغ معين لتوزيعه على المحتاجين.

- أو بناء مسجد.

- أو ذبح الذبائح وإطعام الطعام.

- أو صيام عدد من الأيام شكرا لله.

لكن ما عنينا به هو النذور بإطلاق أسماء معينة على الأبناء كأحدى طرق التسميات في المجتمع الأول، وكان لدى الأهل في الماضي إعتقاد بأنهم إذا لم يوفوا بنذورهم في التسمية فإن الأنجاب سينقطع .. أو يصيب الطفل مرض أو مكروه.. ولهذا كانوا حريصين على الوفاء بالنذر وكان ذلك ملمحا واضحا في العادات والتقاليد لمجتمع الإمارات في الماضي.. وإن كانت النذور سواء بالأسماء أو بغيرها مازالت جزءا من تقاليد المسلمين وعادات حياتهم.

ثالثا: التدليل والتصغير ومدلولاته :-

عكست الأسماء الشائعة في مجتمع الإمارات الأول من بين ما عكسته عاداتٍ وتقاليد وقيماً وارتباطاً بالأهل والأيام والبيئة، عكست أيضا أسلوب الأباء في التعبير عن محبتهم وإعتزازهم بأطفالهم.

فكان من عاداتهم تصغير أسماء الأطفال حتى يكبروا فيعودوا لمناداتهم بأسمائهم الحقيقية كما كان من الشائع أيضا تحريف الإسم تدليلا له كجزء من تدليلهم لأطفالهم، لذلك شاعت أسماء تدليل وتصغير لتقترن بكل إسم معين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتجدر الإشارة إلى أن أسماء التدليل والتصغير كانت تطلق على البنين والبنات، وكانت تطلق على الأطفال لا الكبار إلا نادرا عندما يشيع إسم التدليل ويقترن بالطفل حتى بعد أن يكبر.

كما نلاحظ أنه مع شيوع هذه العادة، إلا أن البعض لا يعتبرها شيئا مفضلا خصوصا بالنسبة لأسماء معينة كإسم "محمد" مثلا إعتزازا بإسم النبي عليه الصلاة والسلام.

تقول إحدى الراويات «كان يوجد بعض الناس (باهين العقل) أي لا يفهمون معنى هذه الأسماء وعظمتها».

ونلاحظ أن بعض الأسماء كانت تَصَغَّر وتطلق على الصغير إلى أن يكبر ويسترد إسمه كاملا كما أن بعض الأسماء كانت تحرّف للتدليل وربما تطلق على الكبير أيضا كتعبير عن الإعتزاز به، كما نلاحظ من خلال الإجابات أنه ربما كان هناك بعض الإختلاف في هذا الشأن بين منطقة ومنطقة من إمارة واحدة.

وعلى سبيل المثال في إمارة الشارقة شاعت في «خورفكان» أسماء التدليل والتصغير.. بينما في منطقة أخرى مثل كلباء لم يتبعوا هذا التقليد.. ولن نورد هنا قائمة كاملة بكل إسم وما يقترن به من أسماء التصغير والتدليل .. ولكننا فقط سنكتفي بذكر بعض الأمثلة..

بالنسبة لأسماء الأولاد:

- كانت أسماء «محيمد» و «حمود» و «محمدوه» تقترن بإسم «محمد».
- وكانت أسماء «عبيد» و «عبود» تقترن بإسم عبدالله.

كما شاع إسم التدليل «رشود» على إسم «راشد». و «بروك» على إسم «مبارك» وهكذا.

وبالنسبة لأسماء البنات:

- كانت أسماء «عوشية» و «عوشوه» و «عواش». تقترن بإسم «عايشة».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- وكانت أسماء «مريم» و«مريوم». تقترن بإسم «مريم».

كما شاع تدليل الإسم «موزة» باسماء «موزية» أو «موزوه».

وعند البلوش كانوا بلغتهم الخاصة يدللون إسم «أحمد» مثلا بإسم «خدى ماله، أي «مال الله».

وقد إرتبط النطق والتحريف والتصغير والتدليل للأسماء بلغة ولهجة كل منطقة.

رابعاً : التسمية الشاذة والتحقيرية وأسبابها:-

بعض الأطفال يسمون بأسماء شاذة أو تحقيرية كالأسماء الشاذة التي تطلق في ظروف معينة ومن هذه التسميات كلمة «اللبوقة» أي إسم الشهرة.

وقد ترتبط هذه الاسماء بوصف الخلقة عن طريق السخرية من الطول أو القصر أو السمنة أو النحافة أو اللون أحيانا.

وقد تكون بعض هذه الأسماء بلا معنى أو أساس، ومن الملاحظ أن هذه الأسماء كانت كثيرا ما تجلب الشعور بالخجل والغضب لدى الأطفال الذين تطلق عليهم مثل هذه الأسماء وبعضهم كان يعبر عن رفضه لذلك بعدم الرد على من ينادونه بها، كما كانت تؤثر تأثيرا سلبيا على اندماجهم مع مجتمعهم وتسبب لهم عقدا نفسيه، ولهذا نجد أن الغالبية العظمى من الناس كانت تدين مثل هذا التقليد البغيض استنادا الى تحريم الاسلام لذلك والنهي عنه في القرآن الكريم مصداقا للآية الكريمة «ولا تنابزوا بالألقاب» وإرتبطت التسمية بمثل هذه الأسماء بظروف خاصة في بعض الأحيان.

مثل أسماء «زعيبر» أو «زبعر» وهي إسم لم نعرف له معنى.

والسبب في إطلاق هذه التسمية كما أوردته الراوية أيضا يبدو سببا لا منطق له.

تقول الراوية عند ولادة الإبن وكان الناس قد ساروا بعيدا عنها في إتجاه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عين ما .. قالت : يالله لين اسرحت الرعيان ضوا زبعر.

والعجيب أنها لا تعرف لزبعر معنى ولكنها نطقت هكذا وقالت سموه «زعيبر».

- «عسير» للولد «وعسيرة» للبنت.

أطلق أحيانا على المولود أو المولودة بولادة صعبة.

- «يسير» و «يسيرة» لمواليد الولادة السهلة .

- «هيرة» إسم لا تدرك الراوية معناه ولكنها تقول «هذا إسم من البدو عندنا».

كما كانت بعض هذه الأسماء أو الشهرة للتندر على طبيعة خلقته مثل:

- «أبو الكرعان» لمن كانت أرجله طويلة.

- «أبو راس» لمن كانت رأسه كبيرة.

- «بوغزله» لمن كان قصيرا.

- «بوطوله» لمن كان طويلا.

كما كانت تطلق أسماء على سبيل المعايرة مثل :-

- «خنفوس» على طفل يسمى «خميس» حيوان أسود وهو الخنفس.

- «صلامة» على طفله تسمى «سلامة» نواة التمر أو الرطب.

- «حوس» على طفل تتشابك رجلاه عند السير كنية عن الضعف.

- «أسود» لمن كان أسود اللون.

- «آشلق» للأحول العينين.

ومن الأسماء الشاذة أيضا أسماء مثل :-

- «شمطري» لكثير الحركة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- «جاشعة» و «كاعلة» و «هجوش» و «حندوكة» وهي أسماء لا معنى لها.

وأسماء أخرى مثل:-

- «جرو» أي الكلب الصغير.

- «العقار» للذي يبكي دائما ويصرخ.

- «ربشوه» أي مسمار.. ولا يدري الأسوياء ولا ندري معهم سببا ولا معنى لهذه الأسماء إلا بعض أنواع الجهل وسقم العقل خصوصا أن هناك أمرا دينيا واضحا بإختيار الأسماء الحسنة للأبناء وكذلك عدم تحقير الناس بألوانهم وأجناسهم وأشكالهم.

- «ربشوه» مثير الحركة والكلام وأصلها (ربشه).

هذا بخصوص التسمية والأسماء ولكن ماذا عن الأمثال والأغاني والأقوال الخاصة بذلك؟؟

اشار بعض الرواه بأن العرب لم يكونوا يهتمون بأغاني هذه المناسبة على عكس العجم والبلوش.

إلا أن معظم الإجابات أشارت إلى أدعية وأقوال معينة جرى بعضها مجرى الأمثال.. وهذه الأدعية والأقوال كانت تقال عادة مع إطلاق الأب لإسم الطفل لحظة قطع الحبل السري.

ومن الأدعية والأقوال الخاصة بالتسمية :-

- «سميتك عبدالله.. سميتك بإسم النبي محمد» صلى الله عليه وسلم ثم يتم الدعاء للطفل بطول العمر والصحة والنجاح والبركة في حياته.

- عند تسمية الطفل بإسم الشايب، تشير بعض الإجابات إلى قول مشهور يتغنى به هو : «الشيبة شيبة شايب .. شاب الولد شاب».

- «إسم وعافية إن شاء الله على طولة عمره .. الله يخليه .. إن شاء الله عمره طويل».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الله يبارك لنا فيك - الله يطول عمرك - الله يخليك لنا .

- وعند لحظة التسمية التي أشرنا إلى أنها عادة كانت تتم مع لحظة قطع الحبل السري كان الأهل يرددون «بسم الله الرحمن الرحيم عليها.. حرزتكم بالله».

- كما ترددت بعض الأقوال عند التسمية مثل :

سميتك على وأعليت بإسم .. وسميتك نبهان حتى أخوالك يتنبهوا.

- كذلك كانوا يدخلون الإسم الجديد للطفل في أغاني المهاواة .. فعند ما يسمون «عبدالله» كانوا يقولون «هووه» عبدالله «هووه» عيني أبوي .. الرحمن عليك .. حرزتك بالله .. حرزتك بالواحد الأحد».

وقد لاحظنا بعض الأمثال المرتبطة بالتسمية والتي تعكس لنا بعض التقاليد في تلك الفترة التاريخية المبكرة لمجتمع الإمارات .. وعلى سبيل المثال كان هناك مثل يقول «الغالي يسمى عليه عشرة» .. وهو مثل يعكس تكرار التسمية كثيرا كنوع من الإعتزاز بإسم الشخص العزيز على النفس.

ومن هذا يتضح أن القيم الإجتماعية والدينية كانت لها تأثيراتها المختلفة سواء على عادات التسمية أو على الأقوال والأمثال والأغاني المرتبطة بها.

التسمية بأسماء الراحلين (التسمية القرابية) :

لقد كانت هذه العادة شائعة بنسبة كبيرة في الزمن الماضي من واقع الإحساس بأن الخلف هو إستمرار للسلف .. وإذا كان السلف صالحا فإن إطلاق إسمه على الخلف يبشر بأن ينشأ صالحا مثله.

كذلك من واقع الإحساس بأن الخلف جاء تعويضا عن السلف الراحل سواء أكان هذا السلف جدا أو طفلاً.

غير أن الملاحظ من الروايات التي بين أيدينا أن إطلاق أسماء الأجداد على الأبناء وأسماء الجدات على البنات كان هو الأكثر شيوعا بين أفراد المجتمع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بدرجة أكبر بكثير من إطلاق أسماء الأطفال الذين توفوا على أشقائهم من المواليد الجدد.

فيما يتصل بأسماء الأجداد.. كان الأمر بالنسبة لهم إعتزازاً بأصل العائلة.. وكان إحياء لذكرى كبيرها.. وكان تشبها وتمسكا بسيرته خصوصا إذا كانت طيبة، ولذا كان طبيعيا أن تنتشر أسماء مثل خليفة بن جمعة بن خليفة، أو راشد عبدالله راشد وفيما يتصل بأسماء الأطفال الراحلين كان في الأمر نسبة من الإختلاف حيث أنه على الرغم من شيوع هذا التقليد أيضا إلا أن نسبة إنتشارة كانت أقل بكثير من التسمية بأسماء الأجداد .. ذلك أن بعض العائلات كانت تتشاءم من ذلك وتفضل إطلاق أسماء جديدة في حين أن بعض العائلات كانت تتمسك بهذا التقليد.

من ناحية أخرى فإن التسمية بأسماء الراحلين لم يقتصر فقط على أسماء الأجداد أو الأطفال المتوفين.. بل كان يتم أيضا إطلاق أسماء أقارب آخرين كالأعمام والأخوال والعمات والخالات.. ولكن بقى إطلاق أسماء الأجداد هو الأكثر شيوعا بين كل الأسماء .

ومن الملاحظات أن هناك من الأسر من كان يسمى بأسماء الأجداد والأطفال الراحلين.

وكان هناك أيضا من يسمى بأسماء الأجداد دون أسماء الأطفال .. وكانت كل أسرة تتبع ما تجد فيه ما يريح بالها.

غير أن العجم والبلوش كانوا لا يسمون الأبناء على أسماء أطفال ماتوا كما نلاحظ أن بعض الإجابات أظهرت أن عدم التسمية بإسم الجد أو الذين توفوا من العائلة كان يثير عليهم كلام الناس أو الجيران إذ أن ذلك يبدو بالنسبة لهم نوعا من عدم الإعتزاز بعائلتهم أو أصولهم.

وإذا كان البحث يستهدف الكشف عن عادات وتقاليد المجتمع في مرحلة سابقة .. فليس معنى ذلك أن هذه التقاليد بقيت بالقوة نفسها في زماننا الحالي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

. وبعض الإجابات قد أشارت إلى ذلك فتقول إحدى الإخباريات "أما الأن فإنهم يسمون بأسماء حلوة وجميلة ويبيعون أسماء أهلهم وأجدادهم" كما تشير راوية أخرى إلى عادة عائلتها في هذاالجانب من تقاليد تسمية الأطفال وتقول : "نحن لا نسمي فرخ على فرخ ولكن نسمي الفرخ على الشايب حتى يطول عمر الطفل إلى أن يصير شايب".

ومن هذا العرض العام يتضح أن التفضيل العام في التسمية ظل لأسماء الأجداد في المقام الأول ثم الأعمام والأخوال في المقام الثاني.. وأنه إلى جانب ذلك كانت تسمية "الفرخ" الوليد بإسم "فرخ" متوفي شائعة أيضا ولكن بدرجة أقل.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الحادي عشر
الرضاعة والفطام
Sucking and Weaning

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الرضاعة والفطام :[1]

تعد مرحلتا الرضاعة والفطام في حياة الطفل من أهم المراحل المؤثرة في شخصيته وعقليته وتكوينه النفسي إذ أن هاتين المرحلتين هما بداية التشكل الإجتماعي والنفسي لكيان الطفل، فمن خلال الرضاعة يتلمس محيطه الإجتماعي المتمثل في الأم فقط، ومن خلال الفطام يبدأ الطفل في التعرف على المحيط الخارجي المتمثل في الأسرة والمجتمع.

وإنطلاقا من هذه الأهمية سعت الدراسة إلى كشف الممارسات التي تتم في المرحلتين للتعرف على سبل التشكيل الأولى لشخصية الإنسان في المجتمع، وللتعرف على ما يحيط هذه المراحل من معتقدات وأفكار قد تعكس أو تضيف المزيد حول صورة مجتمع الإمارات العربية المتحدة في المراحل السابقة.

مدة الفطام :

هنالك اتفاق شبه تام على أن مرحلة الرضاعة تستمر عامين بعد ولادة الطفل .. وأهمية التركيز هنا على هذه الفترة الزمنية انطلاقا من إتباع توجيه

والأسئلة هي: - ما هي فترة رضاعة الطفل؟ متى تبدأ .. ومتى تنتهي؟

- ما الذي يؤدي إلى زيادة حليب الأم؟

- عن أي الأشياء يجب أن تمتنع الأم المرضعة؟

- هل هناك أسباب تؤدي إلى إنقطاع لبن الأم؟ - في أي الحالات يرضع الطفل أكثر من الأم؟

- لماذا يرفض بعض الأطفال ثدي أمه؟

- هل يعتقد الناس أن أحد الثديين أكثر إفادة للطفل من الآخر؟

- كيف يتم فطام الطفل؟

- ما هو الإسم الشعبي المتداول للفطام؟

- ما هي طرق تعويد الطفل على التغذية من مصدر آخر؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القرآن الكريم الذي أشار إلى أن المرضعات يرضعن أطفالهن "حولين كاملين" أي عامين، لمن أراد أن يتم الرضاعة.

وكذلك إنطلاقا من أن هذين العامين يمثلان الكفاية بالنسبة للطفل للرضاعة من ثدى أمه.. إذ بعد ذلك تبدأ حركة الطفل في النمو، كما تبدأ أسنانه في النمو وبالتالي يستطيع تغيير وسائل تغذيته بطرق أخرى غير ثدى الأم.

ولكن البعض يرى أن الرضاعة تتم حسب ظروف الأم والطفل، ومدى قدرتها على الإستمرار في الرضاعة الطبيعية.. أو قد يعترض تلك المرحلة حمل الأم بعد ولادتها الأولى بفترة زمنية قصيرة فتتوقف عن الرضاعة لما للحليب في مرحلة الحمل من مضار على صحة الطفل.

لقد أكدت العديد من الدراسات الإنثروبولوجية والنفسية الأهمية الكبيرة للمدة التي يتم فيها الفطام بإعتبارها من أهم العوامل المؤثرة في حياة الطفل النفسية والإجتماعية.

فقد أكد علماء النفس والتربية أن المدة إذا كانت أقل من اللازم إنعكست في شكل أحباط للطفل تكون أعراضه القلق، وإنعدام الأمن والإطمئنان، والشك في الذات وفي الآخرين، و الخوف من الفقدان ومن الحرمان ومن الهجر وغير ذلك[1].

ولقد أشارت الدراسة الرائدة لمارجريت ميد[2] عن "الجنس والطباع في ثلاثة مجتمعات بدائية".

إلى أن الفوارق بين الجنسين وخصائص كل منهما لا تعود أساسا لأسباب بيولوجية.. وإنما تعود لنمط التنشئة الإجتماعية بصفة عامة، وللممارسات

---

١ - انظر محمد عماد الدين وآخرون: كيف نربي أطفالنا : التنشئة الإجتماعية للطفل في الأسرة العربية - دار النهضة العربية - القاهرة ,١٩٨٢

-Mead, M. Sex and Temperament in three Primitive Societies. (Kegan Paul, London 1936).

2- whiting . W : M : and Child, I.L
Child Training and Personality . Yale University Press, New Haven,1953.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المتصلة بالرضاعة والفطام .Sucking and Weaning بصفة خاصة ومن بين ما أشارت إليه في دراستها:-

إن مدة الرضاعة، إذا كانت أكثر من اللازم تنعكس سلبيا على شخصية الطفل، وأعطت مثالا لذلك مجتمع الموند وقمر في الجزر الإسترالية والذي يعرف بطول فترة رضاع الطفل الذكر مقارنة بالأنثى.. والإهتمام الزائد بالذكر مقارنة بالأنثى، فقد أدى كل ذلك إلى أن تصبح شخصية الذكر ضعيفة وهشة وإعتمادية على عكس شخصية الأنثى.. وفي هذا المجتمع يبقى الرجل في البيت يعتني بنفسه وبالأطفال بينما تخرج المرأة للعمل وتحمل منتجات الأسرة لتسويقها لمسافات بعيدة نسبة لقوة تركيب بدنها.

وقد فسرت ميد ضعف شخصية الذكر بالتصاقه واعتماده على أمه لفترة أطول من اللازم مما يجعل شخصيته امتدادا لأمه، وأقل استقلالا واعتمادا على الذات من الأنثى، وهذا يفسر لنا لماذا حدد القرآن الكريم فترة الرضاع والفطام بعامين، ولم يتركها للإجتهاد الشخصي أو الممارسات العشوائية .. إذ أن مدة الرضاع ومدة الفطام لها إنعكاسات هامة على شخصية الفرد وتكوينة النفسي والإجتماعي.

والمدة المحددة في التراث الإسلامي ومن ثم في تراث الإمارات وهي سنتان مدة مثالية .Optimum Period فلا هي أقل ولا هي أكثر من اللازم. وتؤكد مثالية الفترة المخصصة لرضاعة الطفل حتى فطامه.

وهناك دراسة قام بها "هوايتنج" في بعض الثقافات المقارنة (غير الأمريكين) عن مدة الفطام (عام ١٩٥٣) أكد فيها أن أشد إضطراب ينتج عن عملية الفطام هو ذلك الذي يحدث عند الأطفال بين سن ثلاثة عشر شهرا وسن ثمانية عشر شهرا.. وأشار إلى أن مقدار الإضطراب أو الإحباط يقل تدريجيا بعد هذا السن[1].

وهنالك قلة من الاخباريات أشرن الى أن الرضاعة قد تقل عن عامين أو

1- whiting . W : M : and Child, I.L
Child Training and Personality . Yale University Press, New Haven,1953.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تكون للذكر مدتها سنتان، وللأنثى سنتان إلا شهران. وقد تعكس هذه الإشارة إن المدة قد تكون أقل لظروف جديدة أو إستثنائية، وفترة العامين هي إشارة للمبدأ العام وليست بالضرورة للواقع الخاص.

وهذا الإجماع النسبي على مدة العامين للرضاع يعكس الطابع الإسلامي للتراث الشعبي في الإمارات.

أما بالنسبة للإجابة التي أشارت إلى أن فترة رضاعة البنت أقل بشهرين عن فترة رضاعة الولد فإن هذه الإجابة لم تتكرر في الإجابات فربما كان الأمر خاصاً بجماعة معينة دون غيرها خاصة وأنه قد برز في الإجابات سمات ثقافية أو تراثية خاصة بالبلوش مثلا على أن أهمية هذه الإجابة المتفردة قد تكمن في الإشارات بوجود فوارق بين الذكر والأنثى في مراحل دورة الحياة الأخرى (السابقة واللاحقة للفطام).

على سبيل المثال يعتقد أحيانا أن الفروق بين الذكر والأنثى والتحيز للذكر في بعض الثقافات تبدأ قبل ميلاد الطفل فإذا كان الطفل كثير الحركة في بطن أمه، كان هذا دلالة على أنه ذكر .. وإذا كان يضفي على لون أمه ووجهها صفاء، فإنه ولد .... الخ.

إن وجود مثل هذه المعتقدات والأفكار والممارسات التي تؤكد على الفوارق بين الجنسين، والى أهمية الذكر مقارنة بالأنثى في الثقافة المحلية والعربية بصفة عامة قد يبرر الإفتراض أن الثقافة هنا تتسم بوجود ما أسماه أو بلر "موضوعاً أساسياً Theme " يمكن صياغته على النحو التالي: "الرجال متفوقون على النساء فيزيقيا وإجتماعيا".

هذا المبدأ أو الموضوع الأساسي تتسم به الثقافة المحلية والعربية وهو مبدأ ما يزال سائدا في جميع مجالات الحياة[1].

انظر أوبلر:

1- Opler, M: Themes as Dynamic Forecs in Cultures (In American Journal of Sociology, November 1945, No3. PP197--266, Universty of Chicago Press.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويعرف "أوبلر" الموضوع الأساسي بانه فرض أو قضية أو موقف معلن أو ضمني يتحكم في سلوك الأفراد عادة أو يحفز إليه، يقره المجتمع ضمنا أو يشجع عليه صراحة، ويرى "أوبلر" من هذا الإطار أن مضمون أي ثقافة من الثقافات ينظم حول عدد من المبادئ الشكلية الشاملة سماها الموضوعات الأساسية يكون مسيطرا على قطاع كبير من مجالات الحياة الإجتماعية والثقافية.

وفي دراسة مقارنة لحامد عمار عن مصر بعنوان التنشئة الإجتماعية في قرية مصرية لم يكن هناك إجماع نسبي مماثل عن فترة "الحولين" وتعدد الإجابات عن السؤال الخاص بفترة الفطام وكان متوسط هذه الفترة في الإجابات هو العام ونصف وربما كان الغياب النسبي لهذا المظهر أو العنصر من التراث الإسلامي نتيجة لوجود بعض الرواسب للثقافة الفرعونية القديمة وبالأخص في منطقة الدراسة[1].

ومن الإشارات المقارنة التي يمكن التنويه عنها هنا أن دراسة حامد عمار عن مصر أشارت إلى أن السائد في القرية المصرية التي درسها أن فترة رضاع وحضانة الولد أقل من البنت ويعلل ذلك بأن الرضاعة هي التزود بعاطفة الأم.. وأن الطفل والطفلة في حاجة إلى هذه العاطفة ولكن الأنثى في حاجة أكثر لها، كما أنه يضيف تعليلا آخر هو أن الفترة الأقل نسبيا في رضاع الولد دلالة على أنها جزء من عملية إستعجال نضوج الولد مقارنة بالبنت[2].

على أنه يمكن تفسير فترة الرضاعة الأقل للبنت في الإمارات - وفق أقوال الإخبارية المشار اليها بأن هذا قد يكون دلالة على أهمية ولادة الولد، وأن المرأة عندما ترزق ببنت تخضعها لفترة رضاعة أقل إستعجالا لحمل آخر على

١- أنظر حامد عمار: Ammar, H. Growing Up In -Egyptian Village (kegan paul, London1954).

٢- حامد عمار - المرجع السابق. ص ١٥٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أمل أن يكون ذكرا.. وقد يكون هذا المبدأ سائدا بالأخص في حالة الولادة الأولى.

على أن أهمية إنجاب الذكور ترتبط إرتباطا وثيقا بالظروف الإقتصادية والسياسية التي إرتبطت بالحياة القبلية في الماضي وجعلت من الذكور عمادا أو عصبا للحياة الإقتصادية والسياسية في مجتمع شحيح الموارد كثير التنافس والتصادم والنزاعات القبلية.

الرضاع وغذاء الأم :

يشير التراث المحلي إلى تعدد وكثرة أنواع المواد الغذائية التي يفترض أنها تزيد من كمية لبن الأم مما يساعد على النمو الصحي المتكامل للطفل.

فالتمر والسمك والفول السوداني، واللوز (البيذام)، وحليب البقر والغنم، والبيض، والحبة، والحبة الحمراء، والمثيبة (الينسون)، واللحم، والبقول (أي الفول واللوبيا والفاصوليا والعدس) والخضراوات، والفواكه، والقهوة، و القرص المدقوق (نوع من الخبز)، ولبن النوق، والدجاج، والوحرة (نوع من السمك) ثم أنواع من الأكلات الحلوة كالمحلا والبلاليط والخبيص، وأنواع أخرى من الأسماك تستحق الإشارة إليها لما لها من أهمية كغذاء رئيسي للإنسان في مجتمع الإمارات مثل الوحرة والحلوايوه، والزبيدي، والشعري، وأبو اللبن، والبرية، والمحار (روك مكران باللغة الإيرانية)والعوال (أي الجرجور الصغير)، والسحناه وهو السمك المجفف والمطحون، والملاحظ من تلك الآراء الواردة حول عوامل زيادة اللبن في ثدى الأم، أنها إعتمدت على كل ما تمدهم البيئة الساحلية والجبلية من مواد تستخدم من أجل المزيد من الصحة للأم وبالتالي المزيد من اللبن، وهذه الأغذية تجمع بين منتجات الساحل والداخل (الصحراء) وتبرز هذه الآراء الإهتمام الشديد بأمور تغذية الأم، وتغذية الطفل المولود حديثا مما يعكس وعيا صحيا نسبيا في مرحلة تقل فيه الموارد الطبيعة، فيلجأ الإنسان إلى كل ما تجود به البيئة ليساعد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نفسه على الإستمرار والحياة.

أما بالنسبة للأطعمة التي تحرم على الأم أو يفضل الامتناع عنها فتشمل الكثير من المواد الغذائية التي قد تؤثر على الطفل أثناء الرضاعة، فهناك مثلا أنواع من الأسماك الثقيلة والتي تسبب نوعا من الغازات في البطن (الكنعد) لا تتناولها المرضعة وتمتنع أيضاً عن أي أكلة حارة أومطبوخه بالفلفل حتى لا يتسبب في إسهال الطفل ثم الأكلات ذات الروائح القوية، أو التي تحتوي على السمن الكثير، الإمتناع عن نوع آخر من الأسماك (كالبياح - البوري) وأسماك الصافي والجرجور والهامور.

كما كان على الأم الإمتناع عن الأكل في أوقات متأخرة من النهار أو من الليل، وبرز هنا إهتمام الأسرة بتنظيم مواعيد الأكل والوجبات مراعاة لصحة الأم ومن ثم صحة الطفل.

ويسمى الأكل المتأخر ليلا (غبجة) .. وعندما تغير من نوع الغذاء يطلق عليه (الخلفة) وهاتان الظاهرتان تعرضان الطفل إلى أمراض كالإنفجار في الأذان، والإنتفاخ في خصيتى الطفل والقيء.

إذن هناك إدراك يعكس وعي تلك العادات في طريقة تغذية الأم والطفل، ووعي بأهمية التنظيم عموما سواء على مستوى تغذية الطفل أو نومه أو نظافته ورعايته.

وهناك أشكال من رعاية الأم صحيا عندما تتعرض لبعض الوعكات الصحية الناتجة عن سوء تنظيم التغذية، فتستخدم الأدوية الشعبية كأن تشرب (اليعدة أو الطبخة) وهي محلول من الأعشاب يغلى وتشربه.

وتصل درجة الإدراك بأضرار بعض المواد الغذائية أن تنصح الأم بطريقة تهكمية بأكل البياح مثلا (أي سمك البوري) من أجل أن ترتاح من صراخ الطفل نهائياًوهناك مثل شعبي يعكس الإدراك بأضرار أنواع غذائية معينة على الطفل، ومن هذه الأنواع أسماك البياح (أي البوري) وهي المعروفة بثقلها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ودسامتها لدرجة قد تؤدي إلى موت الطفل.

هذا المثل يقول :

لي بغيت الراحـــة كل عليه بياحـــة

وهو يعني أن الأم بمقـدورها أن ترتاح من صـراخ الطفل بأكل سـمك البيـاح.. وهو قـول تهكمي يعني أن سمك البيـاح قد يؤدي إلى وفاة الطفل وبالتالي الإرتياح من صراخه.

ونشيـر إلى المزيد من الآراء، حـول الممنوعـات عن المرأة المرضعـة أثناء الرضاعة من الممكن أن يطلع عليها القارئ من خلال الإجابات نفسها.

أمـا عن أسبـاب إنقطاع لبن الأم فقـد جـاءت في شكل أسبـاب رئيسيـة وأخرى فرعية.

والرئيسية منها تتمثل في المتاعب النفسية للأم التي قد تتعرض لها نتيجة النزاع والخصام مع الزوج أو لأية أسباب أخرى، أو للحمى التي قد تتعرض لها أثناء النفاس فهذا الضيق النفسي يسبب انقطاع الحليب.

والسبب الثاني هو المتاعب الصحية الجسدية وعدم تنظيم الغذاء .

والعامل الرئيسي الثالث هو الحسد والعين وخاصة عندما تدخل عليها إمرأة أخرى وهي ترضع إبنها أو طفلتـها فلا بد أن يحدث الحسد وذلك من وجهة نظرهن.

ثم يأتي الحمل كأحد أسباب إنقطاع الحليب من ثدي الأم وهذا سبب تؤكده الآراء الطبية والصحية حتى الآن.

ثم الإعتقاد بأن لإنقطاع الحليب حكمة واردة من الله فتحمل الأم مثلا وهي ترضع وهذا قد يؤدي إلى توقف الحليب لديها.

وهناك أسباب أخرى ذكرت أن تعرضها لمرض في حلمة الصدر أو قيامها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

باكل الموالح بكثرة يؤدي إلى توقف الحليب.

ومن الممارسات أو المعالجات التي يقوم بها أفراد المجتمع عندما يحدث إنقطاع الحليب القيام أولا بقراءة القرآن على الصدر، ثم إستخدام (القسط) كدواء شعبي أو تمشيط الصدر وتحريكه لإنزال الحليب كمساج خاص ثم تنظيم الغذاء للمرأة، وإستخدام حليب الأغنام والجمال لمساعدتها على زيادة الحليب في ثديها.

وتكشف مسببات انقطاع اللبن من صدر الأم ومحاولة معالجتها درجة عالية من الوعي لدى أفراد المجتمع.

وهنالك ظاهرة أخرى قد تظهر في فترة الرضاعة وهي الرضاعة من أم أخرى والنابعة في الأصل من التراث العربي فقد أرضعت حليمة السعدية رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن السؤال المطروح هو هل تتم الرضاعة من أم أخرى في حالة تيتم الطفل فقط؟ أم هي ممارسة طبيعية تقوم بها كل أم في مجتمع الإمارات عندما تعجز عن رضاعة إبنها؟.

ويكشف لنا هذا السؤال نشأة هذا السلوك في مجتمع الإمارات بالموروث الشعبي كمعتقد وكعادات وتقاليد وكسلوك

من أسباب هذه الظاهرة :-

١ - إذا زاد الحليب عن إحتياج الطفل تقوم الأم بإرضاع طفل آخر قريب من الأسرة أو من الجيران.

٢ - إذا عجزت الأم عن إرضاع طفلها نتيجة مرض خاص بها.

٣ - في حالة التيتم وموت الأم بعد الولادة.

٤ - إذا كانت الأم الوالدة بكراً أي تلد لأول مرة فتلجأ إلى إحدى قريباتها لترضع لها طفلها خاصة وإنهم يعتقدون أن حليب البكر لا يتكون في الصدر إلا بعد ثلاثة أيام.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إذن توجد هذه الظاهرة في مجتمع الإمارات، ولكن لا تتحرك الأم بإتخاذ قرار إرضاع إبنها أو إبنتها من أم أخرى بدون شروط، بل تخضع الظاهرة لشروط خاصة.

أولا : موافقة الأب بسبب الإعتقاد بان الحليب من حق الأب، أي الزوج.. وطبقا لذلك المعتقد فإن التي تخالف زوجها ولا تاخذ رايه يغلق ثديها يوم القيامة .. ولسنا بصدد تفسير هذا المعتقد ولكن نترك للمتخصصين لبحث مصداقية هذا الرأي في رأي الدين، ولكن لا بد من الإشارة إلى أن هذا المعتقد ينبع في الأصل من القيمة الإجتماعية الخاصة التي يتمتع بها الرجل في مجتمع الإمارات والمتميزة عن قيمة المرأة، وربما يعكس هذا المعتقد من جانب آخر نوعا من العلاقة الحميمة التي تقوم على الشورى بين الرجل والمرأة بحيث يستشار الرجل كأب فيمن ستقوم بإرضاع طفله الوليد حتى لا يتعرض لأي أمراض أو تتعرض الأم للمسؤولية عند ما لا تنجح الرضاعة الأخرى.

ثانيا : ومن شروط الإرضاع من أم أخرى أن تكون تلك الأم ذات سمعة طيبة، ومتدينة ومشهوداً لها بالسلوك النقي.

ثالثا : تفضل الرضاعة من أم بعيدة في القرابة عن الطفل الجديد المرغوب إرضاعة، وذلك للمحافظة على الأنساب والأعراق في الإمارات وحتى لا يحدث الحرام بالدخول في علاقات زواج بين أخوة أرضعوا من صدر واحد دون أن يعلموا بذلك، لأن المبدأ الإسلامي أنه يحرم بالرضاع، ما يحرم بالنسب ولكن في حالة عدم توفر المرضعة الأخرى يلجأ الناس إلى الإرضاع من حليب الغنم، ويقطر في فم الطفل لعدم وجود الوسائل المساعدة للرضاعة الصناعية في تلك المرحلة كما هي متوفرة الان.

إن الرضاعة من أم أخرى في مجتمع الإمارات تعكس وعيا عاليا بأهمية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الرضاعة الطبيعية، والتاكيد عليها لما لها من اهمية خاصة جدا لصحة الطفل على المستوى الجسماني أو النفسي، لذا وجدنا من الأمهات من تحرص على صنع علاقة قوية بينها وبين طفلها، ومن تحرص على ألا يرضع طفلها إلا من ثديها نظرا لأنه لو تعود طفلها على ثدي أختها مثلا، فإنه لن يقبل ثدي أمه مرة أخرى.

ولكن إذا حدث وشعرت بالاجهاد في أول أيام الولادة فإنها تدعو إحدى القريبات أو الخادمات لتساعدها على إرضاع الطفل، ويعكس ذلك في حقيقة الأمر الشكل الآخر من أشكال التكافل الإجتماعي والتضامن الذي كان يشكل أحد ظواهر العقد الإجتماعي العرفي الذي كان يعيشه أفراد مجتمع الإمارات، دون حواجز طبقية.

ولاحظنا أيضا التاكيد على أنه إذا تم التزاوج بين إثنين ممن إشتركوا في الرضاعة من أم واحدة فإنه لابد من أن يموت أبناؤها، أو يموت أحدهم، أو يحدث الطلاق ونشير في هذا الجانب إلى أن هذه القضية بحاجة إلى الدراسة المتخصصة على المستوى الإنثروبولوجي، والديني، والطبي لما لها من أهمية وتأثير على مستوى العلاقات الإجتماعية بين أفراد المجتمع وتأثير آخر على مستقبل علاقات الزواج بينهم.

أما عن سبب رفض بعض الأطفال لثدي أمهاتهم كما ترى بعض الأمهات فيرجع عادة للحسد والعين كما يرجع أحيانا لأسباب صحية خاصة بالطفل، أو الأم، وكبر حلمة الصدر قد تكون عائقا في بعض الأحيان، وهنالك مجموعة من المفردات المستخدمة لظاهرة إحجام الطفل عن الثدي أهمها مثلا (العرة) أو (معتر) أي مصدود أو في حالة صدمة نفسية يرفض فيها ثدي أمه، وهناك يقصد بالطفل أو الطفلة إلى المطوع،، فالحسد والمطوع عنصران رئيسيان مرتبطان يمثلان (المرض والعلاج) فالحسد هو المرض، والمطوع هو المعالج.

ومن بعد المطوع يأتي دور الأدوية الشعبية، وهكذا تنحصر ممارسات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أفراد المجتمع بين هذين القطبين كحدود قصوى لمدى الوعي بالظواهر المتعددة التي يمكن ان يواجهوها في مرحلة الميلاد في مجتمع الإمارات.

ومن الممارسات أو العادات السائدة في حالة الصد عن ثدي الأم من قبل الطفل هو أن يشخب الحليب من صدر الأم إلى رأس الطفل إذ يساعد ذلك على عودة الطفل إلى حليب أمه.

ومن المفردات أيضا (يجزه) اي يعاف صدر أمه ثم نجد ممارسة شعبية أخرى لمحاولة لإرجاع الطفل إلى حالته الطبيعية وإرضاعه من صدر أمه، وهي أن تغسل الأم صدرها بماء البحر أو ماء (الكدو) أي الشيشة، وكذلك (الشبة) أي إستخدام مادة الشب، للاعتقاد بأن ذلك يساعد على عودة الطفل للرضاعة الطبيعية.

ومن الممارسات غير المستحبة المتضمنة لمرحلة الرضاعة إرضاع الأم طفلها أمام الأهل والزائرين أيا كانت العلاقة بهم، أو أن تظهر ثديها حتى أمام أقرب أفراد الأسرة لما لذلك من تاثير مباشر، وتعرضها للعين حتى دون وجود القصد.

وجاء التأكيد على ذلك من خلال المثل الذي يضرب في مثل هذه الحالات وهو :

«أخطف على الحساد ولا تخطف على العيان»

ومن المفردات المستخدمة "فطنة" وتعني العين والحسد ويكتب للطفل (حرز) للوقاية ولرد العين، والحرز عامة هو ورقة تكتب فيها بعض الآيات القرآنية التي تحفظ الطفل، وقد يسمى الحرز باللهجة الشعبية الخاصة (إستعطوف) وقد يستخدم هذا الإستعطوف للأم أيضا ليساعدها على تقبل طفلها لثديها مرة أخرى.. ومعتقدات الحسد ظاهرة إجتماعية ترتبط بنسيج من العلاقات الإجتماعية تقوم على الغيرة والمنافسة وتعتبر الثروة والأولاد من أهم عناصر المنافسة لذا كان إستخدام الحرز والتمائم (جمع تميمة) في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حال حماية الأطفال وعلاجهم أمراً أساسياً في حياة الناس.

وقد يكون السبب في إحجام الطفل عن ثدي أمه هو الطريقة التي ترضع بها الأم طفلها والطريقة التي تبعد طفلها بها عن الصدر.. فإذا حدث وسحبته الأم بشكل سريع فإن الطفل يشعر بالصد ويكره الثدي، أو يفقد الطفل الإحساس بالرضاعة، وقد يفسر ذلك العلاقة النفسية التي تتكون بين الطفل وأمه، والتي وعاها أفراد المجتمع منذ مراحله القديمة، والتي من الجائز ألا تعيها الأم اليوم رغم توفر وسائل التوعية المختلفة في المجتمع الحديث.

إن المعتقدات الخاصة بمرحلة الميلاد كثيرة وتفصيلاتها تتسع لذا فقد إهتم القائمون على هذه الدراسة بمعرفة كل تلك التفصيلات الخاصة حول الموروث الشعبي والعادات والمعتقدات، وتحقيقا لهذا الهدف وجهنا سؤالا حول ما إذا كان الناس يعتقدون أن أحد الثديين أكثر إفادة للطفل من الآخر؟.

وجاءت أغلب الردود بمؤدى يفيد تساوي الثديين في كمية الحليب والإفادة للطفل، والبعض يعتقد أن تركيز الرضاعة على ثدي واحد، يؤدي إلى زيادة اللبن في الثدي الاخر ويصعب على الطفل رضاعته نظرا للكمية المختزنة فيه من اللبن وهذا يتيح فرصة لرفض الطفل لأحد الثديين.

واكتشفنا من خلال تلك الردود أن هناك اعتقادا بأن الرضاعة وكمية الحليب تتاثر بالحالة النفسية التي تمر بها الأم فمثلا إحدى الإخباريات رغم أنها ارضعت أكثر من خمسين طفلا وطفلة، وارضعت أبناءها جميعا إلا أنها في الإبن الأخير توفى زوجها فقيل لها لا ترضعيه الحزن، وسمي الحليب حليب الحزن ففطمته وأرضعته حليب (البوش) أي النوق لمدة ١٥ يوما ثم فطمته،

زيادة على ذلك يحاول المحيطون بالأم التاكد من نوعية حليب الأم وسلامته وذلك بممارسة بعض الإجراءات، كان يؤخذ حليب الأم من ثديها ثم توضع فيه نملة كبيرة تسمى باللهجة المحلية (سمسوم) فإذا ماتت النملة دل ذلك على فساد الحليب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويلاحظ في الإشارة إلى عدم ارضاع الأم الأرملة طفلها (الحزن) إن ذلك يتفق مع كون ثدي الأم هو مصدر الغذاء المادي (الطعام هو الحليب) كما أنه أيضا مصدر للغذاء المعنوي (العاطفة والحنان)، ولهذا يجيء الفطام بمعنى شمولي : مادي ومعنوي كما أن هناك تلازما حتمياً بين الجزء (الحليب) والكل (الأم) وما ينطبق على الجزء ينطبق على الكل .. كما أن ما ينطبق على الكل ينطبق على الجزء.. ولهذا فإن الأم الحزينة تسقي إبنها لبنا حزينا .. أي هنالك علاقة تعاطفية بين الكل والجزء.

وهذا المبدأ هو أساس ما يعرف بالسحر التعاطفي، والذي يقوم على مبدأ التأثير على الجزء للتاثير على الكل (ولهذا يؤخذ من الإنسان شعرة و ملابسه أو مشطه) ويعتقد أن ما يمارس على الجزء من تاثير ينعكس مباشرة على الكل، وهذا هو ما تقوم به النفاثات في العقد .. والذين يعملون "العمل".

ومن المعتقدات الخاصة لدى جماعات البلوش أنهم يرون أن اللبن من الثدي الأيمن يعني رضا الوالدين وإذا غضبت الأم ترضع إبنها من الثدي الأيسر حتى يتعرض طفله لغضبها .. وربما يقودنا هذا للبحث عن أسباب تمسك الناس بالتفريق بين جهتى اليمين واليسار ليس في حالة الرضاعة فقط ولكن في معظم سلوكهم كالأكل مثلا باليد اليمنى واليمين دائما أكثر تقديسا لدى الناس من اليسار.

ولعل تلك الملاحظة تعيد التأكيد لنا من جديد بأن الطابع العام لتراث الإمارات هو طابع إسلامي.. حيث أن النبي الكريم أوصى بإتباع اليمين كنظام للسلوك قائلا "ألا فيمنو .. ألا فيمنو.. ألا فيمنو" وكان ذلك عندما كان يقوم بتوزيع الطعام على من حوله فبدأ باليمين وكان سيدنا أبوبكر على يساره وخشى المضيف الذي كانوا في بيته ألا يتبقى في النهاية لأبي بكر من الذبيحة قدرٌ طيبٌ فذكر الرسول بأن أبا بكر على يساره.. لكن الرسول إستمر من اليمين وأكد على البدء باليمين.. كما كانت السنة النبوية هي الأكل باليد اليمني.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من هنا طبع التراث الشعبي في الإمارات بهذا الطابع ولا تختلف عنه بطبيعة الحال الرضاع وغيره من سلوك الحياة، وربما يكون هذا هو ما يفسر الإعتقاد بان الثدي الأيمن يقدم الطعام والثدي الأيسر يقدم الشراب رغم تشابه الحليب من الثديين.

وأيضا الإعتقاد الآخر بان الثدي الأيمن يدر حليبا أكثر بقدرة الله ووصل هذا الإعتقاد بافضلية الجهة اليمنى إلى درجة انه عند تنويم الطفل يوضع في الجهة اليمنى، أما إذا وضع في الجهة اليسرى فانه لا ينام.

ومن التفسيرات التي قدمت لأفضلية الثدي الأيمن، وجود قلب الأم على الجهة اليسرى.. ولأن بقية الأعضاء على الجهة اليمنى كالأعصاب والمعدة.. بالرغم من أن ما يثبته علم التشريح أن الأعصاب تنتشر في كل أنحاء الجسم ويرى تفسير آخر[1] بأن أفضلية الثدي الأيمن هي جزء لا يتجزأ من ثنائية اليمين واليسار والتي تطابق في التراث العربي والإسلامي ثنائية الخير والشر، السعادة والشقاء، الجنة والنار، النجاح والفشل، الفال والشؤم.

لذا نجد أن جميع الشعائر تبدأ باليد اليمنى أو الرجل اليمنى أو الجبهة اليمنى، ومن هنا جاءت أفضلية الثدي الأيمن ولكن هذه الثنائية لا تقوم فقط على التقابل، بل تقوم أيضا على التكامل .. ولهذا يتكامل الثدي الأيمن (الطعام) مع الثدي الأيسر (الشراب) وهكذا الحياة دائما.

الفطام :-

تسمية الفطام شعبيا لا تختلف في مجتمع الامارات ما عدا عند البلوش الذين يطلقون عليه (إشيرون يازيرون) أي أخذ الطفل عن الحليب.

أما عن الكيفية التي يتم بها فطام الطفل فهي مجموعة من الممارسات التي نستطيع أن نحكم عليها سلفا بانها ممارسات خاطئة، ولا تخضع لأي

١- الدكتور عباس أحمد أستاذ الإنثروبولوجيا بجامعة الإمارات. وذلك في مقابلة إستشارية تمت بجامعة الإمارات عام ١٩٩٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

منهج تربوي أو نفسي.

إذ لوحظ من الإجابات أن الطفل يجبر على التخلى عن ثدي أمه بواسطة إستخدام أدوات شديدة القسوة عليه، وعلى أي إنسان راشد.

فيوضع الصبر أو المر أو الفلفل على ثدي الأم حتى يعافه الطفل.. وكذلك كانت توضع بعض المواد الأخرى كالنيل وهو المادة الزرقاء التي تستخدم سابقا لإعطاء ألوان للملابس البيضاء، أو تستخدم كدواء أو كدهان لتبييض الوجه، وتستخدم خاصة لتزيين العروس قبل عرسهابأسبوع، إذ تساعد هذه المادة على تصفية وجه العروس من الدهون وإعطائه لونا زاهيا.

وكان يعتقد أنه بإستخدام الصبر (المادة ذات الطعم المر) يتعلم الطفل الصبر عن ثدي أمه، أو تستخدم الأم (الصرة) وهي عقدة من القماش تربط في صدر الطفل ليتلهي بها وينشغل عن صدر أمه. كما كانت الأم تحاول تقليل وجبات الحليب تدريجيا عنه حتى ينفصل تماما عن ثدي الأم ويعوض بالمواد الغذائية الأخرى.

وكانت بعض الأمهات يلجأن لقراءة القرآن في كوب من الماء ويسقى للطفل سعيا لإنفطامه ويشير المتخصصون إلى أن الأسلوب التدريجي في الفطام هو البدء بإحلال وجبة مكان رضعة، ثم زيادة عدد الوجبات البديلة للرضعات تدريجيا حتى يتعود الطفل عليها بدلا عن صدر أمه[1].

وترى باحثة أخرى في هذا المجال[2] أن الفطام بمعناه الواسع يتضمن الفطام الغذائي والفطام النفسي عن الأم، ولهذا لابد أن يتم بطريقة سليمة ومتدرجة، ولهذا أيضاً يجب ألا يتم في فترة مشي الطفل بحيث يتوافق بحث الطفل عن بديل لثدي الأم مع البحث عن علاقات جديدة بواسطة الحركة والتنقل مع الأفراد والأشياء الموجودة في البيت.

١- انظر محمد عمادالدين وآخرون "كيف نربي أطفالنا" ١٩٨٢ ص ,١٥٨

٢ - انظر فوزية دياب .. "نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة" مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٠ ص ,٤٣

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما عن طرق تعويد الطفل على التغذية من مصدر آخر فهي عديدة وكذلك المواد الغذائية المتعددة التي تبدأ الأم بتعويده عليها قبل وبعد مرحلة الفطام، إلا أن هذه المواد رغم تعددها لا تخرج عن إطار ما تجود به بيئة الإمارات الساحلية والصحراوية من مواد غذائية.

فيعطي الطفل السمك، وهو الغذاء الرئيسي لهذه المنطقة، كذلك يعطي البلح الذي يعد من الأطعمة الرئيسية الهامة والأرز والسمن، كذلك يستخدمون اللوز لما له من فائدة غذائية كبرى ويطلق عليه (الهذام) ولتغذيته بالتمر طريقة خاصة بأهل الإمارات وهي أن يوضع في قطعة قماش خفيفة ويرطب بالماء ويعلق في "المنز" أي سرير الطفل، فيمصه الطفل وينام، وعندما يكبر الطفل تبدأ الأم في تغذيته بنفس الوجبات التي تعتمد عليها الأسرة كالأرز، و "الساتو" وهي وجبة مصنوعة من النشا و "العرسية" وهي من الأرز والدجاج "والثبيث" وهي وجبة مصنوعة من الطحين والسمن، أو "القرص" أي الخبز المخلوط بالبيض والدهن البقري وهذه هي الأنواع الغذائية المتوفرة آنذاك.

بهذا نكون قد قدمنا صورة متكاملة عما يتم خلال مرحلة الرضاعة والفطام.. وهي المرحلة التي يبدأ الطفل فيها بإتخاذ مكانة ما في المجتمع، وهي المرحلة التي يدخل الطفل فيها للمجتمع خاصة مجتمعه الصغير (الأسرة) والتي تعتبر من أهم المراحل في حياة الطفل فبقدر ما تحقق له من إشباع نفس دورها في مرحلة الفطام بقدر ما تتكامل شخصيته في مراحل حياته الأخرى كمرحلتى الشباب والنضج ولاحظنا أن الأسرة الإماراتية في المرحلة القديمة قد وعت هذه الأهمية لمرحلة ميلاد الطفل ورضاعته وفطامه، وإن لم يخل ذلك من وعي زائف في بعض جوانبه، ولم تخل حياة تلك الأسرة الإماراتية من سلوكيات وعادات ضارة وإن كانت إيجابية في بعض جوانبها الأخرى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثاني عشر

الحمل الكاذب

False Pregnancy

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحمـــل الكـــاذب :

من أهم الظواهر التي قد تتعرض لها المرأة ظاهرة الحمل الكاذب فلماذا سمي بالكاذب؟ وما مدى الكذب الحقيقي لهذا الحمل؟ وما مدى إدعاء الكذب؟ ولماذا تتعرض المرأة للحمل الكاذب؟ هل هو حمل بالمعنى الصحيح، أم حالة نفسية واجتماعية Psychosocial تتوارى خلفها إمرأة تتعرض لضغوط إجتماعية تريد إثبات أنوثتها التي أهدرت نتيجة تنشئة إجتماعية غير عادلة.

ولقد وجهنا سؤالا إلى طبيبة متخصصة في أمراض النساء واكتشفنا أن هذا الحمل مازال متواجدا كظاهرة بين بعض النساء، بحيث تمر على هذه الطبيبة حالتان في كل عام، وأن وراء هذا الحمل الكاذب ظروفا إجتماعية ضاغطة على نفسية المرأة Stress تجعلها تبالغ في رغبتها الشديدة بالحمل، أو تحاول إجتذاب الأنظار إليها من قبل أسرة قد تهمل وجود هذه المرأة، وكانت بالأصل من خلال تنشئتها تعرضت لنفس الإهمال مما سبب لها خللاً هرمونياً في الجسم أدى إلى إيقاف الدورة الشهرية، وينتفخ البطن، ويكبر الصدر يصاحبها نوبات من الغثيان وكلها ناتجة من الإضطراب الهرموني، فتعتقد أنها حامل وتظل حوالي أربعة شهور بنفس الأعراض إلى أن تعود إلى طبيعتها، وتعود الهرمونات إلى الإنتظام فيقل الإنتفاخ، وتكتشف أنها ليست حاملاً.

فالحمل الكاذب إذن قد يعبر عن صراع نفسي واجتماعي تظهر له أعراض مرضية تماثل أعراض الحمل الحقيقي.

هنالك العديد من التسميات في اللهجة الخليجية للحمل الوهمي منها:

«فشت حامل»	«حمل فاسد»
«حمل كاذب»	«حمل هواء»
«حمل وهمي»	«حمل إبليس»
«حمل فشلة»	«حمل ضحك»

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«حمل السكن» (حمل الجان) «حمل المضرة» سكن الجن.

«لاف د ل طرة» باللغة البلوشية.

«حمل ريح» أي حمل الهواء «حمل الشيطان»

«أقطعان» (إنقطاع) «نفخ» (أي إمتلاء البطن بالهواء).

«حاملة البوش» «حمل النوق» «الذكور» وهذه سخرية بالحامل.

وتدل التسميات هذه إذن على الإدعاء الذي تقوم به المرأة بطريقة لا شعورية لإظهار الحمل غير الحقيقي وهي غير كاذبة فلا يصح تسمية الحمل بالكاذب، لأن لهذا الحمل أعراضا حقيقية، تدفع المرأة إلى الإدعاء بالحمل نتيجة لضغوطات إجتماعية نفسية ولاظهار المحبة والدلال للزوج

وقد أظهرت بعض الإجابات إرتباط هذه الظاهرة ببعض المعتقدات الشعبية مثلا فمن بين أسماء هذا الحمل حمل إبليس أو حمل الشيطان أو حمل السكن، أو حمل ريح، فهذا الحمل يطلق عليه حمل إبليس مما يعبر عن أن بعض الفئات في مجتمع الإمارات عندما تعجز عن تفسير الظاهرة تلجأ إلى إبليس ليسد لها هذا العجز فهو ذو القوة الذي يستطيع أن يظهر في المناسبات الحرجة من حياة المرأة، وفي التراث الإسلامي على الرجل أن يقول "بسم الله" قبل مجامعة المرأة حتى لا يسبقه الشيطان إليها.

أما عن السؤال عن مدى مصداقية وجود هذه الظاهرة فالأغلبية أجابت بنعم، وذكرت قصص عن هذا الحمل منها قصة المرأة والتي حملت بالفعل ولكنهافوجئت يوم الولادة بأنها حملت بحيوان سمى (طباكة). هذا ما ورد على لسان البعض رغم عدم إمكانية حدوث الحمل بحيوان.

وقصة (شاهان) المشهورة التي وضعت الأقمشة وأظهرت حملا كاذبا وصلت إلى درجة الإستمرار تسعة أو عشرة أشهر إلى أن أجبرت على فك اللغز وإنتظار الزوج جعفر لميلاد طفله المنتظر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويقال: يا شاهان يا أم الخلقان .... ربت وجابت خلقان

وقيل في جعفر زوج شاهان مايلي:

جعفر لاغصين ألبـــــان ... وجابوليه ولد من خلقان

حطوا في حضن شيرين ... وشيرين راوت النسوان

وحطوه في حضن جده ... جاءت شاهـان مهـتدة

أو : أم المناكر شاهـــان ... حملت وجـابت خلـقان

ما نريد تفسيره هو أن الحمل الكاذب بدأ ظاهرة منتشرة في المرحلة السابقة من عمر الإنسان في مجتمع الإمارات، مما يعكس نوعا من الرغبة الشديدة في الإنجاب، ونوعا من العلاقة الضعيفة بين الأزواج بحيث تضطر المرأة لتحميل نفسها أما بوضع الأقمشة، أو بإدعاء الحمل وإضطراب الهرمونات نتيجة التعرض للضغوطات النفسية والإجتماعية القوية جدا ويلاحظ أنه في المراحل القديمة كان من الممكن أن يستمر الحمل إلى تسعة أشهر دون أن تعرف المرأة أنها ليست بحامل ولا يدرك الأهل كذلك وقد يكون هذا مؤشرا لغياب الوعي الطبي في مجال الحمل والولادة لدى بعض الفئات من المجتمع وقد سبق أن اشرنا إلى أن الوعي بأمور الحمل كان محددا في السابق بإستخدام الأعشاب الطبية، ومعرفة ظواهر الحمل إذا كان الحمل ببنت أو بولد، إلى آخره، إلا أننا نفاجأ أن هذا الوعي لا يمتد لينسحب على كل الحالات، بل كانت تعيش بعض النساء بعيدا عن الطب والرعاية الصحية.

ولقد وجدنا أن الأغلبية من الإخباريات قد أكدت أنهن رأين بأعينهن حالات حمل وهمي.

وعن سؤالنا عن مدى معرفة الناس بالحمل الكاذب والتفريق بينه وبين الحمل الحقيقي جاءت عوامل التفريق بين الحملين كما يعرفها الناس على النحو التالي:-

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١ - إستمرار الحمل الحقيقي ، وتوقف الوهم عند الشهر الرابع أو الخامس.

٢ - تحرك الجنين عند الشهر الخامس للحمل الحقيقي، وعدم وجود الحركة في الحمل الآخر.

٣ - أخريات أجبن بانه لا يوجد فرق بين الحملين.

٤ - الوحم لا يوجد إلا مع الحمل الحقيقي.

٥ - الداية تستطيع إكتشاف الفرق بين الحملين.

٦ - غالبا ما تجهل المرأة نفسها إذا كانت تحمل جنينا أم حملا كاذبا.

٧ - لا أحد يعرف الفرق غير الله.

٨ - لا يمكن التمييز بين الحملين لدى بعض النساء.

ويرجع معظم الناس أسباب الحمل الكاذب إلى القدرة الإلهيه ، وإرادة الله التفسير الأكيد لهذه الظاهرة، ولكن البعض ارجعها لحالة "التوهم" لدى المرأة المحرومة أصلا من الإنجاب، ولكن نفاجأ أن الظاهرة أحيانا قد تبرز لدى المرأة المنجبة والتي تملك أطفالا فلماذا تدعي إذن حملا كاذبا؟

والبعض أجبن بأن إنقطاع الدورة الشهرية هو المسبب لهذا الحمل، أو الرغبة في الدلال على الزوج أي أسلوب" للتغلي " أي لإظهار قيمة المرأة لدى زوجها.

ويرى البعض أن السبب قد يعود الى عامل الخوف من أن يتزوج عليها زوجها فتدعي الحمل الوهمي وقد يكون السبب في "المضرة" أي الأرواح الشريرة. "مجامعة الشيطان للمرأة أثناء جماعها مع الزوج" قد يؤدي إلى الحمل الكاذب، أذن الجن والشياطين قد يكون لهم دور في إحداث الحمل الكاذب، لذا يشير البعض إلى أن من أسباب الحمل الوهمي "نوم المرأة على ظهرها فيحدث الإتصال الجنسي مع إبليس، وعموماً نجد أن المتداول بين

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الناس هو التاكيد على أن النوم على الخلف أي الظهر مكروه للمرأة.. وبمناسبة هذا التفسير نجد مناسبة أخرى للحديث عن النوم على الظهر فلقد كانت الأسرة في الإمارات وخاصة الجدة في الأسرة تمنع الفتيات من النوم على ظهرهن منذ مرحلة الطفولة، وتعتقد أن ذلك عيبٌ أو حرامٌ، فكانت الطفلة تتعرض للضرب، أو التجريح إذا نامت على ظهرها.

وقد يدعو هذا إلى التفكير حول هذه الآفاق وإطار المعرفة الذي كانت تعيشه المرأة والمحيطون بها من الأهل خاصة في تفهم ومعرفة كل الأمور المتعلقة بحملها وولادتها.

ومن العوامل التي تساق لتفسير هذه الظاهرة دخول الهواء إلى البطن أو عدم وجود أماكن نظيفة لإستحمام المرأة، وإضطرارها إلى الإستحمام من الماء الجاري في الفلج "الفلي" أي الوادي الصغير الذي يسقى من خلاله الشجر، فيحدث لها حمل إبليس، أو أسباب أخرى مثل أن لا تنظف المرأة جيدا عند ولادتها الأولى فيدخل الهواء جسمها عن طريق الرحم، وهذا يقود إلى التحدث عن الممارسات المرتبطة بذلك مثل إسقاء المرأة شاياً بالزنجبيل كل يوم «على الريق» أي قبل أن تاكل أي شيء أو فنجاناً من نبات «الشريس» وينظف رحمها بواسطة «الحرمل» وهو نبات أو شجر صحراوي.

إذا نامت المرأة بدون الملابس فيسهل حسب إعتقاد البعض على إبليس النوم معها، وتحمل منه، ويمتنع زوجها عنها ، ويذكر لها السبب أنها نامت مع إبليس أي أن الزوج يصل إلى وعيه في إمكانية أن ينام إبليس مع زوجته[1].

---

١ - (قال الثعالبي): زعموا أن التناكح والتلاقح قد يقعان بين الأنس والجن، قال الله تعالى: وشاركهم في الأموال والأولاد، من سورة المائدة الآية ٨، وقال صلى الله عليه وسلم: (إذا جامع الرجل إمراته ولم يسم إنطوى الشيطان إلى إحليه فجامع معه) (وقال إبن عباس) إذا أتى الرجل إمراته وهي حائض سبقه الشيطان إليها فحملت بالمخنث، فالمخنثون أولاد الجن رواه الحافظ بن جرير.. وللمزيد من المعلومات أنظر: الشيخ العلامة المحدث القاضي بدرالدين أبي عبدالله محمد بن عبدالله الشبلي "غرائب وعجائب الجن" كما يصورها القرآن والسنة، مكتبة القرآن ١٩٨٢ ص٥٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتحكي قصة تكاد تكون حقيقية عن ولادة طفل غريب ويمتنع الأب عن توريثه ويثبت ذلك أمام الأبناء الآخرين كل ذلك إقتناعا منه أن زوجته حملت من إبليس.

علاج الحمل الكاذب :-

لم تتحدد أشكال من العلاجات لهذه الظاهرة وقد أشارت الأغلبية إلى عدم وجود علاج، وأن الحمل الكاذب يزول من تلقاء نفسه، أو يعالج بإرادة الله سبحانه وتعالى، ويقول البعض أن الدواء الشعبي هو مسح ومساج الداية، أو بالخبان والكي، أو وضع حجر ساخن على بطنها لينزل الدم والماء المتجمع، أو إستخدام الحرمل مع اليعدة والياس والورد وعرق اللي ويطبخ وتشربه المرأة لمدة أربعة أيام وكلها أدوية من الأعشاب التي تتصف بالمرارة الشديدة.

فكيف تحملت المرأة أن تشربها؟.

أن الحمل الكاذب كما أوضحنا من قبل ظاهرة عامة تعيشها المرأة عموما سواء كانت انجبت أم لم تنجب من قبل مما يعكس بالضرورة وضعا إجتماعيا ونفسيا عاما يحيط بالمرأة في الإمارات في تلك المرحلة، وربما في المرحلة الراهنة إذ مازال الحمل الكاذب موجودا، ولكن يتم إكتشافه في الشهور الأولى نظرا، لمراجعة الحوامل الدائم للمستشفيات وسهولة إكتشاف ذلك من التحليل الأول للحمل.

أن الحمل الكاذب قد يرتبط بالحالة الزواجية وبالعلاقة بين المرأة والرجل، وبظروف الأسرة وقد يرتبط ببعض التفسيرات التي ترى أنه يحدث بعد الولادة إذا لم تتسلح المرأة بالملح أو حمل سكين في يدها لحراستها من الجان أو يحدث أثناء الرضاعة إذا إنقطعت عنها العادة الشهرية فترة.

ولكن ما هي ردود فعل الناس ونظرتهم للمرأة بعد فشل حملها ؟ وإلى أي مدى يعكس ذلك الصور الذهنية أو Images لدى المحيطين بالمرأة ؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ان الإجابات تكشف عن صورة المرأة ذاتها المجروحة بهذا الحمل الذي فشل، فتشعر بالخجل واللوم وكأنها كذبت على الأسرة والزوج، فالأفضل عدم الإعلان عن الحمل حتى يتم التأكد من حركة الجنين بعد الشهر السادس، والنساء جميعهن ينصحن وينشأن إجتماعيا على كتمان الحقائق عن أنفسهن لما لذلك من أهمية في حياة المرأة.

وماذا بعد الخجل واللوم؟ الإستهزاء من البعض وتهوين المصيبة من البعض الآخر، فيقول لها إذا خابت هذه المرة، فسوف تصيب في المرة الثانية إن شاء الله، ولكن الأغلبية تتعرض للعيار أي الإستهزاء، والتذكير الدائم بفشل الحمل.

فإلى أي مدى يؤدي هذا الأمر إلى الفشل الكامل في حياة المرأة ويكون لديها صورا سالبة عن ذاتها؟ ويكون لدى الآخرين صورا مجروحة عن المرأة؟

إن المجتمع بحركته وفاعليته؟ ووعيه هو الذي يكون عن نفسه هذه التصورات الذهنية سواء أخذت الإيجاب توجها أو السلب إتجاها لها.

أو قد تتخذ شكل المعايرة بالكذب والتوهم فقد تتخذ نظرة الإشفاق والدعوات لها بالذرية الصالحة، وقد تكثر ردود الفعل المتسهزئة بالحمل الكاذب وإلا كيف نستطيع تفسير "قصة شاهان" المشهورة في دبي وإستمرارها في إدعاء الحمل خوفا من الكشف عن الفضيحة ورغم أغلبية من أجابوا بالنظرة السلبية تجاه المرأة المتوهمة للحمل، إلا أن البعض إشار إلى النظرة المشفقة عليها، والنظرة العادية لها.

هذه هي محصلة وخاتمة هذا المحور إذ تزداد قتامة الشعور الذي تعيشه المرأة، وتتعرض للكثير من الإحباطات والكثير من الهزات النفسية قبل وأثناء الحمل وبعد الولادة، ودائما هناك حكاية مستمرة حول المرأة، فبقدر إستمرار المجتمع، تكون المرأة سببا في إستمراره، والحكايات التي تدور حول المرأة، دائما تكشف الحقائق عن المجتمع ككل في شكله الإجتماعي والثقافي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثالث عشر

العقم

Barreness

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العقـــم:[1]

في هذا الفصل نستعرض المادة الإثنوجرافية المتعلقة بموضوع شائك وحساس في الوقت نفسه، وهذا الموضوع نعرضه من أبعاد مختلفة تربط بين المادة الخاصة بالعقم والجوانب المتصلة بها من علاقات ومفاهيم وممارسات اجتماعية سادت في مجتع الإمارات في الماضي.

الكلمة المعبرة عن العقم في اللهجة المحلية ـ ما هي ؟

شاع في اللهجة المحلية لمجتمع الإمارات القديم وصف المرأة التي لم

والأسئلة هي:

١- ما هي الكلمة المعبرة عن العقم في اللهجة المحلية؟

٢- ما هي الفترة (بعد الزواج) التي يتقرر فيها عقم المرأة؟

٣- ما هي الأساليب التي تستخدم شعبيا لتاخير الحمل؟

٤- ما هي الممارسات التي تقوم بها المرأة في حالة تاخر الحمل؟ (الممارسات الذاتية ـ والتي يقوم بها الآخرون).

٥- ما هي الممارسات التي تتبع لتجنب العقم؟

٦- أين تعالج المرأة العاقر «ومن يقوم بالعلاج؟

٧- ما هي الممارسات التي تتبع لعلاج العقم ؟ (الطبيعية والغيبية)؟

٨- هل تلجأ الزوجة لعمل أي تحويطات أو وصفات للزوج الذي يريد الزواج من غيرها للإنجاب؟

٩- ما هي ردود أفعال الزوج والأقارب نحو :

أ- تأخر الحمل ب - العقم . (الزوج - الحماه - أخت الزوج وأقاربه)؟

١٠. هل يؤخر الناس حملهم؟

١١. كيف يمكن إكتشاف عقم الرجل؟

١٢. كيف يمكن إكتشاف عقم المرأة؟

١٣. بماذا توصف أو تشبه العاقر؟

١٤. دون أية حكايات تروى عن إمرأة إستمرت عاقرا فترة طويلة ثم حملت؟

١٥. ما هي الممارسات الطبيعية (الأعشاب) والغيبية (الدخون) لعلاج العقم؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يرزقها الله نعمة الإنجاب بكلمة «عقيم» وهذا الوصف مستمد من الآيات القرآنية «لله ملك السموات والأرض، يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور، أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير»[٢] . كما شاع لدى العامة من الناس وصف العقيم بصفة أخرى هي (العاقر) أو (العاجر)(أي العاقر بالنطق المحلي حيث يقلب حرف القاف إلى جيم وبتحريف الكلمة بحسب اللهجة المحلية للمناطق المختلفة نجد هذا الوصف نفسه يتحول إلى:

«عجير» ، «معجر» ، «عجيمة» ، «عقيرة» ، «عقير» ، «عقيمة».

كما يطلق البلوش على المرأة التي لا تنجب وصفا شاذا حيث توصف بكلمة «سنت» البلوشية وتعني الحمار وهناك صفات أخرى غير مستمدة من كلمتي عقيم وعاقر مثل «فقارة» أي التي يتراكم الشحم بالرحم ليمنع حملها، ومثل وصف "مريالية" المشتقة من «ريال» أي رجل ويقصدون بها التي لا تلد مثل الرجال.

وكان هناك من يفرق بين كلمتي «عقيم» وعاقر حيث «عقيم» وصف للمرأة التي لا تنجب لكن «عاقر» لا تطلق على الإنسان.

(تشبيهات وأقوال عن المرأة العقيم)

كما شاعت أوصاف وأقوال وتشبيهات عديدة للمرأة العقيم ومعظم هذه التشبيهات والأوصاف إستمدت من البيئة المحيطة من نبات وحيوان.

غير أن التشبيه الأكثر شيوعاً كان أنها مثل الرجال لا تلد كما وصفت بكلمة «برنثا» أي لا رجل ولا إمرأة.

ومن الأوصاف التي جاءت على لسان الإخباريات:

- العقيم كالبيت الخراب.

---

٢ ـ سورة الشورى الآيتان ٤٩ ، ٥٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- العقيم كشجرة بلاظل.

- العقيم كفحل النخل (أي شجرة بلا ثمر).

- العقيم كالنخلة اليابسة.

- العقيم كالثور (أي ذكر البقرة).

- العقيم كالبقرة العاقر.

- العقيم العنز العاجر.

- العقيم كشجرة الموز التي تقتلع بعد أن تثمر ولا يبقى لها جذور ولا إستمرار.

- العقيم قاطعة البذر، المتشحمة ، السيف ، عتبة النار ... الخ

ومن الأقوال التي ترددت على ألسنة الناس حول المرأة العقيم :

- العاقر من عتبة النار.

- أنا ما أخوكم أخو الغزلان ما تحتي عيال «مثل ذكر الغزال لا يلد».

- العاقر باكر يوم بتموتي عضقش بعرقش «أي أنه بعد موتها لا أثر ولا ثمر».

- العاقر لا تخلفي ولد ولا تلد ولاش ولا تالي «أي ليس منها من يخلفها».

- فقدتش فقتين موزة عرقش بعضقش.

وهذا بلهجة المنطقة الشرقية يعني أنها مثل الموزة ينقطع أثرها بعد موتها.

- ومن التشبيهات أيضا «عرق بعضق - ما فيها عرق ولا نصق».

- «موزة عذقها بعرقها».

وهذه التشبيهات ينطوي بعضها على وصف بيئي كما ينطوي بعضها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على نوع من السخرية أو المعايرة.. وهي في مجملها تعتبر المرأة التي لا تحمل ولا تلد - كما كانت نظرتهم إليها - شجرة بلا ظل ولا تمر.

ما هي الفترة التي يتقرر فيها أن المرأة عاقرا

هذا الجانب من الموضوع الذي يتعرض له البحث من أكثر الموضوعات إثارة للغرابة وللتأمل في حكمة الله.. وبالتالي يبدو فيه التحديد بالقاطع محل تباين بين تقدير وتقدير وبين رواية وأخرى. ويمكننا ملاحظة ذلك بصورة أوضح إذا ما إطلعنا على نصوص الإجابات[1] كما وردت على لسان الإخباريات ونجمل هذه التقديرات كما يلي :-

- هناك من رأى بأن المرأة يمكن أن توصف بالعقم إذا مر عليها عام واحد من الزواج دون إنجاب.
- وهناك من رأي أن ذلك يحدث بمرور عامين.
- وهناك من رأي ذلك بعد مرور ثلاثة أعوام.
- ظلت الفترة تتصاعد مع تعدد الآراء من عام واحد حتى بلغت الأربعين عاماً.
- من ناحية أخرى فإننا من خلال روايات الإخباريات نلاحظ أن حالات قليلة فقط هي التي إستمرت طول حياتها دون إنجاب بينما العظمى من النساء اللاتي تأخر حملهن كن يلدن بعد مرور من عام إلى عشرة، وربما أربع وعشرين!.
- تشير إحدى الإجابات إلى أن هناك من أنجبت بعد ١٦ عاما وأصبح لديها ستة أطفال.

---

١ - ما هي الفترة التي يتقرر فيها أن المرأة عاقر؟

هذا الموضوع الذي يتعرض له البحث من أكثر الموضوعات إثارة للغرابة وخضوعا لإرادة الله وبالتالي يبدو حافلا بإختلافات التقدير من إخبارية الى اخبارية فتكاد كل إجابة أو إجابتين أن يكون لهما تقدير للأمر.. ولهذا السبب تعددت الإجابات.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- وهناك من أنجبت بعد مرور ٢٤ عاما على زواجها وكان من عادة المجتمع الإماراتي الأول أن المرأة إذا تأخر حملها أربعة شهور تذهب الى الداية لمسح بطنها فإذا لم تحمل بعد ذلك فإنها تعرف أنها إرادة الله.

- وكان الناس يعتقدون أن المرأة التي لا تحمل فيها دراس[1] وكانوا يقومون بممارسات مختلفة لفك الدراس للمرأة لتحمل بإذن الله.

- على الجانب الآخر أن مواقف الزوج من زوجته التي لم تنجب بعد مرورسنتين أو أكثر كانت تختلف من زوج إلى زوج ومن حالة إلى حالة.

فهناك من الأزواج من لا يصبر على زوجته أكثر من عام ويطلقها أو يتزوج عليها واحدة وأثنتين ويطلق وقد يتزوج خمس مرات لكي ينجبن له طفلا ولا ينجب، في حين أن هناك من الأزواج من صبر على زوجته ١٦ عاماً إلى أن أنجبت.. وزوج آخر صبر على زوجته ٢٤ عاماً حتى أنجبت و لم يتزوج عليها ولم يقم بطلاقها ، وهذه الحالات الصابرة كان يدفعها إلى ذلك الموقف أحد أسباب ثلاثة أو لعلها الأسباب الثلاثة مجتمعة:

الأول : الإيمان الأكيد بأن هذا الأمر حسب نص القرآن الكريم هبة من الله يمنحها وقت يشاء «يجعل من يشاء عقيما».

الثاني: أن يكون لزوجته لديه معزة كبيرة أو صلة قرابة حميمة لا يريد أن يؤذي مشاعرها.

الثالث: أن يكون غير ذي مقدرة مادية تتيح له الزواج بأخرى.

١- دراس: الدراس ويطلق عليها في الثقافات العربية الأخرى المشاهرة وهي من الظواهر الغيبية التي يفسر فيها مثلا عدم إنجاب المرأة دخول إمرأة أخرى ليست طاهرة عليها (راجع فصل المشاهرة) لمزيد من الشرح.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما كان هناك في الوقت نفسه بعض الأزواج الذين كانت لهم تصرفات أخرى كطلاق زوجته أو الزواج بأخرى.

وهنا نذكر بعض الحالات التي تمثل مفارقات حدثت في هذا المجال.

- تزوج أحد الرجال خمس زوجات ولم ينجبن و تزوج السادسة فانجبت!.
- رجل طلق زوجته وله منها طفلان .. ثم تزوج بعدها بإثنتين لم تنجبا .. وتزوج الثالثة فانجبت!.
- رجل تزوج بثانية لعدم إنجاب زوجته الأولى.. ويا سبحان الله تحمل الزوجتان الأولى والثانية في الوقت نفسه معا.

وفي النهاية لا يرتبط هذا الوصف بعدد معين من السنوات لكنه يطلق على الحالات التي تمر بها السنوات دون إنجاب، ولكن الثابت أن المرأة تظل قابلة للإنجاب حتى سن الأربعين وليست هناك سنة معينة قبل هذه السن يمكن أن ينقطع فيها الأمل بالإنجاب، وبهذا يكون التعريف الحقيقي للعقيم أنها كل مرأة تزوجت وتوفيت دون أن يقدر لها أن تنجب طفلا.

الأساليب التي كانت تستخدم شعبيا لتأخير الحمل؟ .. ما هي ؟

طبيعي أن يسبق هذا السؤال معرفة ما إذا كان تأخير الحمل، أمراً لجأ إليه الأزواج في المجتمع قديما أم لا؟.

إلا أن الإجابات التي تجمعت لدينا عن هذا السؤال تكشف لنا بوضوح أن تأخير الحمل لم يكن أمرا مرغوبا فيه على الإطلاق بين الأسر الإماراتية الأولى، بل كان العكس هو الصحيح فكانت الرغبة في الإنجاب السريع هي الأكثر إهتماما لدى أبناء المجتمع الأول.

وقد إتفقت معظم الإخباريات بما يشبه الإجماع على أن النساء لم يقمن بالسعي إلى تأخير الحمل عن عمد على الإطلاق إلا لضرورة صحية ومع ذلك بقيت هذه الضرورة محددة في أعداد نادرة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكانت الغالبية العظمى تنفي أن يمثل تأخير الإنجاب ظاهرة أو مجرد عادة في المجتمع الأول، وكانوا يحبون الإنجاب والإنجاب بأعداد كبيرة.

- من ناحية أخرى يمكننا ملاحظة أن الحالات القليلة للغاية التي أشارت لإمكانية حدوث ذلك أوضحت لنا بعض الأساليب التي كانت تستخدم شعبيا لتأخير الحمل .. مثل :

- تعاطي أدوية معينة يتم تركيبها أو طبخها.

وتتناولها المرأة بطرق متعددة بالأكل أو بالشراب أو بغير ذلك من الطرق .

من بين تلك الأدوية «الأثمد» وهو دواء شرب من مسحوق الكحل الرمادي.

ومثل شراب «الكافور» - أو بشرب الفطف، أو بشرب ماء البحر أو الملح.

كما كانت هناك ثمار وماكولات معينة إستخدمت لتأخير الحمل ... مثل :

طحين المسك .. وقالوا إن هذا يقطع الحمل نهائيا.

أو بأكل حبات القهوة النيئة بعد الولادة مباشرة.

أو بشرب مسحوق حبات من نبات العرش وهي شجرة تدق ثمارها وتشرب.

وفي وصف لطريقة تحضير أحد تلك الأدوية نشير إلى أن «شراب الفطف» والبعض يطلق عليه «الغضف» كان يعد من أعواد الغطف الرفيعه التي تشبه القصب وتنقع في الماء لمدة يوم إلى أن يصبح لون الماء أصفر ثم يتم شرب هذا الماء بهدف تأخير الحمل.

- كان اللبان والحبة الحمراء أيضا من الأدوية الشعبية لهذا الغرض.

- شككت بعض الإخباريات في جدوى بعض هذه الأدوية، وتقول أحداهن عن تجربة شخصية أن حبات القهوة لم تنجح في تاخير الحمل حين إستخدمتها لهذا الغرض.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- كان من بين الأساليب أيضا لتاخير الحمل الوسائل الطبيعية مثل:

(طريقة العد) أي بالإمتناع عن المعاشرة الزوجية في الأيام الخمسة التالية لإنتهاء الدورة الشهرية.

أو لجوء الزوج إلى القذف للخارج عند لقائه مع زوجته.

- يبقى مع ذلك ضرورة التاكيد على أن هذه الممارسات كانت لا تتم إلا في حالات نادرة مثل ضعف الصحة أو كثرة الأطفال مما كان يدفع إلى السعي لتاخير الحمل وليس لدينا دليل طبي يشير لنا بأن هذه الوسائل كانت ناجحة، وخاصة إستخدام الأدوية الشعبية.

الممارسات التي تقوم بها المرأة في حالة تاخر الحمل ؟ :-

حيث لم يكن في السابق أطباء كما هو الحال في الزمن المعاصر كانت من أهم الوسائل التي تلجأ إليها المرأة في حالة تاخر الحمل الوسائل التالية:-

أ - الذهاب إلى «الداية» أو القابلة : لإجراء أي من الطرق العلاجية التالية:

١ - المسح ... وهو ما يشبه التدليك في المناطق التي يعتقد أن بها ورم وفي هذه الحالة كان يقال أن هذه المرأة لديها «فقارة» أي أورام تمنع الحمل بسبب إمساك المبايض وكان المسح (التدليك) على بطن المرأة يساعد المبايض على النشاط.

٢ - الخبانة .. وتجرى هذه العملية للمرأة التي يعتقد بأن هناك شحوما حول الرحم تمنع التلاقح الطبيعي وتؤخر الحمل، وتتم عملية الخبانة أوالخبان بوضع زجاجات الهواء على بطن المرأة في مواضع معينة .. ويتم تفريغ الهواء من الزجاجات بعد تسخين الآنية بإشعال النار في قطعة قماش داخل الزجاجة ووضعها على بطن المرأة وتقوم تلك العملية بإيجاد مصدر حراري يفرغ الزجاجات من الهواء فيندفع الجلد داخل الزجاجات، وهذا يساعد على أذابة الشحم وتنشيط الدورة الدموية،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والبعض كان يستعمل في الخبانة أنية أو قلة ماء بدلاً من الزجاجات.

٣ - بالتوسيم .. والتوسيم هو الكي وكانت هذه الطريقة هي إحدى طرق العلاج لتأخير الحمل وذلك بكي منطقة ما في الظهر والخلف وكذلك منطقة ما في الأمام وهذه الطرق في العلاج ظلت شائعة في علاج أمراض كثيرة وليس تأخير الحمل وحده، كما ظلت معروفة لسنوات قريبة.

ب - الذهاب إلى «المطوع» أو «المطوعة»:

وذلك للقراءة على المرأة آيات من القرآن بهدف دفع الضر عنها.. وكتابة حجاب أو حرز لها بهدف الدعاء لجلب الحمل.. كما كانت هناك أنواع لهذه الأحجبة مثل «القامة» أي التميمة كما كان هناك نوع يسمى «القفل» يعلق على ظهر المرأة وهذا القفل كان خاصا بوقف عملية تكرار الإجهاض.

ج - النذر:

وكانت بعض النساء الحريصة على الحمل والإنجاب تجنبا لمعايرة أهل الزوج وخوفا من أن تكون على وصفهم «كفحل النخل» أي النخلة الذكر التي لا تطرح تمراً.

كانت هذه النساء تدعو الله وتذهب إلى المسجد وتنذر نذرا لله إن رزقها الله بطفل .. وهذه أيضا كانت وسيلة شائعة في حالة تأخر الحمل.

د - اللجوء إلى الدواء:

مثل شرب الأعشاب الشعبية «كشرب نقيع عشبي» كف مريم.

هـ - إتباع عادات قديمة:

- مثل الأكل من (فراسة) إمرأة واضعة أملا في الإنجاب .. والفراسة هي أكلة خاصة مغذية للمرأة الواضعة وتسمى هذه الأكلة (صخونة) وهي مكونة من العسل والدهن البلدي والقروص المعدة من الطحين وتشبه الخبز ولكنها أكثر سمكا، وتخبز في الجمر والرماد مباشرةً.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- أو بوضع حليب زوجة تزوجت معها وحملت وتضعه على رأسها.

وتشير الإجابات إلى أن المرأة لم تكن تمارس شيئا ذاتيا ولكنها كانت تحاول إتباع جميع الطرق السابقة في ذلك الوقت والتي توصف لها سواء من الداية أو من المطوعة وذلك؛ لعدم وجود الأطباء في تلك المرحلة المبكرة من حياة مجتمع الإمارات العربية المتحدة.

وفي حالات أخرى كان يعتقد بأن تأخير حمل المرأة ناتج عن أعمال ضارة أو تكون المرأة (مدروسة) فتسعى إلى فك الدراس.. وذلك بوضع داس تحتها وهي حائض ويقولون يا داس فك الدراس. وكانت حالات نادرة تذهب إلى الهند طلبا للعلاج الذي كان يتم بطرق شعبية أيضا وبعضها طريقة أقرب إلى الخبانة.

وإذا جَربت المرأة جميع الوسائل ولم تجَنِ نتيجة منها أدركت أن ذلك قدرها وصبرت على إرادة الله.

الممارسات التي كانت تتبع لتجنب العقم .. ما هي ؟

في الجزء السابق بحثنا في الممارسات التي تقوم بها المرأة أو يقوم بها غيرها لتجنب تأخير الحمل أما بالنسبة للعقم فالأمر يختلف. لأن العقم كما أشرنا في بداية هذا الفصل من الله تعالى «ويجعل من يشاء عقيما».

ولذلك فعندما كانت المرأة يتأخر حملها كانت تتبع الوسائل التي سبق الإشارة إليها من مسح وخبان وتوسيم وغير ذلك من الممارسات.. وإذا لم تحقق هذه الوسائل نتيجة فلم يكن بيد المرأة شئ تفعله سوى الصبر على قضاء الله.

ولكن المرأة في تلك الفترة الأولى لمجتمع الإمارات كانت تتجنب «الحبسة» وقد أشرنا إلى ذلك في الجزء المتعلق بالمشاهرة .. وذلك بعدم دخول إمرأة حائض على إمرأة متزوجة حديثا في الأيام الأولى للعرس.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد أشارت معظم الإجابات بصورة واضحة إلى أن العقم من الله ولم يكن هناك شيء تلجأ المرأة إليه لتجنبه إذ ما يدريها أنها ستكون في المستقبل عقيما؟.

حيث لم يكن هناك أطباء وطبيبات كان العلاج يتم على أيدي إحدى المعروفات بخبرتها وتجربتها في هذا المجال ومن ثم تقصدها المرأة طالبة العلاج.

فقد كانت هناك «الداية» وهي التي كان لها هذا الدور بالدرجة الأولى في مجتمع الإمارات القديم وكانت الداية تقوم بعلاجهن بالمسح والخبان والوسم في بيوتهن وتباشر المتابعة بالمرور عليهن إلا في حالات أقل حيث كانت المرأة تتجه إلى بيت الداية طلبا للعلاج.

كذلك «المطوع» وكان هو الوجهة الثانية للمرأة العقيم «وكان المطوع يقوم بإعطائها» «محو» لتشربه، وهو عبارة عن ماء ورد قرأ عليه آيات القرآن الكريم مقرونةً بالدعاء للمرأة التي لم تنجب. أو يقوم بعمل «حجاب» أو "قامة" بهدف دفع الضر أو أذى «الشيطان عنها. ومما يلاحظ أن الغالبية من الأجابات أوضحت أن الكثير من الحالات الطالبة للعلاج لدى الداية أو المطوع، كانت تعرف أن الله هو الذي يهب الأولاد وليس المطوعة أو الداية .. وأن الشفاء بيد الله وما المطوع أو الداية إلا أسباب لإرادة الله وهذا يشير إلى سلامة المعتقد الديني في تلك الفترة.

ثم هناك «الطبيبة الشعبية» بالإضافة إلى «الداية» والمطوع فقد كانت هناك بعض النساء من ذوات الخبرة والتجربة في فوائد الطب الشعبي، والتي كانت تعتمد على أعشاب طبية مفيدة، ومشروبات خاصة أو أنواع معينة من الثمار.. وكانت هذه الشخصية النسائية المتخصصة بمثابة طبيبة شعبية تقصدها المرأة في حالات معينة للعلاج.

وفي أحيان كثيرة كان الدور مختلطاً بين الداية والطبيبة الشعبية، فكانت الداية تسقى المرأة الطالبة للعلاج الأدوية الشعبية التي تخلط بها عدداً من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأعشاب وتقرأ عليها آيات القرآن .. وتنصحها بكل ما يجب عليها أن تفعله سعيا للإنجاب.

ج - وكانت توصيها بالتعوذ من الشيطان دائما وبذكر الله كثيرا.. وبقراءة القرآن.

ومن الأقوال التي ترددت في تلك الفترة وتعكس درجة الإعتقاد الديني ذلك القول الدارج «على الانسان الحركة ومن الله البركة».

وصف الممارسات الطبيعية والغيبية لعلاج العقم.

كانت طرق علاج العقم في الماضي - كما سبق وأشرنا - تتم بوسائل طبيعية أو غيبية، والطرق الطبيعية لم تخرج عما ذكرناه من قبل.

أ - أما عن طريقة «الداية» وذلك بطرق العلاج التقليدية المعروفة في ذلك الوقت وهي:

- المسح.
- الخبان.
- الوسم.
- الأدوية الشعبية.

ب - وإما بطرق العلاج الغيبية الشائعة وذلك عن طريق «المطوع» وهي:

- بالتعوذ من الشيطان وقراءة القرآن الكريم.
- أو بعمل «حجاب، أو «قامة» أو «قفل».
- أو تشرب «المحو» وهو ماء الورد أو الزعفران مع قراءة القرآن.
- أو «بالنذر» لله وفي المساجد.
- عمل تحميلات معينة لفك (الدراس).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ج - ولكن هناك بعض ممارسات شاعت ربما إختلطت بنوع من الجهل أو الخرافة و من تلك الممارسات الغريبة :-

- الإغتسال بمياه غسل الميت تقوم به المرأة العقيم.

- اللجوء إلى حلقات الزار إعتقادا منهن بأن ذلك يطرد الجان.

- قيام إمرأة وضعت حديثا بالحلب على رأس المرأة التي تريد الإنجاب، وذلك غالبا ما كان يتبع عند الإصابة «بالمشاهرة».

- شرب الماء من بئر حفر حديثا.

- عبورالبحر من مكان إلى مكان.

- الجلوس على مشيمة إمرأة بعد ولادتها.

- العذر: وذلك بوضع الدخون في مكان معين من الجسم يظن أنها اصيبت فيه من الجان.

- المرور فوق قبر ثلاث مرات.

د - من بين تلك الممارسات التي لا نعرف لصحتها دليلا علميا، إعتقاد البعض في الماضي بأن (الكواشح) سببت في عدم الإنجاب وعدم الزواج أو وفاة الأطفال الرضع.

«والكواشح» عبارة عن شعرة تنبت بشكل دائري حول الشعر العادي وفي أماكن متفرقة من الجسم ولا يراها إلا متخصص حيث لا يعرفها الإنسان العادي .. وكان البعض يعتقد أن إزالتها عن طريق الحرق بعود قصب صغير يزيل المانع من الإنجاب.

هـ - الطب الشعبي :-

كما كانت هناك بعض الممارسات التي تقترب من أساليب العلاج الطبية .. ومن تلك الممارسات:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- العلاج بغسل الرحم لدى متخصصة بهدف تطهير الرحم من موانع الحمل.

- علاج الرجل بتغذيته وإعطائه أدوية شعبية بهدف تقوية ظهره.

- ومن ذلك طبخ طحين الثوم مع العسل والبيض وقيام الزوج بتناوله صباحا ومساء.

- «الحجامة» وكانت تقوم بها مجموعة من النساء الزحل القادمات من عمان.

- تناول الأدوية الشعبية كالأعشاب المفيدة في حالات معينة.

- الغسل بمنقوع السدر الأخضر.

- تعديل وضع الرحم بوسائل مختلفة إذا لم يكن في وضعه الطبيعي.

- قيام المرأة بشرب الفلفل لانزال الدم الفاسد.

- شرب القرفة - الزنجبيل - وتناول الحبة الحمراء، لمنع تراكم الشحوم.

- تناول المر والصبر واليعدة والحرمل كشراب لتطهير البطن.

- كانت هناك أدوية عربية يصنعها البدو تعطى للمرأة.

- كان الطب الشعبي يعتمد على الأعشاب المحلية والإيرانية والهندية.

ومن بين ممارسات علاج عدم الإنجاب التي يصعب تصنيفها بين الوسائل المعروفة للعلاج هي أن البعض كان يلجأ لتغيير مكان سرير النوم عند المعاشرة الزوجية الى ٧ أماكن .. مرة مقابلة القبلة - وأخرى الشرق - ومرة جهة الغرب وهكذا، وربما كان في ذلك سبب لاستمرار لقاء الزوج بالزوجة على مدي أيام متتالية تتخللها فترة الأخصاب.

ومن أشهر الطرق الغيبية والشعبية التي كانت شائعة في تلك الفترة المبكرة في مجتمع الإمارات:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الدخون : والدخون : عبارة عن حرق النباتات الجافة ذات الروائح المعطرة (البخور) مثل العود واللبان بالحرق..

وكانت المرأة تدخن بالشبة أو بخلطة معينة من البخور غير أن نسبة كبيرة من الإخباريات أشارت إلى أن الدخون كانت تجرى للمرأة بعد الولادة وفي حالات إصابتها بالإجهاض أكثر من حالات العلاج للعقم.

وهناك ملاحظة جديرة بالإهتمام أشارت إليها الإخباريات أيضا أن كل الوسائل الغيبية والطبيعية التي كانت تتبع كانت محاولات إنسانية يعرفون سلفا أنها قد تأتي بنتيجة وقد لا تفيد ، وفيما يتعلق بالعقم فإنهم كانوا يؤكدون أنه أمر ليس للإنسان فيه قدرة على العلاج وإنما العلاج يفيد أكثر في حالات تأخير الحمل..

هل تلجأ الزوجة لعمل أي تحويطات أووصفات للزوج الذي يريد الزواج من غيرها للإنجاب؟

من واقع إجابات سبعين حالة تقريبا يمكننا الإقتراب من طريقة التفكير النسائية بصفة عامة في الزمن الماضي إزاء ردود فعلهن إذا فكر الزوج في الزواج من زوجة ثانية بهدف الإنجاب، وحصيلة الإجابات لا تعطينا الإجابة على هذا السؤال بنعم مطلقة أو لا مطلقة حيث نلاحظ:-

أن المادة التي جمعناها حول هذا الموضوع تضع موقف النساء من الزواج الثاني ضمن أحد مجموعتين :-

أ - المجموعة الغالبة من النساء التي تخاف الله وتتمتع برجاحة العقل لم تكن تعرف هذا الطريق وإذا عرفته لم تكن تلجأ إليه بإعتباره حراما.

ب - المجموعة الأقل من النساء كانت تلجأ لهذا الأسلوب إذا ما فكر أزواجهن في الزواج بزوجة ثانية بهدف الإنجاب.

وقد فكانت ردود فعل نساء المجموعة الأولى تختلف من زوجة إلى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أخرى، وهذا توضيح لهذه المواقف.

- بعض الزوجات كن يتفهمن رغبة الزوج في أن يكون له أبناء وبنات وبالتالي كن يسلمن بحقه في الزواج .. ولكن على مضض.

- بعض الزوجات كن يوافقن بترحيب بمنطق أن هذا سلوك طبيعي للرجال.

- بعض الزوجات كن يطلبن من أزواجهن الزواج عليهن بل ويساعدن في هذا الأمر بشرط أن يعدل بينهما.

- بعض الزوجات كن يعتبرن الزوجة الثانية أختا لها وتقوم برعاية أبنائها من زوجها وتحنو عليهم.

- النساء اللائي كن يقبلن على مضض. لم يكن في أيديهن شيء يفعلنه سوى الصبر على إرادة الله.

- والنساء اللائي يتفهمن موقف أزواجن كن يتميزن بنضج العقل.

- والنساء اللائي كن يطلبن إلى الزوج الزواج بثانية ويبقين في بيت الزوجية كأخوات للزوجات الجدد كن ينطلقن في الغالب من منطلق إيماني يعرف الحلال والحرام ويعرف مالهن من حقوق وما عليهن من واجبات.

أما ردود فعل نساء المجموعة الثانية فكانت تختلف من إمرأة الى أخرى، إلا أنهن جميعا إشتركن في سلوك طريق الأعمال المانعة للزوج من الزواج بأخرى.

وكان ذلك يتم بذهاب المرأة لأحد المطاوعة ليعمل عملا لزوجها لمنعه من الإقدام على الزواج بأخرى وكانت لهذه الأعمال أسماء عديدة من بينهما:-

- الصرف .. أي الذي يصرف تفكير الزوج عن الزواج.

- الحجاب .. الذي يمنع ذلك.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- الطبوب .. أي الذي يعالج هذا الأمر.

- السوي .. أي ما يسويه المطوع من تعويذه.

- الخط .. أي ما يخطه المطوع على الورق.

- الأوراق .. وهي المكتوب عليها بهدف المنع.

- التحويطة .. أي التي تحيط بالإنسان لتمنع عنه ما يراد منعه.

- وكذلك القرطاسة ..، والشب .. والفال .. وغير ذلك من الأسماء.

وقد أشارت بعض الإجابات إلى أن مثل هذه الممارسات كانت شائعة لدى العجم أكثر من شيوعها بين العرب وكان من عادة الزوجة التي تقبل الزواج الثاني أن تبقى في البيت وإذا لم توافق كانت تغادر بيت الزوجية إلى بيت أهلها أو تطلب الطلاق.

من ناحية أخرى كان بعض الأزواج لا يقدمون على الزواج من ثانية إلا برضي الزوجة الأولى وبتطييب خاطرها بالهدايا أو بالمال أو بغير ذلك حتى لا يجرحوا مشاعرهن.

ما هي ردود أفعال الزوج والأقارب نحو تأخر الحمل أو العقم؟ (الزوج - الحماه - أخت الزوج - أقاربه).

الزوج : الغالبية كانت تضيق بالأمر وتقوم بالزواج مرة أخرى برضى الزوجة الأولى أو بغير رضاها.

الأقلية كانت تصبر وتواصل حياتها الزوجية أملا في أن يرزقها الله بعد حين، أو عن رضى بقضاء الله.

أما في الحالة الأولى فذلك مسلك طبيعي بإعتبار أن البنين زينة الحياة الدنيا، وفي الحالة الثانية إيمان بأن هذا ليس بيد الزوجة.

الأهل : (الحماة - الأخت - الأقارب) عادة ما كانوا يسعون إلى علاج الزوجة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالمسح أو الخبان، أو يحرضونه على الزواج من أخرى لرغبتهم الشديدة في رؤية ذرية الزوج هذا في الأحوال العادية.

وفي أحوال أخرى كانت تحدث تصرفات غير كريمة بمعايرة الزوجة ووصفها بصفات شتى ويحرضون الزوج ليس فقط على الزواج ثانية، ولكن أيضا على تطليق زوجته الأولى.

وبشكل عام تختلف ردود الفعل سواء كانت رد فعل الزوج أو الحماة أو عموم الأهل من عائلة إلى عائلة بحسب القيم الأخلاقية والإنسانية والإجتماعية والدينية التي تحكم تفكيرهم وطبيعة نظرتهم للأمور. فهناك من يصبر ولكنهم الأقلية النادرة.. وهناك من يسعى للزواج بأخرى. لكن الشاذ وهو قليل أيضا كان إيذاء شعور الزوجة الأولى بما لا ذنب لها فيه، ويمكن الإطلاع على روايات الإخباريات عن هذا الموضوع لتبدو الصورة أوضح بالمزيد من التفاصيل مع ملاحظة أنه يندر أن تختلف ردود فعل الناس في الماضي عنها في الحاضر في هذا الأمر بالذات حيث أنه رد الفعل الإنساني والغريزي والطبيعي على إختلاف درجاته ووجهته.

هل يؤخر الناس حملهم ؟

كان الإنجاب وكثرة الأولاد يمثل قيمة إجتماعية كبرى.. فلقد كانت دليلا على رجولة الرجل وخصوبة المرأة .. وكانت كثرة الأولاد تمثل قوة إنتاج إضافية للرجل وبالتالي لها قيمة إقتصادية أيضا فضلا عن أن حب الأطفال والأبناء شعور فطري وغريزي يستحيل معه أن يلجأ الزوج أو الزوجة لتأخيره إلا للضرورة فإن "المال والبنون زينة الحياة الدنيا" كما في قول الله تعالى.

من هنا فإن تأخير الحمل لم يكن شيئا مستحبا وبالتالي لم يكن أمرا متبعا في مجتمع الإمارات في مراحله الأولى.

وكادت الإجابات جميعها أن تشير إلى حقيقة أنه في الماضي لم يكونوا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يلجأون أو يعمدون إلى تأخير الحمل غير أن بعض الإخباريات أشارت إلى حدوث ذلك أحياناً في بعض الأحوال والتي خضعت كما أشرنا إلى دوافع الضرورة أو الظروف الخاصة.

من ذلك مثلا :

- كثرة العيال مع ضعف صحة الأم.

- صغر سن الزوج أوالزوجة.

- الانتظار لحين انتهاء الأم من رضاعة الطفل عامين كاملين أي بفطامه حتى لا يجتمع الحمل مع رضاعة الطفل الأول.

وقد كان تأخير الحمل يتم بوسيلتين شائعتين عامة :-

الأولى: بالشكل الطبيعي وذلك بتجنب المعاشرة الزوجية في الأيام الستة التالية لإنتهاءالدورة الشهرية، وهذا مؤشر عدم معرفة أيام الأخصاب عند المرأة لأنها ليست في الستة أيام التي تتلو الدورة الشهرية. "وبالقذف خارج الرحم" .

الثانية: بتناول أدوية معينة كانوا يعتقدون في جدواها لتأخير الحمل ومنها :

دق حبات القهوة النيئة وخلطها بالماء وشربها، أو بشرب الغضف ، أو بشرب الملح. إلى غير ذلك من الأدوية الشعبية الشائعة في ذلك الوقت.

إلا أن الملاحظة العامة النابعة من روايات الآخباريات هي أن الناس كانوا على العكس يقومون في الغالب بالسعي إلى التعجيل في الإنجاب وكثرة عدد الأبناء.

كيف يمكن معرفة عقم الرجل؟

جرت العادة في الماضي وفقا لقيم إجتماعية سادت المجتمع الأول أنه عندما لا تحمل المرأة يشار إليها بالمسؤولية عن ذلك أولا وربما أخيرا .. ويبادر الرجل أو يدعى للزواج مرة ثانية ، وقد يتزوج مثنى وثلاث ورباع لكن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أيا من زوجاته الأربع لا تحمل، وهنا فقط كان يمكن إكتشاف عقم الرجل خصوصا إذا طلق إحدى زوجاته، وتزوجت بأخر وحملت منه إلى جانب ذلك كان الرجل في الماضي إذا تأخر حمل زوجته يمكن أن يذهب للمطوع سعيا إلى معرفة ما إذا كان هو مسؤولا عن ذلك أم زوجته.

وكانوا في الماضي يعتقدون أن لدى المطوع وسيلة لمعرفة ذلك خصوصا أنه لم يكن هناك طب متقدم ولا أطباء «دخائر» وكان الرجل إذا إكتشف عقمه يسعى للعلاج أيضا.

وكانت طرق العلاج تتم بالوشم أي الكي فوق وتحت السرة وعلى الظهر، أو بتناول منقوع الرويد وهو نوع من الفجل ينقع في الماء لمدة معينة ثم يسقى الرجل العقيم من هذا الشراب لمدة ٢٠ يوما وبعض الإجابات تشير الى نجاح هذا العلاج - والأمر يخضع للتجربة.

ومن وسائل إكتشاف عقم الرجل رؤية سائله المنوى فإذا لم يكن غليظا وكان ضعيفا مثل الماء أو قريبا منه كانوا يشكون في عقمه ويذهبون به للعلاج بالوسائل الشائعة في ذلك الوقت.

أيضا كان ورم الخصيتين أو «الفتاق» سببا للشك في عقم الرجل إذا لم ينجب وكانوا يلجأون إلى علاج «الفتاق» بالكي عند «الثنة» أدنى السرة.

كذلك كان البعض يظن أن وجود الكاشحة على عضو الذكورة في الرجل يؤدي إلى عدم الإنجاب «الكاشحة» سبق أن أشرنا إليها وهي بعض شعيرات معينة يعرفها من لهم خبرة بها، لكن الطريقة الأكثر تأكيدا هي تكرار زواجه دون إنجاب.

كيفية إكتشاف عقم المرأة :

وبالنسبة للمرأة تبقى الطريقة الأكيدة لإكتشاف ذلك إذا لم تنجب من زوجها الأول وتكرر زواجها ولم تنجب من زوجها الثاني أو الثالث بعد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سنوات من الحياة الزوجية.

ومن الشواهد الأخرى التي كانوا يرون فيها إشارات إلى عقم المرأة:

- تأخر الدورة الشهرية لسنتين أو ثلاث، أو بإضطرابها المستمر.

- بوجود "الكاشحة" في مكان ما من الجسم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الرابع عشر
الاجهاض
Miss Carriage (Abortion)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإجهـاض: [1]

إن مـجتـمع الإمـارات في الماضي لم يكن يمتلك إلا القليل جدا من وسـائل العـلاج، والخـدمة الطبيـة، وغـالبا مـا تمارس الخـدمة الطبيـة على المسـتوى الشعبي المحلي أي بإستخدام الكي والأعشاب، وبالإضافة إلى مرور بعض الأطباء الهنود والإنجليز على المجتمع في بعض الأوقات، فلقد كانت العائلات المقتدرة تستدعى بعض الأطباء من الهند أو البحرين، وكان الناس يسمعون عن هذا الطبيب، بعضهم يقتنع بدوره، وبعضهم يجهل ذلك نظرا لقلة الوعي بمجـالات الطب والعـلاج الحـديث، ولا يفـوتنا ذكـر مسـتشفى الواحـة، (أو المستشفى الكندي بمدينة العين) والبعثة الطبية التبشيرية التي قدمت إلى

١- لقد حاولنا الكشف عن هذا الموضوع من خلال مجموعة من الأسئلة كانت كما يلي :-

- ما هي الكلمة المعبرة عن الإجهاض؟
- ما هي أسباب الإجهاض (طبيعية ـ غيبية) العين، ربط الأم من خلال إمرأة تكون حاقدة؟
- ما هي العلامات التي تعرف منها المرأة حدوث الإجهاض (آلام ـ نزول دم ... الخ)؟
- ما هي الأسباب التي تؤدي إلى تكرار إجهاض المرأة ؟ (طبيعية ـ نفسية ـ روحية ـ تتعلق بحسد الآخرين)؟
- ما هي الأسباب المتبعة لعلاج المرأة التي تجهض؟ (أكتب الأساليب الشعبية المتبعة) وما هي الأساليب الدينية ؟
- هل هناك أساليب غريبة أتبعت لعلاج الإجهاض؟ ما هي ؟
- هل تصلح النذور للتغلب على الإجهاض وإستمرار الحمل أو الى الولادة ؟
- ردود الفعل تجاه الإجهاض؟

أ- الزوج ب- أهل الزوج ج- الجيران د- أهل الزوجة.

- هل يؤدي الإجهاض المتكرر إلى تفكير الزوج في الزواج بأخرى؟ وماذا تعمل المرأة؟
- ما هو رد فعل الزوج تجاه إجهاض الزوجة؟ (المشاعر ـ والكلمات التي يقولها)؟
- ما هي كلمات المعايره التي تقال للمرأة التي يتكرر إجهاضها؟
- ما هي الآثار النفسية للإجهاض؟
- ما هي الحالات النادرة التي تعرضت فيها إمرأة للإجهاض الإجباري؟ (إختلاف المستوى الإقتصادي والإجتماعي والثقافي بين الزوجين أو لأسباب مرضية)؟.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإمارات وإستقرت في مدينة العين، وبرز لها دور صحي وعلاجي لا يزال مستمرا حتى الآن.

ونظرا لهذا الغياب شبه التام للخدمات الصحية تعرضت المرأة بل الإنسان عموما إلى ظروف قاسية، ومات الكثيرون إذ كانت المرأة تلد عشرة أطفال ويعيش منهم واحد أو إثنان ويموت الآخرون، تحكي الكثير من الروايات عن هذه الظاهرة، فلقد إستطاع مثلث الجهل والفقر والموت أو المرض ترك آثاره على الإنسان الإماراتي، فكثيراً ما كانت المرأة الولود هي ذات النصيب الأكبر في التعرض للمرض أثناء الحمل، أو أثناء الولادة، وهكذا نجد أن هذه الدراسة المركزة على مرحلة الميلادتحكي لنا قصة المجتمع بالكامل، وربما كان هذا الإسهام الحقيقي لهذه الدراسة.

ويدور هذا المحور حول ظاهرة الإجهاض والمعتقدات والممارسات الشعبية المتصلة بها،

من الواضح من القراءة الأولى لأسئلة هذا الفصل أنها تنقسم إلى قسمين: القسم الاول، وتدور موضوعاته حول الكلمة الشعبية للإجهاض - الأسباب - علامات الإجهاض - العلاج والنذور، وهنابحث عن الممارسات والمعتقدات.

ثم القسم الثاني، وتدور موضوعاته حول ردود الأفعال، والتصورات الذهنية حول الظاهرة والحالات النادرة للإجهاض الجبري ، وعند التحليل سنجد أنفسنا محكومين بالسير بنفس الإتجاه نحو تقسيم المادة العلمية إلى هذين القسمين بجانب الربط بينهما عندما تحتاج الفكرة إلى الربط أو التواصل مع الأفكار الأخرى المرتبطة بالإجهاض.

أولا : الإجهاض : أسبابه ، علاماته ، علاجه :-

بداية قدمت مجموعة من المسميات الشعبية للظاهرة فالاجهاض يقال له (مودره) وذلك بمعنى ترك المولود يسقط، (طراح) أي رمت (الرمي والعوار

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والسقوط) وتحمل نفس معنى الاجهاض (المتبوعة أو توبيع) يقصد بذلك أن الجان تتبع المرأة حتى تسقط الجنين من بطنها. تضيع، تعق، إتوح ، مناسفة ، وذلك بمعنى أنها تسقط جنينها ربما لظروف نفسية أو مرضية.

الأسباب : وتنقسم إلى أسباب طبيعية ونفسية وغيبية :

أما الأسباب الطبيعية فتتمثل في ضعف الظهر، وحمل الأثقال، القيام بأعمال الطحن بالرحي، وإحضار الماء من مسافات بعيدة، أو الوقوع على الأرض بشدة، وكذلك الحمى الشديدة، وضعف الرحم والمرض الشديد.

أما الأسباب النفسية فهي كالإحساس بالقهر نتيجة المعاملة السيئة من قبل الزوج لزوجته ، أو إستماعها إلى أخبار سيئة تسبب إنهيار الآم مثل أخبار موت بعض الوالدين أو الأخوة، العصبية، الضرب من الزوج.

أما الأسباب الغيبية فمن بينها : العين والحسد، العوفة أو الشينة، أو التبعة ، أي متبوعة بالعين أو الحسد، والعوفة هي الجان، الربط أثناء كتب الكتاب، جرح البطن، أو المضرة وهي تحمل نفس معنى العوفة والشينة (أم الصبيان) الحالة التي تجعل الإنسان في غير وعيه وتقتل الجنين في بطن أمه.

ولمزيد من الوصف للتابعة، أي الجنية التي تتبع المرأة وتزورها أثناء نومها، وتحاول الضغط عليها إلى أن تجهضها، وتحدث معركة طوال الليل بين المرأة والتابعة، وهذا ما حكي من خلال بعض الإخباريات وعلاجه (القامة) أي (حرز أو كتاب) يكتب من قبل أحد (المطاوعة) يحتوي آيات من القرآن الكريم.

ومن الأسباب الغيبية كذلك الإعتقاد بوجود طائر يأكل الطفل وهو في بطن أمه، الحظ السيء (ضعفت بخت).

ويقال في الأمثال «ولد الحلال لو طشة، وولد الحرام لوينقلب بمركب ما يطيح» أي بمعنى (أن ولد الحلال لأسباب هشة ممكن أن يقع من بطن أمه).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومثل آخر :-

ولد الحلال بجـــرة ينعـــــق ووولد الحرام معلق بالسلاسل

بمعنى أن ابن الحـلال من السـهل أن لا يثـبت حـمله لأقل سـبب أمـا ابن الحرام فثابت لا يتزحزح وفي هذا نوع من التعزية للأم بالإشارة إلى أن ابنها المفقود أبن حلال، وهذا تشريف لها.

هذه هي الأسباب التي ذكرت للإجهاض فبعضها يقدم تفسيرات صحيحة على المستوى الطبي، وهو ضعف الظهر والرحم، ولكن أغلبها يعود إلى الأسباب النفسية وهذا ما يعتبر جديدا في هذاالجانب، أن يكون أهل الإمارات قد اكتشفوا العوامل النفسية قديما، وأثرها على صحة الأم، والحقيقة كثيرا ما قدمت الإجابات المختلفة مفاجآت في هذه الدراسة، إذ بينما يصل وعي الناس للأسباب الصحية والنفسية نجدهم يقدمون تفسيرات ليست لها صلة بالمنطق، ولا بالواقع منها مثلا وجود طير في بطن الأم يأكل الطفل أو الجنية التي تتعارك مع الأم أثناء النوم.

وهنا نؤكد على منطقية هذه المادة الأثنوجرافية إذا ربطت بينها وبين ظروف المجتمع بأكمله، فلا بد من هذا التنوع نتيجة التعدد في القدرات التفكيرية والتفسيرية للإنسان سابقا في مجتمع الإمارات.

فلا يمكن إذن حدوث التكامل في المادة الإثنوجرافية لأنه لا يوجد مجتمع تتسم ثقافته بالتكامل بحيث تعكس درجة واحدة من الوعي لدى الناس بالظواهر المختلفة.

علامات ومظاهر الإجهاض :-

يعتقد الناس أن المرأة تستطيع حمل جنينها ٤٠ يوماً فقط قبل الإجهاض، فتتالم ٤٠ يوما ثم يسقط الجنين، وهنا يؤكدوا بأن الله سبحانه وتعالى هو القادر على ذلك.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي» صدق الله العظيم، مما يؤكد الإيمان التام بالله وبقدرته.

ومن أعراض الإجهاض أن تنزل منها الأوساخ ويموت الجنين ويظل ٤٠ يوما ميتا قبل أن ينزل.

آلام الإجهاض أشد من آلام الولادة ، نزيف الدم وآلام في الظهر أقوى من الطلق العادي للولادة. آلام في (الربايا) أي (الرحم والمبايض) وفي البطن.

يحدث الإجهاض أيضا بعد ٥ شهور للحمل أو الثالث أو الرابع.

المغص الشديد (الليـة) في البطن، وأسفل البطن (الثنة) ونستخدم هنا نفس المفردات الشعبية التي إستخدمتها الإخباريات وهن يشرحن أعراض الإجهاض.

هذا عن الاعراض والآلام ولكن بماذا توصف المرأة التي تفقد جنينها؟ هناك بعض التشبيهات التي تطلق على المرأة ومن هذه التشبيهات تشبيه المرأة التي تجهض بالنخلة والرطب فالرطب البالغ أي الناضج يقع بسهولة، ولكن الغير بالغ لا بد من قطعه بالقوة.

فالعذاب والألم الذي تتعرض له المرأة أثناء الإجهاض يوصف بالكثير من القسوة خاصة وأنه لم يتوفر آنذاك العلاج الطبي، ولا الدواء الميسر لهذه الحالة، ورغم ذلك تتعرض المرأة لنظرة حادة وأكثر قسوة من الآلم نفسه من قبل أهلها والناس المحيطين بها، فمثلا إذا أجهضت المرأة على يد الداية يعرفونها، وإذا اجهضت دون أن تعلم أهلها قالوا عليها أنها كذابة، فتضطر إذا اجهضت مرة أخرى أن تضع طفلها في صينية وتفرج الناس عليه حتى تحصل على تصديقهم لها.

ويقال أن آلام إجهاض الجنين البنت أكثر من آلام الإجهاض للجنين الذكر، فإذا كان عمر الولد شهرين يتخلق أي تتضح معالمه، أما البنت تنزل قطعة لحمة، والولد واضح جدا حتى عظم الظهر يكون كالخيوط، ويستمر مسلسل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفكر الخاص بإنجاب الذكر، والفكر الخاص بإنجاب الأنثى متصلا خلال هذه الدراسة، فكثيرا ما نجد صورا ذهنية إيجابية نحو إنجاب النوعين، وكثيرا أيضاما نجد الصورالعقلية السالبة نحوهما، وهكذا يعكس هذا الإتجاه الثقافة الشعبية العامة لمجتمع الإمارات وإتجاهاتهم نحو الإنجاب.

وذكرت في معرض حديثنا عن غياب الوعي الصحي والطبي أن أحد الرجال إعتبر زوجته خفيفة العقل لأنها ذهبت للمستشفى وأخذت حقنا دون أن تعرف بحملها فأجهضت، وهذه الحادثة تكشف شقين من الوعي الغائب فالمرأة لا تعي بحملها، والأطباء لم يكتشفوا حملها إذن حتى عندما تتوفر المستشفى، لم تتوفر فيها الرعاية الصحيحة للمرأة الحامل.

مثل شعبي آخر:

الطراح طرح الأرواح - أي الإجهاض من المحتمل أن تجهض الروح فيه.

معتقد آخر :

الإجهاض يأتي من ضربة الشيطان.

ورأي آخر قريب من الصحة :

الإجهاض من ضربة قوية على رأس الجنين.

ثم ننتقل إلى أسباب تكرار الإجهاض للمرأة وليس الإجهاض الأول الذي ذكر سابقا، ولكن عادت الإخباريات وكررن نفس الإجابات، وكان المقصود بتكرار السؤال، هو التأكد من مصداقية الآراء .

وتأكد الرأي حول الحالة النفسية للأم.

وجود الطير في بطن الأم ويأكل الجنين.

الحسد والكاشحة أو الكشحة أي لبس الجنّ لجسدها.

الضعف الشديد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السبب الوشام: وقصد به تكرار معاشرة الزوج لها فيمتنع من ذلك.

الظهر خائن ولا يتحمل الحمل، المشي في الظلام.

(إذا إستضرت الأم فلا بد أن تستضر البذرة).

وهذا إعتقاد آخر، أي إذا تعرضت الأم للجان أو الشيطان فيتعرض له الجنين بطبيعة وعيهم بذلك .

ننتقل إلى أساليب العلاج الشعبية والدينية :-

إذا كانت الأم بها كشحة أي المضرة والجان فتعالج بالوسم (الكي).

ولإلقاء مزيد من الضوء على ما يسمى بالكشحة، تقدمنا بسؤال إحدى النساء العارفات به، ووجدنا أنها تعني أن توجد شعرة ملفوفة على جسم المرأة، أو من نفس شعر جسمها ولكنها معقودة، فيبحث المطوع أو المتخصص بالكي عن هذه الشعرة فيحرقها بالنار وتزول مضرتها، ويقال أن الزوج نفسه يكوى أو يوسم إذا وجد المطوع به نفس الشعرة، وأنه تتعرض زوجته للإجهاض المتكرر، وأن تكوى في آخر يوم أربعاء من كل شهر، أما عن المفردة نفسها فيطلق عليها أهل الإمارات الكشفة أما أهالي عمان فيسمونها الكشحة، وتختلف فقط نطقا ولكنها تتشابه من حيث المعنى.

العلاج الآخر الأدوية الشعبية الياس والملح، والحلبة الباردة، واللبان ليساعد على شد ظهرها، تمنع من الحركة.

المساج (المسح)، النوم على الظهر، رفع الرجل للأعلى.

المنع من معاشرة الزوج لفترة.

إستخدام الحرز من المطوع أو الحجاب ليحفظ لها الطفل في بطنها.

من الممارسات الشعبية الغريبة أن تلبس جلد عنز (ماعز) مذبوحة للتو، أو الكي في الظهر تشرب الحسو، ثم قراءة القرآن الكريم وإستمرار نومها على ظهرها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الكي في مفرق الشعر على الجبين.

إحضار أعشاب من الجبل مثل (بعباع التيس) أو الشريش أو الحواء، وكلها غير معروفة على نطاق شعبي واسع ولكن نستشف أنها أعشاب نادرة.

تشرب المرأة الحلبة واللبان وتركة صالح أو تسمى (سركة صالح).

وهي مادة صلبة لونها يتراوح بين البني والأسود، وأما طعمها فيميل إلى الحموضة وتستخدم حتى الأن.

أو يستخدم (الشب والمقل، والسويدا، والخطف، واللبان).

وذكرت كلمة (القامة) أي الحجاب أو الحرز.

وذكرت كلمة جديدة وهي (الخلوع) وهي ممارسة شعبية تستحق التوقف والتأمل لما لها من أبعاد ثقافية ذات خصوصية بهذا المجتمع، إذ تقوم إحدى النساء برمي (الجاشع والسح) أي السمك الصغير المجفف والتمر، ويوضع في قطعة فخار، ويرمى في مناطق متفرقة مع إشعال النار والتبخر باللبان، ويعتقد أن هذه الممارسة تشفي من الإجهاض مع سقيها من الأدوية الشعبية كتركة صالح، أو دهان جسمها (بدواء الريح) أي (بو فاس) كما يطلق عليه الآن.

وسائل علاجية شعبية أخرى :-

- وضع الحصى فوق بطن المرأة المجهضة.
- إستخدام (قفل) حجاب يربط في ظهرها.
- أن تشرب المرأة المعرضة للإجهاض (طين روس) الطين الأحمر ليمسك بالجنين.

ولمزيد من الإيضاح عن (الخلوع) نذكر أن الذي يرمي الخلوع في الحارة لا يعود على بيت المريضة المجهضة إلا عندما تطلع شمس الغد حتى لا تتعرض المرأة للضرر مرة أخرى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما أهم وسيلة علاجية ذكرت هي قفل الظهر بواسطة الحجاب حتى لا تجهض مرة أخرى، أو إستخدام العنزروت كلاصق للظهر، (والعنزروت) مادة لاصقة تخلط بشعر الغنم، والبيض ثم تسخن على النار، فتوضع على ظهر المرأة التي يتكرر إجهاضها، وغالبا ما يستخدم نفس هذا العلاج لعلاج الكسور سواء كانت البسيطة أو المركبة.

ومن الأساليب العلاجية التي ذكرت أيضا ما يلي :-

١ - إستخدام العنكبوت (خيوط العنكبوت وغليه بالماء وتسقى به المرأة التي يتكرر إجهاضها).

٢ - الإمتناع عن معاشرة المرأة من قبل الزوج.

٣ - الإمتناع عن أكل السمك.

٤ - قيام الزوج بربط فضلات النوق على بطن المرأة.

٥ - ذبح دجاجة لتضعها على بطنها وهي نيئة أي لم تطبخ بعد، وذلك بعد أن يكوى ظهر المرأة وتترك الدجاجة على الوسم حتى صباح اليوم التالي، فيتوقف النزيف عن المرأة المجهضة.

٦ - عمل الزار فتنزل الشياطين.

٧ - النذر.

٨ - كي الطفل السابق والذي يعتقد أنه السبب في عدم إستمرار حمل والدته للأبناء الآخرين، وتعرضها للإجهاض فيكوي من ٦ - ٨ كيات بالنار ويعطي ذهبا من الأم، أو خنجرا من الآب كتعويض له عن حرقه بالنار، وتعطي الطبيبة الشعبية (٣٠٠) درهم مقابل علاجها بالكي.

٩ - زيارة (عين لغمور) عين ماء في منطقة عمان وتذبح الذبائح هناك.

ويتضح في العديد من الإجابات الإعتقاد التام بالنذور وأنها متكررة في العديد من المناسبات، ويتراوح النذر بين زيارة (عين لغمور)، والمشهورة جدا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أو ذبح الذبائح أو الصيام، أو النذر بتسمية الطفل إذا نجا من الإجهاض بإسم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وإذا كانت بنتاً تسمى فاطمة تيمناً بإسم إبنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وهناك إعتقاد بأن النذر يجب أن ينفذ والإ يظل كالجبل على ظهر المرأة المنذرة، أو النذر بزيارة صلالة، منطقة بعمان بها قبر النبي إدريس عليه السلام، أو زيارة رأس الشيخ وهي منطقة تقع في شرق دولة الإمارات بين منطقة خصب وروي، أو زيارة منطقة "غمض" ويحكي أن إمرأة نذرت بزيارة رأس الشيخ ولكنها أخطأت وزارت غمض فلدغت إبنها عقرب ومات، أو زيارة بعض قبور الأولياء.

والبعض يرى أن النذور حرام، أو غير مستحبة

ويقال : لا تنذر تخسر.

وقد يؤدى النذر إلى الإجهاض ، أو قد يؤدي إلى التخلص من الإجهاض، فهي وسيلة علاجية ذات حدين كما يعتقد أفراد المجتمع، خاصة المتعرضين لمصائب الإجهاض وغيرها.

ويقال في آداء النذور :-

«أدوا نذوركم ولو في قبوركم».

"النذور يجب أن تؤديه فهو يناذر الأرواح أي أنه مثل الروح للجسم".

ويجب أن يؤدي خلال ٤٠ يوما من النذر به.

وبهذا تنتهي الآراء حول الإجهاض وسبل العلاج منه وسوف ننتقل إلى القسم الثاني المتعلق بردود الفعل تجاه الإجهاض من قبل المجتمع، سواء أكان الزوج أو أهله أو الجيران وهنا ستتيح لنا هذه ردود الفعل الحديث عن الكثير من الممارسات التي تتعرض لها المرأة في هذه المرحلة نفسيا، وتجاه الإجهاض، فغالبا ما تؤدي تلك الردود إلى إجهاض المرأة نفسيا وإجتماعيا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إضافة إلى إجهاض حملها الذي تتوقع من خلاله أي "الحمل" إبراز وجودها وداخل المجتمع، وموقعها الحقيقي داخل الأسرة، فتعاني الضغوط والممارسات الخاطئة التي قد تؤدي بها الى الحمل الكاذب والذي قدمنا له في المحور السابق.

ثانيا : الإجهاض وردود الفعل الإجتماعية :

القسم الثاني من هذا المحور يتناول ردود الفعل، ولنبدأ برد فعل:-

أ - الزوج : الشخص الأول ذو العلاقة في حالة الإجهاض، فقد يكون هو المسبب للإجهاض كما جاء ذلك في القسم الأول، إذ تؤثر نوعية العلاقة التي تربطه بزوجته بحالتها النفسية، مما يعكس آثاراً إيجابية أو سلبية على صحة الأم النفسية وبالتالي بحالتها الجسمانية.

فردة الفعل المذكورة من قبل الإخباريات هو الزعل، والندم على ضياع بذرته، التضايق ومحاولة البحث عن علاج لزوجته، التهديد بالزواج من أخرى، وإذا تكرر السقوط لدى الزوجة يكرهها ويتزوج بالفعل من غيرها.

الشعور كذلك بالحزن والشفقة على زوجته، ويحاول أخذها إلى شيوخ الدين لعلاجها، وآخرين يقولون :-

اللي ما يغليها جسدها ما يغليهـــا ولدهـــا

وهذا قول سائد من أن المرأة لم يكن جسدها غالي عليها فأرهقت نفسها، ففقدت الجنين، وفي هذا دعوة صريحة للمرأة بأن تلتزم الراحة والهدوء وعدم إرهاق نفسها لتجنب الإجهاض ثانية.

اما الزوج فقد يصاب بالوسواس أي التفكير والإكتئاب نتيجة فقدانه للذرية بالإجهاض المتكرر لزوجته.

أما بعض الإجابات خاصة بالنسبة لجماعات البلوش أشارت مرة أخرى إلى الكشحة، حيث يبدأ الزوج بالبحث عن شعره ملتوية على الأعضاء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التناسلية فيذهب للمطوع للكي والتخلص من الكشحة المسببة للإجهاض لزوجته.

بعض الأزواج لا يعلنون عن ردود الفعل، وبعضهم يحاول إيجاد العلاج لها لأنه يحبها، ويحضر لها المحو وهو الماء المقروء فيه القرآن.

بعضهم يرى أن زوجته (نحسة) أي حظها سيء، والبعض تكون ردة فعله أسوأ بأن يعاير زوجته بالإجهاض.

فمنهم من يؤمن بقضاء الله وقدره، ومنهم من يعتقد أن الزوجة هي المسببة للإجهاض فتكون ردة الفعل لديهم سيئة جدا.

ب - أهل الزوج : يشعرون بعدم الرضا نتيجة الإجهاض وقد يطردون الزوجة إلى بيت أهلها ظنا منهم أنها هناك سترتاح وتنجب، أو يحاولون إقناع الزوج بطلاقها والزواج من غيرها. أما إذا كانت الزوجة من نفس العائلة يحاولون مواساتها وتهدئتها.

بعضهم يشعر بأن هذا أمر الله، فيشفق عليها ويشعر بالحزن بعكس من لا يكن لها وداً فيفرح بما جرى لها ويشمت وهذا دعاء يردده الشامتون:

إن شاء الله ما ينبت في بطنها ..... إن شاء الله تصبه دم.

فتتراوح ردود أفعالهم إذن بين حاقدين، ومحبين للزوجة التي تتعرض للإجهاض كثيراً.

ج - الجيران : تكون ردود فعل الجيران في أغلبها إيجابية، فيسعون لمواساة الزوجة المجهضة، والوقوف بجانبها ونصحها والإشفاق عليها، ولقد جاءت أغلب الردود على عكس أهل الزوج، إلا أن البعض أجاب بأنه يعتمد على الجيران فإذا كانوا من النوع الحسود سعوا لأهل الزوج بإقناعه بالزواج عليها، وإن كانوا طيبين وقفوا معها، وربما يعكس لنا هذا الموقف ما للجيران من أدوار في المجتمع الإماراتي سابقا، حيث كانت تتضح لهم بعض المواقف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وردود الفعل حتى في القضايا الخاصة التي ترتبط بحياة الآخرين، فبنية المجتمع تبدو بنية أسرية عائلية بعكس البنية الإجتماعية اليوم التي تبرز فيها صور الخصوصية لكل أسرة، وسرية شؤون الحياة بالنسبة لكل عضو فيها .

د - أهل الزوجة : بالضرورة ستكون ردة فعل أهل الزوجة مغايرة لردود أفعال الآخرين فكلها تعبر عن ردة الفعل المساندة للزوجة والمتعاطفة معها ومحاولة إيجاد العلاج السريع حتى (لا يستبحر بطنها) أي يصبح مثل البحر، وهذا تشبيه على قدرة البحر على إبتلاع مكوناته، وربما عكس لنا ذلك ما للبيئة البحرية من تأثير على تفكير الناس، ثم تبدو الرغبة الشديدة عند أهلها بإنجابها الأطفال.

ويأتي سؤال آخر يهدف إلى تأكيد معرفة ما إذا كان الإجهاض المتكرر قد يكون دافعا حقيقا لزواج الزوج من أخرى وما هو رأي المرأة في ذلك ؟

فتقول إحدى الإخباريات نعم الزوج يبحث عن البذرة أي الأطفال، ولكن يعتمد ذلك على عقليته وهداية الله له، فالذي الله هادية يصبر على زوجته سواء أنجبت أو لم تنجب، وآخرين يتزوجون على زوجاتهم حتى لو (الحوش به ١٥ طفلا من أولاده) بمعنى أنه لو كان في بيته ١٥ طفلاً.

أما المرأة فما عليها سوى الصبر، وليست لها آية ردة فعل آخرى، وهناك حكايات تنطوي على وفاء الزوج الذي إرتضى بزوجته العمياء، ولم يتزوج عليها، وساعدها خلال حياتها ٤٠ سنة حتى توفاه الله، فهذه هي إذن حقيقة العلاقة بين الأزواج في المرحلة التي قمنا بدراستها وهي إذا أمكن أن نطلق عليها مرحلة ما قبل عصر التحديث، ذلك المجتمع الصغير الذي سارت قصته وتاريخه على قصة المرأة فيه، وحياتها بداخله.

ولا نعتقد بأن الوضع يختلف اليوم في إقدام الزوج على الزواج من أخرى، فهو يتزوج أحيانا بدون أسباب شرعية تدفعه لذلك الزواج ، وما للمرأة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سوى الصبر وربما الآن المطالبة بالطلاق لدى البعض منهن واللاتي لا يستطعن العيش مع الضرة.

فيقال : الريال يبغيها من الله أي أنه يبحث عن أعذار، ويجدها فرصة ملائمة عندما تتعرض زوجته للإجهاض وهناك إحدى الاخباريات شهدت بأنها أجهضت عشر مرات بسبب كثرة الشغل، ولذلك قامت هي بخطبة إمرأة أخرى لزوجها فالواقع كذلك يفرض قبولا لدى المرأة للإقتناع بتكرار الزواج عليها رغم أن المبرر يمثل عبئا في حد ذاته عليها، فالمبرر كان الإجهاض عشر مرات والسبب في الإجهاض أعمال المنزل المرهقة جدا، وهذه صورة أخرى لشكل العلاقة الزوجية في مجتمع الإمارات القديم.

هناك قول آخر يستخدمه الزوج الذي يفكر في الزواج مرة أخرى فيقول الله ما حشا لها علقه ، أي الله لم يشأ لها أن تحمل ، ووصف الزوج الذي يقبل على الزواج على زوجته بابن الحرام ، أو الحمار أو الذي لا يوجد في قلبه إيمان بالله ولا صبر، وهذا يعكس العديد من صور الرفض لإقدام الزوج على مضايقة زوجته المتكررة الإجهاض، والتي تعاني من آلام نفسية لذلك فتزداد الإهانة بإقدام الزوج بالزواج من أخرى،يتضح بهذا القبول للظاهرة إلى جانب الرفض لها من أخرين يقدرون العلاقة الزواجية فالعلاقة الزواجية هنا مرآة تعكس إتجاهات المجتمع نحو الزواج.

فالكثيرين أكدوا أن قضية تكرار زواج الرجل لا يعود إلى تكرار الإجهاض لدى زوجته بقدر ما هي رغبة لديه، وعدم إيمان وصبر.

لاحظنا تكرار القصص التي تروي عن محاولة لعلاج إمرأة متكررة الإجهاض رغم تحدثنا سابقا عن طرق العلاج، ولكن يبدو أن هناك تكرار يحدث لدى الإخباريات بهدف تأكيد بعض الإجابات خاصة التي تعبر عن المعتقدات الراسخة جدا لدى الناس.

فإستخدام الكي (الوسم) لحرق الكشحة أي الشعرة الملتوية لدى المرأة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المجهضة، أو إبنها السابق الذي عاش دون إخوته فيظن أنه المسبب لموت إخوته أو لدى الرجل ويتم البحث عن هذه الشعرة حتى على (عورته) لما هناك من إقتناع تام بهذه الفكرة، والجدير بالذكر أن التي تقوم بالكي هي إمرأة (دانية) الأصل، أي يذهب بالطفل إليها لتوسمه عند الشعرة الملتوية، وقصد بدانية الأصل أي التي لا تنتمي إلى قبيلة عربية.

وهنا سؤال يطرح نفسه لماذا (دانية الأصل) هي التي تقوم بحرق الشعرة الملتوية؟ وما هو الإرتباط بمعنى دانية الأصل وحرق هذه الشعرة التي تمثل المضرة أو السحر؟

وعموما نصل إلى إستنتاجات مفادها أن الزوج يقدم على تكرار الزواج بسبب أو بدون سبب، وتقدم للمرأة الأولى أو الزوجة المتكررة الإجهاض القليل أو الكثير من المال إرضاءا لها ومبررا لتقبل بالزواج عليها، وتسمى (خرجية) أو (رضوه) ورغم بعض الإجابات التي ترى أن المرأة لا يحرقها إلا زوجها ؟ ولكن ماذا تعمل؟ ليس بيدها حيله.

إذن فرغم كل أشكال المحاولات لتقبل المرأة بالزواج عليها إلا أنها تظل تحترق، وتتألم وتقبل بالرضوة ولكن ليس بالفكرة، وقد تحاول منعه بالقيام بزيارةالمتخصصين في عمل (الأعمال) التي تسمى (الصرف) لكي لا يتزوج عليها أو تسمى (الطبوب) وسمى الصرف حتى يصرف الزوج عن الزواج.

ونعود مرة أخرى للتعرف على المشاعر الحقيقية للزوج تجاه إجهاض زوجته والكلمات التي يستخدمها في هذا المجال.

فوجدنا أن بعض الأزواج ومن واقع إيمانهم بالقضاء والقدر يعتبرون إجهاض الزوجة فداء لها (فدوة عن راسك)

والبعض يطلب من زوجاتهم (المداراة ورعاية نفسها).

والبعض يؤمن بأن الله (سيعوضه خيرا).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والبعض يقول (اللي ما يغليها جسدها ما يغليها ولدها).

ويقال أيضا : إن حب الزوج يتغير لمجرد زواجه بأخرى.

(من تتغير المخدة تغير المودة).

(والقلب ما ينقسم قسمين).

ويقال : (يالمقرود يالمسكين ياماخذ نسوان إثنين معذب إناس إصيامه، مسلوبه عنه الراحه).

وهذا رثاء لمن يتزوج إمرأتين، ويمثل موقفاً جديداً ضد فكرة الزواج من إمرأتين.

وهكذا تختلف ردود الأفعال تجاه الإجهاض من جميع من يحيط بالمرأة، وبخاصة الزوج، الإنسان ذو الشأن الأول بالإجهاض المؤثر والمتأثر به.

وعند السؤال حول المعايرة التي تقال للمرأة التي يتكرر إجهاضها؟

وجدنا ثنائية الإجابات كما تكرر ذلك في ردود الإخباريات خلال أغلب فصول هذه الدراسة. فالبعض رفض إستخدام أية كلمات لمعايرة الزوجة التي يتكرر لديها الإجهاض، ويبرر ذلك بإرادة الله ، والبعض قال المعايرة للعقيمة.

البعض ركز على المواساة لهذه الزوجة.

وهناك من تأثر وقال بأن بعض الأهالي يقولون للزوجة المجهضة أنت ما فيك خير ونحن لو نطعم بقرة لحملت وأنجبت، وهذه صورة ذهنية متدنية نحو المرأة ولكنها توجد في المجتمع، بندرة ومحدودية، كما وجدنا أيضا أن الإجابات السابقة التي وضحت ردود الأفعال الخاصة بالزوج تحمل مواقف لا تحسد عليها المرأة فوجدنا واحدة من الإخباريات قالت أن المرأة نعال في رجل زوجها والتعبير كان كما يلي :-

المرأة عند الرجل «كوش في رييل» أي مثل الحذاء في رجل الرجل، إذا صلح كان بها وإذا بلى إستبدله بآخر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهكذا تبرز لنا صورة مشوهة للعلاقة بين الرجل والمرأة ربما توجد أحيانا بين بعض الثقافات دون غيرها وكما نؤكد ندرة هذه الصور والأشكال الغريبة والشاذة وغير المنطقية، إلا أننا نؤكد وجودها بنسبة محدودة لدى بعض أفراد المجتمع، وكثيرا ما نسمع هذا القول مثلا : المرأة كالنعال أو الحذاء في رجل الزوج لدى بعض المثقفين، وللأسف وإن قالوها بتعبير آخر المرأة كالسيجارة تدوسها بقدمك بعد الإنتهاء من تدخينها. بل لقد وجدنا هذا الرأي لدى بعض رؤساء الإتحادات والجمعيات الثقافية بالدولة، والبحث حول هذه الرؤية المتدنية للمرأة في مجتمعنا بحاجة الى الغوص عميقا في مدخلات الثقافة المحلية، والآثار التي تركتها الثقافات الأخرى عليها.

ولكن في مقابل تلك الرؤي الشاذة والغريبة نلاحظ رؤى وصوراً أخرى إيجابية، فمثلا وجدنا عند سؤالنا عن المعايرة التي توجه إلى المرأة المجهضة الرفض التام لمعايرة إنسانة لا تمتلك القدرة على تغيير ظروفها فيقال مثلا :

لا بالفقر عار ولا بالموت شماته، وفي هذا مؤشر على أخلاق متميزة وعالية.

ولكن البعض يرى أن هذه المرأة نحسة وقبيحة وتشبه بالعاقر أو بالكلبة التي ترمى أولادها بعد الولادة وهنا تتجلى صورة متدنية أخرى تحتاج إلى تحليل، وإخبارية أخرى قالت أن هناك أغنية تردد عند تكرار الإجهاض وهي :

شروا طقاق الصينية إنت ركبات فوقاني .

أي إنت مثل الذي تأكل الأرز وليس من ورائه فائدة سوى دق الصينية وهي الوعاء الذي يغرف به الأرز، ثم نجد كذلك من يلعنها كما يلعن إبليس.

وبعد هذا الرصد لردود الفعل الإجتماعية ومختلف الإتجاهات والممارسات الشعبية تجاه المرأة التي تتعرض للإجهاض (سلبا وإيجابا) رأينا أن نبحث عن نفسية المرأة ذاتها وأين هي من كل هذه التداعيات المجتمعية أو ردود أفعال الآخرين فوجهنا سؤالاً لمعرفة الآثار النفسية للإجهاض على المرأة؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ووجدنا الجميع من الراويات يؤكدن أنها تمر بأسوأ الظروف، وتتعرض لأسوأ الحالات النفسية من ألم وضيق وضعف وحزن، وعدم الإرتياح والزعل ، وتمرض وتنزف، وتشعر بالغصة والقهر، والكدر، وتشعر بالجرح العميق خاصة من زوجها وتظل "سرحانه" ومضيعه أي لا تحس بأحد وقد يكون ذلك أسوأ أعراض الإكتئاب ويقال (أفوادها يتم يعورها) أي وجع القلب.

وتطلب من الزوج إعادتها إلى أسرتها وتضرب لنفسها المثل التالي:-

«زنجبيل بترابه يوم ما تباه رده على أصحابه».

أي أنها مثل الزنجبيل في أرض الزوج، إذا لا يريدها فليعيدها إلى أهلها لأنها لا تمتلك القدرة على الإنجاب، وقد يكون في القول نوع من التحدي لكل ما يمكن أن تعيشه في ظل مجتمع لا يتقبل من لم تنجح في إنجاب الأطفال.

فيحيط بالمرأة إذن أسوأ أنواع المشاعر وخاصة شعورها بخسارة حملها، وتعبها، وتشعركأنها ظمآنة إلى الماء، مما يعكس الرغبة الشديدة للإنجاب، كما - ذكرنا سابقا أن الإنجاب والذرية للمرأة هو الغطاء الإجتماعي الذي تجد بداخله نفسها وأنوثتها وأمومتها فلا حقوق أخرى تمتلكها، فكيف تخسر حق الإنجاب كذلك؟

وأردناأن نختم هذا المحور بتذكر بعض الحالات التي تعرضت للإجهاض الإجباري لآية أسباب سواء أكانت إقتصادية أو إجتماعية، ومن الملاحظة الأولى على الإجابات التي قدمت من خلال الراويات نرى هناك رفضاً قاطعاً لعملية الإجهاض الإجباري لآية أسباب إقتصادية، ولكن فقط هناك أسباب إجتماعية كأن يكون الحمل غير شرعي، أو الحمل يسبب مرضا للأم نفسها.

ففي هاتين الحالتين تسعى الحامل لإسقاط جنينها خوفا من المجتمع والفضيحة، غالبا ما تفشل في إسقاطه حيث يقال أن الحمل غير الشرعي يكون الجنين فيه متمسكا ببطن أمه كالمسمار وهذا تشبيه إستخدمته إحدى الإخباريات.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهناك بعض النساء كثيرات الأطفال ويفاجأن بحمل جديد يحاولن إسقاطه بحمل الأثقال بقصد الإجهاض وربما يحدث السقوط، أو لا يحدث ، وأحيانا يحدث الإجهاض نتيجة الضرب المبرح من الزوج لزوجته، ولكن لا يكون قاصدا بالفعل إسقاطها، وربما يكشف لنا هذا عن بعض أوجه العلاقات المشوهة بين الأزواج - والتي سبقت الإشارة إليها.

إنما رفضت أغلب الراويات أن يكون للإجهاض أسباب مرتبطة بالغنى أو بالفقر أو بالظروف الإقتصادية عموما، أي الخوف من عدم القدرة على الانفاق على الأطفال وتربيتهم لم يكن في حسبان أحد أقدم على الإجهاض.

أما من ذكرن من الراويات عن حمل السفاح أو الحمل غير الشرعي فقد ذكرن كذلك أن هؤلاء طريقهن إلى جهنم وهنا يبرز الوعي الديني الحقيقي أمام بعض الظواهر الإجتماعية.

وإستخدمت كلمة "مخربة" والمقصود بها تلك التي تحمل حملا غير شرعي تعتبر مخربة، أي سلكت سلوك الخراب وهذا يعكس إتجاها سالبا نحو ذلك الحمل.

عكست لنا المادة الإثنوجرافية كذلك أن هناك بعض النساء ممن لا يرغبن في إستمرار العلاقة بالزواج فيلجأن إلى إسقاط الجنين بإستخدام بعض المواد الشديدة الحرارة، أو مرة الطعم، فمثلا يوضع على بطنها حجر ساخن، الرحى مثلا، أو شرب الكبريت ونبات الغضف، أو أن تدوسها إمرأة أخرى ثقيلة أو شرب الترياق، وبذر الحز معصور وتشربه المرأة كل صباح ولكنها تفشل في إسقاط الجنين.

كذلك إذا أجبرت المرأة على الزواج الإجباري تحاول إسقاط حملها، خاصة إذا تلا ذلك الزواج معاملة سيئة من الزوج.

من أساليب ومحاولات إجهاض الجنين يقوم الأهل بكي المرأة في رأسها، ولا يكون ذلك إلا بعد إستشارة الزوج، ويكون الوسم أو الكي على شكل (بكرة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتعـوذ)، (اي +) ويلجـا الاهل إلى هذا الاسلوب في حـالـة مـا إذا كـانت المراة الحامل مريضة ومعرضة للموت نتيجة الحمل. او يحدث العكس إذا وجد اهل الزوجة ان زوجـها لايحبها ولا يريدها فيحاولون إسقاط الجنين عنها ، وقد يحدث الإجهاض لاسباب التفاوت في المستوى الإقتصادي ، أي إذا إكتشف الاهل أن إبنتـهم تزوجت من رجل فـقـيـر مـثل (البـيـدار) أي المزارع وهم ناس اغنياء فيرغمونها على الإجـهـاض الإجباري مقدمة للطلاق منه، والعديد من الإتجاهات والآراء يعكسها لنا هذا المحور مما إحتوى عليه من أسئلة تصب جـمـيـعـها في الكشف عن العلاقات الإنسانية بين أفراد المجتمع، والعلاقات الزواجية، وكذلك الكشف عن بنية المجتمع بأبعادها الإجتماعية والإقتصادية والثقافية.

ولا يفـوتنا أن نقـول أن المحـور كـذلك إحـتـوى على العـديد من المـمـارسات الشـعـبـيـة، والمعـتـقـدات، والأمـثـال والحكايات والأقـوال الدارجـة، والمادة الإثنولـوجـيـة المتـعـددة الإتجـاهات والمحـتـوى الإجـتـمـاعي ونخلص إلى هذا التـلاحم بين مـا تقدمه هذه الدراسة من تراث شعبي وبناء إجـتـمـاعي وثقافة شعبية متعددة الأصول والمؤثرات.

ولقـد برز هذا التـلاحم الفكري بين هـذه العلوم وخـاصـة الإنثـروبولوجـيـا وعلم الإجتماع وبعض السير الذاتية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الخامس عشر

الـخـتـان

Circumcision

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الختـــان:[1]

«الطهارة» و «الطهور» إحدى المترادفات العربية الشائعة لكلمة الختان، ولا يبدو هناك غرابة في ذلك حيث أن الختان في الواقع ليس سوى عملية تطهير للزايد من الجلد للاعضاء التناسلية للذكر والأنثى.. وهي سنة عن النبي عليه الصلاة والسلام.

وما يعنينا هنا في هذا الفصل هو عرض العادات والتقاليد المتصلة بعملية الختان في مجتمع الإمارات العربية المتحدة في مرحلة الميلاد .. والتحليل الإجتماعي لها.

إن مناسبة ختان الأبناء كانت تمثل فرحة للأب والأم .. بل للأهل جميعا وخاصة عندما كانت المناسبة هي ختان الولد التي تميزت كثيرا واحتفل بها بخلاف مناسبة ختان البنت.

وكانت فرحة الأب تتميز بخصوصية تنبع من شعوره أنه يحضر ختان إبنه كأول فرحة به، ولكنه لا يدري إن كان العمر سيمتد به ليرى حفل زواج إبنه أم لا؟

والأسئلة هي: - صف الإحتفال بختان الذكر والإحتفال بختان الأنثى؟

- أذكر الأمثال والأغاني الشعبية لهذه المناسبة؟

- متى يتم ختان الطفل الذكر ومتى يتم ختان الأنثى؟

- صف عملية الختان كيف تتم للذكر وتتم للأنثى؟

- من يقوم بالختان؟ كيف تتم العملية ؟ وما هي الأدوات المستخدمة ؟

- ما هي طرق التصرف في مخلفات الختان؟

- هل يتم الختان بشكل فردي أم جماعي ؟

- كم يدفع للمختنة أو للمختن مقابل إجراء عملية الختان؟

- هل يحضر الأب ختان إبنه ؟

- هل يحضر الأب ختان إبنته ؟

- ما هي الهدايا التي تقدم للطفل أو الطفلة بعد الختان؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لذلك كانوا يحتفلون في الماضي بختان الولد ولم يحتفلوا بختان البنت التي كانت تحاط بالسرية إلى درجة إخفائها حتى عن الأب في بعض الأحيان بإعتبار ذلك مدعاة للخجل.

ولم يكن العرب يحيطون هذه المناسبة بمظاهر إحتفال كبيرة بل كان في العادة يتم بشكل بسيط يقوم أساسا على إطعام الطعام المكون من العيش واللحم والهريس والعصيدة أو صنف أو صنفين منهما وتوزيعه على الأهل والجيران.

وبعض الأسر ذات القدرة المادية والمكانة الإجتماعية كانت تبالغ في الإحتفال بمناسبة ختان الولد بما يقرب من إحتفال العرس.فيذبحون الذبائح ويطبخون أصناف الطعام التقليدية لهذه المناسبة ويقيمون "العزائم" للأهل والجيران والفرق المشاركة في الإحتفال الذي تدق فيه الطبول وتقام فيه الرقصات الشعبية كالعارضة مثلا أو العيالة أواللیوة وفي الغالب كان "المالد" هو السائد (وسوف نشير إليه في الجزء الخاص بالأغاني الشعبية الخاصة بهذه المناسبة لاحقا).

لكن الإحتفال العادي كان من الممكن أن يقتصر على الفطور الذي يحضره والد الطفل المختون والأخوال والأهل والجيران.. أوالغداء أو العشاء في يوم الختان .. وفي أحيان أخرى وحسب المقدرة المادية يستمر يومين أو ثلاثة أيام لعامة الناس وأسبوعاً لأبناء الشيوخ.

غير أن جماعات البداه أى جماعات البدو كانوا يحتفلون بختان الولد أكثر من إحتفالهم بزواجه ٠٠ فيذبحون الذبائح ، ويسير الأب وسط الأهل حاملا صينية الخبز على رأسه والطفل المحتفى به على كتفه ويدقون الطبول ويغنون للطفل٠ هذا عن كيفية الإحتفال بشكل عام بختان الولد٠

أما فى الحالات القليلة التى كان يحتفى فيها بختان البنت فكانت المناسبة تقتصر على ذبح ديك للبنت وتعد «العصيدة»[1] كطعام يقدم للنساء

١- العصيدة : وجبة شعبية معروفة مكونة من الطحين والزعفران والسمن البلدي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من الأهل والجيران المقربين ممن أعلموا بالخبر.

وفى حالة الختان الجماعي للذكور - وهى العادة التى كانت شائعة فى ذلك الوقت - كان الأهالي يشتركون فى إحضار الذبائح حيث تذبح فى كل يوم ذبيحة فى بيت أحد المختونين.

ومن أشكال الإحتفالات المميزة لختان الذكر والتى كانت تستمر أسبوعا وتسمى «الميدان» كان الطفل المختون يعتلى ظهر الناقة وسط الناس فى اليوم السابق على يوم الختان ويتوجه إلى «الثقبة» أى بئر الماء ، للحلاقة والإستحمام وهناك يقوم الأهل والجيران بنثر «النثور» من نقود وحلوى على رأس الطفل وتعتبر هدية له أو «نقوطا» وهو يعكس نوعا من المشاركة الوجدانية والمادية الإجتماعية فى هذه المناسبة. وكان مايتلقاه الطفل المختون من نثور أو هدايا يعتبر دينا يتم رده إلى من جاملوه فى مناسباتهم المماثلة.

وبعد أن يتلقى الطفل الهدايا بهذه المناسبة كان يعود إلى بيته وهو فى حضن إحدى النساءعلى الناقة والنساء يغنين له قصائد تردد فى هذه المناسبة تسمى (نانا)[1] حتى يصل إلى بيت أهله فى المساء وسط زفة كبرى حيث كانت عملية ختان الذكور تتم عادة فى السادسة صباحا فى يوم جمعة كيوم مبارك ، أو فى يوم إثنين كسنة حيث يذكر أن ختان النبى عليه السلام كان فى يوم الإثنين.

وعندما كانت تعلو أصوات البنادق بضرب «التفك» فى صباح اليوم التالي كان ذلك بمثابة إعلان عن إتمام إجراءات عملية ختان الولد.

وتشير الإجابات إلى أن «المختِن» وهو الشخص الذى يجرى عمليه الختان كان يحضر فى ذلك الصباح وهو يردد :

هـوى هـوى ياكريـم برز هـوى يا المختـون

١- أغانى «النانا» .. سنشير إليها فى الجزء الخاص باغانى الختان لاحقا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإذا كان الختان جماعيا فإن المخِتن كان يبدأ بختان الموجودين من أبناء الشيوخ أولا ثم أصدقائهم وزملائهم مع من يرغب فى ختان أبنائه مع أبناء الشيخ الذى كان فى العادة يتحمل نفقات الإحتفال بما فيها من مكافأت للفرق المشاركة ثم يأتى المهنئون لتقديم التهاني لآباء المختانين.

وبشكل عام ـ فإ ن إحتفالات الختان كانت تختلف من أسرة الى أخرى بحسب القدرة الإقتصادية والمكانة الإجتماعية ، والأصول العرقية.

- حيث كانت احتفالات العرب أبسط من إحتفالات العجم والبلوش.

- واحتفالات أبناء الشيوخ أكثر وأفخر من إحتفالات عامة الناس.

- ومن العادات المرعية فى مناسبة الختان كان يراعى عدم دخول رجل به نجاسة٠٠٠ أو إمرأة فى فترة الدورة على المختَن وكذلك المرأة التى ترتدى ملابس حمراء وتبرير ذلك فى الحالتين الأولى والثانية أن النجاسة عكس الطهارة وفى الحالة الثالثة خوفا من أن يصيب اللون الأحمر الطفل بنزيف.

وفى نصوص روايات الإخباريات عن أشكال الإحتفالات بهذه المناسبة مايزيد هذه الصورة العامة وضوحا وهذه بعض المعتقدات المرتبطة بعملية الختان فى مجتمع الإمارات إذ يرى الناس أن تتسم المناسبة بالطهارة التامة ولايدخل أى شخص نجس فى بيت الأطفال المختونين.

الأب ـ هل يحضر ختان إبنه وإبنته ؟

- كان الأب فى معظم الأحوال يحضر ختان إبنه إتباعا للعرف ٠

-وكذلك لمساعدة المختن فى إجراء العملية ويدفع له الأجر بعدها ٠

- وليبعث الطمأنينة فى نفس ولده ٠

- ولأنه هو الذى يتلقى التهنئة بعدالعملية ٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- زيادة على ذلك فقد كان حرص الأب على حضور العملية ينبع من شعوره بالفرح لمشاهدة عملية خاصة برجولة إبنه التى لايتفوق عليها سوى الزواج وهو لايدرى أن عمره سيمتد ليشهد زواج إبنه أم لا ، خصوصا إذا كان كبيرا فى السن.

- لم يكن يمنع الأب عن حضور ختان إبنه - فى النادر - إلا إذا كان لايقوى على تحمل ألم إبنه من الجرح.

- كما كان الخال فى العادة والأخ يحضران أيضا إلى جانب الأب.

- ولكن الثابت من ناحية آخرى أن الأب لم يكن يحضر إطلاقا ختان إبنته وقد لايعلم عن ذلك إلا بعد إجراء العملية حيث كان ذلك مدعاه لخجل البنات كما كان يعتبره العرب «عيبا».

الأمثال والأغاني الشعبية لمناسبة الختان:-

فى النصوص المنشورة لاحقا على لسان الرواة نماذج مختلفة مما تحفظ ذاكرتهم ، لكننا هنا سنكتفى بعرض أمثلة مختلفة لأغنياتهم بهدف تكوين الصورة العامة ، ومن خلال النصوص تخرج بعض النتائج أو الدلالات.

أقوال وأمثلة شعبية :

- «يوم شاب ختنوه».

وهو مثل يعكس إستعجال مراحل نمو الطفل حتى يشيب كما يعكس فى الوقت نفسه روح الدعابه بتشبيه الطفل المختون بالشيبة ، وهو بعد مايزال صغيرا.

«مبروك بختانك وإن شاء الله لزواجك»

قول فى شكل دعاء يقال للمختون بعد ختانه بطلب البركة من الله له وإمتداد عمره حتى يتزوج بإعتبار أن الزواج هو محطة الفرح التالية.

«طالع فوق يامختون»

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هو أيضا قول شائع ينطوى على دعاء له بالنمو والكبر.

«الحمد لله الذى طهرنا»

وهو قول يردد ه الأهل للمختون يعكس شكرهم لله كما يعكس أن الختان عندهم يعنى الطهور والطهارة.

«بإسم الله والصلاة على النبى»

قول طلب البركة للطفل بذكر إسم الله عليه والصلاة على النبى ونفس المعنى يتضمن القول (ماشاء الله - الصلاة على النبى - الله يبارك - ماشاء الله مبروكين بفلان).

ومن الأغانى الشعبية الشائعة فى هذه المناسبة «المالد» أى المولد والمقصود به مولد النبى عليه الصلاة والسلام يقول مطلعه :

يا نبـــى سلام عليـك يارسول سلام عليك يامحمد

وإستخدام «المالد» فى هذه المناسبة يعكس إرتباط عملية الطهارة لديهم بالمعنى الدينى ولكونهم يؤدون سنة عن نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم.

- «الـــلال»

يقول مطلعها: لال .... يالال ....

ساير يمون عنك ولاعندي عطر وكفن.

لاعم ولاخـــال حضرلى عند الطارقة.

ساير بغنـي وبازيـــد الطـوارفى.

لاعم ولا خال حضر لى عند الطارقة.

لا ... يالال ...

وهى تعكس نوعامن المناجاة للأعمام والأخوال ووصف حال النفس عند الإحساس بحاجة الإنســان إلى وجود أهله بجانبه فى الملمات كما

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تعكس مكانة الخال والعم التى تقترب كثيرا من مكانة الآب (وهذه الأغنية يغنيها أهل صور)

- العـــزوة :

تقول بعض أبياتهـا :

«سميت بإسم اللـه الرفيع وفرض على عبـده وسيع

والعمر له حصن منيـــــع لو ألف صمعة مشابكـات

وهى أغنية تتحدث عن الشجاعة والبسالة التى لاتخشي الموت ٠٠ وتستعير تشبيهات الشجاعة من البيئة حيث الليث والصقور٠

وتقول بعض كلمات عزوة أخرى :

بالرفض بالرفض ياغزالـه عن تطيحى شبك اليهـــودى

اليهودى حبالـه قويـــة مخلف الإيمـان والعهـــودى

وهى تعكس ما إستقر فى الوجدان الشعبي منذ القدم عن مكر اليهود وخداعهم وعدم وفائهم بالعهد.

«النـــانا»:

كانت النساء يرددنها فى زفة عودة الطفل من بئر المياة (الثقبة) بعد الحلاقة والإستحمام فى ليلة ختانـه٠

يقول مطلعها :

«نـــانـــا بالمختيـــن ياأم لمختـــين إكرمينـــا

وحطى فى الصحن خوخ وتينا و رمان مفتك باليمينا»

وهى كما تبدو كلمات بسيطة تدعو أم الطفل المختون إلى الكرم فى الوليمة التى ستعدها لهم أو فى الأطباق التى ستوزعها عليهم ويرجون أن تحتوى على الخوخ والتين والرقاق.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«الـــــدراف» : تقول:

درفـــوه درفـــوه فى حيـــاى مـكـــــة

ويوم جيتوا وزرتوا ياعرب ويش لهاكم

ســـــيـــل وسميـــــل سقاكـــــــــم

وأسقاكـــــــــــــم وأرواكـــــــم

وأسقا غريـــــــــب حذاكـــــــم

ودرفـــوه بالمختنيـــــــــــــــــن

وهى نوع من الربط بين مناسبة ختان الطفل،

والمعنى الدينى بقصة سيدنا إسماعيل والبئر التى تفجرت تحت قدميه (زمزم)

وهذه فقط بعض أمثلة عما كان يغنى أو يقال فى مناسبة الختان، ومع ذلك فإن العديد من الإجابات قد أفاد بأن هذه المناسبة لم يكن لها عند العرب الأوائل أغانى أو أمثال خاصة وأشاروا إلى أن ماكان يغنى فى تلك المناسبة كانت هى أغاني («العارضة» المعروفة «أو المغلاية» أو «الليوه» أو «المالد») وهى أغاني رزفات تعبر عن الفرح بشكل عام وتقام فى المناسبات ولكنها ليست خاصة بالختان،

ولكن من الخاص بالختان ماكانوا يقولونه للمختـــون :

طالـــــع فـــــــوق يامختـــــــــون

طالـــــع فـــــــوق يامختـــــــــون

ختنـــــاه الوليـــــد ،،، ختنـــــــــــاه

ختنـــــاه الوليـــــد ،،، ختنـــــــــــاه

ختنـــــــــــاه ،،، صفـقـوا لـــــه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويالمختون إمختين ... سروبك الليل .. سروا بنياليك بأيام أبويه... وأحليلك يالمختون .. ومشينا لك سبع سنين يالمختون ... مشينا الدرب ليك سبع سنين ... وفرشنا لك على الياسمين ... وفوق الفرش ليك بنت حسينة.

وهى تعكس أن الأهل ظلوا سبع سنوات يربون طفلهم ويهيئون أمامه الطريق إلى أن أصبح عمره سبع سنوات وهو مايعنى أنه كبر وحان أوان ختانه إستعداداً للفرحة بزواجه من بنت حلوة «حسينه».

«الـــــدان»:

كما كانت هناك أغنية «الدان» التى مطلعها «يو دان دان ...».

وعموما عرف العرب فى هذه المناسبة الرزيق - بينما عرف البلوش «اللووة» وهى نوع من الغناء خاص بهم.

سن الختان:

أفادت معظم الإجابات بأنه لم يكن هناك سن محدد لإجراء عملية الختان للأولاد وإن كان الغالب والأكثر شيوعا هو سن السابعة.. ولكنه كان يتراوح بين ثلاث الى سبع سنوات فى العادة وفى بعض الإستثناءات كان يتأخر لكن ليس الى سن ١٤ سنة ولا يتقدم على الثلاث سنوات الأولى من عمره.

- كانوا يقومون بإجراء الختان فى الصباح الباكر من يوم الجمعة أو يوم الإثنين.
- كانوا يفضلون وقت الشتاء حتى يكون أهون على الطفل من الصيف حيث أن الجو البارد لايساعد على النزيف.
- كانت العادة أن يكون ختان البنات فى سن أصغر من سن الأولاد.
- كانوا يفضلون سن السابعة حتى يستطيع الطفل تحمل الألم ويستطيع السهر فى الليل عند الإحتفال به.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كيفية الختان:

بالنسبة لعملية ختان الولد فقد كان يقدم للطفل الروب والخبز فى الصباح ويجلسونه على كرسى أو «منحار» وهو الهاون الخشبى الذى كانوا يدقون فيه البهارات٠٠ وكان الوالد أو الخال يقوم بتعمية عينيه والآخر يمسك بيديه وثالث يساعد بفتح رجليه وإمساكها ثم يقوم المختن بإجراء العملية. أو كان يكتفى بإمساك ذراعيه ورجليه وهو جالس ثم يباغته المختن عن طريق مشاغله الطفل بالنظر لأعلى ثم يقوم بسرعة بعمل الختان٠ وذلك بأن يقوم المختن بوضع (المرصة) لدفع القضيب إلى الخلف بينما يدخل المرود ليمتد عليه الجلد إلى الأمام ثم يحدد قياس مسافة الجلد التى سيتم قطعها برباط من الخيط٠٠ ثم يقوم بواسطة موسى ناعمة بقطع «الغلفوطة» وهى الجزء الزائد من الجلد.

ثم علاج الجرح والنزف الناتج عن الجرح بوضع قطنة مبللة بالأدوية وأنواع أخرى من الدواء لتجفيف وعلاج الجرح وربطه لثلاثة أيام يشفى بعدها.

أما بالنسبة لعملية ختان البنت فقد كانت البنت تنام على ظهرها ويفتحون رجليها ويمسكونها ـ فتقوم أحدى النساء بإمساكها من صدرها حتى لاتتحرك وتقوم أخرى بإمساك رجليها ٠٠ ثم تجرى المختنة عملية الختان، وذلك بأن تمسك بيدها «البظر» وهو الجلد الزائد وتقطع الجزء الكبير منه، أو تقطعه كله.

ثم تمسك بجلد الشفرتين وتقطع٠٠ أى انها كانت تقوم بما تشبه التنظيف من الزوائد الجلدية٠٠ ثم تضع مواد العلاج للتجفيف وخلال يوم أو يومين تتحرك بشكل عادى.

وكان الثابت والمعروف أن عملية ختان البنت كانت أسهل بكثير من عمليه ختان الولد٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفى الحالتين لم يكن هناك أدوية تخدير (بنج) كما هو شائع حاليا إلا فى أحوال نادرة.

ولقد كان «المختن» هو الذى يقوم بعملية ختان الذكر وهو رجل متخصص فى ذلك وله تجربة وشهرة وكان «المحسن» أى الحلاق يقوم بعملية التختين حيث لم يكن عدد المختنين كبيرا وعادة ماكان المختن يأتى من أماكن بعيدة كما كانت «المختنة» هى التى تقوم بختان الأنثى.

الأدوية المستخدمة فى علاج الختان :

- الملح - القرط لتجفيف الجرح.
- والأيدين (الميكروكروم) لتطهير الجرح.
- ماء البحر للإغتسال وتتبيل آثار الجرح.
- باب السلام لتطهير الجرح عقب الختان مباشرة.

وكانت هذه المادة ترش على الجرح وهى نوع معين يسخن ويذر أو يداب فى الماء.

- حل بريك وهو زيت فرامل السيارات لتليين الجرح.
- حل الدم وهو دواء تبلل به قطنة تربط على القضيب.
- الياس - الجاز - والورش الأصفر - دهن العود.

دواء من مادة بيضاء تشبه الطحين توجد على خوص النخيل تشفى الجروح.

- مرهم الصدو وهو مكون من المر والخيل ودهن الطيب.
- مادة حمراء من قلب النخل.

- وبالنسبة لعلاج ختان البنات بالإضافة إلى الأدوية التقليدية المشار إليها كان يرش على الجرح مخلوط «الياس» و «السكر» و «بول طفل صغير» بعد العملية مباشرة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- فى أحوال تورم جرح الولد كانوا يلجأون للعلاج بكمادات الرمل الدافىء أو حفرة النار وهى بتعريض منطقة الختان للحرارة المنبعثة من إحتراق مخلفات الماشية فى حفرة صغيرة .

- وبالنسبة للبنت كان قطع البظر شبه كامل بعكس مايحدث حاليا من الإكتفاء بقطع طرف البظر.

- بالنسبة للبنت التى كان يلاحظ عليها علامات القوة والرجولة .. كانوا يعمدون إلى حك أنفها بعد إنتهاء الختان ببقايا اللحم المقطوع كنوع من تقليل إحساسها بقوتها.

- كان الإستحمام فى مياه البحر بعد ثلاثة أيام تقريبا تقليدا متبعا للطهارة والعلاج بما يعنى نهاية العلاج وتمام الشفاء .

- كان الأهل يراعون بعد ختان الطفل وحتى شفائه تقريبا ألا يسقونه من الماء مايزيد على فنجان واحد حتى لايكون قابلا للنزيف.

- كان الأهل بعد الختان يجمعون المخاتين فى مكان واحد إذا كان الختان قد تم بشكل جماعى.

- كان الأهل يراعون وضع حواجز بين رجليه تمنع حركة رجليه حتى لايلمس الجرح أو يدميه.

- كانت عملية الختان تجرى عادة بين الأدعية وذكر إسم الله والصلاة والسلام على النبى.

الأدوات المستخدمة فى الختان:

كان «المختن» يستخدم فى ختان الذكر.

- الموسى الناعمة.

- المرود.

- المرصة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- مواد العلاج السابق الإشارة إليها .

- المقاصة .. أى الحقيبة التى كان يحمل فيها أدواته .بينما كانت «المختنة» لاتستخدم سوى :

- الموسى.

- أدوية العلاج.

- وكانوا فى العادة يضعون فى أنف المختونة أو فى رقبتها «الخيلة» حتى لاتشم الروائح الأخرى كما تدهن أيديها وأرجلها «بالنيلة» وهى مادة لها رائحة كريهة إعتقادا بأن ذلك يطرد الجن ويمنع الأذى.

- أما بالنسبة للطفل فكان الخيل يربط فى يده بقماشة سوداء .

- كما كانوا فى أحيان أخرى يعطرون بطيب «دهن العود» وهى عطر ذو رائحة طيبة.

مخلفات الختان:

وكان يتم التخلص من مخلفات الختان بشكل عادى فلم يصل إلينا مايفيد أنه كان يتم ا لتصرف بها بشكل معين فكانت تلقى بعيدا فى الرمل أو تدفن فى الرمل بعيدا عن الأطفال أو تلقى مع القمامة أو فى البحر.

الختان الفردي والجماعي:-

الختان الجماعى كان أكثر شيوعا من الختان الفردى حسبما أفادت الإخباريات ..

لكن الختان الجماعى لا يعنى إجراء العملية للطفل أمام الجميع ... ولكنه تعبير يشير إلى أن أطفال الفريج أو الحى كانوا يجمعون فى مكان واحد وليكن فى أكثر البيوت إتساعا ثم يدعون إلى غرفة أخرى فردا فردا لإجراء العملية وربما دون علمهم حتى لايخافوا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتجرى العمليـــة فرديا حتى لايخاف الآخرون.

كما كانوا يبقون عادة فى نفس المكان الذى يجمعهم بعد الختان لثلاثة أيام يتناوب فيه أهاليهم على تقديم الطعام والحلوى لهم ، ثم ينتقل كل إلى بيته.

وكان البيت الذى يجمعهم فى الغالب هو بيت أحد الشيوخ إذا كان إبنه بينهم أو بيت أهل أحد المختنين الميسورين.

وبالنسبة للبنـــات:

كان الختان يتم فى العادة بشكل غير معلن جماعى أحيانا وأحيانا أخرى بمرور المختنه عليهن فرادى فى بيوتهن.

وفى الختان الجماعى كان يتم جمع البنات الصغيرات فى منزل واحد ويتم ختانهن ثم تنقل الفتيات إلى منازلهن خلال يوم أو يومين بعد الشفاء.

وكانت العادة الشائعة هى الختان الجماعى لعدة أسباب منها:

قلة المختنين فى المكان الواحد... فقد كان عددهم قليلا وكانوا يأتون أحيانا من مكان بعيد بشكل مفاجىء مما يشكل فرصة لمن يريد ختان إبنه أو إبنته.

إذا كان هناك إبن شيخ سيجرى تختينه فقد كان هذا نوعا من المباهاة الإجتماعية أن يجرى الناس ختان أبنائهم مع إبن الشيخ.

كان الختان الجماعى يمثل نوعا من التكافل الإجتماعى حيث كان الغنى يتكفل بأجر وطعام وإحتفالات الختان خاصة إذا كان شيخا.

مايدفع للمخِتن أو المختِنـــة :-

كانت عملية الختان لاتتم بأجرمحدد ولم تكن عملية تجارية أو مهنة بالمعنى المعروف فلقد كان بعض المختنين يقوم بذلك تطوعا لكون الختان سنة عن النبى ص.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لذلك لم يكن لها أجر بل كان مايعطى للمختن أو المختنة نوعا من الهبة بحسب القدرة المادية لوالد المختون.

وكان من الناس من يكتفى بإفطار المختـــن.

وكان منهم من يعطيه نصيبا من «النثور» .. الثلث مثلا.

وكان منهم من يعطيه طحينا أو عيشا أو كسوة.

وكان منهم من يعطى نقودا كأجر أو كهبة حسب إستطاعته.

وتشير الإجابات إلى أن ماكان يدفع فى الماضي فى المستوى العادى يتراوح مابين ٥ : ٢٠ روبيـة.

وإذا كان والد الطفل المختون ميسورا أعطى أكثر من ذلك فى حدود المائة روبية وقد يدفع عن الجميع خاصة إذا كان شيخا.

وكانت هناك حالات أدنى من (٥) روبيات فى أحوال الأسر الفقيرة.

وكان من الشائع أن يدفع عن الطفل المختون نحو ضعف مايدفع للمختنة عن الطفلة المختونة تقريبا.

هدايا الطفل بعد الختـان:-

لم يكن للولد المختون سوى الحفل أيا كان مستواه ... وليمة أو زفة أو رزفة ولم يكن فى عرف المجتمع فى ذلك الوقت تقديم الهدايا للطفل بعد الختان.

ولكن سبقت الإشارة إلى عملية «النثور» التى كانت تلقى على رأس الطفل قبل الختان وهى ما ينثره الأهل والجيران على الطفل من حلوى ونقود عند عودته من بئر الماء (الثقبة) بعد الحلاقة والإستحمام وسط الزفة إلى بيته ليلة الختان.

ولكن بعض الروايات تفيد إلى أن البعض كان يعتبر الناقة التى إعتلاها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الطفل فى هذه الزفة كانت تعتبر هدية له بعد أن يكبر وفى بعض الأحيان كان الأب أو الخال أو المقربون من الأهل يعطون الطفل نقودا (روبية) لإدخال السرور إلى نفسه... أو إعطاؤه الحلوى لتطييب خاطره بعد عملية الختان .. وقد يعدون له ثوبا جديدا .. أو نخلا .. أو غنما حسب مقدرة الأهل ... وكانت البنت تهدى قرطا من الذهب أو خلخالاً فى بعض الحالات القليلة .

وبشكل عام فلم تكن الهدايا عادة أو تقليداً إجتماعياً بعد الختان.

وكانت الهدايا التى أشرنا إليها هى الإستثناء وليست القاعدة.

كيف تصف الاحتفال بختان الذكر والاحتفال بختان الأنثى؟

١- يسوون له حفلة، ويسوون له فرح، يقول الأب ما أدري بفرح بتختينك، ما أدري بشوف زواجك أو ما أشوفه أنا بفرح لك الحين في الختان. واذا عمري طويل بشوف حفلة زواجك. يحتفلون ويقسمون «يوزعون» اللي عنده مقدره عيش ونثور، عيش ولحم وهريس الحمد الله، البنت ما يحتفلون بها، ما يسوون لها قدر «فضحكت» يسوون هريس وفواله حق المختنة، يسوون مثل العصيد ريقوا (افطروا) المختنة وراحت.

٢- الولد يحتفلون به يسوون له الدق والأكل، والبنت وحليلها (مسكينة) ما يسوون لها شيء مثل الولد.

٣- (غير مبين) بالنسبة لجميع أسئلة هذا المحور.

٤- حق الولد عقب الختان يسوون له ذلك الاحتفال الذي مثل احتفال الأعراس يذبحون الذبائح ويطبخون ويدقون الطبول ويعزمون كل الناس ويرقصون، أما البنت لا ما يسوون لها أي شيء فيه بعض منهن تكون ختانتهن بالسر وما حد يعرف إلا الأهل وأقرب الجيران، فيه بعضهم يسوون احتفال بسيط بصورة مخفية بس بين الجيران والأهل.

٥- يحتفلون يعقرون عقاير ويطبخون ويعزمون الجماعة ويلعبن البنات، هذي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حفلتهن.

٦- يسوون يدقون له طبول نذبح ذبائح ونسوي الغذاء والعشاء والرجال والفرقة بيتغذون ويتعشون لمدة يوم أو يومين أنا بنفسي في ختان ابني مع عيال اختي نجمعهم كلهم تقريبا ٢٥ طفل في بيتي في الحجرة «في القديم الغرفة تسمى بنكله» نخليهم صفين ويغنون عليهم أي أغاني، ولا يوجد لديهم ختان للبنت.

٧- بعضهم يحتفلون أهل البيت مع أهل الأطفال اللي مختنين مع بعض نسوي لهم عزيمة مب شرط لأن الأول ما عندنا شيء أهم شيء أن الطفل يفرح نغني بروحنا لهم ويفرحون.

٨- بالنسبة للأنثى ما أعرف ولا تسأليني شيء عنهن، أما الأولاد نعم أول لين ختنوا الأطفال سوالهم العيوش والعزايم والدقاقة في السكة «مثل معلاية» لمدة يوم الى ثلاثة أيام وفرحتهم كأنها فرحة عرس.

٩- نقول نحن (البداة) نحتفل أكثر من احتفال الزواج بالختان نذبح الذبائح ونخبز ويكون الأب يحمل صينية الخبز على رأسه والطفل على كتفه ويكون أعظم من العرس (مثل الندبة) لكني لا أقدر أن أقول ندبة (البداة).

١٠- يذبح له الذبائح والزينة.

١١- (البنت نقبضها ونختنها ولا نخبر أحد) بمعنى أن البنت يؤتي بها وتتم عملية الختان دون أن يعلم بها أحد إلا النساء ونخجل من اخبار الرجال، تحضر المختنة وتختنها، ثم يذبح ديك بهذه المناسبة فقط، وتكون متخصصة مب «حيا الله حد يختن» أي ليس بكل انسان يدرك عملية الختان. تختلف عملية الاحتفال بأن يذبح للبنت ديك ويتم تجهيز عصيدة كاحتفال للنساء فقط، بالنسبة للذكور يتم عمل الولائم وذبح الذبائح، أما أبناء الشيوخ فتقام الاحتفالات لمدة أسبوع، أما الفقراء فلا يقيمون شيء كالمعلاية، والعيالة، والليوي، والرزفة والحربية وهي نوع من أنواع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأغاني والاحتفالات التي تقام.

١٢- الولد يحتلفون به ويعقرون الذبائح احتفالاً به سواء كان من النوق أو من المواشي، ويجمعون الأولاد الذين يرغب والدهم في ختانهم حتى تتم الختانة جماعية، ويشترك الأهالي في إحضار الذبائح حيث تذبح في كل يوم ذبيحة في بيت أحد من المختاتين، أما البنات فليس لهن احتفال بالختان.

١٣- البنت بمفردها والذكر بمفرده (الولد مشهور والبنت مدثورة) بمعنى أن البنت لا تذكر أثناء الختان، أما الولد فيتغنون به وتقام الأفراح، وتوزع اللحوم والهريس احتفالاً بختان الذكر فقط.

١٤- ختان الذكر لا أعرف عنه شيئا أما الأنثى فإنهم يحضرون دجاجة يعملون عليها (عصيدة) وجبة شعبية مكونة من الطحين والزعفران والدجاج أو اللحم، ثم تأتي ثلاث نساء تقوم إحداهن بختان الأنثى دون أن يعلم بها أحد.

١٥- الأنثى ليس لها احتفال، أما الذكر فيحتفل به، يغنون ويرقصون، ويذبحون الذبائح ويقيمون الولائم، وتوجه الدعوات الى جميع الناس ويقام احتفال كبير بهذه المناسبة.

١٦- الاحتفال بختان الذكر : ختان الذكر مشهور حيث تستمر الاحتفالات اسبوع وتسمى «الميدان» حيث يتم احضار المختون ويعتلى (الناقة) البوش ويذهبون به الى (الثقبة) بئر الماء للاستحمام والحلاقة وتحضر (النثور) من نقود وهدايا وتنثر على رأس المختون حيث تعتبر هدايا له، وتعتبر كالسلف حيث يعيدها الى الناس في حالة إذا صادفت نفس المناسبة ثم يعود الى منزله وهو في حضن احدى النساء على الناقة والحريم (يسوون له نانا ينانو بهم) عبارة عن قصائد، وفي الليل يصل الى منزله في زفة كبرى، حيث يتم ختان الذكر في الساعة السادسة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

صباحاً، ويعلم بها الناس عند ضرب «التفك» عندما تعلوا أصوات البنادق أما ختان الأنثى فهو مدثور، تأتيها إحدى النساء في منزل والدها وتتم الختانة دون أن يعلم بها أحد.

١٧- يقيمون احتفال عرضه، وغناء، ويسوون شرى العرس، أي يقيمون احتفالات مثل احتفالات الأعراس أما الناس الميسورين فإنهم منذ ليلة الختان يذبحون الذبائح، ويقيمون الولائم، وتبدأ الفرق الشعبية في اقامة الاحتفالات، غنا من هنا، وطماشة مناك، وفي الصباح يحضر (المختن) ويردد في ثقة: هوي هوي يا كريم / برر هوي يا المختون، ثم في الصباح يختن من هو موجود وخاصة من أبناء الشيوخ من زملاء وأصدقاء لهم، وممن يرغب في ختان أبنائه مع أبن الشيخ وذلك في مجموعات كبيرة، ويتحمل النفقات والد الطفل الأول وهو ابن الشيخ، ثم يأتي المهنئون لتقديم التهاني والتبريكات لأولياء أمور المختين، أما الأنثى «محد يدري بها» أي لا يعلم بها أحد.

١٨- بالنسبة لختان الذكر يعمل حفل كبير حيث تأتي فرق الرزيفة والعيالة عند مكان الختان «في ساحة قريبة من المنزل» وتكافأ الفرق بأشياء عينية، بالنسبة للبنت تعمل وليمة للأمهات في نفس المنزل.

١٩- يحتفل بختان الذكر فقط حيث تقام حفلة ويتم توزيع الأكل ويكون ذلك في منزل والد الطفل وتكون هناك فرق عيالة وغيرها، أما الأنثى فلا يشهر ختانها.

٢٠- في الماضي كانوا يحتفلون بختان الذكر فقط دون الأنثى حيث تقام له رقصات العيالة أو المالد الشعبية، ويذبحون الذبائح ويوزعون الأكل للجيران، هذا اذا كان الأب مقتدراً، أما إذا كان غير ذلك فلا تعمل الحفلات، أما الاحتفال بختان الأنثى فكان يعتبر عيباً حيث أن الأنثى كانت تختن دون علم أحد بها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢١- الأهل يحتفلون بختان الذكر أما الأنثى فلا يحتلفون بختانها لأنه «عيب». وبالنسبة للذكر تعمل له حفلة يكون فيها «دق» دق طبول كفرقة «المالد» فرق المولد، ويطعمون الجيران من ولائم تعمل بهذه المناسبة، وبعض الناس ينذر بهذه المناسبة بعمل أشياء معينة كحفلات المولد أو الولائم أو زيارة أماكن معينة.

٢٢- يعمل الاحتفال بمناسبة الختان للذكور فقط ولا يعمل للاناث، وبالنسبة لاحتفال الذكور تقام الولائم وتعمل الاحتفالات «الطماشة» التي تشارك فيها فرق شعبية تدق الطبول.

٢٣- حينما تختن الفتاة لا يعمل لها حفل بل فقط يأخذون «الفراخ» (الفشار) والحلوى وتطعم ذلك للجيران، إلا إذا نذرت الأم بعمل ذبيحة أو وليمة فيجب على الأم تنفيذ ذلك، أما بالنسبة للولد فيحتفل به بعمل الفرق الشعبية «كالمالد» أو «الرزفة»، فالبنت أقل من الولد.

٢٤- لا ، لا يحتفل بختان البنات، فقط تأتي المختنة وتقوم بعملية الختان، أما الأولاد فيعمل لهم ذبائح وقد تعمل لهم فرق شعبية حسب قدرة الأهل المادية فمثلاً اذا كان ابن شيخ هو المختن.

٢٥- بالنسبة للبنت فلا يخبر أحد بختانها، أما الولد فينذر على ختانه بعمل الذبائح والولائم ويكون الأولاد في مجموعة ويكون حفل الختان ليلة الجمعة (يوم الخميس مساءً) ويركب الطفل المختن على ناقة ويركب معه شخص كبير وتوضع ساحة [1] على الناقة سوداء اللون وطويلة وتؤجر الناقة من عند احد البدو بحيث يقوم البدوي بالامساك بخطام الناقة والمشي في الموكب، ويطاف بالطفل المراد تختينه بين البيوت ويصاحب ذلك فرق ورقص وغناء ويكون هذا الاحتفال قبل عملية الختان التي تتم صباح يوم الجمعة حيث يحضر المختن مثل (ميران) ويقوم بعملية

---

١ ـ ساحة : قطعة سجاد مصنوعة من الصوف المحلي .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الختان، وينذر الأهل بالاحتفال لمدة ثلاثة أيام أو أربعة أو يومين كل حسب قدرته ويعزم الأهل والأصدقاء والمعارف من كل مناطق المدينة من البلوش مثل منطقة السطوة والراشدية وهكذا.. وصباح الجمعة يقوم ميران بعملية الختان للأطفال المجتمعين للختان ويوضع الطفل فوق «منحاز كبير» (هاون كبير يستخدم لدق حبوب القمح) ويختن.

٢٦- البنت لا يغنون عليها، لكن الولد يحتفلون به، يعمل له المواليد والعشيات وافطار الصباح، ويدقون له العود.

٢٧- الفتاة لا يعمل لها أي احتفال لأنه عيب - تختن دون علم أحد ، أما الولد فيفرحون به ويعملون له الأفراح والموالد حيث أن الله تم ذلك على خير.

٢٨- الختان للبنات زينة يعملونها بين شخص علم وعشرة لم تعلم، أما الولد فيفرحون ويعملون ميلاد وعشاء، ويعملون للولد تكة مثل كلة العرس «الكلفة».

٢٩- الولد يعمل له ميلاد وعشاء، أما البنت فلا.

٣٠- في ختان الولد أطال الله عمرك كان الأوليين على حسب ظروفهم الاقتصادية، إذا كان فقيراً أو تاجراً، في هذا اليوم يأتي المختن للمنزل ويكون يوم جمعة ويلبس الطفل أحلى الملابس ويكون في كامل أناقته ويأتي المختن ويختنه، ويعملون فطور الصباح كل ما لذ وطاب ويشارك في هذه المناسبة القاصي والداني وهذا على حسب مكانة الأب الاقتصادية وهناك ناس يقرأون المالد والافطار، وينثرون الفلوس والحلويات على الجميع، أما البنت فلا يعلم بها أحد لأن ذلك يعتبر فضيحة.

٣١- البنت لا يعمل لها احتفال، أما الأولاد فيعمل لهم احتفال مثل الذبائح واقامة الأفراح كالعيالة وغيرها، عندنا العرب لا نعمل احتفالا لكن العجم يعملون احتفالا كبيرا كالرقص والغناء.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣٢- يذبحون ويسوون عيش ولحم لختان الولد، والبنت ما يسوون لها حفلة بس حق الولد يسوون حفلة.

٣٣- العرب ما يحتفلون - اللي يحتفلون أهل البحرين والعجم والسعوديين يسوون حفلة مثل العرس.

٣٤- عند العرب ما يسوون حفلة لكن العجم يسوون حفلة كبيرة وطبل، والبيت اللي فيه الختان يطبخون غداء للجميع مثل يذبحون الدجاج.

٣٥- بالنسبة للولد إذا كان أهله عندهم فلوس يعملون حفلة ويدقون العيالة والمولد ويطبخون الخبيص والهريس، والبنت لا يعمل لها شيء إلا يمكن ينادون الجيران ليأكلون شيئاً معيناً.

٣٦- نحن ما نسوي احتفال حق البنت، بس ننثر عليها حلاوة ، والولد نذبح له وننثر عليه، والبعض يعمل احتفالا بالطبول، والعجم والبلوش يحتفلون أكثر من العرب، العرب بس يذبحون.

٣٧- اذا تمت ختانة الولد وكان الأهل قد نذروا بأن يقيموا الحفل ويدقوا الطبل ويوزعون العيش واللحم ويسوون هذا الحفل، والبنت نفس الشيء.

٣٨- ما نحتفل فيهم لا البنت ولا الولد.

٣٩- البنت ما يحتفلون فيها لكن الولد ينذرون بشيء مثل الطبول، وأهل شعم يدقون الطبول ويسوون الذبائح والعيش واللحم ويدقون ثلاثة أيام ويمكن ثلاث أو أربع شهور ويختنون يوم الأثنين والجمعة.

٤٠- لا البنت ما يحتفلون فيها ، والعرب بعد ما يحتلفون بختان الولد، لكن اللي يحتفلون فيه البلوش وأهل عمان.

٤١- الأنثى لا يحتفل بختانها، أما الولد عندما يختن تذبح له ذبيحة ويغنون له ويعلم الجيران عند ذلك بأن أحد الأشخاص قد ختن ابنه فيفرحون بذلك ويذهبون للتهنئة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤٢- كان الاحتفال في السابق بختان الولد على هيئة الذبائح أو يجوز أنه قد يكون له نذوراً على شكل الغناء والرزفة أو العيالة وهي اشكال من الفنون الشعبيه ، وكان في منطقة «الحير» على ما أتذكر في السابق بعد أن يقوموا بختان الطفل الذكر يقومون بالرزفة لمدة يومين وتذبح الذبائح وتقام الولائم ويطلقون الأعيرة النارية في الهواء وخاصة عندما يقوم المختن بختان الطفل ويرزفون الى الصباح، أما ختان البنت فلا يحتفلون به.

٤٣- ختان الذكر يقوم به الرجل المتخصص في سن سبع سنوات، والبنت تختنها الداية ولا نعمل احتفالا وانما نقوم بطبخ «الهريس» أما البلوش فيعملون احتفالاً يغنون ويدقون الطبول للولد ، أما البدو فيرزفون بالعيالة ، والبلوش يقومون باركاب الطفل المختن جمل وتضع عليه قطعة قماش حمراء ثم يذهب فيحمم ويعودون به الى المنزل ويأخذون دراهم على ذلك ويسمى «بجار».

٤٤- لا نعمل احتفالا وأغاني وانما نطبخ الهريس ونقسمه على الجيران وهذا بالنسبة لختان الذكر، والأنثى لا نعمل لها احتفالا ونسمى بالله ونصلى علي النبي والرجل الذي به نجاسة لا يدخل على المتختن وكذلك المرأة التي فيها العادة الشهرية لا تدخل على الطفل المتختن حديثا وكذلك المرأة اللابسة ثوب أحمر اللون لأن ذلك سوف يضر بالطفل ويصيبه نزيف.

٤٥- إذ أراد أحد الناس ختان ابنه الذكر يقوم بعمل احتفال له ويقوم بالباسه زي خاص وملابس خاصة وكذلك يعمل للطفل المختن احتفالا يتضمن دق الطبول وهناك نوع من الفنون وهو «الهبان» وكذلك يقومون بطبخ العيش واللحم ويقسم على الجيران. أما أنا عندما أردت أن أختن ابني لم ألبسه زي مختلف أو أعمل له احتفالا خاصاً، وأنما قمت بشراء بقرة كبيرة وذبحتها وقسمت لحمها على الجيران والأصدقاء ، أما البعض الآخر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فيعمل للطفل المختَن احتفالا يتم نثر مبالغ من المال عليهم، أما البنت فلا يعمل لها احتفالا بالختان.

٤٦- لا يقومون بالاحتفال بالأنثى، وانما الاحتفال يكون للذكر فقط فندق الطبول في الاحتفال ويعمل له «عيش ولحم» وينثر على رأسه بعض الدراهم ويركب فوق الجمل ويركب معه أحد الأشخاص ويضعه في حجره ويذهب به الى النخيل أو البستان «ويسبح» هناك أي يحمم ويأتي به الى البيت ويكون الطبل والطماشة في مقدمة الموكب.

٤٧- لا يوجد احتفال للذكر أو الأنثي ولا نقوم بشيء سوى جلب المختن وكان يأتي من البدو اسمه «راشد الصريدي» وهو متخصص في الختان أو أن تأتي بآخر اسمه «صالح المختن» من كلبا ولا نعمل سوى الهريس والعرسية وختان البنت لا يوجد له احتفال سوى «الفوالة» أي نضع بعض المأكولات المتوفرة، ونذهب بهم الى البحر، وينامون مع بعضهم في فراش واحد لمدة أسبوع.

٤٨- نحتفل بختان الذكر فقط ونقوم بذبح الذبائح وطبخا مع العيش «الرز» بالاضافة الى طبخ الهريس ويردد الرجال بعض الكلمات والأغاني الشعبية في هذه المناسبة ويؤدون بعض الرقصات الشعبية مثل «الرزيف» وكذلك تقوم النساء ببعض الأغاني احتفالا بهذه المناسبة.

٤٩- نقوم بالاحتفال بختان الذكر أكثر، والأنثى لا نعمل لها احتفال، نعمل الأكل والفواله أو يذبح له الذبائح أو يدقون له الطبول أو يعمل له «مالد».

٥٠- نعم نقوم بالاحتفال بالذكر ونعمل فيه «طبل» ونركبه على «البوش» اي الجمال ويلبسوه خلقه أي قطعة قماش «برسيم» خضراء ويذهبون يحمموه في منطقة بعيدة قليلاً ويوجد بئر بها فيسبحوه بعد أن يخلعوا عنه الملابس ويلبسونه ملابس أخرى جديدة، وهذا قبل أن يختن ويضعوه في صينية الى الصباح وبعد أن يختن في الصباح، ويعمل له عيشا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولحما والبنت ليس لها احتفال ويجتمعون في شكل مجموعة كبيرة.

٥١- ختان الولد يقومون بعمل عرس كبير له ويذبحون له الذبائح ويعملون له العرس ختان البنت لا يسوون لها شيء فقط يسوون لها هريس والعرسية (أرز مع لحم وتشبه الهريس).

٥٢- البنت لا يحتفلون بها، فقط يعملون لها فوالة أكل ويدعون الجيران اليها، أما الولد فإننا نقيم حفلة كبيرة لختانه ونذبح من (٤ - ٥) من الغنم وكذلك نقوم بعمل الهريس والخبيص والأرز مع اللحم.

٥٣- قولي لي ختان الرجل أما الحرمة فاننا لا نسوي لها أي احتفال، أما احتفال الولد فإننا نقوم بعمل مظلات من السعف تسمى «اسبل» ونرسل من يدعوا الناس الى الاحتفال فيذهبون الى المناطق المجاورة مثل كلبا وقدفع والفجيرة ويكون «الطارش» وهو من يدعو الناس الى الحفل قد أرسل من قبل هذا الولد المختون فيقول لهم لا بد أن تأتوا الى الحفل في هذا اليوم وهو المحدد للختان ونبدأ في الغناء والطبل وطبخ الأكل لمدة أسبوع.

٥٤- ختان البنت خفيف، أما ختان الولد «بضرب التفق» باطلاق البندقية، وبالذبائح، أما البنت فانها «ما تنظري» لا تذكر ، البنت لا يعملون لها شيئا، أما اذا كان لديك ولد واحضرت «المحلل» المختن وقمتي بختانه فإن اطلاق الرصاص يرتفع، وفي تلك الأيام كل بيت به اثنين او ثلاثة بنادق، والناس تسأل عن مصدر الرصاص فيقولون أن ابن فلان مختن . وتذبح الذبائح ويتراوح عددها من (٣ - ٤) ذبائح، ويدعون الناس لتناول الغذاء وهذا بمثابة القانون اذا كنت فقيرة أو غنية واطلاق الرصاص هو نفسه قرينه «سوى فراحه» أي أن الناس يكونون سعداء بذلك.

٥٥- ختان الذكر يذبحون الذبائح و «يطقون» يضربون الطبول ويعزفون الناس ويقومون بعمل حفلة وطبل وكل شيء يقدمونه للناس ، أما في البنت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فيعملون شيئا قليلا مثل فوالة للجارات ولكن ليس مثل الولد.

٥٦- في الأول الولد أحسن عن البنت في كل شيء حتى في الختان فيكون احتفالا الولد لمدة أسبوع ويعملون له الذبائح والهريس والذي عنده «مكنه» الغني يدق له الطبول والزمور ولمدة أسبوع أما البنت فلا يعملون لها شيئا.

٥٧- الذكور يقومون بعمل حفلة كبيرة لهم ويدقون لهم الطبول ويرقصون الرزيف (الرزفة رقصة شعبية في الإمارات يصطف فيها الرجال صفين متقابلين وفي أيديهم العصى ويرقصون بحني الرقبة والرجلين) ويذبحون الذبائح ويطبخون العيش واللحم ويعزمون الناس وكذلك يهدونهم الهدايا المختلفة من الأهل ومن المعازيم أيضا، أما البنت مسكينة لا يحتفلون بها «تضحك الراوية» إلا في زواجها.

٥٨- نحن العرب لا نحتفل بختان البنت، أما الولد وبعد أن يكمل اسبوع على تختينه نقوم بعمل فواله من العرسية والهريس والخبيص، وندعوا الأهل والجيران لتناول الطعام ونقول أن هذه الفوالة هي لسلامته من الختان، وبعض الناس يدقون الطبول ويزمرون والذبائح يذبحونها في كل مكان وهذا حرام وليس من عاداتنا.

٥٩- الأهمية في الاحتفال للولد، أما البنت فليس لها قيمة، ويحتفلون بختان الولد ويعلمون الجيران بموعد الختان، ويدعونهم لتناول الوليمة ويدقون الطبول ويعملون مولد وهو ما يعرف «بالمالد» وكل واحد يعمل ذلك حسب مقدرته المادية.

٦٠- البنت لا نعمل لها أي احتفال بل احيانا نحاول اخفاء ختانها، أما الولد فإننا نعمل له احتفالا كبيرا به أغاني ورقص مثل العرس.

٦١- ليس كل الناس تعمل احتفالا ويقتصر ذلك على البلوش والعجم واصحاب النذر، أما في الغالب تقام الولائم مشابهة للأعراس، أما تلك التي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تصاحبها احتفالات فتكون على شكل أهازيج وزفة للولد المختن، وعادة ما يركب الولد على ناقة ويزف وسط الأهازيج وفرحة الأهل، أما البنت فلا يعمل لها أي احتفالات.

٦٢- الذكر تقام له الاحتفالات والأهازيج مثل الرزفة والعيالة والمالد وتعمل له الولائم، أما البنت فلا يعمل لها شيئا من ذلك.

٦٣- الولد تقام له الأهاز يج والولائم والذبائح، أما البنت فلا يعمل لها احتفالا.

٦٤- (غير مبين) بالنسبة لجميع أسئلة هذا المحور «الختان».

٦٥- ختان الولد تقام له الاحتفالات ويفرح أهله وتقام له الأهازيج الشعبيه وتذبح الولائم وتعمل الأكلات، أما البنت فلا تقام لها أي احتفالات.

٦٦- يكون احتفال الختان مثل الزار، وتقام الولائم والأهازيج الشعبية كذلك يقام المالد ويدعى جميع الناس في المنطقة، أما ختان البنت فلا يوجد له أي احتفال ولا يعلم متى تختن البنت.

٦٧- يقومون بذبح ذبيحتين والرزيف، أما الأنثى فليس هناك احتفال بختانها.

٦٨- الولد عندما يختن يعمل له الأب مالد ويقيم الولائم والبعض الآخر يعمل له طماشة أي أهازيج شعبية وفرق شعبية، أما البنت فلا يعمل لها احتفالا.

٦٩- احتفال الولد تقام الولائم والأهازيج الشعبية مثل العرضه ويحلق الولد أمام حشد من الناس ويصير الختان ما يشبه الزواج في الاحتفالات ولا يفرق بينهم بشيء في ذلك، أما البنت فلا تقام لها أي من الاحتفالات.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل السادس عشر

التنشئة الإجتماعية

Socialization

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التنشئة الإجتماعية : (١)

فى هذا الفصل نقترب من عملية نوم الطفل " لنسمع ونرى ونصف " ثم نقف وقفة أخرى فى محاولة للتسجيل والتحليل لما هو كامن من قيم إجتماعية " أو معتقدات دينية وراء الأقوال والأفعال المتصلة بالطفل "

وإذا إنتقلنا إلى غرفة " نوم الطفل " فلسوف يسبقنا السؤال.. هل كان للطفل الصغير فى زمن الخيمة غرفة نوم ؟..

وبفرض إمكانية وجود مثل هذه الغرفة... فهل كان الطفل فى سنواته الأولى يحتمل النوم بعيدا عن عيون أمه فى غرفة خاصة به؟.. وفى أى سن ينتقل الطفل إلى غرفة أخرى لينام مع إخوته أو ينام وحيدا بها ؟.

ومن خلال ماتقدمه المادة التى بين أيدينا والتى جاءت على لسان الإخباريات... يبدو واضحا أن الطفل فى شهوره الأولى حتى يبلغ عامين تقريبا كانت له حجرتان للنوم..

الأولى هى حجر أمه وبين ذراعيها وفى أحضانها...

ولذلك طرحنا هذه الأسئلة السبعة سعيا إلى وضوح الصورة .

١ - كيف تتم تهيئة الطفل للنوم ؟ . ٢ - أين ينام الطفل ؟ .

٣ - ماهى الممارسات والأغانى المستخدمة لتنويم الطفل ؟ .

٤ - هل هناك معتقدات تكمن وراء هذه الممارسات - إذكرها ؟ .

٥ - من أى سن يبدأ فصل الطفل في نومه عن أبويه ؟ لماذا ؟ .

٦ - هل تشترك البنات والأولاد فى حجرة واحدة للنوم ؟ . ولماذا يتم فصلهم ؟

- صف لنا سرير الطفل المنز - ومما يصنع ؟ وهل يمكن تصويره ؟ .

٧ - هل يحدث أحيانا أن يعهد بتربية أحد الأطفال للأقارب ؟

أ - من هم ... لماذا ؟ ب - هل يعود الطفل لوالديه .. ومتى ؟

ج - ماهو تاثير ذلك على سلوك الطفل عندما يكبر ؟

ومن خلال هذه الأسئلة .. ومن خلال الإجابات التسع والستين التى تلقيناها تتضح ملامح الصورة بالشكل الذى يتيح لنا أن نرى الآن ماكان يدور حول الطفل ، ومن أجل الطفل حتى ينام ، ونتعرف على العادات والتقاليد التى كانت تحيط بهذه العملية .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والثانية هى " المنز " وهو سرير الطفل المعلق فى السقف أو " الشاطوحة " وهو السرير المستند بقواعده على الأرض ومن أشهر المقولات التى تؤكد على أهمية حضن الأم فى تربية الطفل مقولة : " ربيه فى الأحضان ولاتربيه فى الأبطان ". وحتى يتحقق إنتقال الطفل من حالة الحركة فى يقظته إلى حالة السكون فى نومه كان يحتاج من الأم إلى الكثير من الحركات والأغنيات التى تعكس ماوراءها من معتقدات وقيم.

كيف تتم تهيئة الطفل للنوم ؟

إن الأم عادة كانت تنظف طفلها وتسبحه [١]. ثم تقوم بتغيير ثيابه وتقمطه [٢]. وتحمله على حجرها وتهزهزه قبل أن تحمله إلى سريره الخاص الذى كان يعرف بالمنز [٣]. ثم تقوم بإرضاعه والمهاواة [٤] عليه وتذكر إسم الله عليه فى الوقت الذى تقوم فيه بهز " المنز " وتظل الأم على هذه الحال حتى ينام طفلها.

وتظهر روايات الإخباريات أن معظم الأمهات إذا أردن تهيئة الطفل للنوم كن يذكرن إسم الله على الطفل بينما يحملنه لوضعه فى سريره الخاص ويقمن بإرضاعه وهزه والمهاواة عليه وكانت هذه الطريقه بالنسبة لهن هي الطريقة العملية والشائعة لتنويم الطفل.

وبينما تمضى الراويات فى توضيح الصورة الخاصة بعملية تنويم الطفل بتفاصيل أكثر وبصورة كافية ، يستوقفنا مشهد فى الصورة ففى حين تشير معظم الإجابات إلى أن عملية هز الطفل على رجل أمه تستمر بعد نقله إلى المنز فإنها لم تشر هنا إلى أن عملية هز " المنز " كانت تتم أحيانا بإصبع قدم الأم حيث كانت تربط الحبل المتدلي من " المنز " المعلق فى السقف بإصبع قدمها، وعندما كانت تقوم بتحريك إصبعها كان " المنز " يتحرك ليقوم بعملية هز الطفل.

---

(١) تسبحه : أى تحممه (٢) تقمطه : أى تلفه بالقماط

(٣) " المنز " إسم سرير الطفل .

(٤) المهاواة : هو الربت على جسد الطفل بإيقاع منتظم مع ترديد كلمة " هو "

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإذا كان هذا هو الجانب الطريف فى المشهد فإن الجوانب المهمة فيه تتضح إذا ماعرفنا أن الأم كانت تقوم بذلك بينما تباشر بيديها بقية واجباتها المنزلية فى الوقت نفسه ، كأن تخيط للطفل ثوبا أو تحضر طعاماً لزوجها وأولادها.

وهذا يعطينـا الدلالات التاليـــة :

١ - قدرة الأم فى الماضى على الموازنة بين واجبات عملها المنزلي.

٢ - الحرص على ألا تضيع الأم وقتا لكل عمل على حدة.

٣ - قيام الأم بنفسها وبدون مربية برعاية الطفل ، وفى الوقت نفسه قيامها بأداء واجباتها المنزلية دون خادمة.

٤ - إن المرأة فى مجتمع الإمارات القديم كانت أما بقدر ماكانت زوجة.. أو لعلها كانت زوجة بقدر ماكانت أما.

على أنه بقدر ماقديتبادر إلى الذهن من سهولة وبساطة عملية تنويم الطفل.. بقدر مايفاجأ المرء بصعوبة العملية ، وتعدد مراحلها خصوصا بالنسبة للرجل لا المرأة.

فعملية تنويم الطفل كانت تمر بعدة عمليات :

- تبدأ بتنظيف الطفل وتحميمه..وتدليك جسمه..وتعطيره بالعنبر ودهن العود.
- ثم تمر بتقميط الطفل بالقماط [١] وتغيير ثيابه.
- ثم تكحيلـه.
- وهزه على " ريول " [٢] أمه.
- والتسمية بإسم الله عليه وحمله إلى المنز...

---

(١) القماط : هو قطعة من القماش القطنى اللين كانوا يلفون به جسم الطفل من على صدره وأسفل ذراعيه، وكان يحقق عدة فوائد منها التدفئة ، وإستواء عوده ، امتصاص البلل الناتج عن بوله بديلا عن " البامبرز " الذى ثبت أنه لايساعد على إستواء رجل الطفل ويصيب الجلد بتسلخات نتيجة مروره بين فخذى الطفل.

(٢) ريول : اى رجول بالنطق الشعبى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- ثم إرضاعـه...

- والمهاواه عليه بقول الأم " هوه... هوه.... هوه [1] ".

وتمضى عمليات تنويم الطفل بينما تهلل الأم وتكبر وتوحد الله وتصلى على النبي وتقرأ آيات الحفظ من القران الكريم لحماية طفلها "و خاصة الأيات من سورة الفلق "من شر النفاثات فى العقد" ، "ومن شر حاسد إذا حسد" ، وخلال ذلك كانت الأم تقوم :

- بوضع القرآن الكريم والملح والسكين وداس [2] تحت رأس الطفل النائم لتحميه من الشياطين والجن..

- وتضع المحلب [3] على خديه..

- ثم تشعل البخور من اللبان والسويدا [4] والحرمل [5].

- وتضع فى فمه الرواء (الطبيخة) [6] لتغذيته كلما شعر بالجوع.

- وتقوم بالدق (الربت) على أجزاء جسمه برفق.

ثم كان حضن الأم هو الملاذ الأخير إذا مارفض الطفل الإستجابة إلى النوم على المنز... فكانت تعاود حمله وإرضاعه وهزه ، والمهاواة عليه ، وتلاوة القرآن والغناء له وهو ماسنعرضه لاحقا ، وذلك حرصا على إستمرار المنهج الذى إتبعناه منذ البداية بعرض نصوص الإجابات فى نهاية كل فصل لعل من الباحثين فى تخصصات أخرى من يجد بين سطورها جديدا أو فائدة فى جوانب علمية أخرى.

ثم ننتقل الى جانب آخر.. وهو الذى يجيب على السؤال : أين ينام الطفل ؟.

---

(١) " هو " إسم من أسماء الله الحسنى

(٢) داس : السكين أو المنجل

(٣) المحلب : بودره من المسك والحلبة تستخدم دهاناً للشعر

(٤) السويدا: الحبة السوداء (٥) الحرمل: نوع من الأعشاب الصحراوية

(٦) الطبيخة :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعملا بمنهج ترتيب الظواهر لاستخلاص العلاقات الموضوعية ، ويبدو منطقيا أن نتعرف أولا على " مسرح نوم الطفل " وربما إخترنا كلمة مسرح للتعبير عن مواقع الأفراد وحركتهم وأدوارهم ومن ثم للتعرف على العلاقات الإجتماعية بينهم والقيم الكامنة وراء تشكيل هذه العلاقات " كالعلاقة الدرامية على المسرح.

ويبدو أن التعرف على مكان نوم الطفل يصبح أمرا لازما لنعرف موقع الطفل فى أعوامه الأولى من إهتمام والديه سواء قبل الفطام أو بعده ثم نمر بإطلاله سريعة أيضا على الصورة من الداخل للخيمة العربية فى المجتمع القديم وطبيعة تقسيمها ومراكز أفرادها من حيث الأهمية وطبيعة العلاقات بينهم ، وسوف تتسع مساحة الرؤية لهذا المسرح عندما نعرض لاحقا تفصيلات موضوعية تتعلق بهذا الجانب.

وفى محاولة للإجابة على السؤال أين ينام الطفل ؟

يتضح لنا أن أغلب الإجابات تشير إلى " المنز " بإعتباره مقر نوم الطفل بعد المرور بحجر وأحضان أمه ، وتوضح المادة أن هذا يحدث للطفل قبل فطامه حتى عامين تقريبا حيث يترك المنز الصغير ويفرش له على الأرض بجانب والديه وفى رعايتهم ويظل يتمتع بهذه الجيرة الدافئة ذات الرعاية الخاصة إلى أن يكبر ويفهم ويدرك الحياة فينتقل إلى النوم مع إخوته فى الرقعة [1] سواء الموجودة فى الكرين[2] أو بالبيت ـ كما تظهر الإجابات أن سيدة المنزل كانت تقوم مبكرا فى الصباح ـ بينما طفلها غارق فى النوم ـ لكى تحلب البقر وتنتهى من عمل المنزل قبل أن يفيق الطفل من نومه.

كما تظهر هذه الإجابات بشكل عام أن " المنز " هو مقر نوم الطفل صغيرا، وعلى الفراش على الأرض بجانب والديه أو بجانب أمه.. أو على الدوشك [3] كبيرا أى بعد السنة الثانية من عمره تقريبا.

---

(١) الرقعة : أى ساحة المنزل أو الخيمة . (٢) الكرين : أى الخيمة (٣) الدوشك :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما توضح أن الطفل فى هذه الفترة كان لايغيب عن عيون أهله متابعة ورعاية ودفئا وحنانا ، يتربى بينهم.

وتكشف إجابات الإخباريات أن أغلبهن كن يقمن بوضع أطفالهن فى المنز كلما داعب النوم عيونهم.

ثم ننتقل إلى جانب هام فى هذا الفصل وهو الممارسات والأغانى المستخدمة لتنويم الطفل ، ولذا طرحنا السؤال التالى :

ماهى الممارسات والأغاني المستخدمة لتنويم الطفل ؟

وقد أشرنا من قبل إلى أن عملية تنويم الطفل كانت عبارة عن عدة عمليات فى الواقع ، ولعل أهمها للباحثين وللقراء على السواء ولعل أكثرها تشويقا وفائدة علمية وأدبية وإجتماعية هى " أغانى المهد " التى تعطينا ذخيرة ثرية لما تعكسه من قيم دينية وإجتماعية ، وكذلك الممارسات التى كانت تمارسها الأم قبل وبعد وأثناء الغناء للطفل ، ومن ثم يفيد الباحث والقارىء معا الإطلاع على هذه الأغانى والممارسات التى تعكس لنا العادات والتقاليد الأولى التى وردت على ألسنة الرواة والإخباريين ، ولا يفوتنا أن نبحث فيها أيضا عن عنصر موضوعى هام وهو المعتقدات والقيم الإجتماعية الكامنة وراء تلك الأغانى والممارسات.

وثبت من الإجابات أن أبرز الأفعال والأقوال من جانب الأم هى أن تذكر إسم الله على الطفل وتصلي على النبي عليه السلام وتهاوى عليه ، وتغنى له ، وتهدهده وتقرأ عليه آيات القرآن الكريم ، وقد أشارت غالبية الإخباريات إلى أن ذكر إسم الله على الطفل هو الشائع ويكفى أن نتأمل إجابة إحدى الإخباريات حيث تقول بالحرف " ماشَي... فقط نسمى بإسم الله " وتعنى أنها لاتقول شيئا أو تفعل شيئا عدا أن تسمى بإسم الله على طفلها وهو فى إعتقادها كفيل بإشاعة الطمأنينة والهدوء فى وجدان الطفل.

ولايغيب عن بال باحث أو قارىء ماتعكسه تلك الإجابة من دلالات أهمها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هو ذلك الإيمان الفطري بالله سبحانه وتعالى الكامن فى أعماق إنسان الإمارات فى الماضى حتى أن المتأمل لما يطلق عليه إسم " المهاواة " وهو نوع من الغناء الخاص لتنويم الطفل تتكرر قبل كلمة " هو " أو " هوه " على إيقاع منتظم هو ربت الأم على جسد طفلها وقد يلاحظ الباحث فى الأساس الصوتى والمصدر الموضوعي لكلمة " هو " علاقة أساسية " بأحد أسماء الله الحسنى وهو إسم " هو " أو " هو " وقد تكون المهاواه النطق العامي لإسم الله.. وهذا مايتفق مع أن ذكر إسم الله على الطفل يشيع الطمأنينة والإحساس بالأمان فى نفسه.

من جانب آخر كانت مع الأقوال بعض الأفعال : ـ

- فكانت بعض الأمهات تلجأ لبعض الممارسات لكى ينام الطفل كأن تضع "الدوخشير" (١) فى أنف الطفل لكى يثقل رأسه ويدفعه إلى النوم.
- كما كانت الأم تلجأ إلى إطعام طفلها وتغذيته من ثديها وهذا يعكس وعي الأمهات فى تلك الفترة بأن الجائع لاينام.
- وكان عصير الأرز هو أبرز أنواع غذاء الطفل فى ذلك الزمان...
- كما كان شائعا أيضا إستعمال خليط الخشخاش (٢) والزبد ووضعه على لسان الطفل ليساعده على النوم.
- وإستعملت العطور وخاصة "دهن العود" و "البضاعة " (٣) حيث كان يتم رشها على رقبة الطفل وبين رجليه.
- وأحيانا كان الياس يوضع مع البضاعة.
- بالإضافة إلى ذلك كان الطفل يدخن بالصمغ واللبان لشيع جوا من الراحة ذو رائحة جميلة وطبقا لإعتقادهن فإن إستعمال البخور يطرد الشياطين.
- وكان من بين ماهو شائع من ممارسات قيام الأم بوضع قطعة من الملح

---

(١) الدوخشير :
(٢) الخشخاش : نوع من النبات
(٣) البضاعة: هو مسحوق ناعم يرطب الجلد وهو الذى حلت محله بودرة التلك حديثا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومصحف صغير تحت رأس الطفل عند نومه فى المنزل.

ومن بين ما إستوقفنا من نصوص " أغانى المهد " التى جمعناها نقتطف بعض النماذج القليلة التى تعكس مضامين وأشكال هذه الأغنيات التى هى فى حد ذاتها مادة غنية مازالت بحاجة إلى المزيد من الدراسة والتحليل من جانب الباحثين فى مجالى الدراسات الأدبية والإجتماعية.

تقول إحدى الأمهات فى غنائها لطفلها :

محمد زين ، كلـه زيـــن محمد هو نور العيـــــن

مولود فى ضحى الإثنين وإنشقت السماء نصفيـــن

علـــى حضـرة نبـــى اللـــــــه

ويتضح هنا الربط بين إسم الطفل المغنى له وإختيار النص المناسب له أو للحالة التى كانت فيها الأم لحظة الغناء وفى حين أن الأغنية هى عن النبى محمد عليه الصلاة والسلام وهى أغنية تغنى لكل الأطفال وبكل الأسماء إلا أن ذلك لايمنع أن تغنى بصفة خاصة لمن يحمل إسم " محمد " من الأطفال تيمنا بإسم نبى الإسلام وهذا الجزء من التراث الغنائي يعكس مضمونا إسلاميا هو المحور الأساسى فى معظم أدبيات التراث الإماراتى :ـ

وعند ماتغني أم أخرى لطفلها قائلـة :

هـو هـو... رقد وليدى طيب اللـه نوم ... هو.. هو.

هـو هـو... يعل العدو مايهتنى بنوم ... هـو.. هـو.

فإن هذا يظهر أن الغناء للطفل يكتسب مرة أخرى مضمونا دينيا ويؤكد ماسبقت الإشارة إليه ، فإذا كانت الأم الأولى تتغني بالرسول " عليه الصلاة والسلام " فإن الأم الثانية تتغنى بذكر الله والدعاء لطفلها حتى ينام والدعاء على أعدائه بعدم النوم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

غير أن أغانى المهد وإن عكست مضمونا دينيا مهما تعددت فى المبنى وفى المعنى ، وتنوعت موسيقاها إلا أنها مع ذلك لم تقتصر على الغناء الدينى.

فهذه أم ثالثة تذكر من بين ماتتذكره بصعوبة من أغان نسيت معظمها ، أغنية تقول فى مطلعها :

يرلوه... يرلوه... يرلون.

يرقد وليدى... رقاد الغزايل... رقاد الغزال.

فى روس الظلال ".

وهذا النموذج من أغانى المهد يحمل مضمونا بيئيا عندما تشبه نوم طفلها بنوم الغزال.. وهذا التشبيه الجزئي يمكن أن يفهم على أنه تشبيه كلى إذا ماعرفنا أن الغزال من أجمل حيوانات البيئة ولذا فالطفل فى نظر أمه كالغزال.

كما يتضح من عموم الأغاني أن فى تراكيبها اللغوية مفردات بعضها له معنى واضح وبعضها يحتاج لباحثين فى لغة الشعب كى يتضح معناه... وبعض هذه المفردات هى من لغات أخرى كالبلوشية مثلا...

كما يلاحظ أن هناك كلما ت أخرى مبتكرة لم تعكس معنى واضحا وقد لايكون لها من هدف سوى ضبط الإيقاع والجرس الخاص بالأغنية كى توصل رجاء الأم لوليدها بشكل جميل على مسامعه حتى يستجيب لرجائها ويرقد.

وعلى الرغم من أننا فى هذا البحث لسنابصدد بحث فى أدب التراث إلا أن الباحث الإثنوجرافى أو السوسيولوجى لايمكن أن يمر على هذه النصوص دون أن يستوقفه أكثر من بعد لها ، سواء بعدها القيمى أو العقائدى أو الإجتماعي أو الفني.

ويلاحظ أنه كلما إطلعنا على نموذج جديد من نماذج أغاني المهد يتضح

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لنا بقدر مضامين هذه الأغاني فهذا مجزوء من أغنية أخرى تعكس أن الأم تربي طفلها وهى تعلم أنها تعطي ولا تنتظر منه ردا للجميل حيث سيكون فى المستقبل لزوجته وأبنائه وليس لها.. تقول الكلمات :

" ولد العرب ربيتـــه ... لوبالعســـل غديتـــه.

وإيش يالى [1] من ربـــــــاه ؟.

وهذا جزء من نص آخر يشير بوضوح إلى عمليات التجارة التى كانت تتم بين مجتمع الإمارات الأول وبين تجار " البصرة " وفى رحلة التجارة ذهب " عزيز " إلى البصرة ليبيع ويشترى ولم تعرف أخباره ، والنص يتساءل أهو حي أم ميت ؟.. وإن كان الأرجح ـ حسب النص ـ أنه مات وأهيل عليه التراب ، إلا لو كان حيا لعاد بالغنائم إلى أهله وبلده.

يقول النص الغنائي الذى هو نوع من النواح والسلوى على عزيز الذى فى البصرة وإنقطعت أخباره.

" عزيز فى البصرة يبيع ويشترى "

ومن طول الغيبات ياب [2] الغنايم

ولو عزيز حي كان يتنا [3] أخباره

مع ذا ريات الهبـــــــايب

لكن عزيز صفق البين مادونه

وهالوه عليه آياب التـــــرايب

ومن هذا النص ما يمكن أن يفيد الباحث فى مجال الحياة الإقتصادية لمجتمع الإمارات فى مرحلة الميلاد.

ومن ثم فإن فى هذا النص مايمكن أن يفيد الباحث فى مجال الحياة

---

(١) يالي : أي نالني (٢) ياب : أحضر

(٣) يتنا : اتتنا .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإقتصادية في تلك الفترة.

وهكذا... فإن فى أغاني المهد أبعادا متعددة تنبىء عن إشارات كثيرة للباحثين فى أكثر من مجال ، ولذا فهي تعد مصدرا تاريخيا وإقتصاديا وإجتماعيا بقدر ماهي مصدر أدبى وتراثي.

ولأنه من الحقائق المسلم بها أن الأفعال تأتى ترجمة للأقوال ، وأن الممارسات لاتتم بمعزل عن القيم والمعتقدات التى تدفع الناس إليها.

كان من الطبيعي أن نسعى للكشف عن أعماق جديدة وأبعاد جديدة وذلك بتتبع المعتقدات التى تكمن وراء هذه الأغانى والممارسات فطرحنا السؤال التالى :

هل هناك معتقدات تكمن وراء هذه الممارسات.. أذكرها ؟

إذ أن هناك مجموعة من القيم والأفكار والمعتقدات والمعلومات تقف دائما بشكل ظاهر أو بشكل كامن وراء مايؤديه الفرد من أفعال وحركات ، وقد يبدو للباحث أحيانا أن الفرد قد يقوم بمثل هذه الممارسات بغير دوافع محددة تحركها ، أو بغير دوافع على الإطلاق كإتباع لتقليد سائد... ولكن حتى هذا الظن يتناقض مع نظرية السلوك إذ لاسلوك بغير دوافع ، غير أن الدوافع قد تكون غريزية بدافع السعى إلى البقاء أو إشباع الحاجات فى إتجاه حماية الذات وبقاء النوع.

وقد تكمن وراءها عقيدة أو قيمة معينة تدفع إلى فعلها ، بغض النظر عما إذا كانت هذه القيمة أو هذا المعتقد صحيحاً أو خاطئاً.

من هنا فإن البحث عن المعتقدات التى تكمن وراء أغانى المهد وممارسات الأهل تجاه الطفل يكشف لنا طبيعة ماكان يسود مجتمع دولة الإمارات العربية المتحدة فى مرحلة الميلاد من قيم ومن عادات وتقاليد خصوصا بالنسبة للطفل.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويتضح لنا من غالبية الإجابات أن المعتقد الدينى يمثل الدافع الأول لمعظم أشكال الأغاني والممارسات ، لكنه مع ذلك ليس الدافع الوحيد.

ونظرة أخرى على مضامين أغانى الأطفال تتيح لنا بجلاء أكثر التأكد من صحة هذه النتيجة إذ أن النسبة الكبرى من مضمون هذه الأغانى هو فى حقيقته مضمون إسلامي حتى فى المهاواة التى يتعامل معها معظم الباحثين ، على أنها مجرد تعبير صوتى لامضمون له يساعد على نوم الطفل... فى حين أنه يعتقد وبدرجة كبيرة أنه نوع من ذكر إسم الله على الطفل بإيقاع منتظم ومنغم.

ويؤكد الإخباريون والإخباريات على أن ذكر إسم الله عز وجل على الطفل سواء بالقول ، أو بآيات القرآن الكريم ، أو من خلال الأغانى - يهدىء من روع الطفل ، ويدخل السكينة والطمأنينة إلى قلبه ويستحضر الملائكة من حوله ممايساعده على الإسترخاء والإخلاد للنوم.

هذا عن المعتقد الكامن وراء الأغاني بشكل عام والذى لايلغي بعض النصوص التى كان هدفها هو الحكاية المسلية أو الرواية التى تثير خيال الطفل وإستغراقه فى هذا الخيال فتسكن حركاته وبالتالى يغلبه النوم.

وقد وجدنا أن هذه الحقيقة الموضوعية تتأكد أكثر من خلال الممارسات التى تقوم بها الأم حتى ينام طفلها :

- فحينما تضع الأم العطور على طفلها فى أنفه أو أذنه أو على رأسه فإن هذا الفعل ينبع من الإعتقاد بأن " الملائكة " ترتاح لرائحة العطور ، وخاصة دهن العود ؛ كما جاء على لسان الإخباريات ، وهذا الأمر يتصل بالمعتقد الديني... بالإضافة طبعا إلى حقيقة أن العطور تريح حواس الإنسان.
- وحينما تقوم الأم بوضع آيات من القرآن الكريم تحت رأس الطفل أو فى سريره الخاص فإن هذا التصرف فى حد ذاته يشير إلى دوافعه بغير حاجة لجهد كبير للبحث عما وراءه من معتقدات إذ يتضح لنا أن هذا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يعني السعي إلى حماية للطفل أو الطفلة إعتقادا بأن فى أيات القرآن حماية من الشيطان الذى يخاف من القرآن.

- وعندما تحرص الأم على وضع الملح و " داس " وسكين تحت رأس الطفل فهذا يرجع لإعتقاد ما ربما كان له أصل إجتماعى متوارث لعادة قديمة ترى بأن الملح والسكين يحميان الطفل من السحر والحسد ، ومع كون هذه العادة ربما لاتكون محل ترحيب كثير من علماء الدين بإعتبارها ليست فعلا دينيا ثابتا.. إلا أننا مع ذلك لانستطيع إلا التسليم بأنها ممارسة تستهدف مواجهة الشيطان وهذا فى حد ذاته فعل ناتج عن التأثير الدينى المختلط ببعض المعتقدات والعادات الإجتماعية.

- وكما ظهر لنا من قبل ، فإن التأثير الدينى الكامن وراء معظم الأقوال والأفعال لايعني أن كل الممارسات كانت وراءها معتقدات دينية فإن التجارب المختزنة والتى تتوارثها الأجيال... كانت لها تأثيراتها أيضا على بعض الممارسات... من ذلك أن هدهدة الطفل وفوائدها فى إسعاده ، وإشعاره بالإهتمام ، هى فى الواقع خبرة متوارثة وليس وراءها معتقدٌ ظاهرٌ.

- فوضع الطفل على حجر أمه هى ممارسة أخرى تنتمى إلى التجربة والعادة التى ثبتت فعاليتها أكثر من كونها فعلا وراءه دافع من معتقد ديني.

فهذه الممارسة تشعر الطفل بالرعاية الحميمة من أمه، فضلا عن أن هذا الوضع يمده بالدفء الناتج من جسم آمه ، إضافه إلى قربه من مصدر الحنان وهو صدر أمه وبين ذراعيها ، ومن مصدر الحياه وهو ثدى أمه بما تحمله من لبن مازال العلماء حائرين فى تركيبته الخاصة التى تحمل الغذاء والوقاية من الأمراض أيضا، والذى لاتعوضه آية أنواع من الحليب الصناعي كما يجمع الأطباء والعلماء إذ لابديل عن حليب الأم.

والعلم المبكر بهذه الحقائق سواء كان علما كليا أو جزئيا إنما هو علم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنتجته التجارب والمعارف المتوارثة ، ومن هنا يمكن أن تأتي بعض الإجابات لتصور و كأن لاشيء كامن وراء بعض الأفعال والأقوال.

وإذا كانت معظم الإجابات تظهر أن هناك أشياء بعضها ديني وبعضها إجتماعي وبعضها تجريبي، فإن البعض جريا على عادة أهلهم كانوا يؤدون هذه الممارسات أو بعضها تقليدا أكثر من كونها إعتقادا أو علما ، وهذا لا يقلل من حقيقة أن وراء كل قول معتقد ، ووراء كل فعل دافع.

ثم نواصل متابعة العمليات المتعلقة بنوم الطفل وما يرتبط بها من بعض الممارسات والمعتقدات الإجتماعية والدينية.

النوم المنفصل للطفل :

وإذا كان قد تبين لنا مما سبق عرضه وتحليله أن الطفل فى سنواته الأولى كان تحت عيون والديه وكان محل رعاية خاصة تتطلب العديد من الأفعال والأقوال حتى فى عملية نومه..

وإذا كان واضحا من إجابات الأسئلة التى سبقت أن حضن الأم كان مهده الأول و " المنز " كان مهده الثانى.

فإن من الطبيعي معرفة أن الطفل الرضيع لن يظل رضيعا ، وأن الطفل لن يبقى طفلا وأن لكل مرحلة فى حياة الطفل متطلباتها الخاصة... وأنه مع نمو الطفل ويقظة مداركه وحواسه تنشأ أوضاع جديدة تفرض تغييرا ما لملاءمة هذا النمو.

ولأنه من غير المتصور أن يظل الطفل فى سرير الأطفال الصغير " المنز " بينما ينمو الطفل طولا وعرضا بما قد يتجاوز حجم " المنز " مما يتطلب مكان نوم آخر.

ولأنه من غير الطبيعى إستمرار نفس القدر من الرعاية المكثفة ، بينما نمو الطفل يجعله فى حاجة لقدر أقل من الرعاية المباشرة خصوصا بعد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تجاوز ٥ سن الفطام.

ولأن الطفل لن يظل فى وضع الطفل الأولى بالرعاية بعد مرور عامين أو ثلاثة فى حين يكون ضيف جديد. قد أطلق صرخات بكائه الأولى معلنا بداية حياة جديدة لشخصية جديدة هى أخت أو أخ للطفل الأول مما يجعله الأجدر بوضع " الأولى بالرعاية ".

ولأن كل ماسبقت الإشارة إليه يحدث حتما فإن من الطبيعى أن تتغير الأوضاع ، ومن هنا يتطلب الموضوع من الباحث متابعة هذه التغييرات.

ولهذا جاء السؤال عن تلك الفترة من عمر الطفل التى يبدأ فيها بالنوم منفصلا عن والديه.

ولأن السؤال لايستهدف فقط رصدا زمنيا وإنما بالإضافة إليه يستهدف رصدا إجتماعيا... كانت أداة الإستفهام (... لماذا؟) مفتاحا لمعرفة الأسباب وبالتالي معرفة الدلالات والإجابات التى بين أيدينا إختارت أن تضع العمر التقديرى بين قوسين... الأول هو أن يكبر الطفل ، والثانى هو أن يدرك الطفل.

وبعد القوس الأول تتعدد الإجابات...

- هناك من رأى أن كبر الطفل يعنى تمام الفطام.
- وهناك من حدد السن بأربع سنوات..

وعلى الرغم من أن الإجابات تباينت فى تحديد العمر حيث تدرجت التقديرات للسن التى يبدأ الطفل فيها فى النوم بعيدا عن أبويه من سن الثانية (الفطام) حتى السنة الثانية عشرة من عمر الطفل ، إلا أن المسألة كانت تتعلق بتقدير السن التى يكبر فيها الطفل ليمكن الإطمئنان عليه فى نومه بعيدا عن والديه... والأمر كان يخضع لتقدير الأبوين للعمر الذى يطمئنان فيه على أن الطفل يمكنه الإعتماد على نفسه.

أما الجانب الآخر من الإجابة وهو أن يدرك الطفل فإن نمو الإدراك كان

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يمثل المقدمة الأولى أو لعله الشرط الضرورى للإعتماد على النفس.. وفى الوقت ذاته كان نمو الإدراك يمثل السبب الرئيسى " لإبعاد " الطفل بعيدا عن والديه عند النوم.

وتظهر الإجابات أن أسباب ذلك لايمكن إلا أن تكون مفهومة ، وهى ببساطة تتلخص فى أنه من غير الطبيعى أن يرى الطفل والديه فى وضع النوم لأنه بدأ يدرك ويستطلع ، لأن ذلك من شأنه خدش حياء الطفل فضلا عن خدش حياء الأب والأم عند القيام بأداء واجباتهما كزوجين.

ويندر أن يوجد أبوان من أى جنس أو جنسية فى العالم يمكن أن يطلعا أطفالهما على المعاشرة الزوجية فهذا أمرٌ تأباه الفطرة الإنسانية العادية فما بالك بالفطرة السوية فى مجتمع مسلم.

وعودة إلى إجابات الإخباريين على السؤال فقد تجنبت معظم الإجابات تحديد السن وإكتفت بالإجابة التى تقول " حتى يكبر الطفل ويفهم الحياة ".

ومن ناحية ثانية إختلفت الإجابات التى حددت السن كما أشرنا إلى مابين الثانية وحتى الثانية عشرة.

وقد إستوقفتنا عدة إجابات على الرغم من ندرتها حيث خرجت عن المألوف من غالبية الإجابات التى رأت بالفصل بين الأطفال وأبويهم فى النوم عندما يكبر الأطفال ويفهمون حيث أشارت إحدى الإخباريات إلى أنه لا يتم الفصل فى النوم بين أفراد الأسرة فالكل كان ينام إلى جانب بعض على فرش منفصله فى خيمة واحدة.

بينما أشارت إخبارية أخرى إلى إنهم كانوا ينامون معا فى خيمة واحدة ولكن كان الأطفال فى أحد جانبى الخيمة وكان الزوجان فى جانبها الآخر.

كما أشارت إخبارية أخرى بشكل عام إلى أنه لم يتم الفصل فى النوم للإبن الطفل وأبويه ولا بين الإخوة والأخوات " فالكل ينام مع بعض فى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الكرين" [1] وهنا ننتقل إلى الجانب الآخر من الموضوع وهو الأسباب التى أدت إلى تباين الإجابات وربما هى نفسها الأسباب التى فرضت هذه النتائج.

فمن خلال الإجابات عن " لماذا ؟ " أمكننا التعرف عن الوضع الإقتصادى وبالتالى الإجتماعى داخل البيت ومن خلاله يمكن للباحث الإجتماعى الخروج بالعديد من النتائج التى تؤثر تأثيرا مباشرا على طبيعة العلاقات الإجتماعية سواء داخل الأسرة الواحدة أو داخل المجتمع ككل.

- أمكننا مثلا معرفة أن الخيمة الواحدة كان التقسيم فيها يتم بفواصل من قماش على شكل ستائر يمكنها أن تمنع الرؤية لكنها لايمكنها أن تمنع الأصوات.

- وأمكننا مثلا معرفة وضع الحياة داخل الخيمة بما لايسمح للزوجين بأن يكون لهما غرفة خاصة وبالتالى بألا يكون للطفل غرفة خاصة.

- كما أمكننا معرفة أن هذا التقسيم كان يتم أحيانا بشكل جغرافى عندما كان الأبوان ينامان فى الوسط ، البنات فى الجانب الأيمن من الخيمة ، والأولاد فى الجانب الأيسر فيها.

- وأمكننا معرفة أن الفصل بين الأبناء ووالديهم عند النوم كان أمرا مستحباً.

- وأمكننا من جانب آخر معرفة أن هذا الفصل كانت تمنعه عوامل إقتصادية ومكانية ، وكان يتم أحيانا بتخصيص فرشة خاصة لكل طفل.

- كما أمكننا تبعا لذلك أن نتخيل أسرة تأكل من إناء واحد وتعيش تحت مظلة واحدة ، وتنام معا فى المكان نفسه ، هذه الصورة على الرغم من بعض الجوانب السلبية فيها إلا أنه يمكن أن تصنع أسرة ذات علاقات

---

(١) الكرين : الخيمة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إجتماعية أكثر ترابطا ، وحميمة بشكل أكبر بكثير من أسرة يعيش كل فرد فيهابذاته وفكره فى غرفة خاصة. وفى عالم خاص تتباعد معه فترات التلاقى بين الأفراد.

- جانب آخر من الصورة عرفناه كذلك، وهو أن الحياة لم تكن خيمة فقط ، وإنما كانت هناك بعض البيوت ذات الغرف للشرائح الأيسر حالا فى المجتمع، ومن ثم كان يمكن أن يكون للأب والأم فيها غرفة خاصة ، وللبنات غرفة ، وللأولاد غرفة. على أن ذلك كان يمكن أن يتم أيضا فى إطار الخيمة بأن تكون خيمة أكبر ، أو بعدة خيام متجاورة ومتصلة فى الحالتين.. البيوت أو الخيام الكبيرة.. فإن ذلك كان يخص الشريحة الأقل عددا فى المجتمع أى نسبة بسيطة من مجتمع الإمارات فى مرحلة الميلاد ، وأن هذه الشريحة الأقل كانت هى الأكثر غنى على السلم الإجتماعي...

بقى أن نشير إلى أن هذه الظروف كلها هى التى فرضت فترة العمر التى يبدأ الطفل فيها النوم منفصلا عن أبويه... وهى التى حددت ما إذا كان الطفل سينام فى مكان خاص به ، أم وسط إخوانه فى الجانب الآخر من الخيمة.

ثم ننتقل إلى جزء آخر هو وفى الواقع إمتداد طبيعى ومكمل لمحتويات هذا الفصل... وهنا سنجد أنفسنا قد خرجنا من حدود " مملكة الطفل " ودخلنا إلى حدود " مجتمع الأسرة " فبعد أن هيأنا الطفل للنوم.. وبعد أن نام الطفل وإستيقظ مئات المرات على مدى عامين أو ثلاثة أعوام أو أكثر رحنا نتابع إنتقاله من بين أبويه إلى جوار إخوته... ونحن فى هذا الجزء نجد أنفسنا نواصل متابعة إستكشاف الصورة وقراءتها من جميع جوانبها ، فنحن نقتفى خط سير الطفل ، ونقوم فى الوقت ذاته بإستشكاف المكان والظروف المحيطة بالمرحلة الجديدة من حياته.

ولمزيد من التعرف على " مجتمع الإخوة والأخوات " طرحنا بعض الأسئلة منها:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- كيف كان ينام الأخوة ؟
- هل ينام الجميع معا.. ولماذا ؟
- هل ينام الأولاد معا ؟ والبنات معـا ؟
- هل لكل منهما غرفة خاصة ؟
- هل هناك غرفة لكل فرد ؟
- ومتى وفى آية ظروف كان يمكن أن يكون للفرد غرفة خاصة ؟

ومن الإجابات التى جمعناها فى هذا البحث الميدانى يتضح لنا أن هناك مرحلتين ، كما أن هناك جنسين :ـ

- فى المرحلـة الأولـى : إذا كان الأطفال صغارا.
- وفى المرحلة الثانيـة : إذا كان الأطفال كبـارا.

- فى الأولى (صغارا) : كانت الظروف الإقتصادية والمكانية تفرض إجتماع البنات والأولاد فى مكان نوم واحد.
- فى الثاني (كبارا) : كان الأمر حسبما تسمح به الظروف يتطلب فصلا بين الجنسين ، فكان الأولاد في غرفة أو في جانب من الخيمة ، وكانت البنات في غرفة أخرى أو في جانب آخر من الخيمة.

وإذا سمحت الظروف بأكثر من ذلك كان يمكن تخصيص غرف خاصة للكبار منهم خصوصا البنات.

وهذا يقودنا إلى الشق الثاني من السؤال... لماذا يتم الفصل ؟

تقول إحدى الإخباريات :

" البنات بروحهم فى حجرة ، والأولاد بروحهم.. البنت لين كبرت وبلغت تستحي حتى من أخوها وأمها بعد ".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- وهنا يبرز " الحياء " كعامل طبيعي ورئيسي يتطلب فصل البنات عن الأولاد فى مكان النوم.

بينما تقول إخبارية آخرى.

" يتم الفصل لأنه " مب زين " البنت ترقد ويا الولد وهو ريال " أى أنه من الخطأ أن تنام البنت " الأنثى " مع الولد " الذكر " فى غرفة نوم واحدة يبرز " الوعي " بالطبيعة الإنسانية التي قد تعميها الرغبة عن الإلتزام بالواجب بتأثير الشيطان.

- وهنا أيضا يبرز جانب " الوقاية " بدلا من الحاجة للعلاج.
- وهذا يعكس وعيا مبكرا وحرصا متزايدا على سلامة الأسرة وقيمها ويكفي أن نقرأ هذا السيل من الكتب الصادرة فى أمريكا والغرب التى تكافح " زنا المحارم " التى بدأت تهدد بالشيوع فى تلك المجتمعات مما يعنى أن الضوابط التى حرص عليها مجتمعنا القديم هى صمامات أمن لحماية الأفراد والأسرة والمجتمع وليست مجرد قيود على حرية الأفراد.... تلك الحرية التى إذا لم تتسلح بالحياء وتلتزم بعناصر الوقاية إنقلبت إلى ظواهر إجتماعية خطيرة يصعب السيطرة على آثارها..

وهنالك راوية تقول... " سبحان الله... إن إبليس فى الأرض.. فكيف تنام البنت مع الولد حتى لوكان أخوها !.

الإجابات تكشف لنا أن سن الفصل بين الجنسين هو السادسة أى أن الأطفال صغارا كانوا هم الأطفال دون سن السادسة ، والأطفال كبارا كانوا هم الأطفال فوق سن السادسة.

غير أن قلة من الإجابات أشارت إلى وضع خطير حيث تقول إحدى الإخباريات " أنه لم يتم الفصل بين الأولاد والبنات لأن البيت كان غرفة واحدة فأين يذهبون ؟ !.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتشير إخبارية أخرى إلى نفس الوضع قائلة : " كلهم ينامون فى حجرة واحدة " عباس " على " دباس " ، وجميع الفرش كان فى غرفة واحدة بالتسلسل ، الأخ مع الأخت هكذا على طول والأم والأب على السرير. !

ولعل الإطلاع على نصوص الإجابات يمكن أن يعطى صورة واضحة من جميع الجوانب لهذا الجزء الهام من الفصل حيث تتحدد العوامل المؤثرة فى تشكيل خريطة نوم أفراد الأسرة فى عدة عوامل أهمها : -

١ - العامل الدينـــى :

الذى يرى التفريق بين الأبناء فى المضاجع طبقا للحديث الشريف.

٢ - العامل الإقتصادى :

الذى كان يحدد طبيعة وسعة البيت أو الخيمة.

٣ - العامل الإنسانى الغريزى :

الذى كان يتطلب التفريق بين الأبناء فى النوم.

ومن ثم تتحدد تبعا لذلك خريطة العلاقات الإجتماعية لأفراد الأسرة ومن ثم للمجتمع كله الذى يعيش فى معظمه الظروف نفسها.

وبالرغم من أننا بصدد عملية جمع وتصنيف للعادات والتقاليد أكثر من كوننا بصدد عملية تحليل للظواهر الإجتماعية، إلا أن عادات وتقاليد مجتمع من المجتمعات لابد أن تتصل مباشرة بالرؤية الإجتماعية.

لذا ننشر نصوص الإجابات لاحقـــا.

ومن الأسئلة الهامة التي حاولنا الإجابة عنها من خلال هذه الدراسة سؤال رئيسي هو.. هل يمكن أن يتربى الطفل فى غير حضانة والديه ؟

أن الظرف العام السائد لم يكن يحبذ هذا الإتجاه، أى أن يتربى الطفل فى غير حضانة والديه الحقيقيين لكنه مع ذلك ، وفى حالات معينة - لم يكن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يمنع ذلك.

بعض الإجابات رفضت وبشدة قبول أن تعهد لأحد أقاربها بتربية أحد أبنائها... لكن ينبغي مع ذلك ملاحظة أن التى تتحدث هى والد ة الطفل أو أبوه... وأنهما أحياء وبصحة جيدة.. ولاشيء يمنعهما من تربية الأبناء بأنفسهم.. كما أنهما يتحدثا ن عن الحاضر لا عن الماضي.. لكن الأسئلة التى طرحناها ربما كانت تبحث عما إذا كان ذلك شائعا أم لا.. ؟

عما إذا كان ذلك إختياريا أم إضطراريا.

وعما إذا كان فى الحالات الإضطرارية ذا تاثير غير مرغوب فيه أم لا؟.

وربما كانت أسئلتنا بشكل خاص موجهة للبحث عن الظروف المختلفة التى كانت تجبر الأسر على ذلك.

كما كانت هذه الأسئلة من منظور إجتماعي تبحث عن الآثار الإجتماعية الناتجة عن هذه الظروف على العلاقات الإجتماعية بين أفراد الأسرة وعلى الأفراد أنفسهم.

وبطبيعة الحال فلقد كنا معنيين بالبحث عن الظروف الإجتماعية الدافعة لمثل هذا الإتجاه بإعتبار هذا الإتجاه هو الإستثناء وتربية الطفل مع والديه هو القاعدة.

ولعلنا هنا بعد الإطلاع على إجابات ماطرحناه من أسئلة نجد أنه ليس هناك ذلك النوع من الإجابات القاطعة.. نظرا لأن كل حالة كانت إبنة ظروفها الخاصة.

لكننا بشكل إجمالى وبالإطلاع على إجابات السؤال :

الأول ... وهو... هل يقوم الأقارب أحيانا بتربية أحد الأطفال ؟.

وبعملية رصد كمي لهذه الإجابات إتضح لنا مايلى :ـ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- النسبة الغالبة قالت... نعم... يحدث أحيانا ولظرف ما.

- النسبة الأقل قالت... لا... لايحدث مثل ذلك إلا نادرا جدا.

- والنسبة الأدنى قالت..لا... لم يحدث هذا فى عائلتنا على الأقل.

ومع ملاحظة أن الذين أفادوا بوجود هذه الظاهرة فى مجتمع الإمارات القديم شددوا على وجود ظروف خاصة دفعت إلى وجودها.

فإنه من الطبيعي أن نكون معنيين هنا بمعرفة مثل هذه الظروف.

لقد تعددت هذه الظروف مابين الإجتماعى والإقتصادى ومايرتبط ببعض العادات والمعتقدات الخاصة أو الإجتماعية.

وصحيح أن الإجابات تفصلها بصورة أوضح.. إلا أننا يمكن أن نجملها فى الأحوال التالية : ـ

١ ـ وفاة الأب أو الأم أو إنفصالهما.

٢ ـ مرض الوالدة وعدم قدرتها على تربية الطفل.

٣ ـ كثرة عدد الأولاد لدى عائلة وحاجة عائلة أخرى إلى الأولاد.

٤ ـ إرتباط ذلك ببعض العادات المتوارثة فى العائلة بإن تقوم الجدة أو الجد بتربية أحد الأحفاد.

٥ ـ محبة إحدى القريبات لطفل أختها وتعلقها به.

٦ ـ الخوف من الحسد فى حالات ولادة التوأم.

٧ ـ وفاء لنذر خصوصا لمن لم يعش لها أبناء من قبل.

والنتيجة... أن ذلك كان يحدث لظروف مختلفة وإن لم يكن فى الظروف الطبيعية أمرا مرغوبا فيه.. إذ ليس هناك من هو أحرص على الطفل من والديه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإذا كان السؤال الرئيسي قد ركز على وجود هذه الظاهرة من عدمها... فيبدو من الطبيعي أن يبحث السؤال الثاني عن هؤلاء الأقارب الذين يعهد إليهم بتربية أحد الأبناء من هم.. ؟

والإجابات أيضا لابد أن تتعدد وتختلف تبعا لإختلاف ظرف كل حالة... ولكن يمكن ترتيبها حسب الإجابات على النحو التالى : -

١ - عند الجد أو الجدة.

٢ - عند الأخت.

٣ - عند الخالة.

٤ - عند العمة.

٥ - عند الأخ.

٦ - عند الخال.

ولتتبع نتيجة تربية أحد الأطفال عند أحد الأقارب تساءلنا عما إذا كان ذلك يدوم لفترة طويلة يعيش الطفل بعدها بعيداً أم يعود لوالديه ؟.

ولم يكن هناك عناء كبير لمعرفة أن الطفل يعود لوالديه فى النهاية إذا كانوا أحياء أحدهما أو كلاهما كما كان من الواضح أن قيام أحد الأقارب بتربية أحد الأبناء لم يكن يعنى على الإطلاق تبنّيه " بديلا عن أمه أو أبيه.

وكانت الحالات النادرة التى يبقى فيها الطفل إلى أن يتزوج هى حالة وفاة الوالدين خصوصا إذا كان فى رعاية الجد أو الجدة.

لكن فى الأحوال شبه الطبيعية الأخرى، كان الطفل يعود لرعاية والديه تبعا لظرف كل حالة عن حده.

فأحيانا يعود بعد الفطام وقد يمتد به الوقت لثلاث سنوات أو خمس أو تسع أو أربعة عشر عاما.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما عن التأثيرات المختلفة على سلوك الطفل عندما يتربى فى حضانة غير والديه.

فإن الإجابات المختلفة تظهر أيضا أن هناك تأثيرا على شخصية وسلوك الطفل عندما يكبر وتتراوح هذه التأثيرات فى درجاتها وفى نوعها تبعا للظروف الذاتية والموضوعية المحيطة بظروف ذلك..

لكنها إجمالا تكاد تتركز فى الآثار التاليـــة : ـ

- أن الطفل الذى يتربى فى كنف جدته خصوصا يتدلل أكثر على والديه.
- أن الطفل الذى يتربى فى كنف جده يخامره شعور بالفخر أنه تربية جده.
- أن الطفل الذي يتربى لظروف جبرية يخامرة شعور بالنقص والخجل.
- أن هؤلاء الأطفال لايندمجون بصورة طبيعية تماما مع أشقائهم بعد عودتهم للمنزل.
- أحيانا يؤدى ذلك إلى الشعور بعدم الإنتماء لوالديه.
- وأحيانا يحاط الطفل بتأثير سلبى من جراء كلام الناس عنه ونظرتهم إليه.

وصـــف لسرير الطفـــل (المنـــز) :-

إتساقا مع الحياة البسيطة التى عاشها الأهل فى الماضى جاءت صناعة أدوات حياتهم بسيطة للغاية.

ولم يشذ سرير الطفل عن هذه القاعدة حيث أنه رغم إختلاف أشكال وخامات هذه الأسرة إلا أنها إتسمت جميعها بالبساطة.

- فكان يمكن مثلا... وضع عصاتين متقابلتين على شكل حرف × وربطها بالحبال على هذا الشكل ... ثم تلف بالحبال من رؤوس هذ الحرف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لتعطى فى النهاية شكلا مستطيلا ثم تغطى " بشادر" وتفرش لنوم الطفل ، وهذا الشكل كان يطلق عليه " هذه " أحيانا.

- أو كان - فى شكل آخر - يصنع من الخشب (الساى) وتصقل جوانبه ويصبغ.. ثم تجهز له جوانب خشبية بأبواب صغيرة ، ويثبت هذا الخشب بالمسامير ويصمم له رأس مثلث الشكل على هيئة خيمة ، وتغطى بقماش يسمح بدخول الهواء وتعلق فى سقفها مثلثات صغيرة ملونة على شكل السمبوسة مخيطة فى بعضها ليلعب بها الطفل ويسعد بألوانها وتسمى " الكركوشة ".

- كما كان البعض يلجأ لصناعة المنز من الجريد (سعف النخيل) وربطه بالحبال ليصنع منه قاعدة مستطيلة بحبال متوازية ومتقابلة تفرش لينام عليها الطفل كما كانوا يصنعون له رأسا مثلث الشكل يغطى بالقماش ليمنع الحشرات الطائرة كالذباب وليسمح فقط بدخول الهواء، ويعلقون فى سقفه لعباً ملونة للطفل وأحيانا لعباً أخرى من البيئة المحلية تحدث أصواتا مع إهتزاز السرير ويسمى " الهزاز.

- وفى شكل آخر كان " المنز " يصنع من الخشب بعد صقله وعمله على شكل قوائم " رمانات " وتستخدم أربع رمانات على شكل مستطيل ، تربط بينها قوائم خشبية مستطيلة ومثقوبة لتثبيت الحبال (الليف) من الجوانب بالطول والعرض لتصنع فى النهاية قاعدة شبكية الشكل.. ثم تغطى هذه القاعدة (بالسمة) أى البساط المصنوع من سعف النخليل الذى يغطى بالرمال لإمتصاص البلل ثم يفرش بقماش نظيف ، كما يغطي رأس " المنز " المثلث الشكل بغطاء من القماش يسمح بدخول الهواء ويمنع الأتربة والرمال.

- ومن أشكال سرير الطفل كان هناك نوع آخر يسمى " الشاطوحة " ويصنع من الخشب ويتميز بأن له فتحات (شبابيك) للتهوية ويثبت على قواعد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ترفعه عن الأرض قليلا ، وكان هذا النوع فى بعض الأحيان يعلق فى السقف ، وكان بعض الأسر تلجا إلى وضع سرير طفلها قريبا من الموقد لتأمين تدفئة الطفل.

- هذه الأشكال المتعددة لسرير الطفل التى نتحدث عنها لم يعد لها وجود تقريبا فى الزمن الحديث إذ حلت غرف الأطفال الحديثة محل " المنز " الذى كان بمثابة غرفة نوم الطفل فى الزمن الأول. ولن نسترسل هنا فى وصف أشكال سرير الطفل حيث تتعدد أشكاله كما تتعدد خاماته وطرائق صناعته.. وسنترك ذلك بتفصيل أكثر لروايات الإخباريين والإخباريات.

ولكننا فى إطار هذا العرض نتوقف أمام عدة ملاحظات تتعلق بصناعة المنز وإستخداماته وقيمته الإجتماعية.

١ - كان سرير الطفل على إختلاف أشكاله يستخدم بطريقتين " إما معلقا بالحبال فى سقف الغرفة أو الخيمة ويتدلى منه حبل يسمح للأم بربطه فى أصبع رجلها ليمكنها هزه كلما بكى طفلها بينما تمضى فى أداء واجباتها المنزلية الأخرى.وإما مثبت بقواعد على الأرض (الشاطوحة)

وحتى السرير القريب من الأرض كانت بعض أشكاله له قاعدة متحركة على شكل قوس لتسمح بهز الطفل ، ولذا كان يطلق عليه " الهزاز".

٢ - كانت العائلة تتداول هذا السرير وكلما أدى مهمته لطفل يعد من جديد ليستقبل طفلا جديدا من أبناء الإسرة... ومن طقوس إعداد السرير للطفل الجديد القيام بغسل السرير بالماء والسدر وتبخيره باللبان والدوخشير والخطف.

٣ - كان من عادة العائلات أن تهدى سرير أطفالها إلى عائلة أخرى رزقت بمولود إذا لم يعد لها حاجة إلى السرير.. وكانت العائلة تتوارث هذا السرير لسنوات طويلة.بهذا إكتسب " المنز " فى الحياة الماضية قيمة تاريخية وإجتماعية عندما يقال بعد عدة سنوات إن هذا السرير تربى فيه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فلان إبن فلان ، وفلان إبن فلان ، مما يكسب عددا من الرجال فى المستقبل رابطة جديدة غير رابطة القربى هى رابطة السرير الذى نشأوا فيه فى طفولتهم.

٤ - فكرة " المنز " البسيطة تتلخص فى تثبيت ٤ قوائم خشبية بالحبال ليصير مستطيلا..وتلتقى أربطة الحبال فى عقده واحدة يعلق منها "المنز" فى السقف.

٥ - لجأ الأهل إلى طريقة متناهية فى بساطتها بديلة عن فكرة الحفاظات الحالية للأطفال المعروفة بإسم " البامبرز "... وذلك بقيامهم بوضع الرمل الناعم تحت مكان نوم الطفل على المنز لإمتصاص الماء الناتج عن تبول الطفل أثناء النوم ويتم تغيير هذا الرمل كلما تبلل.

وفى الروايات التالية وصف أكثر تفصيلا وأكثر تشويقا للعادات المختلفة فى مرحلة الميلاد والتى تتعلق بصناعة " المنز " ودوره فى الحياة الإجتماعية لمجتمع الإمارات الأول.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخاتمة

THE END

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخـــاتمـــة

مـاذا يقـدم لنـا هذا الموروث؟ ومـاذا يريد الانسـان العـربي من مـوروثه الشعـبي؟ وكيف يمكن ان تحسم هذه المواقف الدائرة حول الموروث؟ الموقف الرافض له، والموقف المؤيد؟ ثم التـسـاؤل الاهم وهـو هل يمكن ان يكون هذا التـراث الحـضاري لـلانسـان في المجـتـمـع العـربي مـخـزونا تـنطلق منه كـافـة مشروعات التغيير فيه؟.

إننا فـي هذه المرحلة الجـديدة، نجـد انفسنا قد حـقـقنا جـزءاً من مـهـمـة المرحلة السابقة وهي مهمة الجمع والتصنيف واعداد المادة المكتوبة والمسجلة لكافـة انواع الموروثات الشعـبيـة. ومن الممكن ان تستمر هذه المهمة لتكتمل وتتحـقق في كافة مجـتمعاتنا العربية، ولكن الاهم الان ان يطرح مشروع جديد هو الذي يستطيع ان يحـقق النقلة النوعـيـة في كـيـفـيـة الاسـتـفـادة من هذا الموروث الشعـبي. على ان يكون هذا المشروع تكامليـا على مـسـتـوى الوطن العربي تتضـامن فيه كافة الجـهود العلمية بشكل موحد يحل لنا الاشكالية التي نعيشها اليوم في دراستنا حول الموروث، وفي اشكالية التجزئة والتباعد بين البـاحـثين على مستوى وطننا العربي. اننا بذلك نرد على كافة الاصوات المنادية بـالاهتمـام بالتراث ونستشهد ببعض ما كتب في صحفنا المحلية من رأي حول نفس القضية.

ان تراثنا الشـعـبي تراث غني زاخـر بالصـبـر والتـجـارب وفـيـه الاسس التكوينية لشخصياتنا وهذا التراث يعيش صراعاً مع التحول السريع نحو المدنية، تكاد ادواته تطغى على مضمونه، فتبقى محافظتنا على شكل التراث، وينحسر المضمون مما بدأ يشكل نوعاً من انفصام الشخصية الاجتماعية ويدفع بنا الى دوامة من المشكلات الدخيلة على بيئتنا. ويخرج في النهاية بوضع التصور على ضرورة الربط بين شخصيتنا التراثية، وذلك من خلال

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تطوير ادوات موروثنا الشعبي، لتتناسب مع الحياة العصرية التي نعيشها. ويقترح ان يكون ذلك بالاستفادة من تراثنا الشعبي في تربية اجيالنا، وجذبهم الى الارتباط بشخصيتهم التاريخية، وتسريع دورة عجلة الدراما الخليجية وتوظيف الموروث الشعبي فيها واعادة الصور التاريخية المضيئة الى العقل الجمعي لاجيالنا الشابة من خلال هذه الدراما (٢٥).

لقد حان الوقت اذاً للتفكير والعمل على ايجاد علاقات مباشرة بين اكبر قضيتين تشغلان انساننا العربي اليوم. وهي قضية التنمية، وقضية التراث (والتراث الشعبي على وجه الخصوص) وكيف يمكن ان يكون هذا التراث ميدانا خصباً تجد فيه مشروعات التنمية كافة متطلباتها، بالاضافة الى ما يمكن ان يعطيه هذا التراث من خصوصية واصالة لبرامج التغيير في هذه المجتمعات. اذ طالما عانت مجتمعاتنا من حدة التحديث الغربي الذي أسهم في اعادة انتاج التخلف بدلا من التخلص منه.

اننا اذاً امام تحد يحتاج وقفة متأنية لنعيد النظر في تراث وحضارة هذه المجتمعات سواء أكانت الحضارة مادية ام لا مادية. فلربما كان موروثنا هذا يستطيع ان يبعث الحياة فينا من جديد، ويرسخ قيمه القديمة بدلا من القيم الجديدة التي تشكلت في هذه المجتمعات، واصبحت احد اهم عوائق التغيير فيها. وربما نكون قد اجتزنا تلك اللحظات الحاسمة التي كنا نبحث فيها عن هويتنا القومية وجذورنا الحضارية وتقاليدنا الوطنية.

واننا قد توصلنا الى معرفة ماضينا وحاضرنا، وما علينا سوى الانطلاق نحو التخطيط لمستقبلنا وهنا نؤكد على اهمية ابراز الموروث في ظل اطار الشخصية القومية العربية الواحدة، ونتوقف عن الحديث عن المسميات الجديدة كالشخصية الخليجية، او الشخصية ربما الاماراتية والكويتية، انها تشوهات فكرية لا بد من الكشف عنها، ولا بد من الوعي لان التفاعل الخلاق لا يمكن ان يكون الا في اطار الشخصية العربية الواحدة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١ - يعد "الميلاد" من الظواهر الثقافية التي تحظي بإهتمام كثير من المتخصصين في الدراسات ، البيولوجية ، الإجتماعية ، السكانية والأنثروبولوجية والفولكلورية.. ذلك أنه ، إذا كان فكرة التكوين - للطفل - ذات طابع بيولوجي، فإن الوسائل التي تكمن وراءها تنطوي على عديد من المعاني الإجتماعية والثقافية التي تختلف بإختلاف البيئات الطبيعية والتجمعات البشرية.. ومن ناحية أخرى يؤدي الميلاد إلى أداء دور هام في نمو الأسرة، وإخفاء الطابع الإجتماعي عنها، كما يؤدي إلى زيادة حجم سكان المجتمعات بشكل عام.

٢ - إذا كانت مجالات التقاليد متعددة فقد أخترنا العادات المتصله بالميلاد آخذين في ذلك بفكرة "باول جوليك" الذي يذهب إلى أن مفهوم دورة حياة الأسرة يعد إطاراً للعمل لفهم الأسرة وخصائصها ومكوناتها من ناحية ، كما يمكن من فهم السياق الإجتماعي الذي يحيط بها والركائز الثقافية التي ترتكز عليهامن ناحية أخرى.

٣ - وقد تنطوي هذه الظاهرة على عديد من العناصر المتصلة بها، وجاءت على النحو التالي : الحمل ، الوحم ، الولادة ، ما بعد الولادة ، المشاهرة ، إخفاء نوع المولود ، ولادة التواءم ، تسمية الطفل ، الرضاعة والفطام، الحمل الكاذب ، العقم ، الإجهاض ، الختان ، التنشئة الإجتماعية.

٤ - أن الميلاد يجسد بعض المعاني المرتبطة بالطفل، ذلك إن الإنجاب خاصة في الثقافات العربية يعكس العديد من القيم، الاقتصادية، السلوكية، الدينية، بالإضافة إلى أنه من المكونات الأساسية والمحددات الهامة لمكانة المرأة . فبالإنجاب تكتسب الزوجة مكانة الأم، والأم سواء أكانت أم الأب أو ام الزوجة تكتسب صفة الجدة .. الخ كما أن الإنجاب يضفي على الأسرة أبعاداً ثقافية كالعزوه والعائلية.

ومن ناحية أخرى ، تختلف معاني الإنجاب "الميلاد" حسب نوعية الثقافة،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التي تحدد شرعيتة أو غير شرعيتة .. وبغض النظر، عن هذه القضية ، فإن الإنجاب والمعاني الإجتماعية والإقتصادية المرتبطة به، ينعكسان في الممارسات والشعائر الخاصة بكل أسرة منتمية إلى الثقافة التي تكونها ، وتبدأ هذه الممارسات منذ إعلان "الحمل" حتى إعداد الطفل كي يجتاز مرحلة الطفولة ليصل إلى مرحلة الشباب، ويوضح لنا ذلك طبيعة المادة الأثنوجرافية التي عرضنا لها.

أن المادة الأثنوجرافية التي عرضنا لها ترتبط بثلاثة عناصر أساسية هي:

× المادة التراثية المتصلة بمرحلة الميلاد(العادات والتقاليد والمعتقدات وعناصر الأدب الشعبي).

× حملة التراث الممارسين للعناصر الشعبية.

× السياق البيئي والإجتماعي الذي ينتمي إليه حملة التراث بإعتبارهم ممارسين ومتمسكين بالعناصر الشعبية المتصلة بالميلاد.

كما أن هذه المادة تجسد وتعكس لنا ما يلي :-

١ ـ العناصر المختلفة التي توضح إهتمام الأسرة بالطفولة منذ إعلان الحمل.

٢ ـ أن مضمون هذه الممارسات يدور حول الكيفية التي تشبع بها الأسرة الإحتياجات الخاصة بالطفل منذ تكوينه (حاجاته للنمو الفيزيقي، والعقلي، والإجتماعي والثقافي)، ويتجسد ذلك في العادات الخاصة بالتغذية والرضاعة)، التنويم ، وبالتنظيف... الخ.

٣ ـ أن هذه الممارسات تعكس مدى تأكيد الثقافة على آدمية الطفل واحترام إنسانيته، ويتأكد ذلك من خلال العادات المتصلة بتسميته، وبتنويمه وبتعليمه.

٤ ـ أن هذه الممارسات تعكس جو العلاقات الإجتماعية الذي يسود الأسرة، بدءاً من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قدوم المولود، وحتى إعداده كي يصبح شابا يافعا، لمجتمعه فهناك المؤازرة في عملية الولادة - التهاني - إحتفالات السبوع - التغذية - المساعدة في تربيته من جانب الاخوه - إكتساب وتنمية علاقات إجتماعية من نوع خاص.

٥ - وإذا كانت هذه المعاني كلها تعكس قيما عديدة ، خاصة ما يتعلق منها بالقيم الأسرية (مكانة الأم - مكانة الأسرة) ، فلنا أن نتوقع أن الأم هي المحور الأساسي في هذه العملية ، فهي التي تحمل ، وتربي وتعتني بالطفل، ومن ثم يتدعم وجودها الإجتماعي، وتكتسب مكانة مرموقة تختلف بإختلاف ثقافة كل مجتمع.

ولنا أن نتصور ، مدى الإهتمام التي تحظي به الأم الحامل، سواء عند الحمل، أو أثناء الولادة، أو ما بعد الولادة، فهي تحرص على إتقاء أو تجنب أي مشكلة تقع عليها، ولذا نجد العديد من الممارسات التي تؤدى لتجنب مثل هذه المشكلات، (المشاهرة).

ويستطيع الفرد أن يتصور مدى المكانة التي تحتلها الأم غير المنجبة "العاقر"، فهي متدنية، مقارنة، بالأم المنجبة ، وتظل في وضع إجتماعي غير مأمون، وغير مطمئنة نفسياً وتحيط بها الإتهامات من وقت لأخر، وتظل متهمة إلى أن تثبت براءتها بالحمل.. ولذلك، فإنها تلجأ للخلاص من هذه المأزق باللجوء إلى العديد من الممارسات الرسمية والشعبية.

ويلاحظ أننا راعينا - أيضاً - المقومات الإقتصادية والإجتماعية المتصلة بالإنجاب، فهي تختلف بإختلاف البيئة الطبيعية ، سواء كانت ريفية ، أم بدوية ، أم حضرية كما أن للمستوى التعليمي دوراً هاماً في هذه الأمور.

أما البعد الثاني، فهو الترابط والتساند الوظيفي بين عناصر التراث الشعبي، فهذه حقيقة معروفة تراعى في التحليلات، ذلك أن العادات الإجتماعية هي تجسيد للمعتقدات والقيم الثقافية الراسخة في أذهان الأفراد، كما يتم التعبير عنها بأشكال وصور مختلفة، منها التعابير القولية، التي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

توضحها الأغاني أو الأمثال الشعبية أو الحكايات.. ولذلك، فإن المادة التي عرضت في الفصول السابقة يتضح فيها هذا الترابط جليا، ليس هذا فقط، وأنما إرتباط ذلك بالسياق الإجتماعي الأسري والسياق الإقتصادي المجتمعي.

أن العادات الإجتماعية، قد يطرأ عليها ، بفعل عوامل محددة قد تكون داخلية أو خارجية ، بعض التغيرات التي تؤدي إلى تعديل بعضها أو إخفاءها تماما، أو تعديلها شكليا بحيث يبقى المضمون ثابتاً، وقد أوردنا كذلك في مادتنا ما يوضح ذلك، خاصة في العادات المتصلة بتنشئة الطفل (عادات النوم - التغذية - اللبس).

كذلك نؤكد على أننا لم نهتم فقط بالعادات والتقاليد والمظاهر الثقافية المشخصة والعيانية التي تؤلف أصلا مادة الفولكلور و الاثنولوجيا ولكننا سعينا كذلك إلى ربط هذه المادة العلمية بسياقها الإجتماعي، والمؤثرات التي تركت بصماتها على هذه الممارسات والعادات، ومن ثم التوصل إلى عاملي التغير والثبات من مجموع عناصر هذه العادات، وذلك يقينا منا بأن هذه العناصر والأبعاد الثقافية تشكل الإنسان ككائن ثقافي في مجتمع الإمارات.

كما أن دراسة بعدى التغير والثبات تحدد لنا إلى أي مدى استطاع الرواة التعبير عن القيم ةالجديدة التي تتلاءم مع واقع الحياة، وهل استطاع الإنسان في مجتمع الإمارات أن يغزل قيمة الجديدة في النسيج التقليدي السائد والذي يحظي بقبول الناس.

وتتجسد كل هذه الحقائق في المادة المعروضة سابقاً والتي نوجزها في هذه الخاتمة.

الحمـــل :

على سبيل المثال تضمنت العناصر الأولى لمحور الحمل ما يلي :-

بدء الحمل، ردود فعل الأهل لحمل المرأة، التحريمات المرتبطة بالحمل،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

غذاء الحامل والوضع الصحي لها، وكذلك مجموع الممارسات المرتبطة بكل مراحل النمو، وهي كلها موضوعات كشفت عن الواقع الإجتماعي الثقافي الذي كانت تعيشه المرأة الحامل منذ أول حمل لها وحتى أخر حمل .

وقد كشف التحليل عن أن هناك جواً إجتماعيا يحيط بالمرأة منذ بدء الحمل، تتشابك فيه بعض القيم الخاصة، والإتجاهات ذات التأكيد على أن كل شؤون المرأة يجب أن تخفى من بدايتها، وأن المجتمع بأفكاره يساعد على هذه الإتجاهات، خاصة فيما يتعلق بالمخاوف الأخرى كالحسد والعين، والخوف من الفشل، وبروز الخجل كعوامل مؤدية إلى الاخفاء.

من ناحية أخرى، كشفت الممارسات المتصلة بالحمل عن المعتقدات الراسخة في عقول الأفراد، فقد لاحظنا شدة التمسك بالدين الإسلامي وجميع معتقداته (لا يعلم الغيب إلا الله).

ويوضح ذلك أيضاً ردود فعل الأفراد (الزوج الزوجة والقريبات) كما يوضح ذلك الممارسات التي تتخذ للحفاظ على الحمل، سواء عند النوم أو أكل بعض الأطعمة دون سواها، أو شرب بعض الأدوية أو عدم زيارة لبعض الأماكن .. الخ .

المعتقدات المتصلة بالحمل :-

من المعتقدات التي كشفت عنها الدراسة والمتعلقة بالحمل، الخوف من الحسد من قبل الزوج على زوجته، وأتضح كذلك أن الحسد يكثر الشعور به بين بعض الأقليات الإثنية في مجتمع الإمارات (البلوش والمجموعات النازحة من الباطنة).

كشفت الدراسة عن أهمية البُعد الإجتماعي بالنسبة للمرأة الحامل، فقد أتضح أن علاقة المرأة الحامل بالأخرين جيدة وقوية.

إذ يقوم الأهل والاقارب والجيران بكل الاعمال التي لا تستطيع المرأة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تأديتها عندما تتاخر في شهور الحمل، وهنا نلاحظ شدة التماسك بين الافراد، وقوة الروابط الإجتماعية، ولا تمتنع المرأة الحامل عن الإتصال بجيرانها واصدقائها بل تزورهم في كل المناسبات ولا توجد أية قيود على علاقاتها بكل المحيطين بها، وتظهر بينهم روح المشاركة في الأعمال والحرف التي يقومون بها فيقال مثلا أنهم يتسامرون طوال الليل ليعملوا في غزل شباك الصيد، وهذه أبهى صورة للعلاقات الإجتماعية سابقا في مجتمع الإمارات.

كشفت الدراسة عن أن هناك ميلاً لدى الكثيرين سواء رجالا أو نساءاً، لتفضيل الذكور على الإناث، وهذه الميول تفصح في مضامينها عن الكثير من المفاهيم الخاصة بالإنجاب، وكذلك المعتقدات الدينية المرتبطة بالأطفال ونوعيتهم ، كما يكشف عن بعد ثقافي هام يحيط بدائرة الأنجاب والأطفال ونمط التنشئة الإجتماعية وربما عن النظام الإجتماعي في ذلك الوقت.

وقد أتضح أن من بين أسباب التفضيل، العامل الإقتصادي فالاغلبية ترى في إنجاب الذكور مصدرا قويا للكد والعمل ومزيداً من القدرة على الإنفاق على الأسرة وكذلك لعوامل ثقافية وإجتماعية أخرى أهمها التباهي، والسمعة الطيبة، والمكانة الإجتماعية والاستمرارية، وأن يقال أن العائلة منجبة للذكور.

الحمل الكاذب :

وإذا كانت هذه الممارسات و الأبعاد المتصله بالحمل الحقيقي، فإن هناك ما يسمى الحمل الكاذب الذي يعبر - في مضمونه - عن صراع نفسي وإجتماعي تظهر له أعراض مرضية تماثل أمراض الحمل الحقيقي، وقد أوردنا بعض المعتقدات والقصص التي تدعم ظاهرة الحمل الكاذب.. وأكدنا على أن الحمل الكاذب قد بدأ ظاهرة منتشرة في مجتمع الإمارات، ويرجع معظم الناس أسباب الحمل إلى القدرة الالهية، وإرادة الله، والى التوهم لدى المرأة المحرومه أصلاً من الإنجاب، وإلى عامل الخوف من أن يتزوج الزوج على زوجته.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويوضح ذلك مدى إرتباط الحمل الكاذب بالحالة الزواجية، وبالعلاقة بين المرأة والرجل، وبظروف الأسرة، كما يرتبط ببعض التفسيرات التي ترى أنه يحدث بعد الولادة إذا لم تتسلح المرأة بوسائل لحراستها من الجان.

كذلك عرضنا لردود فعل المجتمع تجاه هذه الظاهرة، إذ تتعرض لكثير من الإحباطات والكثير من الهزات النفسية قبل وأثناء الحمل، نتيجة لشعورها باللوم والخجل، وبالتالي يكوّن المجتمع عنها صورة مجروحة. ويوضح ذلك بعض الحكايات التي تعكس بعضاً من الحقائق الإجتماعية والثقافية المرتبطة بهذا الموضوع.

معرفة نوع الجنين :

معرفة نوع الجنين من العناصر الهامة المرتبطة بمرحلة الميلاد، وهي تعبر عن محاولات يقوم بها الإنسان لتفسير الظواهر من حوله، والكشف عن المجهول، فهذه علاقة جدلية بين الإنسان والبيئة وظواهرها، وقد اوردنا مادة تراثية توضح تفوق بعض الأفراد (الداية) في معرفة نوع الجنين، وكذلك وجود بعض التصورات والتغيرات البيولوجية لدى كل أفراد الأسرة والتي بمقتضاها يتم معرفة نوع الجنين.

كشف البحث عن أن هناك مجموعة كبيرة من الممارسات والعادات والمعتقدات والمأثورات من الحكم والأمثال والأقوال التي ميزت بين الجنسين، وقست على المرأة وحرمتها من أبسط الحقوق، وأعطت كل الحقوق للرجل، وسارت هذه المجموعة من الموروثات والعادات مع المرأة في كل مراحل حياتها في الطفولة والشباب والنضج والشيخوخة وحتى يوم مماتها، فمنذ النشأة والتكون وبدء حركتها بداخل رحم الأم، يبدأ المجتمع في التميز بينها وبين الذكر، ويتضح لنا ذلك في مناسبات الحمل، والوحم ، والولادة ، والبشارة ، وفي إخفاء نوع المولود.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الوحم :

يأتي الوحم كأول ظاهرة تتعرض لها المرأة بعد بدء الحمل، وتتضمن هذه الظاهرة أبعاداً بيولوجية وإجتماعية وسيكولوجية، ذلك أنها تعني اشتهاء المرأة لشيء معين (لطعام وسواه) وكراهيتها لأشياء أخرى أو محبتها لبعض الناس وكراهيتها لبعضهم الآخر، كما أنه يتضمن بعض الأعراض الفسيولوجية كالدوخة ، والقيء ، وكراهية الأكل)، يضاف إلى ذلك أنه يختلف بإختلاف نوع الجنين (ذكراً أم أنثى).

كما تشير هذه الظاهرة إلى مجموعة من الحالات الإجتماعية والإقتصادية في مجتمع الإمارات.

وقد تضمنت المادة الأثنوجرافية العديد من الأمثلة لأمهات إشتهين شيئا معينا ولم يجدنه، وبذلك ظهر على الولد أو البنت، وكل هذه الأمثلة تشير إلى أن العجز أحيانا قد يدفع إلى نوع من التفكير والتصورات غير الواقعية، فربما العجز الإقتصادي، ومعاناة المرأة في تلك الفترة ماديا أو إجتماعيا جعلها تميل إلى تفسير متطلباتها غير المتحققة تفسيرا غير علمي، ومن الناحية الثانية نستطيع أن نعلل ذلك، أي إعتقاد الناس بظهور الشيء المرغوب فيه على جسم الوليد كنوع من محاولات الإنسان لإيجاد تفسيرات لا يعرفون لها تفسيراً بيولوجيا أو طبيعيا من واقع المعرفة العلمية المتاحة ، إذ لا يمكن أن نفسر بعض التشوهات والعلامات على جسم الطفل أو الطفلة دون أن يكون هناك وعي صحي فسيولوجي فيتم اللجوء إلى فكرة الوحم وأثرها على الأم والطفل معاً.

الـــــولادة :

كشفت المادة التراثية المتصلة بالولادة عن المستوى المعيشي الذي كان يعيشه شعب الإمارات في المراحل السابقة لمرحلة الطفرة الاقتصادية، كما عكست إجاباتهم الحياة الإجتماعية المتماسكة والبناء الإجتماعي القوي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القائم على نظام التكافل الإجتماعي . وتنعكس هذه الحقائق في المراحل المتعددة للولاده وهي ثلاث، مرحلة ما قبل الولادة، مرحلة الولادة وما تضمنتها من عناصر محددة (التخلص من السرة ، اخفاء نوع المولود، التسمية ، الختان). ففي المرحلة الأولى ، كشفت الدراسة عن غياب العديد من القيم الإستهلاكية ، وحضور العديد من القيم الإقتصادية المتواضعة والبسيطة والتي تعكس المستوى الإقتصادي الفعلي للأفراد دون الجنوح بعيداً إلى مستويات لا يستطيع تحقيقها الفرد، فهناك نشاهد الاتساق بين ما يملكه الفرد وبين ما يستهلكه، فالتجهيزات للمولود تتمثل في الياس والملح والشنوط والقماط الطاقية (الكلوين) والكحل وغالبا ما تكون الملابس ليست جديدة، بل من الفائض الموجود بالمنزل وربما لأطفال سابقين لولادة الطفل الجديد .

وقد كشفت الدراسة عن الممارسات التي تتم لتسهيل الولادة وتحميه الطلق عن فقدان المجتمع في السابق لخدمات الطبية المطلوبة وخطورة المرحلة وانعكاسها على صحة الأم ، كما كشفت الممارسات عن الخبرة العملية المكتسبة عبر الأجيال والتي تتمثل في أمور عدة، منها على سبيل المثال معرفة أهمية المشي بالنسبة للمرأة الحامل وهذا يكشف عن وعي خاص بأهمية الحركة لمرأة، ثم إستخدام العديد من المواد الشعبية مذكورة ضمنا ولكن لا يغيب عن القارىء أيضا ملاحظة بعض الممارسات الخاطئة التي كانت تقوم بها الداية، وخطورة ذلك على الأم كما نلاحظ الإختلاف الواضح بين ممارسات الجماعات الثقافية المختلفة كالسنة والشيعة، وجماعات البلوش واللارية حول الوضع الذي تتخذه المرأة وهي تلد.

كذلك كشفت الدراسة عن وجود بعض المعتقدات المتصلة بتسهيل عملية الولادة ، ومن المعتقدات الخاصة بطبقة معينة، وتبدو أنها طبقة غنية لجماعات من الشيعة في دبي، وضع خاتم من الماس في ماء وتشربه المرأة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المتعسرة، ويعكس هذا الاعتقاد الحقيقة التي مؤداها انه عندما يكون الماس حقيقياً يعكس أشعة الشمس حتى يكون له مفعول قوي في تسهيل الولادة.

ومن المعتقدات التي تعكس التمييز بين ولادة الذكر وولادة الأنثى، القول (إن الولد الرب يسهل ولادته والبنت تتعسر)، وهذا لا شك يمثل اكثر المعتقدات الخاطئة التي تختزن في ذاكرة الشعوب العربية بشكل عام، وتبرز في مجتمعات الخليج بشكل خاص، وقد يعود هذا المفهوم الخاطىء لمعتقدات وممارسات العرب قبل الإسلام والتي تجلت في أسوأ صورها في ظاهرة وأد البنات حيث مارستها بعض القبائل.

كشفت الدراسة كذلك من أهمية المؤازرة الإجتماعية من الأسرة للأم ساعة الولادة وخاصة اللاتي يقمن بمساعدتها بشتى الطرق بما فيها عمل النارجيلة لتنفخ الأم فيها فيسهل الطلق وهذه عادات خاصة بمجموعة العجم من الإمارات ويتضح أن الإيمان بالله والدعوات وقراءة القرآن تساعد المرأة على تسهيل ولادتها، وهنا يتضح عمق التدين في مجتمع الإمارات ، فالإيمان بالله يرتبط بأي عمل يقوم به الأفراد، وخاصة عند الأزمات واللحظات التي يعجز الإنسان عن التصرف فيها، أو مقاومتها.

مرحلة ما بعد الميلاد :

من أهم المواد التراثية التي كشفت عن ثراء وغنى المعتقدات والممارسات في أسرة مجتمع الإمارات ما يتعلق بكيفية الاحتفاظ بالمشيمة أو السرة للوليد الجديد، فقد اعتبرت المشيمة عنصر التواصل والاستمرار بالنسبة للمرأة، فالطريقة التي تحفظ بها المشيمة تعبر عن استمرارية قدرة المرأة على الإنجاب، فهي تدفن في مكان آمن من المنزل أو على البحر.

كشفت الدراسة عن أن أهمية المحافظة على المشيمة نابعة من أنها تمثل سر المرأة، وحمايتها، وحماية قدرتها على الإنجاب مستقبلاً أما عن السرة فالإهتمام بها أيضاً يمثل الرغبة الشديدة في الإحتفاظ بالوليد والمحافظة عليه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من خلال حماية سرته من الإفساد، بل تستخدم له مجموعة من الأعشاب أو الملح الذي يساعد على الإحتفاظ بها، ومن ثم إستخدامها بعد أن تجفف في علاج مرض العيون بالنسبة لنفس الطفل أو علاج المغص المعوي.

كشفت الدراسة من أن الإعتناء بالمشيمة والسرة وحفظهما ودفنهما أو إستخدامها وخاصة المشيمة أداة لدرء الحسد والتيمن بها إذا تعرض الإنسان لقضية في المحكمة فإنه يتخلص من التهمة لمجرد أن يحمل المشيمة المجففة بالملح والأعشاب الأخرى إلى جانب أن هذه المرحلة من مراحل التوليد ورعاية الأم والوليد تعبر في الكثير من الملابسات والممارسات الشعبية عن وعي صحي كان حاضرا لدى القابلة ولدى أهل الأم، فنجدهم مثلا يحاولون التخلص من كل أجزاء المشيمة حتى لا يظل بعضها عالقا بالأم مما يسبب لها المرض أو الوفاة، وإذا حدث ذلك فإنهم يستخدمون بعض الأدوية الشعبية كالفلفل الحار والقرض والحبة الحمراء لتنزيل هذه الأجزاء، مما يعني أن الإنسان في تلك المراحل كان يقاوم اشكال الأمراض التي من الممكن أن يتوقعها، وكان حريصا على إستخدام الأدوات التي تقدمها له البيئة الفقيرة من أجل مقاومة تلك الأمراض.

كما توضح الحقيقة التي نوردها أن الإنسان لم يكن مستسلماً للعديد من الأزمات التي كان يتعرض لها، فمثلا إستخدام الإنسان للمشيمة بعد أن تجفف لمواجهة أية معضلة إجتماعية كالمحاكمة أو العجز الإقتصادي والفقر والتيمن بهذه المشيمة، لأنها الجزء الذي حفظ الجنين تسعة أشهر والذي إعتمد عليه الجنين في التغذية والحماية، وإنما يعبر عن القيمة الكبرى التي تعطيها المرأة للمشيمة التي كانت أداة لحماية الجنين، وبالتالي يمكن أن تكون أداة لحماية نفس الجنين بعد أن يولد، ويكبر، أو لحماية الأب والأم، إن الإهتمام بالمشيمة " أو السرة" هو في المقام الأول إهتمام ذو طبيعة " طقوسية Ritual " يرتبط برسوخ فكرة ما يشير إليه علماء الفولكلور إصطلاحا بالتأثير

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التعاطفي أو السحر التعاطفي Sumpathetic Magic وهو السحر الذي يقوم على مبدأ أن التأثير على الجزء هو بالضرورة تأثير على الكل، فحفظ السرة وصيانتها وحمايتها هو حفظ وصيانة وحماية لإنسان نفسه والضرر الذي قد يقع على " السرة " ينعكس بالضرورة على صاحب السرة حاضراً ومستقبلاً، وعلى هذا المبدأ تقوم بعض ممارسات " السوا " أو " العَمَلْ " حيث تؤخذ أجزاء من الإنسان (كالشعر مثلا - أو الملابس) تجري عليها بعض الطقوس والممارسات التي يعتقد أن أثرها ينسحب بالضرورة على صاحب الشعر أو الملابس .

تنظيف المولود :

تنظيف المولود أو المولودة والتزين وحلاقة الشعر أمور كان يحرص عليها الجميع، وهنا نعود لنؤكد عمق الوعي الصحي والإهتمام بصحة الطفل وإن كانت في الغالب تستخدم المواد التي قد تضر بقدراته في المستقبل. ولكنها في النهاية تعكس السياق العام لهذه البيئة ومتطلباتها.

وتتشابه المواد المستخدمة لتنظيف المولود مع تلك التي إستخدمت لتنظيف المرأة كالملح والياس، والنيل والمحلب، والكركم، والمر، الحبة الحمراء والصبر والبضاعة، وحل الحلو، وحل حليل، والمر الهندي، الظي، وبنت الذهب، والزبدة، الزعتر والطحين.

وتؤكد الراويات على أهمية تحميم الطفل وتستخدم نفس تلك الأدوات في كل البيئات سواء كانت الحضرية أم البدوية أم الجبلية، كذلك لدى بعض الفئات الثقافية(البلوش) مثلا، وكلها تستخدم تلك المواد، بالإضافة إلى قراءة القرآن على تلك المواد والأعشاب قبل إستخدامها لتنظيف وتحميم المولود أو المولودة.

ولكن المفاجأة كانت أن الأم أو الجدة تحافظ على أن يكون التحميم وقت الضحى أو وقت المغرب، وهي المواعيد التي تقل فيها أعمال المرأة بالمنزل اذ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تستطيع المرأة بعد أن تقوم بتحميم طفلها وتكحيلة وتنويمه أن تمارس عمليات تنظيف المنزل والطبخ وإحضار الماء الى آخره من المتطلبات اليومية التي أضيفت إلى أعباءها كإمرأة وكذلك ما يوفره وقت " الضحى" أي منتصف النهار من جو دافيء بحيث لا يتعرض الطفل للبرودة فأثناء هذا الوقت تكون الشمس قد أشرقت وأشعت بالدفء بحيث يحمى الطفل من أية نزلات برد.

والأغلبية أكدت عدم التحميم أثناء الليل والمبرر أن المنازل كانت مصنوعة من سعف النخيل أي أنها لا تحمي الطفل من البرد، ويعكس ذلك محدودية الحياة الإقتصادية بالنسبة للأسرة الإماراتية في ذلك الوقت إذ كان من الصعب إستخدام مواد أخرى للبناء كالطوب أو الحديد وذلك للفقر ومحدودية عطاء البيئة والإعتماد على إستيراد تلك المواد من الهند أو إفريقيا كالأخشاب مثلا ذلك من قدرات الأسر الغنية فقط.

أما عن السؤال عمن يقوم بتحميم الطفل، فلقد كشفت الردود عن عملية المشاركة والفاعلية التي تقوم بها الأسرة الممتدة بكل أجيالها للمساهمة في خدمة الأم الوالدة فتشترك الأخت الكبرى، والجدة والعمة والخالة أو أم الزوج، وتسهم كل منهم في المساعدة بتحميم وتنظيف الطفل، إلا أن الإعتماد الأكبر على الداية.

ملابس الأطفال وزينتهم :

كشف لنا السؤال حول ملابس الطفل العديد من الأبعاد الإقتصادية والإجتماعية في حالة الأسرة الإماراتية في مرحلة ما قبل النفط وربما في المرحلة الراهنة لبعض الأسر التي تعيش في المناطق النائية سواء أكانت جبلية أم صحراوية.

فالبساطة في إختيار ملابس الطفل كانت السمة الأولى لتلك الأبعاد الإقتصادية، وإستخدام أبسط أنواع الأقمشة وأرخصها، وإستخدام الملابس القديمة التي إستعملت من قبل لأطفال في نفس العائلة أو الأسرة الصغيرة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نفسها، يلاحظ أيضا الثبات في إستخدام تلك الأدوات والملابس وخاصة عندما تناولت إحدى الإخباريات قضية إستخدام (البامبرز) الآن وضحكت وتدلل بذلك على الفروقات ما بين الأمس واليوم. وأشكال التغيير الإجتماعي والثقافي التي برزت في أبسط الصور وهي إستخدام (البامبرز) بدلا من القماش الخفيف الذي يلف به الطفل ليحميه من الرطوبة والبلل.

إن الملابس وأدوات وأساليب الزينة في الماضي وبالأخص الزينة المستخدمة للأطفال تؤكد أشكال الرعاية المقدمة للأطفال عبر مشروع التربية والتنشئة الإجتماعية الذي كان سائدا في ذلك الوقت كما تؤكد على إستخدام معطيات ومنتجات البيئة المحدودة وتكريسها كلها للإستعمال من أجل بيئة صحية جديدة للأطفال حديثي الولادة.

حلاقة شعر الطفل :

إن أشكال العادات والممارسات المتبعة ضمن طقوس حلق شعر الطفل أو الطفلة ربما تعبر عن مخاوف كثيرة تنتاب الطفل تجعلهم يحاولون حماية الطفل بالعديد من الممارسات التي تختلف باختلاف المجموعات الأثنية التي تعيش وتستوطن الإمارات.

من الملاحظات الهامة التي وجدناها في هذه المادة الإثنوغرافية أيضا أن شعر الولد أو البنت يوزن إما مع فلوس فضية أو الذهب، وتوزع بعد ذلك هذه الفلوس على الأطفال ثم يدفن الشعر بعد ذلك في البحر. أو مكان ذي ظل بارد بحيث لا يرهق أو يتعب الولد، ولقد سادت هذه العادة الشعبية وهي وزن شعر الطفل بعد حلاقته خاصة بعد أن عرفت على أنها سنة عن الرسول (صلى اله عليه وسلم) ويصاحب هذه المناسبة الإحتفال (العقيقة) كما ذكرنا سابقاً.

الملاحظة الأخرى في هذه الممارسات أيضا أنها مشتركة بين الأغنياء والفقراء (العالي والداني) حيث يتساوى الأفراد في الإحتفال بالعقيقة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبالاربعين وذبح الذبائح، ودعوة الأقارب للمشاركة في هذه المناسبة ، وكذلك يقصد بها أشهار إكمال الطفل للأربعين أو مرور عام على ولادته.

النفاس :

هي فترة حرجة تحتاج المرأة فيها إلى الرعاية والعلاج ، فتكثر الممارسات حولها، وهي تكشف عن حالة خوف تنتاب المرأة وأهلها من أن يحسدهن أحد أو يعني دخول الجن إلى جسدهن.

١ - إتضح أن هناك ستة عشر مسمى للنفاس تختلف بإختلاف اللهجات المحلية بمجتمع الإمارات المتعدد الثقافات .

٢ - كشفت الدراسة على أن المعتقدات المتربطة بالنفاس تؤكد جميعها على خوف الإنسان في مجتمع الإمارات قديما من المجهول، ورغم عدم معرفتهم بذلك المجهول، إنما يركز خوفهم من الحسد والعين، فذلك هو المجهول الذي يجعلهم يبادرون بممارسات قد لا تحمل وعيا صحيا أو إجتماعيا مبرراً بأسانيد علمية.

٣ - كشفت الأدوية المستخدمة في علاج " النفاس" عن غنى التراث الطبي في مجتمع الإمارات بوسائل كثيرة ومتنوعة لعلاج المرأة. لكن الإنسان في تلك المرحلة استطاع أن يكشف مصاحبات تلك الحمى من الحالات النفسية (كالقلق والعصاب والوسواس أو الإكتئاب) واستطاع أن يعالجها بأدواته المحدودة ، وكان تركيزه في العلاج على القرآن الكريم (راجع الجزء الثاني من الدراسة).

المشاهرة :

كشفت الدراسة عن وجود العديد من المسميات للمشاهرة، والعديد من الممارسات لعلاج حالاتها، وتعكس هذه الممارسات الإيمان بالغيبيات والسحر، والإيمان بالحسد واستخدام كل وسيلة محاولين الوصول لعلاج تلك الحالة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من الناحية الإجتماعية، اتضح أن الخوف يؤثر على سيكولوجية أفراد الأسرة من أن تصاب الزوجه بالعقم، وأن العلاقات الإجتماعية رغم قوتها في الماضي، إلا أنه يشوبها شيء من الحذر والوجل ، بحيث يخاف الناس كثرة التواصل في اثناء مرحلة الحمل والولادة وما بعد الولادة ، وتحاط تلك العلاقات بشيء من التكتم، حتى أنه لا يعلن عن الطفل المولود حتى تمر أيام يزول معها خوف فقدان ذلك المولود.

أوضحت الدراسة أن المعتقدات المتصلة بالمشاهرة تشير الى خطورة المشاهرة أو الدراس، ،وما يترتب عليها من نتائج سلبية أو خطيرة على المرأة ومولودها (فقد تصاب المرأة بحالة هيستيرية ، أو بالمرض حتى الموت، أو يصاب الطفل بالكساح، أو الإعاقة أو النزيف)، يترتب على ذلك بعض الاثار الإجتماعية والنفسية.

إخفاء نوع المولود :

يعد إخفاء نوع المولود من الممارسات التي يحرص عليها الأفراد المحيطون بالمرأة - في مرحلة ما بعد الولادة - لتجنب المرأة أو طفلها أي أزمات يتعرضون لها وتكشف المادة العلمية عن جدية هذه الظاهرة وتمسك أغلب الأسر بها، أي بإخفاء نوع المولود ، من البعيدين أو القريبين منهم.

- كشفت الدراسة عن أن الحسد والعين الحارة هي الظاهرة التي تعبر عن الخطر الذي تتعرض له الأسرة الإماراتية في كل مراحله ، رغم رفض البعض لذلك والتمسك بالقدرة الإلهية.

- كشفت الدراسة عن وجود بعض الممارسات المتصلة بهذه الظاهرة، منها إخفاء المولود ودهن جلده بالنيل الأزرق، وإلباسه ملابس متسخة أو قصيرة أو غير لائقة (مرقعة بألوان متعددة)، أو بتربية الطفل، أو بتغيير أسمه.

- تعكس هذه الممارسات عن الأدوار الإجتماعية الأسرية المرتبطة بهذه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الظاهرة، قد تأكد أن الأم نفسها أو الجدة أو الخالة والعمة المقربين للأم الوالده هم الذين يلعبون هذا الدور، كما اتضح أن الإخفاء يتم برضى الأب وإفهام الطفل بذلك عندما يكبر.

- كشفت الدراسة عن أن هناك إختلافاً نوعيا، إذ يتم الخوف على الذكور أكثر، بإعتبارهم الثروة الحقيقية " ثروة الأولاد" وعصب القوة الإجتماعية والإقتصادية والسياسية للقبيله.

ولادة التوائم :

كشفت الدراسة عن قلة حدوث هذه الظاهرة في مجتمع الإمارات ، ومع ذلك فهي تنطوي على بعض الممارسات العامة المتشابهة، كما تتضمن بعض المعتقدات الشائعة بين أفراد المجتمع مثل استخدام التوائم لعلاج بعض الأمراض كالكسور، أن يطاف بالتوأم حول الإنسان المتعرض لحالة الكسر فذلك يساعده على التماثل للشفاء، ويوضح تكرار هذا المعتقد على قوته لدى بعض الأسر الإماراتية.

تشير الظاهرة الى بعض الأبعاد الإجتماعية ، منها ردود فعل المجتمع المحلي تجاه ولادة التوائم من ناحية، ومدى قوة وترابط العلاقات الإجتماعية بين أبناء المجتمع من ناحية أخرى، والدور الذي يقوم به الزوج في عملية التنشئة الإجتماعية من ناحية ثالثه .

وتتجلى ردود الفعل المجتمع المحلي تجاه ولادة التوائم كما تتمثل في ردة فعل الأهل والجيران، إذ تراوح بين شعورين متناقصين هما الفرح والخوف أو الفرح، والحسد ، الفرح بولادة التوائم والخوف عليهم من الحسد، وهنا تشير التكرارات في هذه الإجابات إلى عمق هاتين الظاهرتين النفسيتين، أو الحالتين النفسيتين اللتين كان يعيشهما الإنسان الإماراتي سابقا الفرح والحسد، إذ تنطوي الحياة كلها على هاتين الحالتين وربما إستمرتا حتى الآن في هذا المجتمع، مما يؤكد مرة أخرى مقترحات هذه الدراسة بضرورة توجه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الدراسات المستقبلية نحو الكشف عن عمق هذه الظاهرة في هذا المجتمع.

أوضحت الدراسة لبعض الممارسات التي تعكس وجود العلاقات الإجتماعية الحميمة والترابط الوثيق الذي تنعكس في مظهر الفرح والشعور الجمعي بوحدة الجماعة وتكامل مصالحها، وعلى الرغم من ذلك يأتي التمايز الداخلي، داخل الجماعة(كالعشيرة أو الطائفة أو الأسرة الممتدة الكبيرة) فيثير هذا التمايز النسبي عنصراً أو عاملاً المنافسة الكامن فيعبر عن نفسه في الخوف، الخوف من حسد الآخرين وهم في الغالب أفراد الجماعة انفسهم!!

كما أكدت إجابات المبحوثات (الراويات) على حركة التعاون والتكاتف بين الأهل والأقارب وأبناء الحي الواحد لمساندة المرأة المنجبة لتوائم، ونرى في هذا بعداً إجتماعياً كامناً لحالة التماسك في المجتمع الصغير، وخاصة الحي الصغيروالذي أكدته الكثير من الإجابات في المحاور السابقة، كذلك كشفت ردود فعل الأب عن مساهمة حقيقية يقدمها لزوجته في حال ولادة التوائم له، فهو يسهم في خدمة المنزل وحمل الطفل الثاني المنتظر للرضاعة، وهنا تبرز مشاركة ايجابية من الأباء ربما لم ترد سابقا ما يعكس بعض التناقض في الإجابات ولكن تعكس في المحل الأول أن المواقف تثير عادة بعض ردود الأفعال المعينة سواء من الأب أو من الآخرين ، وهنا جاءت المشاركة كردة فعل متوقعة من زوج يشاهد معاناة زوجته في تربية التوائم، وربما يقلل هذاالتفسير من ذلك التناقض فيظل السائد لدور الآباء هو السلبية تجاه المشاركة في التنشئة الإجتماعية.

تسمية المولود:

كشفت الدراسة عن أن تسمية المولود (ذكرا كان أو أنثى) لها أهمية كبيرة ، كما ترتبط بالكثير من العادات والممارسات التي تكشف عن معتقدات عميقة راسخة ترتبط بإسم الطفل أو الطفلة، كما تعكس فكراً وثقافة شعبية ذات خصوصية في بنيتها الإجتماعية ، ولكنها ذات عمومية في ارتباطها بالموروث

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الثقافي العربي الإسلامي.

كما ترتبط تسمية الطفل بالعديد من العوامل الدينية (أسماء الرسل والأنبياء - أسماء الصحابة والمناسبات والأعياد الدينية وبالأيام السبعة ، وكذلك بالتوقيت اليومي، وبالشهور العربية ، كما ترتبط كذلك بالعوامل المناخية المختلفة (رعد - البرق - اسهيل - ... الخ) وكذلك سادت التسمية بأسماء الراحلين (التسمية القرابية ، أسماء الأجداد وأولادهم ثم الأعمام والأخوال ثانيا).

الرضاعة والفطام :

تعد مرحلتا الرضاعة والفطام في حياة الطفل من أهم المراحل المؤثرة في شخصيته وعقليته وتكوينه النفسي، إذ أن هاتين المرحلتين هما بداية التشكل الإجتماعي والنفسي لكيان الطفل، فمن خلال الرضاعة يلتمس محيطه الإجتماعي المتمثل في الأم فقط، ومن خلال الفطام يبدأ الطفل في التعرف على المحيط الخارجي المتمثل في الأسرة والمجتمع.

والمدة المحددة في التراث الإسلامي ومن ثم في تراث الإمارات هي سنتان مدة مثالية Optimum Period فلا هي أقل ولا هي أكثر من اللازم. وتؤكد مثالية الفترة المخصصة لرضاعة الطفل حتى فطامه.

وهذا الإجماع النسبي على مدة العامين لإرضاع يعكس الطابع الإسلامي للتراث الشعبي في الإمارات .

إن وجود مثل هذه المعتقدات والأفكار والممارسات تؤكد أن الفوارق بين الجنسين، وإلى أهمية الذكر مقارنة بالأنثى في الثقافة المحلية والعربية بصفة عامة قد يبرر الإفتراض أن الثقافة هنا تتسم بوجود ما أسماه أوبلر " موضوعا أساسياً Theme " يمكن صياغته على النحو التالي : (الرجال متفوقون على النساء فيزيقيا وإجتماعيا).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الرضاع وغذاء الأم :

يشير التراث المحلي إلى تعدد وكثرة أنواع المواد الغذائية التي يفترض أنها تزيد من كمية لبن الأم مما يساعد على النمو الصحي المتكامل للطفل.

أما بالنسبة للأطعمة التي تحرم على الأم أو يفضل الإمتناع عنها فتشمل الكثير من المواد الغذائية التي قد تؤثر على الطفل أثناء الرضاعة،، وهناك أشكال من رعاية الأم صحيا عندما تتعرض لبعض الوعكات الصحية الناتجة عن سوء تنظيم التغذية، فتستخدم الأدوية الشعبية كأن تشرب (اليعدة أو الطبخة) وهي محلول من الأعشاب يغلي وتشربه.

أما عن أسباب إنقطاع لبن الأم فقد جاءت في شكل أسباب رئيسية وأخرى فرعية.

والرئيسية منها تتمثل في المتاعب النفسية للأم التي قد تتعرض لها نتيجة النزاع والخصام مع الزوج أو لأية أسباب أخرى، أو الحمى التي قد تتعرض لها أثناء النفاس فهذا الضيق النفسي يسبب انقطاع الحليب..والسبب الثاني هو المتاعب الصحية الجسدية وعدم تنظيم الغذاء .

والعامل الرئيسي الثالث هو الحسد والعين وخاصة عندما تدخل عليها إمرأة أخرى وهي ترضع إبنها أو طفلتها فلا بد أن يحدث الحسد وذلك من وجهة نظرهن.

ومن الممارسات أو المعالجات التي يقوم بها أفراد المجتمع عندما يحدث إنقطاع الحليب القيام أولا بقراءة القرآن على الصدر، ثم إستخدام (القسط) كدواء شعبي أو تمشيط الصدر وتحريكه لإنزال الحليب كمساح خاص ثم تنظيم الغذاء لمرأة وإستخدام حليب الأغنام والجمال لمساعدتها على زيادة الحليب في ثديها.

وهناك ظاهرة أخرى قد تظهر في فترة الرضاعة وهي الرضاعة من أم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أخرى والنابعة في الأصل من التراث العربي فقد أرضعت حليمة السعدية رسو اله صلى الله عليه وسلم ولكن السؤال المطروح هو هل تتم الرضاعة من أم أخرى في حالة تيتم الطفل فقط ؟ أم هي ممارسة طبيعية تقوم بها كل أم في مجتمع الإمارات عندما تعجز عن رضاعة إبنها؟

الفـــطـــام :

تسمية الفطام شعبيا لا تختلف في مجتمع الإمارات ما عدا عند البلوش الذين يطلقون عليه (إشيرون يا زيرون) أي أخذ الطفل عن الحليب.

اذ لوحظ من الإجابات أن الطفل يجبر على التخلي عن ثدي أمه بواسطة إستخدام أدوات شديدة القسوة عليه، وعلى أي إنسان راشد.

وكانت بعض الأمهات يلجأن لقراءة القرآن في كوب من الماء ويسقى للطفل سعيا لإفطامه ويشير المتخصصون إلى أن الأسلوب التدريجي في الفطام هو البدء بإحلال وجبة مكان رضعة، ثم زيادة عدد الوجبات البديلة للرضعات تدريجيا حتى يتعود الطفل عليها بدلا عن صدر أمه.

أما عن طرق تعويد الطفل على التغذية من مصدر آخر فهي عديدة وكذلك المواد الغذائية المتعددة التي تبدأ الأم بتعويده عليها قبل وبعد مرحلة الفطام ، إلا أنها هذه المواد رغم تعددها لا تخرج عن إطار ما تجود به بيئة الإمارات الساحلية والصحراوية من مواد غذائية.

لاحظنا أن الأسرة الإماراتية في المرحلة القديمة قد وعت هذه الأهمية لمرحلة ميلاد الطفل ورضاعته وفطامه، وإن لم يخل ذلك من وعي زائف في بعض جوانبه، ولم تخل حياة تلك الأسرة الإماراتية من سلوكيات وعادات ضارة وإن كانت إيجابية في بعض جوانبها الأخرى.

الـعـقـــم :

شاع في اللهجة المحلية لمجتمع الإمارات القديم وصف المرأة التي لم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يرزقها الله نعمة الإنجاب بكلمة «عقيم» وهذا الوصف مستمد من الآيات القرآنية «لله ملك السموات والأرض، يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور، أو يزوجهم ذكرانا وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير» صدق الله العظيم. «سورة الشورى الآية : ٤٨ ، ٤٩»..

الممارسات التي تقوم بها المرأة في حالة تأخر الحمل؟

حيث لم يكن في السابق أطباء كما هو الحال في الزمن المعاصر كانت من أهم الوسائل التي تلجأ إليها المرأة في حالة تأخر الحمل الوسائل التالية :-

أ - الذهاب إلى «الداية» أو القابلة : لإجراء أي من الطرق العلاجية التالية

١ - المسح ٢ - الخبانة ٣ - بالتوسيم

ب - الذهاب إلى «المطوع» أو «المطوعة».

ج - النذر.

د - اللجوء إلى الدواء.

هـ - إتباع عادات قديمة.

الأسباب : وتنقسم إلى أسباب طبيعية ونفسية وغيبية :

أما الأسباب الطبيعية فتتمثل في ضعف الظهر، وحمل الأثقال، القيام بأعمال الطحن بالرحي، وإحضار الماء من مسافات بعيدة، أو الوقوع على الأرض بشدة، وكذلك الحمى الشديدة، وضعف الرحم والمرض الشديد.

أما الأسباب النفسية فهي كالإحساس بالقهر نتيجة المعاملة السيئة من قبل الزوج لزوجته ، أو إستماعها إلى أخبار سيئة تسبب إنهيار الأم مثل أخبار موت بعض الوالدين أو الأخوة، العصبية، الضرب من الزوج.

أما الأسباب الغيبية فمن بينها : العين والحسد، العوفة أو الشينة، أو التبعة ، أي متبوعة بالعين أو الحسد، والعوفة هي الجان، الربط أثناء كتب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الكتاب، جرح البطن، أو المضرة وهي تحمل نفس معنى العوفة والشينة (أم الصبيان) الحالة التي تجعل الإنسان في غير وعيه وتقتل الجنين في بطن أمه.

ننتقل إلى أساليب العلاج الشعبية والدينية :-

إذا كانت الأم بها كشحة أي المضرة والجان فتعالج بالوسم (الكي).

العلاج الآخر الأدوية الشعبية الياس والملح، والحلبة الباردة، واللبان ليساعد على شد ظهرها، تمنع من الحركة.

المساج (المسح)، النوم على الظهر، رفع الرجل للأعلى.

المنع من معاشرة الزوج لفترة.

إستخدام الحرز من المطوع أو الحجاب ليحفظ لها الطفل في بطنها.

من الممارسات الشعبية الغريبة أن تلبس جلد عنز (ماعز) مذبوحة للتو، أو الكي في الظهر وتشرب الحسو، ثم قراءة القرآن الكريم وإستمرار نومها على ظهرها.

ثانيا : الإجهاض وردود الفعل الإجتماعية :

القسم الثاني من هذا المحور يتناول ردود الفعل، ولنبدأ برد فعل:-

أ - الزوج : الشخص الأول ذو العلاقة في حالة الإجهاض، فقد يكون هو المسبب للإجهاض كما جاء ذلك في القسم الأول، إذ تؤثر نوعية العلاقة التي تربطه بزوجته بحالتها النفسية، مما يعكس آثاراً إيجابية أو سلبية على صحة الأم النفسية وبالتالي بحالتها الجسمانية.

فردة الفعل المذكورة من قبل الإخباريات هو الزعل، والندم على ضياع بذرته، التضايق ومحاولة البحث عن علاج لزوجته، التهديد بالزواج من أخرى، وإذا تكرر السقوط لدى الزوجة يكرهها ويتزوج بالفعل من غيرها.

الزوج قد يصاب بالوسواس والإكتئاب نتيجة فقدانه للذرية أما

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالإجهاض المتكرر لزوجته أو بتأخرها في الحمل.

بعض الأزواج لا يعلنون عن ردود الفعل، وبعضهم يحاول إيجاد العلاج لها لأنه يحبها، ويحضر لها المحو وهو الماء المقروء فيه القرآن.

عكست لنا المادة الإثنوجرافية كذلك أن هناك بعض النساء ممن لا يرغبن في إستمرار العلاقة بالزوج فيلجأن إلى إسقاط الجنين بإستخدام بعض المواد الشديدة الحرارة، أو مرة الطعم، فمثلا يوضع على بطنها حجر ساخن، الرحى مثلا، أو شرب الكبريت ونبات الغضف، أو أن تدوسها إمرأة أخرى ثقيلة أو شرب الترياق، وبذر الحز معصور وتشربه المرأة كل صباح ولكنها تفشل في إسقاط الجنين.

من أساليب ومحاولات إجهاض الجنين يقوم الأهل بكي المرأة في رأسها، ولا يكون ذلك إلا بعد إستشارة الزوج.

ختان المولود :

من العادات التي تمارس في مرحلة ما بعد الميلاد، ختان المولود، (الذكر والأنثى)، وهي في مضمونها عبارة عن مجموعة من الممارسات تعكس جوانب سيكلوجية واجتماعية لأسرة المولود . فهي تعبير عن الفرحة لدى الأبوين والأهل جميعاً.وقد كشفت الدراسة عن أن هذه الممارسات تختلف من أسرة إلى أخرى حسب المقدرة الإقتصادية والمكانة الإجتماعية والأصول العرفية .

تنشئة الطفل :

لم تقدم الدراسة تحليلاً كافياً لمحور التنشئة الاجتماعية بإعتباره محوراً يدخل ضمن مرحلة لاحقه للميلاد وهي مرحلة الزواج من مراحل دورة الحياه، ولقد أتفق على ذلك المتخصصون في دراسات المأثور الشعبي، ولذلك نحيل القارئ إلى الدراسه الجديدة حول (العادات لمرحلة الزواج لمجتمع الإمارات)، إذ بدأنا دراسة تلك المرحلة بالبحث في عمليات التنشئة الإجتماعية التي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تؤهل الإنسان الجديد للدخول في مرحلة بناء النفس وتكوين الأسره.

ولكن في هذه الدراسة إستطعنا تقديم بعض الممارسات المرتبطة بالتنشئة الإجتماعية الأولى وركزنا على عملية تنويم الطفل مثلاً إذ تتحدد العوامل المؤثرة فى تشكيل خريطة نوم أفراد الأسرة حسبما كشفت الدراسة فى عدة عوامل أهمها : ـ

١ ـ العامل الدينـــى :

الذى يرى التفريق بين الأبناء فى المضاجع طبقا للحديث الشريف.

٢ ـ العامل الإقتصادى :

الذى كان يحدد طبيعة وسعة البيت أو الخيمة.

٣ ـ العامل الإنسانى الغريزى :

الذى كان يتطلب التفريق بين الأبناء فى النوم.

ومن الأسئلة الهامة التي حاولنا الإجابة عنها من خلال هذه الدراسة سؤال رئيسي هو.. هل يمكن أن يتربى الطفل فى غير حضانة والديه ؟

أن الظرف العام السائد لم يكن يحبذ هذا الإتجاه، أى أن يتربى الطفل فى غير حضانة والديه الحقيقيين لكنه مع ذلك ، وفى حالات معينة ـ لم يكن يمنع ذلك، وتتمثل هذه الحالات فيما يلي :ـ

١ ـ وفاة الأب أو الأم أو إنفصالهما.

٢ ـ مرض الوالدة وعدم قدرتها على تربية الطفل.

٣ ـ كثرة عدد الأولاد لدى عائلة وحاجة عائلة أخرى إلى الأولاد.

٤ ـ إرتباط ذلك ببعض العادات المتوارثة فى العائلة بإن تقوم الجدة أو الجد بتربية أحد الأحفاد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٥ - محبة إحدى القريبات لطفل أختها وتعلقها به.

٦ - الخوف من الحسد فى حالات ولادة التوأم.

٧ - وفاء لنذر خصوصا لمن لم يعش لها أبناء من قبل.

تظهر هذه الإجابات المختلفة أن هناك تأثيراً على شخصية وسلوك الطفل عندما يكبر وتتراوح هذه التأثيرات فى درجاتها وفى نوعها تبعا للظروف الذاتية والموضوعية المحيطة بظروف ذلك..

لكنها إجمالا تكاد تتركز فى الآثار التاليـــة : ـ

- أن الطفل الذى يتربى فى كنف جدته خصوصا يتدلل أكثر على والديه.
- أن الطفل الذى يتربى فى كنف جده يخامره شعور بالفخر أنه تربية جده.
- أن الطفل الذي يتربى لظروف جبرية يخامرة شعور بالنقص والخجل.
- أن هؤلاء الأطفال لايندمجون بصورة طبيعية تماما مع أشقائهم بعد عودتهم للمنزل.
- أحيانا يؤدى ذلك إلى الشعور بعدم الإنتماء لوالديه.
- وأحيانا يحاط الطفل بتأثير سلبى من جراء كلام الناس عنه ونظرتهم إليه.

طرحنا في بدء الدراسة فكرة أنه لا يمكن حسم الجدل النظري السائد على مستوى دراسات الفولكلور ما لم يلحقه إستقرار للواقع، والتعامل مباشره مع التراث بعناصره المختلفه من ناحية، ومع حاملي التراث على إختلاف نوعياتهم وإنتماءاتهم الإقتصادية والإجتماعية والثقافية من ناحية أخرى، لقد تحقق ذلك من خلال هذه الدراسة وإستطعنا الوصول بنتائجها إلى عمق المأثور الشعبي في دولة الإمارات، المأثور المرتبط بمرحلة الميلاد حيث كشف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عن صراع قيمي وثقافي وإجتماعي وأكد على العديد من الحقائق كان أهمها :

- أن مجتمع الإمارات كغيره من المجتمعات العربية يعيش الخوف بكل أشكاله.

- أن الحسد القاسم المشترك ثقافياً بين كل الفئات الإجتماعية فيكاد يكون آليه العلاقات الإنسانية بين أفراد المجتمع.

- أن التهميش للمرأة ووضعها الإجتماعي، وتجاوز الحدود الإنسانية في التمييز بينها وبين الرجل يكشف الحقيقة في تردى العلاقات بين الجنسين في مجتمعاتنا العربية.

- الإنسان في مجتمع الإمارات كان فاعلاً ومتحركاً وبادر إلى التكيف مع بيئته، وكان في بعض المواقف يخضعها لصالحه، وفي البعض الآخر يخضع هو لها عندما ينتابه العجز في التفسير لبعض ظواهرها.

- محدودية الحياه الاقتصادية وضعف عطاء البيئة الصحراويةوالبحرية والجبلية، ورغم ذلك عاش إنسان الإمارات وأستمر وصنع ثقافة خاصه به، وإستطاع أن يهيء نفسه للمرحله الجديدة التي يمر بها مجتمع الإمارات الآن.

- تعانق التراث الشعبي لمرحلة الميلاد بالتراث الإسلامي وكادت ثقافة المسلم هي المورد الحقيق لجميع ممارساته الثقافية وعاداته. فالإسلام كان المرجعية الأولى لجميع هذه العادات المتصلة بمرحلة الميلاد.

- برز التفاوت الإجتماعي والإقتصادي من خلال مضامين عناصر التراث الشعبي لهذه المرحله وكذلك برزت الفروقات الأثنية والعرقية من خلال بعض الممارسات المرتبطه بجميع مراحل الميلاد للطفل.

- رغم بعض أشكال الوعي الحقيقي بظواهر الحمل والوحم والولاده وما بعد الولاده وجميع محاور ميلاد الطفل إلا أن هناك ممارسات دلت على بعض

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الوعي الزائف غير الحقيقي.

- قدمت جميع هذه الموروثات الخاصة بالميلاد من خلال عناصر الموروث أهمها العادات والأمثال، والأقوال والحكم، والأغاني، والنذور، لكل محور على حده من محاور الميلاد.

- أنه على الرغم من التغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي شهدها مجتمع الإمارات، فإنها لم تقلل كثيراً، كما يذهب بعض المنظرين، من هوية المجتمع الثقافية، فقد كشفت الدراسة عن قدرة الأسرة في مجتمع الإمارات على التكيف السريع مع هذه التغيرات، خاصة التكنولوجية منها، وتوظيفها بما يتلاءم مع الواقع الثقافي للأسرة في مجتمع الإمارات، بحيث يظهر التغير شكلياً في بعض العادات المتصلة بمراحل الميلاد المختلفة، لكن مضمون هذه العادات الذي ينبع من قيم المجتمع الأصيلة . لم يتأثر على الإطلاق بهذه التغيرات، الأثر الذي يؤكد رسوخ الهوية وثباتها.

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نقول إنها محاولة علمية أولية إستطعنا من خلالها سبر أغوار الواقع التراثي لمجتمع الإمارات، وكانت دراسة شمولية غطت الخريطه الجغرافية للدوله، وكذلك الخريطه الإجتماعية والأثنية للجماعات التي تعيش على أرضها. على المستوى الإثني والجغرافي لمجتمع الإمارات.

ويهمنا في النهاية أن نقول للقارئ والمتخصص أنه إذا كانت هذه الدراسة تعد الوجبة الأكاديمية الأولى على مائدة الفولكلور في دولة الإمارات، فنحمله مسؤوليةإستكمال هذه المائدة بالجديد من الدراسات الأكثر ثراء وعمقاً وتخصصاً..

والله من وراء القصد،،

د. موزه غباش

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مراجع تمت الاستفاده منهم :-

١ - أسامة عبدالرحمن - الإنسان العربي والتنمية - حقوق الإنسان ركيزة محورية لأي انطلاقة تنموية - مجلة المستقبل العربي العدد (١٣١) يناير ١٩٩٠ مركز دراسات الوحدة العربية .

٢ - حسن باشا وآخرون - المعتقدات الشعبية في التراث العربي صدر عن دار الجليل.

٣ - حمود العودي - التراث الشعبي وعلاقته بالتنمية في البلاد النامية - دراسة تطبيقية على المجتمع اليمني - دار العودة بيروت - الطبعة الثانية - ١٩٨٦.

٤ - رفعت محمد دويب - أغاني الأعراس في دولة الإمارات - وزارة الاعلام والثقافة - الإدارة الثقافية ، ١٩٨٢ .

٥ - علي عبدالله خليفة - عناصر الأصالة في الثقافة القومية ، مجلة التراث الشعبي - وزارة الثقافة والاعلام - دائرة الشؤون الثقافية والنشر - العدد الخامس والسادس السنة الخامسة عشرة ، ١٩٨٤ ، بغداد .

٦ - عبدالحميد يونس - العادات والتقاليد مكانها من التراث الشعبي - مجلة المنهل - العدد السنوي المتخصص - مجلد ١٩٨٨/٤٩.

٧ - عبدالله عبدالرحمن - فنجان قهوة - الجزء الأول - الإمارات العربية في ذاكرة أبنائها - منشورات اتحاد كتاب وأدباء الإمارات - الطبعة الأولى ١٩٨٩.

٨ - مركز دراسات الوحدة العربية - ندوة التراث - وتحديات العصر في الوطن العربي (الأصالة والمعاصرة) - مركز دراسات الوحدة العربية - الطبعة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأولى - بيروت ١٩٨٥.

٩ - فرحان صالح - جدلية العلاقة بين الفكر العربي والتراث - رؤية نقدية - دار الحداثة - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٨٣.

١٠- محمد بن أحمد الخزرجي - العادات والتقاليد في دولة الإمارات العربية المتحدة - الطبعة الثانية ١٩٨٣، المطبعة العصرية.

١١- حسن مروة - تراثنا كيف نعرفه - مؤسسة الأبحاث العربية - الطبعة الثانية

١٢- فهمي جدعان - المحنة بحث في جدلية الديني والسياسي في الإسلام - دار الشروق للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى ١٨٨٩، عمان .

١٣- فهمي جدعان - نظرية التراث ودراسات عربية وإسلامية أخرى - دار الشروق للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى ١٩٨٥ - عمان.

١٤- محمد عابد الجابري - نحن والتراث - قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي - الطبعة الخامسة ١٩٨٦ المركز الثقافي العربي - المغرب.

١٥ - محمد راشد الجروان - رسالة إلى ولدي - دار الخليج للثقافة والنشر ١٩٨٥.

١٦ - محمد راشد الجروان - في الدار شرار - ١٩٨٩ - دار النشر غير مذكورة .

١٧- محمد راشد الجروان - أميرة الصحراء المطبعة الاقتصادية - دبي ١٩٨٧.

١٨- محمد راشد الجروان - التجارة بين الماضي والحاضر - المطبعة العصرية - ابريل ١٩٨٨.

١٩- يان مانسنيا - المأثورات الشفاهية - ترجمة أحمد موسى - دار الثقافة للطباعة والنشر - ، ١٩٨١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المحتويات

الاهداء : ٥

شكر وتقدير ٦

مقدمة الطبعة الثانية ٨

المقدمة : ٩

الفصل الأول : التراث الشعبي والتنمية ٢٨

تقديم ٢٩

التراث الشعبي بالامارات ٤٥

دورة الحياة البشرية ٤٦

عادات الولادة ٤٦

عادات الزواج ٤٨

عادات واعراف الموت ٤٩

عادات واعراف دورة الحياة الزراعية ٥٠

مرحلة الحراثة واعداد الارض ٥٠

العادات العامة والمواسم ٥٥

العادات المتعلقة بالمرأة ٥٦

العادات المتعلقة بالنظام السياسي ٥٦

العادات المتعلقة بنشاط الغوص ٥٧

الصناعات والحرف اليدوية ٥٩

الاعياد واحتفالاتها :..... ٥٩

الاستخلاصات والنتائج ٦١

الهوامش والمراجع ٦٦

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المحتويات

الفصل الثاني : التراث الشعبي بين الابعاد
النفسية والاجتماعية والبيئة ٦٨
تقديم ٦٩
تنظيف المولود او المولودة والتزين والحلاقة ٨٩
حمى النفاس ٩٣
الطب الشعبي ٩٧
نماذج من أغاني الزار ١٠٢
نماذج من اغراض الشعر ١٠٦
الفنون الشعبية ١١١
الفصل الثالث : الحمل ١١٧
تقديم ١١٨
حساب الحمل ١٢٤
الإجهاض ١٢٩
معرفة نوع الجنين ١٣٠
المعتقدات المتصلة بالحمل ١٣٣
محظورات الحمل ١٣٥
الفصل الرابع : الوحم ١٤٢
الوحم وأعراضه ١٤٤
الوحم وتفسيراته ١٤٨
الوحم والوضع الإجتماعي للمرأة ١٥٠
الفصل الخامس : الولادة ١٥٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المحتويات

مرحلة ما قبل الولادة ١٥٤

مرحلة الولادة ١٥٧

مرحلة ما بعد الولادة ١٥٩

الفصل السادس : مرحلة ما بعد الولادة ١٦٢

تنظيف الأم بعد الولادة ١٦٣

تنظيف المولود وتحميمه ١٦٥

ملابس الأطفال وزينتهم ١٧١

تحميم الطفل ١٧٤

حلاقة شعر الطفل ١٧٨

النفاس ١٨١

الفصل السابع : المشاهرة ١٨٩

المشاهرة ١٩٠

المشاهرة ومسمياتها المحلية ١٩١

المشاهرة وقواعد الإجتناب والحالات المحظورة ١٩٣

المشاهرة وممارسات وإجراءات الوقاية والمعالجة ١٩٥

المشاهرة الظاهرة والتفسير ١٩٧

الخلاصة ١٩٩

الفصل الثامن : إخفاء نوع المولود ٢٠٠

إخفاء نوع المولود ٢٠١

الخلاصة ٢٠٨

الفصل التاسع : ولادة التوائم ٢٠٩

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المحتويات

ولادة التوائم ٢١٠
طرق تنظيف التوائم ٢١٤
الخلاصة ٢١٧
الفصل العاشر : تسمية الطفل ٢١٨
تسمية الطفل ٢١٩
العوامل المرتبطة بتسمية الأطفال ٢٢٣
التسميات والنذور ٢٢٦
التدليل والتصغير ومدلولاته ٢٢٨
التسمية الشاذة والتحقيرية وأسبابها ٢٣٠
الأدعية والأقوال الخاصة بالتسمية ٢٣٢
التسمية بأسماء الراحلين ٢٣٣
الفصل الحادي عشر : الرضاعة والفطام ٢٣٦
مدة الفطام ٢٣٧
الرضاع وغذاء الأم ٢٤٢
الفطام ٢٥١
الفصل الثاني عشر : الحمل الكاذب ٢٥٤
الحمل الكاذب ٢٥٥
علاج الحمل الكاذب ٢٦٠
الفصل الثالث عشر : العقم ٢٦٢
العقم ٢٦٣
الاساليب التي كانت تستخدم شعبياً لتأخير الحمل ٢٦٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المحتويات

الممارسات التي تقوم بها المرأة في حالة تأخر الحمل ٢٧٠
الممارسات التي كانت تتبع لتجنب العقم ٢٧٢
وصف الممارسات الطبيعية والغيبية لعلاج العقم ٢٧٤
ردود فعل الأقارب والزوج نحو تأخر الحمل والعقم ٢٧٩
كيف يمكن معرفة عقم الرجل ٢٨١
كيف يمكن إكتشاف عقم المرأة ٢٨٢
المحور الرابع عشر : الإجهاض ٢٨٤
الإجهاض ٢٨٥
أسباب الإجهاض ٢٨٦
علامات ومظاهر الإجهاض ٢٨٨
أساليب العلاج الشعبية والدينية ٢٩١
الإجهاض وردود الفعل الإجتماعية ٢٩٥
المحور الخامس عشر : الختان ٣٠٥
الختان ٣٠٦
الأمثال والأغاني الشعبية لمناسبة الختان ٣١٠
سن الختان ٣١٤
كيفية الختان ٣١٥
الأدوية المستخدمة في علاج الختان ٣١٦
الأدوات المستخدمة في الختان ٣١٧
الختان الفردي والجماعي ٣١٨
هدايا الطفل بعد الختان ٣٢٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المحتويات

الإحتفال بختان الذكر والإحتفال بختان الأنثى ٣٢١

الفصل السادس عشر : التنشئة الإجتماعية ٣٣٣

التنشئة الإجتماعية ٣٣٤

كيف تتم تهيئة الطفل للنوم ٣٣٥

الممارسات والأغاني المستخدمة لتنويم الطفل ٣٣٩

النوم المنفصل للطفل ٣٤٧

وصف لسرير الطفل (المنز) ٣٥٨

الخاتمة..... ٣٦٢

مراجع تمت الاستفادة منها : ٣٩٣

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner